

العيون والجواسيس في الدولة الإسلامية

منذ عهد الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى نهاية العصر الأموي

الدكتور رعد محمود أحمد البرهاوي




رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العيون والجواسيس

في الدولة الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م



رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(٨٥٩ / ٤ / ٢٠٠٢)

٩٥٦،٠٢
بره البرهاوي، رعد محمود أحمد
العيون والجواسيس في الدولة الإسلامية، منذ عهد الرسول ﷺ وإلى نهاية العصر الأموي (١-١٣٣هـ/٦٣٣-٧٤٩م) رعد محمود أحمد البرهاوي. - إربد: دار الكتاب الثقافي، ٢٠٠٢.
( ) ص
ر.أ. : (٨٥٩ / ٤ / ٢٠٠٢)
الواصفات: /التاريخ الإسلامي/عصر صدر الإسلام (الرسول ﷺ /الخلفاء الراشدين (٦٣٢-٦٦١هـ)/الأمويون (٦٦١-٧٥٠م) /الجواسيس/الاستطلاع/

• تم إعداد بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية من دائرة المكتبة الوطنية

رقم الإجازة المتسلسل لدى دائرة المطبوعات والنشر (٢٠٠٢/٣/٧٥٥)

دار الكتاب الثقافي
للطباعة والنشر والتوزيع
الأردن / إربد
شارع إيدون إشارة الإسكان
تلفون
(٧٢٦١٦١٦ - ٢ - ٠٠٩٦٢)
فاكس
(٠٠٩٦٢-٢-٧٢٥٠٣٤٧)
ص.ب (٦٢٠٣٤٧-٢١١)

Dar Al-Ketab
PUBLISHERS
Irbid - Jordan
Tel:
(00962-2-7261616)
Fax:
(00962-2-7250347)
P. O. Box: (211-620347)
E-mail:
DarALketab@Excite.com



دار المتنبي للنشر والتوزيع
الأردن - إربد - تلفاكس: (٧٢٦١٦١٦)

العيون والجواسيس في الدولة الإسلامية

منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وإلى نهاية العصر الأموي

(١-١٣٢هـ/ ٦٣٣-٧٤٩م)

الدكتور رعد محمود أحمد البرهاوي



دار الكتاب





المقدمة

يعاني تاريخ صدر الإسلام، والعصر الأموي، من قلة المصادر بصورة عامة، قياساً إلى فترات متأخرة من التاريخ الإسلامي، في ضوء عدم ظهور مؤلفات محققة جديدة، أو قلة ما ظهر منها، أو اكتشاف مخطوطات مفقودة، تناولت هذه المرحلة الزمنية. وفي ضوء هذه الحقائق، نجد أن هذا العصر بحاجة إلى دراسات، تعمل على بحث جوانب غير مدروسة منه لحد الآن. أو إعادة دراسة جوانب أخرى، درست بصورة غير موفقة، لأسباب عديدة، وعلى هذا الأساس، تم تناول موضوع العيون والجواسيس، والذي لم يدرس بصورة مفصلة وعلمية ويمكن حصر ما كتبته عنه في ثلاثة أقسام، القسم الأول:

الدراسات التي تناولت الموضوع بصورة مستقلة، مثال ذلك: (**نظام الاستخبارات العسكرية**)[1]، الذي يفتقر أحياناً، إلى الهوامش العلمية، فضلاً عن التحليلات التي تتداخل، عبر أحداث العصور المختلفة، ما بين صدر الإسلام والعصرين الأموي والعباسي. ومع ذلك فقد كان للموضوع أهميته في تسليط الأضواء على هذا الصنف المهم من صنوف القوات الإسلامية[2]. وهناك أيضاً كتاب (**التجسس وأحكامه في الشريعة الإسلامية**)[3] وبرغم أن الباحث، ركز على دراسة الأحكام الشرعية للتجسس، من خلال دراسة مقارنة بين معطيات المدارس الفقهية المختلفة، وقد أجاد في ذلك إلى حد ما، إلا أنه عندما درس تاريخ التجسس في عصر الرسول ﷺ والراشدين، لم يلتزم بمنهجية واضحة، وافتقر إلى التسلسل التاريخي فضلاً عن غلبة المبالغة والتعميم على أحكامه أحياناً[4]. وأخيراً نوقشت أطروحة

---

(١) فاروق عمر فوزي، بحث نشر ضمن كتاب الجيش والسلاح(بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٨).

(٢) المرجع نفسه: ٩٧/٤، ٩٩، ١١٢.

(٣) محمد راكان الدغمي (عمان، جمعية عمال المطابع التعاونية، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م).

(٤) المرجع نفسه: ص٥٧، ٦١، ٦٦، ٨٠.

للدكتوراه عن (**الاستخبارات ودورها في الدولة العربية الإسلامية**)[1] التي تميزت بجهد واضح، بذله الباحث في تسليط الأضواء على الإنجازات التي حققتها الدولة في هذا الصدد. إلا أن مما يؤخذ على هذه الدراسة، هو طول الفترة الزمنية التي تناولتها، وهي تزيد على ستة قرون، مما جعل الباحث ينتقل مسرعاً هنا وهناك، محاولاً الإحاطة بالموضوع، من خلال دراسة أفقية، أكثر منها معمقة قائمة على التحليل والاستنتاج، للوصول إلى فهم أفضل.

كما يلاحظ كثرة الأخطاء العلمية، التي وقع فيها الباحث، من خلال فهمه غير الموفق للنصوص أحياناً، فضلاً عن الأحكام الإنشائية غير الدقيقة، واعتماده على المراجع الحديثة، في الحصول على معلومات متوفرة، في مصادر متاحة. كما أنه لم يلتزم بالتسلسل التاريخي للأحداث في أحيان أخرى[2].

أما القسم الثاني فقد درس الموضوع، ضمن فنون الحرب والصنوف، في صدر الإسلام والعصر الأموي، وبذل جهوداً لا تنكر، في التأكيد على أهمية الموضوع، ومدى الإسهامات التي قام بها، الجنود المجهولون، في تحقيق الإنجازات العظيمة، في هذا العصر، من تاريخ الأمة. ويأتي في مقدمة هذه الدراسات (**كتاب الفن الحربي في صدر الإسلام**)[3]. وكتاب (**فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين، عمليات الجبهات الشمالية والشرقية والبحرية**)[4]. وكتاب (**المدخل إلى العقيدة الستراتيجية العسكرية الإسلامية**)[5]. وأخيراً كتاب (**تنظيمات الجيش العربي الإسلامي في العصر الأموي**)[6]. في حين ضم القسم الثالث، البحوث التي نشرت في الدوريات مثل (**أصحاب الأخبار. أو رجال المخابرات في التراث العربي حتى سقوط الدولة الأموية**)[7].

---

(١) نوري غافل الدليمي، رسالة دكتوراه غير منشورة (بغداد، معهد التاريخ العربي والتراث العلمي، ١٤١٦هـ/١٩٩٥م).

(٢) الدليمي، الاستخبارات: ص٢، ٣٢-٣٣، ٤١، ٤٧، ٧٤-٧٥، ١٠٩، ١٢٥، ١٢٧، ١٥٠، ١٨٠، ١٩٣، ٢١١، ٢١٥.

(٣) عبدالرؤوف عون (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦١): ص٢١٣-٢١٨.

(٤) بسام العسلي (بيروت، دار الفكر، ١٣٩٤/١٩٧٤): ص٤٣-٤٨، ٥٣-٥٦.

(٥) محمد جمال الدين محفوظ(القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٧٦):ص١٢-١٣،١٤٨-١٦٦.

(٦) خالد جاسم الجنابي (بغداد، دار الحرية للطباعة، ١٩٨٦): ص١٣٦-١٣٩.

(٧) كامل مصطفى الشيبي، مجلة آفاق عربية (بغداد، وزارة الثقافة الإعلام، العدد السابع، آذار، ١٩٨٣): ص٦٠-٦٢.

أما السبب الثاني الذي دفع الباحث لدراسة هذا الموضوع، فكان الرغبة في مناقشة آراء سبق وأن طرحت، وسوّقت، من قبل بعض الباحثين الأجانب، أو من بني جلدتنا، في فترات معينة، مدفوعين بغايات معروفة، حاولت أن تصور أحداث هذا العصر، وإنجازاته العظيمة، التي تشكلت على أرضيتها، التيارات الفكرية، والمذاهب الفقهية، التي لا يزال كثير منها موجوداً لحد الآن، بصورة أو بأخرى. وكأنها ولدت من خلال اللحظات التاريخية العابرة، أو من خلال هذا الظرف التاريخي، أو ذاك فالتخطيط، والإعداد، وكفاءة التنفيذ حسب هذه الرؤيا غير موجود.

قد يثار تساؤل مشروع، ما هي الفائدة المرجوة من دراسة تتناول تاريخ التجسس في الدولة الإسلامية، في عصر الرسالة، والراشدين، والأمويين، الذي استغرق مائة واثنتين وثلاثين سنة، في الوقت الذي بلغت فيه تقنيات وأساليب التجسس، في الوقت الحاضر، أوْجَهَا من خلال تراث عالمي مفتوح، ومن خلال الثورة العلمية التي هي أشبه بالحلم منها بالحقيقة؟ إن الجواب بسيط ولكنه عميق في آن واحد، فالتاريخ هو قيمة معنوية، وتربوية، وأخلاقية[1]. وهو خلاصة تجارب ولدت على أرضية الواقع، بكل آلامه ومخاضاته، ونجاحاته وإخفاقاته، وعلى الأمة أن ترجع إلى تاريخها، في عصوره الزاهية، فهو المعين الذي لا ينضب لإكتشاف الحقائق، التي يمكن أن توظف، في تسهيل طريق الأمة نحو العصرنة، واستعادة دورها التاريخي الذي أراده الله لها ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[2]. بدل أن يقوم أعداؤنا بهذه المهمة، ويوظفوا هذه الحقائق، لمصلحتهم في توجيه مزيد من الأذى والعدوان إلى أمتنا[3].

كما أن هذه الدراسة، يمكن أن تكون فاتحة خير، لدراسات أخرى متخصصة، في عصور لاحقة، تعمل على اكتشاف ما أنجزته الأمة، في هذا المجال الحيوي والخطير، على صعيد الدول المركزية، أو على صعيد دول الأطراف، التي ظهرت في مناطق الثغور المواجهة للأعداء، رد فعل على عجز القلب عن ضخ الدماء إلى أطرافه البعيدة نسبياً.

---

(١) برنارد مونتجمري، الحرب عبر التاريخ، تعريب وتعليق فتحي عبدالله النمر (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧١): ص٢٦، وينظر إيريك موريز، مدخل إلى التاريخ العسكري، ترجمة أكرم ديري، والهيثم الأيوبي (بيروت، دار الأرشد، ١٩٧٠): ص١٠-١٩.

(٢) آل عمران، الآية: ١١٠.

(٣) علي المنتصر الكتاني، الصحوة الإسلامية في الأندلس اليوم جذورها ومسارها، مقدمة عمر عبيد حسنة (الدوحة، رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٩٩١): ص١٢.

وفيما يتعلق بالمنهج المتبع في هذه الدراسة، فقد تمت المحاولة قدر المستطاع للقيام بعملية نقد للروايات، وإجراء مقارنات فيما بينها، وإعادة صياغتها أحياناً، للوصول إلى نتائج هي أقرب ما تكون إلى الواقع. وقد تم الابتعاد قد المستطاع عن الهامش الجمعي، إلا في الحالات الضرورية، لتعزيز وجهة نظر معينة، وتم التركيز في حالات كهذه على المصادر الأولية القريبة، زمنياً من الحدث، بقدر ما هو متاح، ومع ذلك تم الرجوع أحياناً إلى بعض المصادر المتأخرة نسبياً، مثل مؤلفات ابن عساكر، والذهبي، والمقريزي، والدياربكري، وابن حجر، والنويري، وذلك لاحتوائها على روايات أصيلة، فقدت مصاردها الأصلية، أو للاستفادة من وجهات نظر مؤلفيها تجاه الأحداث، فقد امتلك كثير منهم ثقافة موسوعية متنوعة، وأفق واسع مكنهم من أن يقدموا أحياناً، تفسيراً لبعض الأحداث الساخنة، في فترة من تاريخنا، بعيداً عن الانفعال والحساسيات. وكذلك تمت الاستفادة من معطيات علم الحديث، نظراً لاستخدامها علم الجرح والتعديل في محاولة نقد السند والمتن ولكونها لا تحمل في معظم الأحيان انحيازات، نحو هذا التيار أو ذاك، فيما يتعلق بالخلافات، التي اندلعت بين أبناء الأمة، في هذا العصر، فضلاً عن تناول حالات النجاح والفشل، بموضوعية بعيداً عن الإنشائيات الرنانة. وكان يدور في ذهن الباحث، عند تناول بعض الحالات السلبية التي مورست في الداخل، أو الاخفاقات على صعيد الصراع مع الخارج، قول سعيد بن المسيب ((من كان فضله أكثر من نقصه وهب نقصه لفضله))[1]. وهو ما ينطبق على بعض الحالات في العصر الأموي خاصة.

وفيما يتعلق باستخدام المصطلحات الحديثة، فقد حاول الباحث أن يتجنب قدر المستطاع المصطلحات المعاصرة، التي قد لا تنطبق فعلاً على ما جرى من أحداث، أو بسبب أن هذا المصطلح قد أخذ معنى خاصاً في الوقت الحاضر، لا يعبر بصورة صادقة، عما حدث في ذلك العصر مثل مصطلح الاغتيال، الذي أخذ طابعاً سياسياً في الوقت الحاضر، غير مرغوب فيه في معظم الأحيان. وكذلك تم تحويل قياس المسافات جميعاً إلى وحدة الكيلومتر، بغض النظر عن القياسات التي وردت بها في المصادر الأولية[2].

أما على صعيد الصعوبات، التي جابهت الباحث، أثناء إعداده لهذه الدراسة، فيكفي الإشارة إلى ظروف الحصار الصعبة، الذي أوجد الكثير من المشاكل على الأصعدة

---

(١) عماد بن إسماعيل بن عمر(ابن كثير)، البداية والنهاية (بيروت، دار المعارف، الرياض، مكتبة النصر، ١٩٧٧): ١٠٠/٩.

(٢) ينظر الملحق رقم (٢): ص٣١٩.

الاقتصادية، والصحية والاجتماعية، فضلاً عن دوره في حرمان الباحثين من الاطلاع على آخر الإصدارات من كتب ودوريات، تتخصص في الدراسات التاريخية مما حال دون الاستفادة منها في إغناء البحث.

لقد ضمت هذه الدراسة مقدمة وأربعة فصول، وخاتمة، تناول الفصل الأول العيون والجواسيس لغة واصطلاحاً، حيث تم القيام بدراسة مقارنة، بين معطيات اللغويين، في هذا المجال للوصول إلى فهم أفضل، من حيث اللغة والاصطلاح، ثم أشير إلى دورهم في الحضارات القديمة، بدءاً من العراقيين القدماء، والمصريين القدماء، وعند الصينيين، واليونان، والرومان، والبيزنطيين، والفرس، وانتهاءً إلى عرب ما قبل الإسلام، كما ضم هذا الفصل، ما ورد عنهم في القرآن الكريم، والحديث الشريف، والفقه، من أجل الوصول إلى الحكم الشرعي في التجسس، لدى المسلم، والذمي، والمستأمن، والحربي.

وختم الفصل في التأكيد على أهيمة العيون والجواسيس، في معاهدات الصلح، التي عقدتها الدولة الإسلامية، مع الأعداء السابقين، الذين تحولوا بعد حركة التحرير والفتح، إلى مواطنين حيناً، وحلفاء حيناً آخر ؟ فضلاً عن ما ورد عنهم في الرسائل، والوصايا التي أعطيت للقادة العسكريين.

أما الفصل الثاني فقد تناول العيون والجواسيس، في عصر الرسالة، من حيث مصادر المعلومات التي كان الرسول ﷺ، يحصل من خلالها على الأخبار، عن تحركات أعدائه، وبما يخدم الجهد العسكري، وكذلك مصادر الأعداء من مشركي قريش، والقبائل العربية، واليهود، والبيزنطيين، التي كانوا يحصلون من خلالها على المعلومات عن دار الإسلام[1]. فضلاً عن صفات العيون، وأنواعها وأساليب الأمن والاستنطاق، وإدارة العيون في هذا العصر. كما تم تناول الواجبات التي نفذت في هذا العصر. كما تم تناول الواجبات التي نفذت في هذا العصر، التي ضمت عمليات خاصة، كان الهدف منها التخلص من شخصيات قيادية في معسكر الكفر، من المشركين، واليهود، فضلاً عن ممارسة الحرب

---

(١) يقصد بدار الإسلام: تلك الدار التي تكون محكومة من قبل المسلمين وتحت سيادتهم وسلطانهم فتظهر عند ذاك أحكام الإسلام وليس من شرطها أن يكون فيها مسلمون بل يكفي أن تخضع لسلطانهم، ودار الإسلام تعد داراً واحدة ولو اختلف حكامها، وصارت دولاً شتى. عبدالكريم زيدان، أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام (بيروت، مؤسسة الرسالة، مكتبة القدس، ١٣٩٦هـ): ص١٨-١٩؛ وينظر وهبة الزحيلي، آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة (دمشق، المكتبة الحديثة، ١٩٦٥): ص١٧٧.

النفسية، والتضليل، ضد قيادات العدو، وفي إدارة التفاوض مع العدو، وفي حماية الرسول ﷺ من محاولات الغدر، فضلاً عن الواجبات التي نفذت على صعيد عمليات الإنقاذ، وفي الاستطلاع العميق، والتأكد من إسلام القبائل، وفي إخلاء الشهداء، وختم الفصل بتقويم عام للعمليات التي نفذت سواء كانت ناجحة أم فاشلة.

وتناول الفصل الثالث، العيون والجواسيس في العصر الراشدي، واتبع فيه المنهج نفسه، الذي طبق في الفصل الثاني من حيث الإشارة إلى مصادر المعلومات التي كانت تحصل من خلالها الدولة الإسلامية، على المعلومات سواء كانت من دار الحرب[1]، أو من داخل دار الإسلام أثناء الصراعات الداخلية، والإشارة في الوقت نفسه، إلى مصادر الأعداء، في الحصول على المعلومات من دار الإسلام. وتم في هذا المجال الإشارة، إلى التطورات التي طرأت على كثير من هذه المصادر، عما كان عليه الأمر في عصر الرسالة، وكذلك الحال في تغيير خارطة الأعداء، ومصادرهم، كما أشير في السياق نفسه إلى صفات العيون والجواسيس، وأنواعها، وأساليب الأمن والاستنطاق، والإدارة. وتم التركيز على التحولات التي طرأت في هذه المجالات، ثم تم تناول واجبات العيون والجواسيس، من خلال العمليات الخاصة، التي نفذت في تسهيل اقتحام بعض المدن أثناء عمليات الفتح الإسلامي، وفي اختطاف عناصر العدو، وفي التخلص من بعض الشخصيات. فضلاً عن الحرب النفسية، والتضليل، وإدارة التفاوض مع العدو، والاستطلاع العميق، ومراقبة الجهاز الإداري. ويلاحظ في هذه الواجبات أنها شملت الإنجازات المقدمة على صعيد الصراع مع الأعداء، في دار الحرب، وكذلك أثناء الصراعات التي استعرت في دار الإسلام أثناء أحداث الفتنة المؤلمة، وختم الفصل بتقويم عام للعمليات التي نفذت سواء كانت ناجحة أو فاشلة.

أما الفصل الرابع، فقد تناول نفس السياقات في الفصلين الثاني، والثالث، من حيث مصادر المعلومات، التي كانت تحصل من خلالها الدولة الإسلامية، على المعلومات من الأعداء، في دار الحرب، و الخصوم المعارضين لها لا سيما الذين حملوا السلاح ضدها من داخل دار الإسلام، فضلاً عن مصادر الأعداء، في الحصول على المعلومات، فضلاً عن دراسة صفات العيون، وأنواعها، وأساليب الأمن والاستنطاق، والإدارة، وما استجد عليها عما سبق ذكره في الفصلين الثاني، والثالث، من خلال المتغيرات والتطورات الكبيرة التي

(١) دار الحرب: تلك الدار التي لا سلطان للمسلمين عليها ولا تطبق فيها أحكام الإسلام، لأن حكامها غير مسلمين، ولوقوعها خارج نطاق السيادة الإسلامية. زيدان، المرجع السابق: ص١٩-٢٠؛ وينظر: الزحيلي، المرجع السابق: ص١٧٦-١٧٧.

طرأت عليها في هذا العصر، والتي كانت جذرية في بعض الأحيان. كما تم تناول الواجبات التي ألقيت على عاتقهم، من خلال العمليات الخاصة، سواء على صعيد دار الحرب، أو في دار الإسلام، وكانت كثيرة ومتنوعة، فضلاً عن أساليب الحرب النفسية، والتضليل، وإدارة التفاوض مع العدو، والاستطلاع العميق، ومراقبة الجهاز الإداري، والشخصيات المهمة، والقادة العسكريين في الجبهات. وختم الفصل كالعادة بتقويم عام للعمليات من حيث النجاح والفشل. وضمت الخاتمة الاستنتاجات التي خرج بها الباحث من خلال هذه الدراسة.



الفصل الأول

العيون والجواسيس

الجذور التاريخية والأحكام الشرعية

سيتم في هذا الفصل التعامل مع الموضوع، من خلال المسارات الآتية:

أولاً: العيون لغة واصطلاحاً.

أ. العيون لغة. •

ب. العيون اصطلاحاً.

ثانياً: العيون في الحضارات القديمة.

أ. العيون عند العراقيين القدماء.

ب. العيون عند المصريين القدماء.

ج. العيون عند الصينيين.

د. العيون عند اليونان.

هـ. العيون عند الرومان والبيزنطيين.

و. العيون عند الفرس.

ز. العيون عند العرب قبل الإسلام.

ثالثاً: العيون في القرآن، والحديث، والفقه.

أ. العيون في القرآن.

ب. العيون في الحديث الشريف.

ج. العيون في الفقه.

رابعاً: العيون، من خلال الوصايا، والمعاهدات، والرسائل.

أ. العيون في الوصايا.

ب. العيون في المعاهدات.

ج. العيون في الرسائل.

أولاً: العيون لغة واصطلاحاً:

أ. العيون لغةً:

إن العين والجاسوس، هما لفظتان تستويان في مدلوليهما، عند أهل اللغة، من حيث المعنى والمضمون، فالعين عند الفراهيدي(1) هو الذي يبعث لتجسس الخبر. ويعرفه ابن دريد(2) بأنه جاسوسَ القوم. ويرد لدى الياقوت(3)بأنه طليعة العسكر. ولدى ابن منظور(4) بأنه الطليعة يأتي بالخبر، وهو الجاسوس، وهو الديدبان(5). وعرفه الفيروزآبادي(6) بأنه من يأتي بالخبر. وأشار الزبيدي(7) إلى أن العين، هو الجاسوس تشبيهاً بالجارحة في نظرها.

أما الجاسوس، فيشير الفراهيدي(8) إلى أنه مشتق من جس الخبر، وهو لدى الأنباري(9) الباحث عن أمور الناس، فيقال قد تجسس الرجل، وتحسس بمعنى واحد، وهو إجماع أهل اللغة. وهناك من فرق بينهما، فقال: التجسس البحث عن عورات الناس والتحسس الاستماع لأحاديث الناس، والجاسوس والناموس(10) بمعنى واحد، ووصفه الأزهري(11)

---

(1) الخليل بن أحمد، العين، تحقيق مهدي المخزومي، وإبراهيم السامرائي (بغداد، دار الحرية للطباعة والنشر، ١٩٨٤): ٢/٢٥٥؛ وينظر علي بن إسماعيل (ابن سيدة)، المخصص (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، ١٣١٦): ١٢/٢٣٨.

(2) محمد بن الحسن الأزدي، جمهرة اللغة (حيدرآباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٤٥): ٣/١٤٥.

(3) معجم البلدان: ٤/١٧٤.

(4) لسان العرب: ١٣/٣٠٣.

(5) الديدبان: هو الرقيب والطليعة والربيئة. ابن دريد، المصدر السابق: ٣/٤١٣؛ وينظر موهوب بن أحمد الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٦٩): ص١٨٩.

(6) مجد الدين محمد بن يعقوب، القاموس المحيط (القاهرة، مطبعة السعادة، د.ت): ٢/٢٥٢.

(7) محمد مرتضى، تاج العروس (بنغازي، دار ليبيا للنشر والتوزيع، ١٩٦٦): ٩/٢٨٨.

(8) العين ٦/٥.

(9) محمد بن القاسم، الزاهر في معاني كلمات الناس، تحقيق حاتم صالح الضامن (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٨٧): ١/٤٧٣-٤٧٤.

(10) الناموس هو صاحب سر الخبر وأراد به جبريل عليه السلام. مجد الدين مبارك بن الجزري، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق محمود أحمد الطناحي (القاهرة، المكتبة الإسلامية): ٥/١١٩.

(11) محمد بن أحمد، تهذيب اللغة، تحقيق أحمد عبدالعليم البردوني وعلي محمد البجاوي (القاهرة، الدار المصرية للتأليف والترجمة، د.ت): ١٠/٤٤٨.

بأنه العين يتجسس الأخبار، ثم يأتي بها. بينما أشار الزمخشري[1] إلى أنه يتجسس الأخبار لصالح العدو. وسار على منواله ابن الأثير[2]، بأنه صاحب الشر، والناموس صاحب الخير، وأن المتجسس يطلب الخبر لغيره، والمتحسس يطلبه لنفسه. وهناك من قال إن التجسس هو البحث عن العورات، والتحسس الاستماع، وأتم بحثه بالإشارة إلى أن معناهما واحد، في طلب معرفة الأخبار.

ويشير ابن منظور[3] ، إلى أن التجسس هو البحث عن الأخبار، وفحصها والتفتيش عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر. وعند ابن حجر[4] الجاسوس سمي عيناً لأن جل عمله بعينه، أو لشدة اهتمامه بالرؤيا واستغراقه فيها كأن جميع بدنه صار عيناً. ويرى أن التحسس هو البحث عما يدرك بحاسة العين والأذن، وهي أعم من التجسس الذي هو البحث عن بواطن الأمور، وأكثر ما يقال في الشر[5].

بعد هذا الاستعراض، يتبين أن اللغويين لم يعطوا اهتماماً كبيراً في توضيح لفظة العين، وإنما ركزوا على صنوه، وهو الجاسوس، وأسهبوا فيه ويبدو أن السبب هو الوضوح اللغوي للعين، والغموض النسبي للفظة الجاسوس، وأن عمل العين والجاسوس لغة يتعلق بجلب الأخبار. كما يظهر، أن اللغويين قد تأثروا في تحديدهم اللفظة بمعطيات عصرهم، حيث أن الألفاظ تتعرض معانيها للتغير، والإضافة والنقصان، تبعاً للتطورات التي تمر بها الأجيال. وهذا ينطبق على كل لغة حية غير متحجرة مثل اللغة العربية، التي تكفل الله لها بالحفظ. كما تبين أيضاً أن ذم التجسس في القرآن الكريم، والأحاديث النبوية، والنهي عنه شرعاً قد ولّد إزاءه شعوراً معادياً، وهذا ما عبر عنه بصورة واضحة الأزهري، وابن الأثير، وابن حجر، عندما أشاروا إلى أن عمل الجاسوس، هو لإعراض الشر في حين أن النفس تطمئن إلى لفظة العين، لأنه لم يرد فيها شيء من الإنكار.

ب- العيون والجواسيس لغةً اصطلاحاً[6]:

إن استخدام المصطلح التاريخي، والمحافظة على مدلولاته الفكرية، بالطريقة التي ورد

---

(١) جارا الله محمود بن عمر، أساس البلاغة (القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٩٢): ١٥٢/١.

(٢) النهاية في غريب الحديث: ٢٧٢/١. (٣) لسان العرب: ٣٨/٦.

(٤) فتح الباري: ٥٠٩/٦. (٥) المصدر نفسه: ٩٣/١٣.

(٦) لقد تم الرجوع إلى العديد من كتب المصطلحات التي ظهرت بعد القرن التاسع الهجري لمعرفة الوصف الاصطلاحي و لم أجد أية إشارة إلى مصطلح العين والجاسوس.

فيها هو أمر بالغ الأهمية، يرتبط بالهوية الثقافية للأمة، ويعزز الثقة في نفوس ابنائها، ويدفعهم إلى التمسك بهذه المصطلحات، ذات التطبيقات التاريخية المضمونة، بدل التنقل المستمر، بين مصطلحات جاءت إلى ساحتنا الفكرية، عبر النقل الحرفي، لبعض المصطلحات الغربية.

ولم يجد الباحث، بعد البحث والتقصي، فرقاً دلالياً، يقوم فاصلاً، بين المعنى اللغوي، والوضع الاصطلاحي للفظتي العين، الجاسوس، بل تآلف المعنيان، واتفقا في الدلالة. وبذلك يمكن القول إن العيون، هم ذلك الصنف من المجاهدين، الذين برز دورهم إلى جانب الصنوف الأخرى، من الجيش الإسلامي منذ عهد الرسول ﷺ وشملهم التطور، ما بين جمع المعلومات المتعلقة بالعدو، سواء فيما يخص قواته، وقياداته، وخططه، وأهدافه، مرورا بإمكانيات العدو البشرية، والاقتصادية، والعقدية، وطبيعة أراضي العدو، وتضاريسها، كما كان من مهامهم، تحقيق أمن الدولة، عبر منع جواسيس العدو، وعيونه من التسلل إلى دار الإسلام سواء للحصول على المعلومات، أو التخريب، أو بث الفرقة بين عناصر الأمة، أو تجنيد عناصر بعينها، من ذوي النفوس المريضة، للعمل معه، كما قام العيون والجواسيس العرب المسلمون، خلال هذه المرحلة، بعمليات خاصة، تتعلق بالقضاء على قيادات العدو، أو خطفها، أو إرعابها، وهو ما تقوم به الأجهزة المشابهة في عالم القرن العشرين.

ولا بد من الإشارة ختاماً، إلى ورود مصطلحات أخرى، إلى جانب العيون والجواسيس، وإن كانت قليلة مثل الدسيس[١] وهو الذي تدسه سرّاً ليأتيك بالأخبار، ويتصف عادة بالمكر والدهاء، والعمل بعيداً عن الأضواء في جنح الظلام[٢] وهو ماينطبق على العيون والجواسيس كذلك. كما أشار المؤرخون، في بعض الأحيان إلى تداخل الطلائع[٣]، مع العيون[٤]، كما أن الأدلاّء، بدورهم أدوا واجباً تجسسياً من خلال تعرفهم على الطرق والمسالك.

---

(١) ابن أعثم، الفتوح: ٢٩١/٦، ٢٦٩/٧.

(٢) الفراهيدي، العين: ١٨٥/٧-١٨٦؛ وينظر الأزهري، التهذيب: ٢٨٠/١٢؛ الزمخشري، المصدر السابق: ٢٧٠/١؛ الزبيدي، المصدر السابق: ١٥١/٤.

(٣) وصف الهرثمي الطلائع: بأنهم أولئك الذين يأتون بالأخبار، ولا يمارسون القتال إلا في أوقات الضرورة. أبو سعيد الشعراني، مختصر سياسة الحروب، تحقيق عبدالرؤوف عون ومراجعة مصطفى زيادة (القاهرة، المدرسة المصرية العامة للتأليف والترجمة، والطباعة والنشر، د.ت): ص٤٩؛ وينظر ابن الأثير، النهاية في غريب الحديث: ١٣٣/٣.

(٤) ابن سعد، الطبقات: م ٢، القسم ١: ص٦١، م٣، قسم ١: ص٦٣، م ٣، قسم ٢: ص٢٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٠٤/٣.

ثانياً: العيون والجواسيس في الحضارات القديمة:

أ. العيون والجواسيس عند العراقيين القدماء:

عرف العراقيون القدماء هذا الصنف، ووصل لديهم إلى مستوى كفوء، على صعيد التنظيم والإنجازات، في الوقت الذي لم يدخل فيه هذا الصنف، ضمن الصنوف الفنية، في الجيوش العصرية، إلى ما قبل الحرب العالمية الأولى[1]. ففي الامبراطورية الآشورية، مثلاً كان العيون والجواسيس، يتألفون من موظفين آشوريين، وظفوا لهذا الغرض، ومن جواسيس أجانب[2]. وفيما يتعلق بالجانب الإداري، نجد أن ولي العهد سنحاريب، كان يشغل منصب مسؤول هذا الجهاز في عهد والده سرجون، وبالتالي كان يقوم بجمع وتنظيم المعلومات، وتنسيقها وإيصالها إلى والده، وقد وصلت إلينا بعض هذه التقارير، وهي غير مؤرخة، بسبب حلقات الاتصال المتعددة، التي تمر بها إلى أن تصل إلى الملك[3].

ويشير موسل[4] إلى أن الوثائق الآشورية، أشارت إلى قبيلة اديبائيل، التي كانت منازلها قرب غزة، على حدود مصر، والتي كان عليها، أن تخبر الملك الآشوري بكل ما يجري تقريباً من حدود مصر، وفيما يلي نموذج من تقارير الجواسيس الآشوريين التي أرسلها جاسوس آشوري، يدعى آشور ريسوا من الأراضي الأرمينية. (سيدي ومولاي، خادمك آشور ريسوا، تحياتي للملك مولاي، لقد دخل حكام أرمينيا الخمسة يويسي الأول، ستينو حاكم تيبي، كاكادانو، الذي تمركز قبل يوكاي ساكواتا حاكم كانيوم، سيبليا حاكم الزي، توتوا حاكم أرميرالو، هذه هي أسماؤهم، وقد دخلوا مدينة يويسي مع ثلاثة قواد فيالق جمالة، والآن بما أنهم قد جلبوا قواتهم معهم، فسوف يكون جيشهم قوياً، وقد غادر الملك أرجسيتس تورشبا إلى كانيوم، وطبقاً لما كتب به مولاي الملك، بإرسال الجواسيس

---

(١) سالم حميدة، الجاسوسية، ومكافحة التجسس. المجلة العسكرية (بغداد، وزارة الدفاع، العدد الثالث، تموز، ١٩٦٠): ص٢٥٤.

(٢) هاري ساكز، عظمة بابل، ترجمة عامر سليمان إبراهيم (الموصل ، دار الكتب ، ١٩٧٩): ص١٤٦.

(٣) علي ياسين، صمود الآشوريين ضد الأورارتو خلال الألف الأول قبل الميلاد، مجلة التربية والعلم (كلية التربية، جامعة الموصل، العدد ١٦، السنة ١٩٩٤): ص٦٤.

(٤) أ. موسل، شمال الحجاز، ترجمة عبدالمحسن الحسني (الاسكندرية، مطابع رمسيس، ١٩٥٢): ص٣١.

فقد أرسلتهم مرتين، ولقد عاد بعضهم وجلبوا معهم هذه المعلومات. والآخرون لم يرجعوا بالمعلومات بعد))[١] . وورد في تقرير آخر ((إن المعلومات حول أرمينيا، والتي قد أرسلتها سابقاً هي معلومات صحيحة. ولقد حدثت مذابح رهيبة بينهم، ولكن الآن عاد السلام من جديد وكل نبيل، من النبلاء قد توجه إلى بلدته، ولقد تم إلقاء القبض على قائد الجيش، والملك الأرمني الآن في بلدة أوزان))[٢].

إن التقرير الأول يظهر بما لا يدع مجالاً للشك، بأن ريسوا كان مسؤولاً أو مديراً للجواسيس الآشوريين، في الأراضي الأرمنية المعادية، آنذاك للآشوريين، وأن معلوماته دقيقة، وتحفل بتفاصيل على جانب كبير من الأهمية، والتي كان الملك الآشوري يتخذ على ضوئها قراراته السياسية والعسكرية، في تلك الجبهة، وهو واقعي يبتعد عن التبجح الكاذب أو اختلاق الأكاذيب، أو اللجوء إلى التبرير، فهو يشير إلى النتائج الإيجابية، التي حصل عليها بعض الجواسيس، بعد عودتهم من أداء مهمتهم، بينما يشير في الوقت نفسه إلى هناك آخرين لم يعودوا من أداء مهمتهم بعد. كما يظهر التقرير الثاني، لجوء العيون والجواسيس الآشوريين، إلى محاولة التأكد من صدق المعلومات، التي سبق أن تم الحصول عليها، وهي واقعية ومتوازنة في وصف الموقف بعيداً عن التفاؤل المفرط.

ب- العيون والجواسيس عند المصريين القدماء:

برع المصريون القدماء في هذا الميدان، وكانت لديهم وحدات متخصصة، في أسر أفراد العدو واستجوابهم، ثم ترسل التقارير إلى القيادة[٣]. كما عرفوا كتابة الشفرة، حيث عثر على مخطوط هيروغليفي بهذا الشأن، يعود إلى عام ١٩٠٠ ق.م[٤]. وتعد معركة قادش، التي حدثت عام ١٢٨٨ ق.م بين الجيشين المصري بقيادة رمسيس الثاني، والجيش الحيثي بقيادة موتاللو، نموذجاً على كيفية استخدام الطرفين للعيون والجواسيس، فقد قام موتاللو

---

(١) Stat Letiers of Assyria, Published in American Oriental series, Vol. ٦, Letter no. ٧, American Oriental Society, New Haven, ١٩٣٥, reprint (New Yourk, ١٩٦٧). p. ٨.

(٢) Ibid, Letter no. ٨. p. ٩.

(٣) مونتجمري، الحرب عبر التاريخ: ص٥٤.

(٤) دافيد كان، الاستخبارات، ترجمة عبداللطيف أفيوني (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢): ص١٣.

بارسال اثنين من جواسيسه المدربين بصورة جيدة، إلى صفوف المصريين؛ حيث أبلغا رمسيس الثاني، بأنهما هربا من صفوف الحثيين، وأن الجيش الحيثي يتراجع شمالاً وأنه ترك مدينة قادش المهمة على نهر العاصي، وليس بها سوى قوة بسيطة، وقد أدت هذه المعلومات المضللة، إلى ما يشبه الكارثة للقوات المصرية، لولا شجاعة رمسيس، ووقوع اثنين من جواسيس موتاللو، في قبضة الجيش المصري والذي تمكن بعد أن قام باستنطاقهما من التوصل إلى أنه قد خدع من قبل موتاللو، والذي ظلت قواته في شمال نهر العاصي و لم تنسحب شمالاً، وأن القوات التي تدافع عن قادش هي قوات كبيرة وهكذا تم تعديل الخطة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه، وتحويل الهزيمة إلى نصر غير حاسم(١).

جـ- العيون والجواسيس عند الصينيين:

عرفت حضارة الصين الجواسيس، ويعتبر كتاب **(فن الحرب)** للكاتب الصيني صون تزو(٢). الذي يعود إلى القرن السادس ق.م، من أقدم الكتب التي تناولت فن الحرب بصورة عامة، وفن التجسس بصورة خاصة. فمن مجموع ثلاثة عشر فصلاً، تكون منها الكتاب، خصص الفصل الأخير منها، للعيون والجواسيس، حيث ورد فيه ضرورة، أن يمتلك القائد الناجح، لكي يحقق النصر معلومات مسبقة، عن أوضاع العدو، قبل القيام بالعمل العسكري، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الجواسيس، الذين يقسمهم إلى خمسة أقسام، القسم الأول مواطنون من رعايا العدو، والثاني عملاء في مركز داخلي، والثالث عملاء يخدمون العدو، ويخدمون الوطن (عميل مزدوج)، والرابع عملاء يمكن الاستغناء عنهم أو التخلص منهم، بعد استعمالهم، والخامس عملاء مهمتهم طويلة الأمد، وعلى المسؤول عن التجسس أن يستخدم كل هذه الأنواع الخمسة، في آن واحد دون أن يعلم كل واحد منهم المهام التي يقوم بها الآخر، ولا طريقة عمله، ولا مجال نشاطه، وقد سموا هذه الفروع الخمسة (الستار المقدس).

د- العيون والجواسيس عند اليونان:

أشار المؤرخ اليوناني، يوليبوس، بأن على القائد أن يعرف ما يتعلق بنزعات وشخصية

---

(١) حارث لطفي الوفي، المخادعة ومعاركها (بغداد، دار الشؤون الثقافية العامة، ١٩٩٠): ص٨٩-١٠٥. وينظر موتجمري، المرجع السابق: ص٥٩-٦٥.

(٢) إعداد عمر حليق (بيروت، مؤسسة الحياة للتأليف والنشر، ١٩٦٩): ص٢٠٧، ٢٠٩.

خصمه، ونواياه، وتحركاته المنتظرة، حتى يستطيع اتخاذ الاجراءات المعتادة السريعة، لمنعه من التدخل، وإفساد خطته[1]. وعرف عن الاسكندر المقدوني استخدامه المكثف للعيون والجواسيس، في حركاته العسكرية واستخدام البريد، والأنوار، والسعاة، لنقل المعلومات[2]. ويشير النويري[3] إلى أنه أثناء حصار الاسكندر، لإحدى المدن، علم أن فيها ما يكفي من المؤن لمدة طويلة، وأن بها من المياه، ما لا يقدر على قطعه. فقام بتسريب جماعة من العيون والجواسيس، متنكرين بزي التجار، وأمدهم بالأموال إلى داخل المدينة، فابتاعوا الأقوات، وغالوا بثمنها حتى سيطروا على معظمها، فأمرهم بإحراقها ثم هربوا، وقام بعد ذلك بالعودة إلى المدينة، وتشديد الحصار عليها، فاضطرت إلى الاستسلام. إن هذه القصة تظهر الدور الذي لعبه التجار في مجال التجسس في التاريخ القديم. على الرغم من الصعوبات والمخاطر التي أحاطت بهم، وكما تظهر العبقرية القيادية للاسكندر، التي مكنته من أن يسيطر، على كثير من حضارات العالم القديم المعروف آنذاك، باستثناء الصين، وبلدان أخرى، كما عرف عنه أيضاً استخدامه للتجار، في مراقبة الولاة، لكي يحول دون انحرافهم أو ظلمهم للرعية[4].

هـ- العيون والجواسيس عند الرومان والبيزنطيين:

يشير إدوار جيبون، إلى أن التجسس الروماني، كان في غاية الأهمية، على صعيد المراقبة الدقيقة، لولاة الأقاليم، حتى وصفوا بعيون الامبراطور الساهرة على مصالحه، وكانت تغدق عليهم المنح والمكافآت السخية، إلا أن تقارير هؤلاء حفلت بكثير من الظلم، والجور. ولم يكن هناك نظام للتحقق، من صدق ادعاءات هؤلاء الجواسيس[5].

---

(١) مونتجمري، المرجع السابق: ص١٩.

(٢) أسد رستم، تاريخ اليونان من فيليبوس المقدوني إلى الفتح الروماني (بيروت، الجامعة اللبنانية، ١٩٦٩): ص٢٠.

(٣) شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب، نهاية الأرب في فنون الأدب (القاهرة، عن طبعة دار الكتب المصرية د.ت): ٢٣٩/١٥.

(٤) أبو عبدالله بن الأزرق بدائع السلك في طبائع الملك، تحقيق علي سامي النشار (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٧-١٩٧٨): ٣٣٨/١.

(٥) نظير حسان سعداوي، نظام البريد في الدولة الإسلامية (القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٥٣): ص٣٣. نقلاً عن

أما البيزنطيون، فقد اهتموا كذلك بجمع المعلومات، عن أعدائهم عبر الاعتماد على شبكة من العيون والجواسيس، ونظراً لأن السفراء كانوا يقومون بالتجسس، بصورة عامة، فقد كان البيزنطيون يضعونهم تحت مراقبة دقيقة، بحيث لا يروا أو يعلموا إلا ما تشاء الحكومة البيزنطية، كما كانوا لا يسمحون لهم، بالالتقاء بأي شخص غير مفوض، وبالمقابل فقد حرصوا على أن يقوم جواسيسهم بالبلدان الأخرى، برفد سفرائهم، عن وضعية البلاد، وعن الأشخاص المتعاونين في تلك البلاد، والذين يمكن أن يحصلوا منهم على المساعدة والدعم اللازم[1]. وعرف عن الامبراطور هرقل، المعاصر للبعثة النبوية الشريعة، استخدامه لهم في حربه ضد الفرس الساسانيين، وكانوا هم أحد أسباب انتصاره[2].

ومن الجدير بالذكر، أن عقوبة الجاسوس المعادي لدى البيزنطيين، كانت أن يضرب عنقه، وينصب رأسه للناس[3]، ثم يرمى جسده من شاهق ولا يقتل برغم ذلك وهو جائع، أو عطشان[4]. وبرغم ما يلاحظ من قسوة بالغة في العقوبة، إلا أنها تعبر في الوقت نفسه، عن الاحترام الذي يحظى به التجسس تجاه الأعداء.

و- العيون والجواسيس عند الفرس:

اعتمد الفرس في الامبراطورية الساسانية، على الجواسيس، من صفوف المدنيين، أكثر منهم من الطبقة العسكرية[5]، فقد استخدموا التجار للحصول على المعلومات المتعلقة بالبيزنطيين[6]، كما استخدموا السفراء لهذا الغرض، وكان لا يرشح لهذا المنصب، إلا

Gibbon, Edward, The Rise and fall of the Roman Empier, Vol. ١, P ٥٤٨.

(١) ستيفن رنسيمان، الحضارة البيزنطية، ترجمة عبدالعزيز توفيق جاويد، ومراجعة زكي علي (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦١): ص١٨٦-١٨٧.

(٢) الطبري، المصدر السابق: ١٨٦/٢.

(٣) محمد بن هلال الصابي، الهفوات النادرة، تحقيق صالح الأشقر (دمشق، مجمع اللغة العربية، ١٩٦٨): ص١٢٣-١٢٤.

(٤) عثمان بن عمرو الجاحظ، التاج في أخلاق الملوك ، تحقيق فوزي عطوي (بيروت، الشركة اللبنانية للكتاب، ١٩٧٠): ص٧٢؛ وينظر الصابي، الهفوات النادرة: ص٢٣.

(٥) محمد بن عبدوس الجهشياري، الوزراء والكتاب، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبدالحفيظ شلبي (القاهرة، مصطفى البابي الحلبي، وأولاده، ١٣٥٧): ص٤.

(٦) الصابي، المصدر السابق: ص١٢١-١٢٢.

الشخص الذي يدخل اختبارات عديدة، ويراقب من قبل عيون، تنقل تصرفاته، وكلامه، وكانوا يرسلون مع السفير، عيناً تحفظ كلامه، ويكتبه وذلك لخطورة عمل السفير، وخوفاً من كسبه من قبل العدو، وتواطئه معهم[1]. كما استغلوا الانشقاقات في الكنيسة النصرانية، فلجأوا إلى استخدامهم في التجسس ضد البيزنطيين[2].

ز- العيون عند العرب قبل الإسلام:

كان العرب في الجاهلية قبل الإسلام يسمونهم، العيون[3]، قال شاعرهم:

فإن الذي كنتم تحذرون أتتنا عيون به تضرب[4]

وكانوا يطلقون عليهم تسمية ثانية، وهي (الشيفة)[5]، ويبدو أنها كانت غير شائعة شيوع اللفظة الأولى، و لم يقتصر عمل العيون والجواسيس، لديهم على الجانب الحربي فقط، وإنما استخدموا العيون لأغراض اقتصادية، حيث كان على العيون، أن تستطلع المنازل، والمراعي، والمياه، لا سيما في أوقات الجدب، وانحباس المطر، وكانوا يسمونه الرائد[6]، كما استخدم على الأرجح، في تأمين القوافل التجارية، لا سيما في غير أوقات الأشهر الحرم. إذ أن اعتماد مكة، على المعاهدات مع القبائل، التي تمر بها تجارتها (الإيلاف)، في تأمين حركتها لا يعني ذلك، أن بقية المناطق الحضرية، لجأت إلى هذا الأسلوب السياسي، لتحقيق المنفعة الاقتصادية المشتركة، وبالتالي كان عليها أن تؤمن تجارتها، وحاجاتها الضرورية، عبر

---

(١) الحسين بن محمد (ابن الفراء) ، رسل الملوك ومن يصلح للرسالة، تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤٧): ص٢٢-٢٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣٠٦/١.

(٣) ظلت القبائل العربية الريفية، والبدوية، تطلق عليهم هذا المصطلح، إلى بداية هذا القرن، عندما كان الغزو شائعاً، لا سيما في البوادي العربية، فقد كان عليهم جلب الأخبار عن الهدف المنوي مهاجمته، ومدى استعداد القبيلة المستهدفة، للدفاع عن نفسها، وثرواتها، ونقطة ضعفها. محمد سلام زناتي، نظم العرب القبلية المعاصرة، (دون مكان ولا ناشر، ١٩٩٤): ١٣٢٦/٢.

(٤) عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، المعاني الكبير في أبيات المعاني (حيدرآباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٨): ٩٣٦/٢.

(٥) أحمد بن محمد بن عبد ربه، العقد الفريد، تحقيق محمد سعيد العريان (بيروت، دار الفكر، ١٩٤٠): ٤١/٦.

(٦) البكري، معجم ما استعجم: ٨٠/١.

إمكانياتها الخاصة عسكرياً، وأمنياً، وسياسياً، من خلال محالفات تصمد حيناً، وتسقط حيناً آخر. ويلاحظ أن عمل العيون، قد بلغ درجة من الدقة. كما يتبين ذلك، من دراسة، أيام العرب في الجاهلية[١] سواء فيما بين القبائل البدوية نفسها، أو بين المناطق الحضرية، والبدوية، أو بين الدول العربية، التي قامت في جنوب الجزيرة العربية، وأواسطها، وأطرافها الشمالية، مثل اليمن، وكندة، والغساسنة، والمناذرة.

وكما امتاز العيون بجلدهم، وصبرهم في تحمل التشويه الاختياري، للوجه عبر جدع الأنف والأذنين، لكي تنطلي الخدعة على الخصم، ويتم تحقيق الهدف[٢]، كما استخدموا النار للإنذار، ليلاً وإرسال الإشارات المتفق عليها، والدخان نهاراً، قال عمرو بن كلثوم التغلبي بهذا الصدد:

ونحن غداة أوقد في خزاز[٣]   رفدنا فوق رفد الرافدينا[٤]

كما اعتمدوا على النساء، لا سيما الجواري منهن في جلب المعلومات[٥]، واستخدموا العبيد للحصول على الأخبار المتعلقة بأسيادهم[٦]، كما كانوا يرسلون جاسوسين في آن واحد لتحقيق الهدف[٧]، وذلك للتأكد من صدق الخبر، عبر اعتماد قناتين مختلفتين،

---

(١) عن أيام العرب قبل الإسلام، ينظر: أبو عبيدة معمر بن المثنى، نقائض جرير والفرزدق (بيروت، دار الكتاب العربي، عن طبعة بريل، ليدن، ١٩٠٨-١٩٠٩): ٢/٦٥٠-٦٧٥، ٧٨١-٧٨٤؛ أبو الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، الأغاني (القاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة، ١٩٦٣): ٥/٢٢، ١٣/١٢، ١٦/٣٥٥-٣٥٦؛ عز الدين علي بن محمد الشيباني (ابن الأثير)، الكامل في التاريخ (بيروت دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٥): ١/٦٠٠، ٦٣٢-٦٣٣، ٦٣٩-٦٤٠.

(٢) ينظر قصة عمرو بن عدي والزباء والقصير، وهي وإن حفلت بتفاصيل مبالغ فيها، إلا أن لها أصلا من الصحة. الطبري، تاريخ : ١/٦١٧-٦٢٥؛ وينظر الحسن بن عبدا لله العسكري، الأوائل (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٧/١٩٨٧): ص٥٢-٥٣؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ١/٣٤٨-٣٥٠.

(٣) يوم خزاز: هي معركة بين قبائل اليمن، ونزار، وكانت لنزار على اليمن. ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٦/٨٤؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ١/٥٢٠-٥٢١.

(٤) عثمان بن عمرو الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، مكتبة الهلال، الكويت، المكتب العربي، ١٩٦٨): ٣/٢٢.

(٥) المصدر نفسه: ١/٩٨؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ١/٥٥٦-٥٥٧.

(٦) البكري، المصدر السابق: ١/٩٢.

(٧) المصدر نفسه: ١/١١٨؛ وينظر محمد بن محمد بن نباته، سرح العيون، بشرح رسالة ابن زيدون

ولتأمين نجاح إحداهما في حالة، فشل الأخرى. كما استخدموا الشفرة، في رسائلهم الشفوية، لإنذار قبائلهم، لا سيما عندما يكونون في الأسر. كما حدث للعنبري الأسير، عند قبيلة بكر، حيث أرسل إلى قومه، مع مبعوث محايد، بحضور البكريين، الذين لم يفهموا مغزى الرسالة المشفرة، حيث قدم للرسول رملاً، وسأله عن عدده، فقال كثير ثم أراه الشمس، فقال ما هي فقال الشمس، ثم قال له ((قل لهم ليحسنوا إلى أسيرهم، فإني عند قوم يحسنون إلي، ويكرمونني، وقل لهم فليعروا جملي الأحمر، وليركبوا ناقتي العيساء، وليرعوا حاجتي في بني مالك، وأخبرهم أن العوسج قد أورق، وأن النساء قد اشتكت، وليعصوا بن لشامة، فإنه مشؤوم مجدود، وليطيعوا هذيل بن الأخنس، فإنه حازم ميمون، وسألوا الحارث عن خبري)). وقد فسر الحارث الرسالة، بأن عدد العدو كبير، وأنه أوضح من الشمس، وأن يتركوا منطقة الصمان إلى الدهناء، وأن يضموا إلى جموعهم بني مالك، وأن القوم قد لبسوا السلاح، وأن نساءهم قد خرزت الشكاء[1].

كما عرف عن العيون والجواسيس، تقديم معلومات ملغومة إلى العدو، كطعم يحتوي على قليل من الحقائق، وكثير من الغش، لإستدراج الخصم لكي يبوح بما لديه من معلومات سرية، عن قومه[2]. كما استخدموا السم أحياناً في تصفية أعدائهم[3]. وتتوضح أخيراً أهمية العيون لديهم في وصاياهم لأولادهم، فقد أوصى حصن بن حذيفة الفزاري أولاده عند احتضاره ((... وصونوا الخيل فإنها حصون الرجال، وأطيلوا الرماح، فإنها قرون الخيل، واغزوا الكثير بالكثير، وبذلك كنت أغلب، ولا تغزوا إلا بالعيون...))[4].

(بولاق، المطبعة الأميرية، ١٢٧٨): ص٩٩-١٠٠.

(١) أبو عبيدة، المصدر السابق: ص٣٠٥، ٣٠٧؛ وينظر عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان بتحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ١٩٦٥): ٣/١٢٤-١٢٥؛ ابن الأثير، الكامل: ١/٦٢٨-٦٢٩.

(٢) ينظر قصة قيس بن المكشوح المرادي، مع السليك بن سلكة السلمي في سوق عكاظ. البكري، المصدر السابق: ٢/٤١١.

(٣) الزبيري، نسب قريش: ص٢١٠؛ وينظر علي بن محمد بن حزم، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، دار المعارف، ١٩٧١): ١/١١٨.

(٤) سهل بن محمد السجستاني، المعمرون والوصايا، تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة، عيسى البابي الحلبي، وشركاه): ص١٣٢-١٣٣.

ثالثاً: العيون في القرآن والحديث والفقه:

أ. العيون والجواسيس في القرآن:

وردت لفظة عين ومشتقاتها، في القرآن الكريم إحدى وستين مرة[١]. منها ثمانية وعشرون مرة، للدلالة على العين البشرية[٢] وثلاثة وعشرون مرة، بمعنى عين الماء وغيرها[٣]. وعشر مرات بمعنى الحفظ والرعاية والراحة والاطمئنان واليقين والفرح[٤]. أما الجاسوس فلم يرد في القرآن الكريم، وإنما وردت مشتقاته من (جس) و (حس)[٥]. قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاَ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا الله إِنَّ الله تَوَّابٌ رَحِيمٌ﴾[٦].

إن النهي عن التجسس هنا، يتعلق بواقع العلاقات الشخصية بين المسلمين، في كشف أسرارهم لإظهار عيوبهم، وأما الكفار فتعلن أسرارهم. كيف لا؟ والفاسق يجوز أن يذكر ما فيه عند الحاجة[٧]. كما وردت لفظة التجسس في قوله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلاَ تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ الله إِنَّهُ لاَ يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الكَافِرُونَ﴾[٨] ويقصد بالتحسس هنا التماس وتعرف الخبر[٩]. كما أشارت آيات وردت

---

(١) محمد فؤاد عبدالباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم (بيروت، دار إحياء التراث العربي عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٩٤٥): ص٤٩٥-٤٩٦.

(٢) ينظر مثلاً قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ، وَاسْتَرْهَبُوهُمْ...﴾ الأعراف، الآية: ١١٦.

(٣) ينظر مثلاً قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ﴾ الرحمن، الآية: ٦٦.

(٤) ينظر مثلاً قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا﴾ هود ، الآية : ٣٧.

(٥) الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن الكريم، تحقيق نديم مرعشي (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٢): ص٣٦٧.

(٦) الحجرات، الآية: ١٢.

(٧) محمد بن جرير الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن (بيروت، دار الفكر، ١٩٧٨): ٨٥/٢٦-٨٦؛ وينظر محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل (بيروت، دار المعرفة، د.ت): ٥٦٨/٣؛ الفخر الرازي، التفسير الكبير (طهران، دار الكتب العلمية، د.ت): ١٣٤/٢٨.

(٨) يوسف، الآية: ٨٧.

(٩) الطبري، جامع البيان: ٣٢/١٣؛ الرازي، التفسير: ١٨٩/١٨.

في سور أخرى، إلى هذا المعنى بصورة غير مباشرة، حيث وصفوا بالنقباء[1] في إحدى الآيات، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللهُ مِيْثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيْلَ، وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَى عَشَرَ نَقِيْباً، وَقَالَ اللهُ إِنِّي مَعَكُمْ لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلاَةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي وَعَزَّرْتُمُوهُمْ، وَأَقْرَضْتُمُ اللهَ قَرْضاً حَسَناً، لأُكَفِّرَنَّ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلأُدْخِلَنَّكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾[2]. وقد تحدثت هذه الآية، عن إحدى حلقات صراع الإيمان مع الكفر، من خلال سيدنا موسى ، فبعد أن اقترب سيدنا موسى من أراضي الكفار اختار اثني عشر نقيباً كالطلائع، لكي يتجسسوا على الكفار، ويجمعوا المعلومات عنهم، إلا أن الأعداء ألقوا القبض على هؤلاء الجواسيس، ثم أطلقوا سراحهم، بعد أن زرعوا في نفوسهم صوراً مخيفة عن حجم قوتهم وجبروتهم، لكي يبلغوها لمن أرسلوهم. وقد تباحث هؤلاء في طريق العودة، في كيفية ما حصلوا عليه من معلومات سلبية، وهل يبلغون أخبارهم لقائدهم موسى فقط أم للقوم أجمع؟ واتفقوا أخيراً على أن يكتموا عن قومهم الخبر، حتى لا يفتوا في عزيمتهم ويقتصروا على تبليغ الموقف لموسى ، وهكذا نقلوا أخبارهم إلى موسى ، وقد أمرهم بكتمان هذه الأخبار، حتى لا يشيعوا الرعب والتخاذل في القوم، إلا أن عشرة منهم نكثوا بعهدهم وأفشوا الخبر، والتزم اثنان فقط بالعهد لموسى ، فعاقب الله الناكثين للعهد وقومهم الذين أطاعوهم، بالتيه أربعين سنة[3].

ومن الآيات الأخرى المتعلقة بالموضوع، قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللهِ وَعَدُوَّكُمْ، وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾[4]. إن هذه الآية لا تحدد شكلاً واحداً من أشكال القوة، وإنما كل ما يؤدي إلى تحقيق القوة فهو المطلوب[5]. وبذلك يصبح عمل العيون والجواسيس، جزءاً من القوة التي أمرنا الله

---

(١) نقيب القوم من ينقب عن أحوالهم، كما ينقب عن أسرارهم. المصدر نفسه: ١١/١٨٤.

(٢) المائدة، الآية: ١٢.

(٣) الطبري، جامع البيان: ٤٢٩/١؛ وينظر الفضل بن الحسن الطبري، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق السيد هاشم الرسولي المحلاتي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٩٧): ١٧٣/٣-١٧٩، برنارد مونجمري، السبيل إلى القيادة، ترجمة حسن مصطفى (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٦): ص٢٧٤-٢٧٥.

(٤) الأنفال، الآية: ٦٠.

(٥) الطبري، جامع البيان: ٢٣/١٠؛ الرازي، التفسير: ١٨٥/١٥.

إعدادها لردع العدو، ومنعه من العدوان. ويشير الطرطوشي[١]، في فهمه لهذه الآية، إلى أن ما استطعتم يشمل كل ما في مقدور هذه الآية من القوة والعدد والحيلة، حيث أن على القائد أن يستخدم الجواسيس في مراقبة عدوه، واستعلام أخباره مع الساعات، ومعرفة قياداته ومحاولة كسبها، إلى جانبه. ويستخدم المال في تحقيق هدفه ((فإن جميع ما ذكرنا تنفق فيه الأموال، والحيل، واللقاء تنفق فيه الأرواح والرؤوس)). ويلاحظ أن الرازي[٢]، قد فسر ﴿وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ﴾ بأنهم الأعداء الذين لا نعلم أنهم أعداء، وهم المنافقون واليهود. وينطبق الوصف في الوقت الحاضر على العملاء من الجواسيس والخونة المتعاونين مع العدو.

كما ورد أيضاً في سورة التوبة، قوله تعالى: ﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلاَّ خَبَالاً وَلأَوْضَعُوا خِلاَلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾[٣] وقد وردت هذه الآية في أحداث غزوة تبوك منددة بأفعال المنافقين حيث يشير الطبري[٤] في تفسير ﴿سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾ ((وفيكم سماعون لحديثكم لهؤلاء يؤدونه إليه عيون لهم عليكم)) أي المنافقون، وقد سأل الخليفة المأمون العباسي (ت ٢١٨هـ/٨٣٣م) الفقيه عبدالعزيز المكي الكناني أن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾[٥] ومع ذلك لم يرد فيه ذكر للجواسيس، فاستشهد عبدالعزيز بقوله تعالى: ﴿يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾[٦].

أما قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمْ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾[٧] فهي آية أخرى تندد بتصرفات المنافقين، الذين شكلوا عيوناً

---

(١) محمد بن محمد بن الوليد الفهري، سراج الملوك (القاهرة، المكتبة المحمودية التجارية، ١٣٥٤/ ١٩٣٥): ص٣٢٦، ٣٢٨.

(٢) التفسير: ١٦/١٨٦.

(٣) التوبة، الآية: ٤٧.

(٤) جامع البيان: ١٠/١٠٢؛ وينظر الرازي، المصدر السابق: ١٦/٨٢.

(٥) الأنعام، الآية: ٣٨.

(٦) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق إبراهيم الكيلاني (دمشق، مكتبة أطلس ومطبعة الإنشاء، ١٩٦٤): م٣، قسم٢: ص٥٣٠؛ وينظر محمد بن عبدالله (ابن العربي)، أحكام القرآن، تحقيق محمد علي البجاوي (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٥٧): قسم٢: ص٦١٨.

(٧) النساء، الآية: ٨٣

في الداخل تطوعت مدفوعة بالحقد والكراهية، للتعاون مع كل عدو للإسلام، ولتحقيق ما يضعف وحدة الأمة، وارتباطها بقيادتها الربانية، حيث ينقلون إليهم بسرعة أسرار المسلمين العسكرية والأمنية، في حالة قوة الجانب الإسلامي، وفي حالة الضعف والمحنة فهم يشيعون الهلع والرعب، في قلوب العناصر المهزوزة والضعيفة[1].

ولا بد من الإشارة إلى قوله تعالى: ﴿لاَ تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ با لله وَالْيَوْمِ الاخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ ا لله وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آباءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾[2]. وكذلك قوله تعالى: ﴿لاَ يَتَّخِذْ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[3]. فهما تؤشران على ضرورة ترصين الحس الأمني، لأبناء المجتمع، وضرورة الحذر من مكائد العدو وخططه الخبيثة، في إقامة أي اتصال يمكن أن يقود مباشرة أو غير مباشرة، إلى فتح قناة للمعلومات، أو إقامة قاعدة للتخريب تحت أي ستار كان لخدمة أعداء الأمة.

أما السور المتعلقة بالنميمة في قوله تعالى: ﴿وَلاَ تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَهِينٍ، هَمَّازٍ مَشَّاءِ بِنَمِيمٍ﴾[4]. فهي تندد بمن يشيع الفرقة والكراهية بين أبناء المجتمع، عبر نقل أخبارهم الخاصة، فيما بينهم وهي لا تتناول العلاقة بين السلطة والمجتمع، بالمعنى الخاص بها[5].

ولا بد من الإشارة أخيراً، إلى وصف الهدهد في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِي لاَ أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنْ الْغَائِبِينَ﴾[6]. فقد كان واجب الهدهد المكلف به من قبل النبي سليمان عليه السلام، كما هو واضح، التجسس ونقل الأخبار في آن واحد.

ب. العيون والجواسيس في الحديث النبوي الشريف:

يمثل الحديث النبوي، المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، مصدراً للتشريع الإسلامي، ومن خلال هذه المكانة السامية، سيتم التعامل مع الأحاديث الصحيحة والمسندة، التي وردت الإشارة فيها بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، إلى العيون والجواسيس. ويعد الحديث الذي رواه أبو هريرة رضي الله عنه: أن رسول ا لله ﷺ قال: [إياكم والظن، فإن الظن أكذب الحديث، ولا

---

(١) الطبري، جامع البيان: ١٥/١١٤-١١٥؛ وينظر الرازي، المصدر السابق: ١٠/١٩٩.

(٢) المجادلة، الآية: ٢٢.

(٣) آل عمران، الآية: ٢٨.

(٤) القلم، الآية: ١٠-١١.

(٥) الطبري، جامع البيان: ؟؟؟؟؟؟؟، وينظر الرازي، المصدر السابق: ٣٠/٨٤.

(٦) النمل، الآية: ٢٠.

تجسسوا، ولاتناجشوا ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا ولا تدابروا، وكونوا عباد ا لله إخواناً][1]. من أكثر الأحاديث شهرة في هذا الباب. إن الفهم الصحيح لهذا الحديث، والذي يرد فيه النهي صراحة عن التجسس، يجب أن يكون ضمن ظروف وروده، وليس في توظيفه في سياقات أخرى، مع الأخذ في نظر الاعتبار التطور الحضاري، ومشاكله المرافقة له، ومنظومة الأولويات، فيما بين عصر وعصر، وهكذا نظر الفقهاء المبدعون، إلى هذه الأحاديث. فالنهي جاء عن تتبع عورات المؤمنين بعضهم لبعض، وليس من خلال السلطة المنبثقة عنهم، والتي تدير شؤونهم، والواقع المشاهد أن التجسس الذي تمارسه بعض الدول على رعاياها، بصورة غير طبيعية ولا مبررة يؤدي إلى ظهور حالة من الرعب، والفزع في صفوف الرعية وتختفي الثقة والود بين الحاكم، والمحكوم. وهذا ما يؤدي إلى انهيار الجبهة الداخلية عاجلاً أو آجلاً، كما حدث لكثير من الدول في العصر الحالي، ويعبر عن هذه النتيجة الحديث الذي رواه معاوية: [سمعت رسول ا لله ﷺ يقول: إنك إن اتبعت عورات الناس أفسدتهم، أو كدت أن تفسدهم] قال أبو الدرداء ﷺ : كلمة سمعها معاوية من رسول ا لله حفظه ا لله بها][2].

إن دراسة سيرة المصطفى ﷺ، تعطي انطباعاً تاماً بأنه كان على علم بتحركات المنافقين، ليس من خلال جهاز أمني بعينه، أسسه لهذا الغرض، وإنما من خلال عيون من المتطوعين، ارتفع حسهم الإيماني إلى درجة عالية، بحيث ينقلون إلى الرسول ﷺ كل تحركات هؤلاء، والتي يمكن أن تؤذي الإسلام، ورسوله ﷺ حتى ولو كانت من أقرب الناس إليهم، من ذوي قرباهم وعشائرهم، لهذا لا يمكن الاتفاق مع الدغمي[3] في استنتاجه القائل، بأن الرسول ﷺ قد اتخذ أعواناً ومساعدين، لتحقيق الأمن وحماية المجتمع، حيث أن كلمة اتخذ تعني أن الرسول ﷺ أوجد أناساً بعينهم مهمتهم التجسس الداخلي، وهو ما لم يقله أو ينقله أحد.

---

(١) البخاري، صحيح: ٤/٦٠؛ مسلم بن الحجاج القشيري، الجامع الصحيح (بيروت، دار الآفاق الجديدة، د.ت): ٨/١٠؛ سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، (القاهرة، دار الحديث، ١٩٨٨): ٤/٢٨١.

(٢) المصدر نفسه: ٤/٢٧٣-٢٧٤؛ وينظر أبو نعيم أحمد بن عبدا لله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (بيروت، المكتبة السلفية، د.ت): ٦/١١٨.

(٣) أحكام التجسس: ص٢١.

يقول ابن العربي[1] ، إنه في نفس الوقت الذي كان فيه الرسول ﷺ ، يعرف ما يقوم به المنافقون من أعمال، إلا أنه لم يعرض لهم لأنه لم يكن قد تقررت الأحكام، ولا تمكن الإسلام. فطبيعة الموقف في المدينة، وإن شهدت تنامي سلطة الرسول ﷺ بشكل مطرد إلى أن تمت له السيطرة الكاملة على الوضع، إلا أنه مع ذلك يحاول أن تكون إجراءاته ضدهم بأقل خسائر ممكنة، نظراً لطبيعة العلاقة القبلية، وتعاطف بعض المسلمين معهم، نظراً لعدم استيعابهم خطورة النفاق، أو لكون الشخص الذي تربطه بهم علاقة قربى هو منافق، برغم حضوره لمسجد رسول الله ﷺ للصلاة، واشتراكه معهم في العمليات الحربية أحياناً ومهما يكن من أمر فإن السبب الأساس لموقف الرسول ﷺ هو أنهم يشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وهذا لا يبيح قتلهم في المنطوق الإسلامي الذي لا يعاقب على السرائر.

أما الغِيبة، وهي التي يذكر فيها الشخص عيب غيره، من غير حاجة إلى ذلك، ويكون قصده الإفساد[2]. فقد وردت فيه أحاديث كثيرة ، منها ما رواه أبو هريرة ﷺ [أن رسول الله ﷺ قال: أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: ذكرك أخاك بما يكره، قيل: أرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته][3]. وكما يظهر من سياق الحديث، فإن الغيبة محرمة بين المسلم وأخيه، إلا أنها تحل ضمن ضوابط شرعية، حيث يشير النووي[4]، إلى أن الغيبة تباح للأغراض الشرعية، لستة أسباب منها التظلم لتحقيق الحق، والاستعانة على تغيير المنكر، ورد العاصي إلى الصواب، وتحذير المسلمين من الشر، والإخبار بعيب شخص، طلبت معلومات عنه لأغراض مشروعة ولفضح المترددين إلى الفساق، وأهل البدع، أو كشف الفاشلين إدارياً في ولاية، أو أمر من الأمور، وأخيراً فضح المجاهرين في الفسوق والبدع.

---

(١) أحكام القرآن: قسم ٢: ص٦١٨.

(٢) ابن حجر، فتح الباري: ٧٩/١٣، ٨٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٧٤/٤-٢٧٥.

(٣) مسلم، صحيح: ٢١/٨؛ وينظر أبو داود، المصدر السابق: ٢٧٠/٤.

(٤) محي الدين بن شرف النووي، صحيح مسلم بشرح النووي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، مكتبة المثنى، ١٩٧٢): ١٤٢/١٦-١٤٣؛ وينظر ابن حجر، فتح الباري: ٨٢/٨١/١٣؛ أحمد بن محمد المكي الهيثمي، الزواجر عن اقتراف الكبائر (القاهرة، دار الشعب، ١٩٨٠): ص٣٨٤-٣٨٦.

وأما النميمة، فهي نقل كلام الناس، فيما بينهم على جهة الإفساد[1]. فقد قال الرسول ﷺ فيها [لا يدخل الجنة نمام][2] ، وروي عنه أيضاً [لا يدخل الجنة قتات][3]. وهو النمام ومع كل هذا التغليظ، في النهي عن النميمة حالها حال التجسس، والغيبة، نجد أن الحكم الشرعي الفاصل بين الحلال والحرام، هو المصلحة الشرعية المقيدة بما ورد في الكتاب والسنة، فكل ما يفيد الأمة وشريعتها حلال، وكل ما يضر بالأمة وشريعتها حرام، والأمر يعود إلى ولي الأمر، في اهتدائه بهما، وعلى ضوء ذلك يشير ابن حجر[4] إلى أن ((بعض القول المنقول على جهة الإفساد يجوز، إذا كان المقول فيه كافراً، كما يجوز البحث في بلاد أعداء الإسلام، ونقل ما يضرهم)).

أما الأحاديث التي تحث على استخدام التجسس ضد الأعداء، فيمكن الإشارة إلى أحدها وهو الحديث المشهور [الحرب خدعة][5]، وقد عني العلماء عناية كبيرة بهذا الحديث، وشرحوه بإسهاب نظراً للفوائد الجمة المترتبة عليه، فالحرب كما يقول ابن الأثير[6] ((ينقضي أمرها بخدعة واحدة من الخداع، والمقاتل إذا خُدع مرة واحدة، لا تقوم له قائمة)). ويشير ابن حزم[7]، بأن على المسلمين أن يضربوا الأعداء، من أهل دار الحرب

---

(١) النووي، صحيح مسلم: ١١٢/٢. (٢) مسلم، الجامع الصحيح: ١٧١/١.

(٣) عبدا لله بن الزبير الحميدي، مسند الحميدي، تحقيق حبيب عبدالرحمن الأعظمي (كراتشي، دابهيل، المجلس العلمي، ١٣٨٢): ٢١٠/١؛ وينظر البخاري ، المصدر السابق: ٥٩/٤؛ مسلم، الجامع الصحيح: ٧١/١.

(٤) فتح الباري: ٨٢/١٣؛ وينظر محمد بن أحمد العقباني التلمساني، تحفة الناظر وغنية الذاكر في حفظ الشعائر، وتغيير المناكر، تحقيق علي الشنوفي (جامعة اكريكد، ١٩٦٧): ص٥٢.

(٥) الحميدي، المصدر السابق: ٥١٩/٣؛ وينظر البخاري، المصدر السابق: ١٧٤/٢؛ مسلم، المصدر السابق: ١٤٣/٥؛ محمد بن زيد بن ماجه، صحيح، سنن ابن ماجه، تحقيق ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٧): ١٣٥/٢؛ محمد بن عيسى الترمذي، صحيح سنن الترمذي، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني (بيروت، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨): ١٣٥/٢؛ أحمد بن علي التميمي (أبو يعلى الموصلي)، مسند أبو يعلى، تحقيق حسن سليم أسعد (دمشق، دار المأمون للتراث، ١٩٨٤-١٩٨٧): ٤٤/٨؛ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الصغير، تحقيق عبدالرحمن محمد عثمان (المدينة المنورة، المكتبة السلفية، ١٣٨٨): ١٧/١.

(٦) النهاية: ١٤/٢.

(٧) علي بن أحمد بن سعيد، المحلى، تحقيق محمد بن منير الدمشقي (القاهرة، المطبعة المنيرية، ١٣٥٢): ١١٣/١١.

بعضهم ببعض، حتى يقاتل بعضهم بعضاً، وينشغلوا فيما بينهم، عن تهديد المسلمين، أو توحيد كلمتهم ضدهم ومصداق ذلك قوله ﷺ [إن الله ليؤيد هذا الدين بأقوام لا خلاق لهم]. ويعلن النووي[١] في شرحة لهذا الحديث، أنه يجيز خداع العدو في الحرب، وكيف أمكن الخداع، إلا أن يكون في الخداع نقض عهد، أو أمان فلا يحل حينئذ. أما ابن حجر[٢] فيشير إلى أن ((الاحتياج إلى الخدعة آكد من الشجاعة حيث أن الحرب الجيدة إنما هي في المخادعة، لا المواجهة، وذلك لخطر المواجهة وحصول الظفر مع المخادعة، بغير خطر)). إن هذا النص في منتهى القوة، في التعبير عن دور العيون والجواسيس، في تحقيق النصر وشل العدو، نفسياً ومادياً في التعرض على حدود الأمة، أو ابتغائها بسوء. واختصر العيني[٣] الأمر بدقة بقوله ((المعنى استعمل الحيلة في الحرب ما أمكنك، فإذا أعيتك الحيلة، فقاتل)). وفي هذا تأكيد على أن اللجوء إلى السلاح المادي، هو في آخر المطاف، بعد استنفاذ كل الأسلحة الأخرى، لدى أولياء الأمر وليس العكس. وفي العصر الحديث يؤكد كلاوز فيتز[٤] كل ما ورد أعلاه بوضوح تام عندما يقول ((إن الستراتيجية[٥] ، استعارت اسمها من الخدعة والحيلة، فالذي يستخدم الخدعة يستدرج الشخص الذي يريد خداعه، إلى أن يرتكب بنفسه أخطاء فكرية، تحجب حقيقة الأشياء الماثلة أمامه بصورة مفاجئة)).

جـ. العيون والجواسيس في الفقه:

عندما قام الفقهاء المسلمون، بإصدار الأحكام الشرعية المتعلقة بالجاسوس المسلم، والذمي، والمستأمن، والحربي، إنما انطلقوا في أحكامهم، على أساس من معطيات الكتاب والسنة والاجتهاد، وهكذا اختلفت تأويلاتهم، وأحكامهم حسب فهمهم للنص، أو

---

(١) صحيح مسلم، بشرح النووي: ٤٥/١٢. (٢) فتح الباري: ٤٩٩/٦.

(٣) محمود بن أحمد بن موسى، عمدة القاري شرح صحيح البخاري (القاهرة، إدارة الطباعة المنيرية، د.ت): ٢٧٥/١٤.

(٤) كارل فون كلاوز فيتز، الوجيز في الحرب، ترجمة أكرم ديري والهيثم الأيوبي (بيروت، المؤسسة العربية للدراست والنشر، ١٩٧٤): ص٢٠٠.

(٥) الاستراتيجية: علم وفن ينصرفان إلى الخطط، والوسائل التي تعالج الوضع الكلي للصراع الذي تستخدم فيه القوة بشكل مباشر، أو غير مباشر من أجل تحقيق الهدف السياسي الذي يتعذر تنفيذه، عن غير ذلك السبيل. الهيثم الأيوبي وآخرون، الموسوعة العسكرية (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٧٧): ٦٦/١.

الحدث أحياناً وحسب عصرهم وحساسيتهم إزاء خطورة هؤلاء. وهذا ما عناه ابن القيم الجوزية[1] عندما ناقش تغير الفتوى، واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد. إن الحكم الشرعي للجاسوس المسلم، الذي يدخل في خدمة العدو لا يمكن فهمه، وبالتالي فهم حقيقة الاختلافات الفقهية بهذا الشأن، إلا بعد الاطلاع على قصة حاطب بن أبي بلتعة. وظروفها وملابساتها، فقد اعتنى المفسرون والمحدثون والفقهاء، على السواء بهذه القصة، واختلفت في نفس الوقت نظرتهم حيالها. إن خلفية حاطب قبل إسلامه، وموقعه في المجتمع المكي، ربما تساهم في توضيح حقيقة ما حدث، حيث ترجح معظم الروايات، كون حاطب ينتمي إلى قبيلة لخم العربية وقد جاء إلى مكة لأسباب مجهولة، وحالف بني أسد بن عبد العزى من قريش[2]. وقد أسلم بصورة مبكرة، وهاجر إلى المدينة وآخى الرسول ﷺ بينه وبين رخيلة بن خالد، وشهد بدراً وأُحداً والخندق، والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ. وبعثه الرسول إلى المقوقس صاحب الاسكندرية، وكان من الرماة المذكورين وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه سنة ٣٠هـ/٦٥٥م عن ٦٥ سنة[3]. وهكذا يظهر واضحاً أن حاطب لم يكن قرشياً، وإنما لخمياً على الأرجح متحالفاً مع بني أسد من قريش ووضعيته كحليف هي التي أدت إلى عدم إيذاء عائلته، ولربما رعايتها من قبل حلفائه في مكة لا سيما وأن المصادر لم تشر إلى دور فاعل له، في الغزوات السابقة في النكاية بقريش فهو مجاهد عادي، ومن هذا المنطلق كان حاطب برغم صدق إيمانه، وتاريخه الإسلامي المشرف، يحس برغبته في مكافأة حلفائه ويتعاطف معهم، وفي نفس الوقت عدم الإتيان، بأي فعل يستجلب غضب الله ورسوله ﷺ. ولكنه لم يوفق في اختياره، فعندما تهيأ الرسول ﷺ لفتح مكة، وبدأ باتخاذ كافة الإجراءات الضرورية لذلك، أسرَّ إلى بعض

---

(١) محمد بن أبي بكر، أعلام الموقعين عن رب العالمين، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣): ٣/٣.

(٢) خليفة، طبقات: ص٧٠؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٨٠؛ البلاذري، أنساب: ٣٥٤/١؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: قسم ١، ص٣١٢؛ عبدالرحمن بن عبدالله السهيلي، الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام (بيروت، دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٩٧٨): ٩٧/٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٣٢/١؛ وقيل من مذحج، ابن عبد البر، الاستيعاب قسم١،ص٣١٢؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٣٢/١؛ وقيل من الأزد، وقيل عبداً لرجل من بني أسد. كاتبه وأدى كتابه، في فتح مكة، خليفة، طبقات: ص٧٠.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم ١: ص٨٠.

أصحابه حقيقة الهدف، وكان من بينهم حاطب، وأشاع في الناس أنه يريد هوازن[1]، فكتب حاطب إلى زعماء قريش، صفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، وسهيل بن عمرو، يعلمهم أن رسول الله ﷺ يقصدهم، وبعث الكتاب مع امرأة من مزينة اسمها كنود وقيل سارة مولاة عمرو بن هشام بن عبدالمطلب، فجعلته في رأسها، وفتلت عليه جدائلها[2]، وقد أورد المؤخون والمفسرون والمحدثون سبعة نصوص، للكتاب المرسل، إلى قادة قريش حيث أورد النص الأول الواقدي[3] ((إن رسول الله ﷺ قد أذن بالغزو ولا أراه يريد غيركم، وقد أحببت أن تكون لي عندكم يد بكتابي إليكم)). في حين أورد النص الثاني أبو يعلى[4] ، بصورة مختصرة ((إن رسول الله يريدكم)). وأورد السهيلي[5] النصين الثالث والرابع، وكلاهما من تفسير يحيى بن سلام، الثالث ((إن النبي قد توجه إليكم بجيش كالليل، يسير كالسيل، وأقسم بالله لو سار إليكم وحده لنصره الله عليكم، فإنه منجز له ما وعده)) والرابع ((إن النبي محمد قد نفر إما إليكم أو لغيركم فعليكم الحذر)). وأورد الطبرسي[6] النص الخامس ((من حاطب بن أبي بلتعة، إلى أهل مكة أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم)) وورد النص السادس لدى العيني[7] مشابهاً النص الخامس مع تغيير بسيط وهو ((آذن بالناس بالغزو، ولا أراه يريد غيركم، فقد أحببت أن يكون لي يد بكتابي هذا)).

إن نظرة تحليلية للنصوص الآنفة الذكر، تشير بشكل عام إلى أنها كانت تحذيراً لا لبس فيه لقريش لكي، تستعد لمواجهة عمل عسكري، يقوم به الرسول ﷺ ضدها. وإذا استثنينا النص الثالث الذي أورده السهيلي، وفيه دلائل الوضع الظاهرة، من خلال محاولته تبرير

---

(١) الطبري، جامع البيان: ٣٨/٢٨؛ وينظر علاء الدين علي المتقي الهندي، كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال (حيدرآباد، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢): ٣٣٨/١٠.

(٢) ابن هشام، السيرة: ٢٩/٤؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٢٥٤/١، وينظر للمزيد عن هذه المرأة الواقدي، المغازي، ٧٩٧/٢-٧٩٩؛ الفضل بن الحسن الطبرسي، مجمع البيان في تفسير القرآن، تحقيق هاشم الرسولي المحلاتي (بيروت، دار إحياء التراث العربي، ١٣٧٩): ٢٦٩/٩؛ حسين بن عمر الدياربكري، تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس (بيروت، مؤسسة الشعبان للنشر والتوزيع، ١٢٨٣): ٧٨/٢؛ العيني، المصدر السابق: ٢٥٥/١٤.

(٣) المغازي، ٧٩٨/٢؛ ينظر ابن حجر، فتح الباري: ٦٢/٩.

(٤) مسند: ٣١٩/١. (٥) الروض الأنف: ٩٧/٤. (٦) مجمع البيان: ٢٦٩/٩.

(٧) عمدة القاري: ٢٥٥/١٤.

تصرف مرفوض، من قبل صحابي جليل، تجاه كفار مكة فإن النصوص الخمسة الأخرى، تبدو متعاطفة مع قريش، وتحدث اثنين منهما، وهما الأول والسادس، عن أن هدفه من التحذير، هو لكي يكون له عندهم يد يحفظونها في أهله المقيمين في مكة[١]، فهل كان حاطب يعتقد أن الرسول ﷺ سوف لن يفتح مكة خلال هذه الحملة؟

لقد وصل خبر الرسالة، إلى الرسول ﷺ عن طريق الوحي[٢]، ولم يرد في أي مصدر من المصادر المتاحة، أن عيناً للرسول ﷺ قد بلغه ذلك، وقد اتخذ الرسول إجراءاً سريعاً، تمثل في إرسال مفرزة من الخيالة، لإيقاف المرأة وسحب الكتاب منها[٣]، وقد ورد لدى الواقدي[٤]، أنهما اثنان، وهما علي والزبير رضي الله عنهما، وورد لدى الشافعي[٥]، أنهما ثلاثة، وهم علي والزبير والمقداد. وفي رواية للبخاري[٦]، يرد بدل المقداد أبو مرثد الغنوي رضي الله عنه. وقد بلغ عددهم لدى العيني[٧]، سبعة رجال، وهم علياً، والزبير، وعمار بن ياسر، وعمر بن الخطاب، وطلحة بن عبيدا لله، وأبو مرثد الغنوي.

ويظهر على كل حال، أنهم كانوا أكثر من اثنين، وربما وصلوا إلى سبعة. ويشير أبو داود[٨] إلى أن تعليمات الرسول ﷺ تضمنت قتلها أيضاً، في حالة رفضها تسليم الكتاب،

---

(١) أشارت رواية الواقدي إلى أن له أهلاً وولداً. المغازي: ٧٩٨/٢؛ وأشار كل من البخاري ومسلم إلى قرابته فقط. صحيح: ١٧١/٢؛ الجامع الصحيح: ١٦٨/٧؛ وأورد أبو يعلى روايتين، الأولى أن له أهلاً ومالاً، وفي رواية ثانية أشار إلى والدته فقط. مسند: ٣١٨/١، ٨٢/٤؛ وينظر السهيلي، المصدر السابق: ٩٨/٤.

(٢) الواقدي، المصدر السابق: ٧٩٨/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢٩١/٤؛ الطبري، جامع البيان: ٣٩/٢٨؛ محمد بن الحسن الطوسي، تفسير البيان، تحقيق أحمد قصير العاملي (النجف الأشرف، مطبعة النعمان، ١٣٨٩): ٥٧٣/٩.

(٣) الطبري، تاريخ: ٤٨/٣-٤٩؛ الطوسي، المصدر السابق: ٥٧٣/٩-٥٧٤، ابن حزم، جمهرة: ٤١/١.

(٤) المغازي: ٧٩٧/٢-٧٩٨؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢٩/٤.

(٥) محمد بن إدريس، مسند الشافعي، ترتيب محمد بن عابد السندي، تحقيق يوسف علي الزاوي الحسيني وعزت العطار الحسني (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٥١): ص١٩٧-١٩٨؛ وينظر البخاري، صحيح: ٥٩/٣-٦٠.

(٦) صحيح: ٩١/٤؛ وينظر مسلم، المصدر السابق: ١٦٩/٧.

(٧) عمدة القاري: ٢٥٥/١٤؛ وينظر الحميدي، المصدر السابق: ٢٧/١؛ أبو يعلى، المصدر السابق: ٣١٦/١-٣١٩.

(٨) سنن: ٤٨/٣؛ وينظر ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٢٦١/٧؛ الطبرسي، المصدر السابق: ٢٦٩/٩؛ محمد بن فرج المالكي (ابن الطلاع)، أقضية رسول الله، تحقيق محمد ضياء الدين

وقد استطاعت هذه المفرزة، أن تصل إلى روضة خاخ[1] التي حددها الرسول ﷺ بأنه المكان الذي تتواجد فيه المرأة ورحلها، في طريقها إلى مكة، حيث تم إيقافها، وطلب منها تسليم الكتاب الذي بحوزتها، وقد أنكرت في البداية، فقاموا بتفتيشها، إلا أنهم لم يعثروا على شيء، ويشير معظم المؤرخين إلى أنها وضعته بين شعر جدائلها[2]. في حين أشار البخاري[3] إلى أنها وضعته في حجزتها، أي في صدرها، ويجمع البلاذري[4] بين الروايتين إذ يقول إنها جعلته أولاً في جدائلها، فلما أمنت نقلته إلى حجزتها. ويورد اليعقوبي[5] رواية أخرى وهي أنها جعلته في قبلها. ورغم أن المفرزة قامت بتفتيشها، وكذلك رحلها إلا أنها فشلت أولاً في العثور على الكتاب، مما يجعل للرواية الأخيرة، التي أوردها اليعقوبي أهمية خاصة وهذا ما دفعهم إلى تهديدها بتعريتها[6]. وفي رواية أخرى أنها هددت بالقتل[7] حيث اضطرت حينئذ إلى إخراج الكتاب، وتركت لشأنها حسب أوامر الرسول ﷺ، ثم عادوا بالرسالة إلى الرسول ﷺ.

لقد تم استدعاء حاطب بعد كشف العملية، وسأله الرسول ﷺ عن سبب تصرفه هذا، وكان جواب حاطب بأنه مؤمن با لله ورسوله، ولكنه أراد أن يحفظ له أهل مكة أهله وولده، لأنه لم يكن في قريش، وقد صدَّق الرسول ﷺ قوله، إلا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه

الأعظمي (القاهرة، دار الكتاب المصري، بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٣٩٨): ص١٩٢-١٩٣؛ العيني، المصدر السابق: ٢٥٥/١٤.

(١) روضة خاخ: موضع بين المدينة ومكة قرب حمراء الأسد، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، المغانم المطابة في معالم طابة، تحقيق محمد الجاسر (الرياض، منشورات دار اليمامة للبحث والنشر والترجمة، ١٣٩٨): ص٢٥.

(٢) الشافعي، مسند: ص١٩٨؛ وينظر الواقدي، المصدر السابق: ٧٩٨/٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٣٠/٤؛ مسلم، المصدر السابق: ١٦٨/٧؛ أبو يعلى، المصدر السابق: ٣١٦/١.

(٣) صحيح: ٧/٣؛ وينظر أبو يعلى، المصدر السابق: ٣١٨/١. (٤) أنساب: ٣٥٤/١.

(٥) أحمد بن أبي يعقوب، تاريخ اليعقوبي (بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٦٠/١٣٧٩): ٥٨/٢؛ وينظر أبو يعلى، المصدر السابق: ٢٣/١.

(٦) الشافعي، المصدر السابق: ص١٩٨؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٧٩٧/٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٢٩/٤؛ الحميدي، المصدر السابق: ٢٧/١؛ أبو داود، المصدر السابق: ٤٨/٣؛ البخاري، صحيح: ٧/٣؛ مسلم، المصدر السابق: ١٦٨/٧.

(٧) الطوسي، المصدر السابق: ٥٧٣/٩؛ وينظر ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٢٦١/٧؛ الطبرسي، المصدر السابق: ٢٦٩/٩.

طالب الرسول ﷺ بقتله لأنه نافق، إلا أن الرسول ﷺ عفا عنه، وقال قولته المشهورة [وما يدريك لعل ا لله اطلع على أهل بدر، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم][1] ونـزل في حاطب قوله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾[2] مؤكداً إيمان حاطب من جهة، ناهياً المؤمنين عن التعاون مع المشركين، أعداء ا لله مهما كانت المبررات.

وهكذا يتضح أن الرسول ﷺ، لم يعترض على عمر ﷺ في طلبه من الرسول ﷺ أن يأذن له بقتله، وإنما كان عفو الرسول ﷺ لسببين الأول، أنه جهل خطورة عمله، وكان صادقاً في إيمانه، و لم يرتد أو ينافق، وكان تأكد الرسول تاماً لكونه نبياً يوحى إليه، ولو كان غير ذلك لما نزلت فيه آية تؤكد إيمانه.

وبذلك يمكن الاستنتاج، أن صلاحية العفو عن الجاسوس المسلم، تعود إلى الرسول ﷺ فقط، ولا تنسحب إلى أولياء الأمور من بعده، لأنهم غير معصومين. كما أن كون حاطب من أهل بدر، وهم يحتلون مكانة سامية جداً لدى المسلمين الأوائل، ساعد على إصدار العفو عنه، ومع ذلك فإن أهل بدر، لا يتمتعون بحصانة مطلقة، فقدامة بن مضعون ﷺ كان من أهل بدر، إلا أنه عندما تأول في الخمر، وشربها مع أخرين في البحرين، في عهد الخليفة عمر ﷺ أقيم عليه الحد[3].

وفيما يلي استعراض لمواقف الفقهاء المسلمين، من الجاسوس المسلم. أن الفقيه أبا حنيفة النعمان بن ثابت ت١٥٠ هـ/٧٦٧م[4] يرجع الحكم فيه إلى الإمام[5]، ويظهر واضحاً من خلال هذا الموقف المتردد، ظل قصة حاطب، أما تلميذه أبو يوسف يعقوب بن

---

(١) الواقدي، المغازي: ٧٩٨/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣٠/٤؛ الحميدي، المصدر السابق: ٢٧/١-٢٨؛ البخاري، صحيح: ١٧٠/٢، ٧/٣؛ مسلم، المصدر السابق: ١٦٨/٧؛ أبو يعلى، المصدر السابق: ٣١٦/١؛ البكري، المصدر السابق: ٤٨٣/٢؛ الطبرسي، المصدر السابق: ٢٧٠/٩.

(٢) الممتحنة، الآية: ١.

(٣) ابن عبدالبر، المصدر السابق: ١٢٧٧/٣-١٢٧٨؛ وينظر ابن العربي، المصدر السابق، قسم٢: ص٦٥٤-٦٥٥.

(٤) ينظر ترجمته: إبراهيم بن علي الشيرازي، طبقات الفقهاء (بغداد، المكتبة العربية، ١٣٥٦): ص٤٨-٥٠؛ عبدالقادر بن محمد القريشي، الجواهر المضية في طبقات الحنفية (حيدرآباد الدكن، دائرة المعارف الثقافية، ١٣٣٢): ٢٦/١-٣٢.

(٥) محمد بن جرير الطبري، كتاب الجهاد وكتاب الجزية وأحكام المحاربين من كتاب اختلاف الفقهاء، تحقيق يوسف شخت (ليدن، مكتبة بريل، ١٩٣٣): ص١٧٣.

إبراهيم[1] فيقترح معاقبته بشدة عن طريق الضرب والحبس حتى يتوب. ولا يكتفي العيني[2] بهذا الحكم وإنما نجده يرفض حكم من قال بقتله، بحجة مخالفتهم للحديث وأقوال المتقدمين. أما المالكية فقد أباحوا قتل الجاسوس المسلم، الذي يكاتب العدو ويزودهم بأخبار المسلمين، على الرغم من أن الإمام مالك بن أنس، حين سئل عن ذلك اعترف بعدم وجود نص، وأرجع الحكم فيه إلى الإمام. إلا أنه انتهى أخيراً إلى شرعية قتله[3]. وكان سحنون الفقيه القيرواني ت ٢٤٠هـ/٨٥٤م[4] أكثر وضوحاً من الإمام مالك حيث أفتى بقتل الجاسوس المسلم ولا يستتاب وماله لورثته. وعده زميله عبالرحمن بن القاسم ت ١٩١هـ/٨٠٦م[5] زنديقاً، لا تقبل له توبة وبالتالي يجب قتله[6] . ويشير العقباني[7] إلى تمسك المالكية بقتله، يعود إلى أنهم نظروا إليه نظرتهم إلى المحارب الساعي، في الأرض فساداً، ويلاحظ أن فهم المالكية، لقصة حاطب كان ضمن سياقاتها الصحيحة، وليس لكونه مسلماً لا يحل قتله. إلا بالكفر بعد الإيمان، والقتل المتعمد، والزاني المحصن. كما ورد في الحديث الشريف. أما عبدالرحمن بن عمرو الأوزاعي، (ت١٥٧هـ/٧٧٣م)[8] فقد كان رأيه أن يعاقب بشدة ويحبس لفترة طويلة[9]. في حين أن الإمام الشافعي (ت ٢٠٤هـ/٨١٩م)[10] يرفض عقوبة القتل، بحجة أن المسلم لا يحل قتله، إلا إذا ارتكب الكبائر الثلاثة

---

(١) الطبري، اختلاف: ص٣٧٧؛ وينظر محمد بن أحمد السرخسي، شرح كتاب السير الكبير، لمحمد بن الحسن الشيباني، تحقيق صلاح الدين المنجد (القاهرة، معهد المخطوطات، جامعة الدول العربية، ١٩٧١): ٥/٢٠٤٠.

(٢) عمدة القاري: ٢٥٦/١٤؛ ويظهر هنا أثر حديث المصطفى ﷺ [لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث، الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة] مسلم، المصدر السابق: ١٠٦/٥. (٣) الطبري، اختلاف الفقهاء: ص١٧٢.

(٤) ينظر ترجمته: أبو العرب محمد بن أحمد القيرواني، طبقات علماء أفريقية وتونس، تحقيق علي الشابي ونعيم اليافي (تونس، الدار التونسية للنشر، ١٩٦٨): ص١٨٤-١٨٨.

(٥) ينظر ترجمته: عياض بن موسى السبتي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك (المحمدية، مطبعة فضالة، د.ت): ٣/٢٤٤-٢٦٠. (٦) ابن الطلاع، المصدر السابق: ١٩٤.

(٧) تحفة الناظر: ص١٦٢؛ وينظر محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (القاهرة، دار العلم، طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٨٦/١٩٦٦): ٥٣/١٨.

(٨) ينظر ترجمته: ابن كثير، البداية والنهاية: ١١٥/١٠-١٢٠.

(٩) العيني، المصدر السابق: ٢٥٦/١٤.

(١٠) ينظر ترجمته: الشيرازي، المصدر السابق: ص٤٨-٥٠.

الواردة آنفاً[1] . ويلاحظ أن حجة الإمام الشافعي، هي الأخرى واقعة أسيرة قصة حاطب، علماً بأن خطورة الخيانة، تـودي في أحيـان كثـيرة إلىدمـار الأمـة ومسـتقبلها، أو تعرضهـا لتوقف أو تراجع في مسيرتها، ودورها الإنساني لعدة أجيال، أو لعشرات السنين.

ويرى الإمام أحمد بن حنبل(ت٢٤١هـ/٨٥٥م)[2]نفس رأي الإمام المعاصر لـه الشـافعي، حيث لم يبح قتله، وإن ظهر من فقهاء الحنابلة، فيما بعد من كان يرى قتله مثل الفقيه علي بن عقيل (ت٤٣١هــ/١٠٣٩م)[3]، والإمـام تقـي الديـن بـن تيميـة الحراني (ت٧٢٨هـ/١٣٢٧م)[4]، حيث أن عدم قتله من قبل الرسول ﷺ ارتبط بعلّة مانعة وهي كونه من أهـل بدر، وهي منتفية في غيره[5]. ونظر الطبري[6] إلى الأمر بطريقة مشابهة لما نظر إليه كل مـن الأحناف، والشافعية، والحنابلة، حيث كان يرى العفو عـن الجاسـوس المسـلم، إذا لم يكـن معروفاً بالغدر والخيانة للأمة، وكان ما فعله زلة من غير أن يكون له سوابق في هذا المجـال، أي إن كان له سوابق فله عقوبة أخرى، وهي التعزير والحبس، إلا أنها ليسـت القتـل علـى كل حال. وهكذا يظهر أن القتل عقوبة للجاسوس المسلم الخائن، وهو مذهب الإمام مالك بن أنس، وأخذ به الحنابلة، بينما كان مذهب الآخرين التعزير والحبس.

وفي نهاية هذا العرض، إن الرأي الغالب هو ما ذهب إليه أصحاب حكـم القتـل[7]. إذ

---

(١) محمد بن إدريس، الأم (القاهرة، المطبعة الكبرى الأميرية، ببولاق مصر المحمية، ١٣٢٢): ٤/١٦٦؛ الطبري، اختلاف: ص١٧٢؛ النووي، المصدر السابق: ١٦/٥٥.

(٢) ينظر ترجمته: محمد أبو يعلى الفراء، طبقات الحنابلة، تحقيق محمـد حـامد الفقـي (القـاهرة، مطبعـة السنة المحمدية، ١٣٧١/١٩٥٢): ١/٤-٢٠.

(٣) ينظر ترجمته: عبدالرحمن بـن علـي بـن الجـوزي، المنتظـم في تـاريخ الملـوك والأمـم (بغـداد، الـدار الوطنية، ١٩٩٠، عن طبعة حيدرآباد الدكن): ٩/٢١٢-٢١٥.

(٤) ينظر ترجمته: ابن كثير، المصدر السابق: ١٤/١٣٥-١٤٠.

(٥) محمد بن أحمد الذهبي، الكبائر (بغداد، مكتبة التحرير، ١٩٨٨): ص٢٨٠؛ وينظـر أحمـد بـن أبـي بكر الزرعي الدمشقي (ابن قيم الجوزية)، الطرق الحكمية في السياسة الشرعية، تحقيق محمد حامد الفقي (القاهرة، مطبعة السنة المحمدية، ١٣٧٢/١٩٥٣): ص١٠٧؛ وينظر بالتفصيل، يوسف علي حسين، عقوبة تجسس المسلم لصالح العدو في الشريعة الإسلامية، مجلة دراسات (العلوم الإنسـانية، عمان الجامعة الأردنية، م١٥، رجب ١٤٠٨): ص١٩٧.

(٦) ينظر روايته لدى العيني، عمدة القاري: ١٤/٢٥٧.

(٧) ينظر في هذا الصدد: سعد إبراهيم الأعظمي، جرائم التجسس في التشريع العراقي (الموصل، دار الكتب، ١٩٨١): ص١٠٢.

أن هذه العقوبة الصارمة هي ضرورية جداً في دفع شره، وزجراً لغيره ممن تسول له نفسه مساعدة الأعداء[1]. كما أن القتل هو جزاء وفاق له لأنه تحت إسلامه هو في مأمن من الشك، ولا يتحرز منه، فتجسسه ضمن هذا الباب أكثر خطورة وتدميراً[2]. ولا بد من الإشارة إلى الذين قالوا بعدم جواز قتله، هم أنفسهم الذين قالوا بجواز قتل المسلم الداعي إلى البدعة، وقتل من لا يزول فساده وشره إلا بالقتل، فأولى أن يقولوا بجواز قتل الجاسوس المسلم، فلا يعقل أن يكون الخائن لأمته مسلماً صادقاً[3].

أما عقوبة الذمي، والمستأمن إذا ما اتصل بالأعداء، وآوى عيونهم وكشف أسرار المسلمين، فيرى الأوزاعي أنها القتل، لأن في هذا نقضاً للعهد الذي قطعوه مع المسلمين، في حين يرى أبو حنيفة، أنها تنحصر في التعزير والحبس حتى يظهر توبة[4]. ويذهب محمد بن الحسن الشيباني (ت ١٨٧هـ/ ٨٠٢م)[5] إلى أن المستأمن حين طلب الأمان، إذا كان ضمن الشروط أن لا يعمل كجاسوس للأعداء، ثم تجسس يقتل سواءً كان رجلاً أم امرأة[6]. ويظهر هنا أن الفقيه المسلم يتمسك بقدسية القانون، وأنه الحكم الفصل، في كل مشكلة مع غير المسلمين.

يرى أبو جعفر أحمد بن محمد الطحاوي (ت ٣٢١هـ/٩٣٣م)، وهو من فقهاء الأحناف[7] أن التجسس ينقض عهد الذمة[8]، أي يحل قتله. في حين يرى الشافعي[9] أن عقوبته تنحصر بالتعزير والحبس، وإذا شمل التجسس الرهبان يعاقبون بإنزالهم من الصوامع، ويرحلون عن أرض الإسلام. أما الحنابلة فيرون أن تجسس الذمي، وإخباره العدو عن عورات المسلمين، يؤدي إلى نقض عهده وبالتالي يقتل[10]، ويرى الدغمي[11] أن يقتل

---

(١) حسين، المرجع السابق: ص٢٠٤.

(٢) عبدالخالق النواوي، العلاقات الدولية والنظم القضائية في الشريعة الإسلامية (بيروت، دار الكاتب العربي، ١٣٩٤/١٩٧٤): ص١٣٣.

(٣) الدغمي، المرجع السابق: ص١٦٥-١٦٦. (٤) الطبري، اختلاف: ص٥٨-٥٩.

(٥) ينظر ترجمته: الخطيب البغدادي، المصدر السابق: ٢/١٧٢-١٨٢؛ وينظر القرشي، الجواهر المضية: ٢/٤٢-٤٣. (٦) السرخسي، المصدر السابق: ٥/٤٢-٤٣.

(٧) ينظر ترجمته: الشيرازي، المصدر السابق: ص١٢٠؛ وينظر القرشي، الجواهر المضية: ١/١٠٢.

(٨) ابن أبي حديد، المصدر السابق: ٣/١٥٠-١٥١. (٩) الأم: ٤/١٢٦-١٢٧.

(١٠) أحمد بن عبدالحليم بن تيمية، الصارم المسلول على شاتم الرسول (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨): ص٢٦٨؛ وينظر أحمد بن عبدالحليم بن تيمية؛ الفتاوى الكبرى، تحقيق محمد عبدالقادر عطا ومصطفى عبدالقادر عطا (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨): ٥/٥٤٥؛ محمد بن أبي

الجاسوس الذمي، سواء اشترط عليه في العقد عدم التجسس، أو لم يشترط. إذ لا يعقل إذا لم يشترط عليه هذا في العقد، معناه أنه يجوز له التجسس على المسلمين، وينقل أخبارهم[1].

أما المستأمن الذي يدخل دار الإسلام للتجارة، وغيرها ويؤمن خلال وجوده في دار الإسلام، فهو الآخر عليه ترك كل ما يضر أمن الدولة وسلامتها، شرط ذلك عليه في العقد، أم لم يشترط لأن المسلمين، ما كانوا ليسمحوا له بدخول بلادهم، وهم يعلمون أنه سيتجسس عليهم. وعلى هذا يحق للإمام (رئيس الدولة)، أن يسحب أمانه ويطرده أو يحبسه، ويقرره للحصول على معلومات عن الشبكة التجسسية، التي عمل من خلالها، وله أن يأمر بقتله[2].

وفيما يتعلق بالجاسوس الحربي، فلم تثر خلافات بين الفقهاء في الحكم الذي يستحقه، حيث اتفقوا على قتله، ووردت نصوص واضحة عن الرسول ﷺ في هذا المجال. حيث أشار مسلم[3] إلى أنه في غزوة حنين كان الرسول ﷺ نازلاً مع أصحابه، فجاءه رجل فأناخ جمله، وجلس مع المسلمين يتغدى وجعل ينظر يميناً وشمالاً، حيث رصد الوضع في المعسكر الإسلامي، ثم خرج مسرعاً إلى بعيره فركبه وانطلق، إلا أن اثنين من المسلمين طارداه بسرعة وكان أحدهما سلمة بن الأكوع الأسلمي، فقد تمكن سلمة من قتله وأقر الرسول ﷺ قتله. وفي رواية أبي داود[4] أن الرسول ﷺ أمر بقتله، ويشير الدغمي[5] إلى أن الفقهاء اتفقوا على قتل الجاسوس الحربي، ما عدا الهادوية من الزيدية، ولكن عند الرجوع إلى الشوكاني[6] يشير إلى أن الهادوية، اشترطوا أيضاً القتل، في حالة ارتكاب الجاسوس جريمة قتل مسلم، أو إذا أدى تجسسه إلى القتل.

بكر (ابن قيم الجوزية)، أحكام أهل الذمة، تحقيق صبحي الصالح (دمشق، مطبعة جامعة دمشق، ١٣٨٣/١٩٦١): ٧١٣/٢-٧١٥.   (١١) التجسس: ص١٧٤.

(١) ينظر للمزيد: زيدان، المرجع السابق: ص٢٤١.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٤٣-٢٤٤؛ وينظر الدغمي، المرجع السابق: ص١٧٩.

(٣) صحيح: ١٥٠/٥؛ وينظر البخاري، صحيح: ١٧٨/٤؛ الطبري، جامع البيان: ١٦/٧؛ ابن حزم، المحلى: ٣٢٥/١١؛ سليمان بن أحمد الطبراني، المعجم الكبير، تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي (الموصل، مطبعة الزهراء الحديثة، ١٤٠٥/١٤١٠): ١٦/٧.

(٤) سنن: ٤٩/٣؛ وينظر ابن الطلاع، المصدر السابق: ص١٩١.   (٥) التجسس: ص١٨٠.

(٦) محمد بن علي، نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار، شرح منتقى الأخبار (بيروت، دار الجيل، ١٩٧٣): ١٥٥/٨.

الخلاصة التي يمكن الخروج بها بعد كل هذا، أن الجاسوس سواء كان مسلماً، أو ذمياً، أو مستأمناً، أو حربياً، يستحق عقوبة الموت بشكل عام، باستثناء حالات معينة تدرس من قبل ولي الأمر، ويتخذ قراراً بشأنها مسترشداً بالقرآن والسنة. ويلاحظ أن الجاسوس المسلم هو الأكثر جرماً، ويستحق بناء على ذلك العقاب الدنيوي، وهو القتل والأخروي وهو النار، بينما الذمي، والمستأمن يفترض بهما أن يحفظا العهد، الذي عقداه مع الدولة، التي عاشا في أكنافها وتمتعا بالحرية في ظلها، فإذا خانا العهد استحقا الموت جزاءاً وفاقاً.

أما الحربي فإن عداءه واضح لا لبس فيه، وبالتالي فهو يعرف عقوبة التجسس، فيما إذا ألقي القبض عليه، ومع كل ذلك فإن لولي الأمر الحفاظ على حياته، لقاء استبداله بالعين المسلم الذي وقع في الأسر. ويلاحظ من خلال ما طرح من أحكام حيوية الفقه الإسلامي، ومرونته المتجددة، التي شجعت الاجتهاد، حتى داخل المذهب الواحد، فأعطوا أحكاماً متباينة أحياناً إزاء الموضوع، في كل جانب من جوانبه.

رابعاً: العيون من خلال الوصايا والرسائل:

أ. الوصايا:

ورد في عهد الرسول ﷺ، ووصيته إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه (ت ٥٤هـ/٦٧٣م) حين وجهه إلى أبنى[١] [... وأسرع السير تسبق الأخبار، فإن ظفرك الله عليهم فاقلل اللبث فيهم، وخذ معك الأدلاء، وقدم العيون والطلائع أمامك...][٢] . لقد أرسل الرسول ﷺ حملات عسكرية كثيرة، ولكن المصادر التي حرصت على تسجيل كل صغيرة وكبيرة للرسول ﷺ، لم تنقل إلينا أنه قدم وصية بهذه الصورة، إلى أيٍّ من قواده وهذا يدل على أن ظروف الحملة، كانت تحتاج إلى هذه الوصية، التي كان هدفها ليس مشركي العرب، وفي أرض بعيدة نسبياً علىأطراف الشام الجنوبية الشرقية، وداخل منطقة النفوذ البيزنطي، فضلاً عن كون القيادة شابة حيث هذه أول مرة يتولى فيها أسامة منصباً قيادياً[٣].

تؤكد وصية الرسول على سرعة الحركة التي تؤدي إلى تقليل الفترة الزمنية المتاحة أمام العدو، ليعد استعداداته للتصدي، ولكن سرعة الحركة في الوصول إلى الهدف وتحقيق المباغتة، إنما تتأتى عن طريق التعاون الوثيق، بين الأدلاء والعيون والطلائع، حيث أن الصنف الأول، والثالث، يقومان بتحقيق حزء مهم من أعمال العيون والجواسيس، يتمثل في معرفة الطرق والتضاريس، ومصادر المياه، وكذلك التأكد من احتمال وجود معوقات عسكرية محتملة، من قبل العدو، على طريق سير الحملة.

كما ورد في العصر الراشدي، وصية الخليفة أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنه (ت ١٨هـ/٦٣٩م) حين أرسله إلى الشام: ((... وإذا قدم عليك رسل عدوك فأكرمهم، واقلل لبثهم حتى يخرجوا من عسكرك، وهم جاهلون به، ولا تدنيهم فيروا خللك ويعلموا علمك. وأنزلهم في ثروة عسكرك وامنع من قبلك من محادثتهم، وكن أنت المتولي لكلامهم ولا تجعل سرك كعلانيتك، فيختلط أمرك. ولا تخزن عن المشير خبرك

---

(١) أبنى: تقع في أرض السراة من ناحية البلقاء في الشام. ابن سعد، المصدر السابق: م ٢ ، قسم ١: ص١٣٦؛ وينظر ياقوت، معجم البلدان: ١١/٥.

(٢) الواقدي، المغازي: ١١١٧/٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم ١: ص١٣٦؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ١٥٩/١.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة: ٨٠/١.

فتؤتى من قبل نفسك... ولا تغفل عن أهل عسكرك فتفسده، ولا تتجسس عليهم فتفضحهم، ولا تكشف عن الناس أسرارهم، واكتف بعلانيتهم...))[1].

يؤكد الخليفة في هذه الوصية، للقائد المقبل علىأرض محتلة، من قبل العدو البيزنطي، على ضرورة الالتزام بقواعد التعامل مع رسل العدو، الذين يؤدون مهمتين في آن واحد. الأولى وهي التفاوض من أجل الوصول إلى حل سياسي محتمل، والثانية محاولة الحصول على معلومات، تعزز وضعهم العسكري والسياسي. فعلى القائد أن يحسن استقبال رسل العدو، وأن ينزلهم في قلب الجيش، لكي يؤثر في معنوياتهم سلبياً من خلال رؤيتهم للقوى العسكرية في مظهرها الاستعراضي العام. وليس في التفاصيل الدقيقة. ويجب على القائد، أن يتخذ اجراءات الأمن اللازمة، أثناء فترة مكوث الرسل، والتي يجب أن تكون قصيرة، حيث يتولى مفاوضتهم شخصياً، ويمنع غير المخولين من الاتصال بهم، خوفاً من فلتات اللسان، التي قد تؤدي في حالة التهور إلى كارثة عسكرية. فضلاً عن احتمال التأثير عليهم معنوياً، من قبل العدو، واحتمال كسبهم بصورة أو بأخرى. كما أن تحديد أعضاء الطرف المفاوض يعطي لرسل العدو صورة إيجابية، عن متانة القيادة سياسياً، وعسكرياً، في آن واحد. كما أنها تؤدي إلى أن يعرف الرسل، ما تريده القيادة فقط أو ما تسمح هي فقط بنقله إليهم. وليس ما يطمح الرسل بالحصول عليه، حيث سيعمل الطرف المفاوض، على مناقشة النقاط التي طرحها هو، وليس تلك التي يطرحها الخصم. ووضعية الجانب الإسلامي تسمح له بذلك، من حيث كونه الطرف المهاجم، والذي هو في أراضي العدو، وليس العكس كما أن العدو هو الذي طلب التفاوض، وقدم لهذا الغرض.

وتؤكد الوصية أيضاً، على ضرورة أن يكون مجلس الشورى العسكري، على اطلاع تام على المعلومات التي تصل عن تحركات العدو، وأهدافه، حيث أن جهله بهذه التطورات لا يمكن أن يؤدي إلى تقديم أفكار ناضجة، في محاولة الوصول إلى رأي حكيم حازم، يقلل الاحتمالات السلبية إلى أقل حد ممكن. كما تشير الوصية أيضاً، على ضرورة اتخاذ إجراءات الأمن داخل المعسكر، ويجب التفريق بهذا الصدد بين المراقبة، التي تخدم المصلحة العامة، وتلك التي تعزز التزام القوات بتنفيذ الأوامر، وإدامة المعنويات مرتفعة. بما يخدم ويعزز الجهد العسكري للوصول إلىالنصر. وينهي في نفس الوقت عن التجسس الشخصي،

---

(١) ابن الأثير، الكامل: ٢/٤٠٤-٤٠٥؛ وينظر عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار (بيروت، دار الكتاب العربي عن طبعة دار الكتب المصرية، ١٣٤٣): م١، ج١: ص١٠٨-١٠٩.

الذي يؤدي إلى هتك الأسرار الشخصية. ولقد كان ابن الأثير[1] على حق، عندما علق على هذه الوصية الموجزة الجامعة بقوله ((هذه من أحسن الوصايا وأكثرها نفعاً لولاة الأمور)).

كما نجد في وصية الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، إلى قائده سعد بن أبي وقاص ﷺ، عندما وجهه إلى جبهة العراق تأكيداً آخر، على أهمية العيون والجواسيس ((ونح منازلهم عن قرى الصلح والذمة، فلا يدخلها من أصحابك إلا من تثق بدينه، وإذا وطئت أدنى أرض العدو، فاذك العيون بينك وبينهم، ولا يخف عليك أمرهم، وليكن عندك من العرب أو من أهل الأرض من تطمئن إلى نصحه وصدقه... وليكن منك عند دنوك من أرض العدو أن تكثر الطلائع، وتبث السرايا بينك وبينهم فتقطع السرايا إمدادهم ومرافقهم وتتبع عوراتهم ... واجمع إليك مكيدتك وقوتك، ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها...))[2].

إن هذه الوصية تضمنت وصايا أمنية، لتأمين عدم تسرب المعلومات، بصورة أو بأخرى إلى العدو، عبر دخول بعض المقاتلين، إلى القرى الحديثة الولاء، حيث أن استمرار تعاون رؤساء هذه المناطق مع الفرس محتمل، وإن كان ولا بد من ضرورة دخول هذه القرى، فيرسل من يوثق به، كما يجب على القائد أن يكثر من إرسال العيون الذين يركزون كل إمكانياتهم، في سبيل جلب المعلومات، لا سيما من عرب العراق، ومن أولئك المتعاطفين مع القوات المحررة، من بقية سكان البلاد من غير العرب من الآراميين والسريان... ولا يمكن الحصول على معلومات موثوقة، وصادقة إلا عبر ربط المصالح العليا لهؤلاء بمصالح المحررين، وليس عبر القوة والتشجيع المادي فحسب. كما نجد تركيزاً على دور الطلائع قوة مقاتلة في ظروف معينة، وقوة مهمتها الحصول على المعلومات من الحافات الأمامية للعدو، وتبليغها للقيادة كما تشير الوصية، إلى استخدام القوة والذكاء معاً، بحيث يجب على القيادة أن تكون قبل الصدام، على بينة من نقاط ضعف العدو سواء ما يتعلق بالجيش وقيادته، أو ما يتعلق بالأرض وتضاريسها.

ب. العيون في المعاهدات:

أكدت الدولة العربية الإسلامية، منذ البداية على ضرورة تضمين معاهدات الصلح، مع

(١) الكامل: ٢/٤٠٥.

(٢) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ١/٩٣؛ وينظر ابن الأزرق، المصدر السابق: ٢/٦٢-٦٣.

الأعداء السابقين، فقرات تتضمن تعاونهم في الحصول على المعلومات، أي أن يعملوا عيوناً للمسلمين، من خلال علاقاتهم أو تحالفاتهم القديمة مع الأعداء، الذين انسحبوا من المناطق المحررة، إلا أنهم ظلوا من خلال بقاء سيادتهم وقوتهم في مناطق معينة، على ثغور الدولة العربية الإسلامية كالبيزنطيين مثلاً. وهذا يعني في الوقت نفسه عدم التعاون في مجال الأخبار والمعلومات، مع العدو السابق، أي أن يعملوا جواسيس له أو أن يؤوا جواسيسه.

وفيما يتعلق بعصر الرسول ﷺ، نجد أن معاهدات الصلح أو الموادعة، مع القبائل العربية، كما ترد في المصادر التاريخية تضمنت الاهتمام بالعيون، حيث وادع الرسول ﷺ في غزوة الأبواء في السنة الأولى من الهجرة مخشي بن عمرو الضمري على أن [لا يغزونه ولا يكثروا عليه جمعاً ولا يعينوا عدواً](1). ويظهر بشكل واضح أن الرسول ﷺ عقد معاهدة عدم اعتداء مع بني ضمرة، وتظهر المعاهدة التي صيغت بعبارات عامة، وبلا تفاصيل إمكانية التعاون السري على الأرجح في مجال المعلومات، بين الطرفين حيث يقدم هؤلاء على الأرجح المعلومات التي يريدها الرسول ﷺ فيما يتعلق بنشاط قريش التجاري، والعسكري. ولقاء ذلك يحصل بني ضمرة على مساعدات غذائية من المدينة. ويمكن أن يسحب ما ورد أعلاه، على كثير من المعاهدات التي عقد الرسول ﷺ فيما بعد، سواء مع التكتلات اليهودية أو القبائل العربية.

وفي عصر التحرير والفتح، أكد المسلمون منذ البداية، في معاهدات الصلح على أهمية العيون حيث يرد في صلح خالد بن الوليد ﷺ (ت ٢١هـ/٦٤١م) مع أهل الحيرة ((... على أن يكونوا عيوناً للمسلمين على أهل فارس))(2) و ((... ولا يدلوهم على عورات المسلمين...))(3) ويظهر هذان النصان بشكل لا لبس فيه، إلزام أهل الحيرة، بالتعاون مع المحررين، عبر تزويدهم بأخبار العدو، وفي الوقت نفسه عدم التعاون، مع العدو مطلقاً، عبر نقل أخبار المسلمين إليهم. كما يلاحظ في صلح عمر بن الخطاب ﷺ مع أهل الذمة ((... ولا نؤوي في كنائسنا، ولا في منازلنا جاسوساً، ولا نكتم غشاً للمسلمين. وفي رواية أخرى ولا نكتم عيناً...))(4) وجاء في صلح أبو عبيدة عامر بن الجراح ﷺ (ت ١٨هـ/

---

(١) الواقدي، المصدر السابق: ١٢/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢ قسم ١: ص٣.

(٢) البلاذري، فتوح البلدان: ٢٩٧/٢؛ وينظر قدامة بن جعفر، الخراج وصنعة الكتابة، تحقيق محمد حسين الزبيدي (بغداد، دار الرشيد، ١٩٨١): ص٣٥٥.

(٣) أبو يوسف، المصدر السابق: ص٣٠٦؛ وينظر الأزدي، تاريخ: ص٦٥.

(٤) ابن عساكر، تاريخ: م١، ص٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٨؛ وينظر الطرطوشي، المصدر السابق: ص١٣٦؛

٦٣٩م) مع أهل مدينة حلب ((ولا تكتموا خبراً تعلموه عن أعدائنا ولا تتركون جاسوساً يتجسس علينا))[1]. وجاء في صلح عياض بن غنم ﷺ (ت ٢٠هـ/٦٤٠م) مع أهل دلوك، ورعبان، من ثغور الجزيرة ((اشترط عليهم أن يخبروا المسلمين بخبر الروم))[2]. كما جاء في صلح حبيب بن مسلمة ﷺ (ت ٤٢هـ/٦٢٢) مع أهل تفليس[3] ((ولنا نصيحتكم وضلعكم على أعداء الله ورسوله ﷺ ما استطعتم))[4]. وجاء في المعاهدة، التي عقدت مع أهل جزيرة قبرس ((وعلى النصيحة للمسلمين، وإنذار مسير عدوهم من الروم إليهم))[5].

كما حرص المفاوض العربي المسلم، على إيجاد قناة مأمونة للحصول على المعلومات، أثناء التفاوض، مع بعض البلاد التي ظلت خارج نطاق السيادة الإسلامية، مثل النوبة الواقعة جنوب مصر، وتحولت بذلك من دار حرب إلى دار عهد[6]. حيث تشير المعاهدة التي عقدها عبدا لله بن سعد بن أبي سرح (ت ٣٦هـ/٦٥٦م)، معهم إلى ما يأتي ((إنا عاهدناكم، وعاقدناكم، أن توفونا في كل سنة ثلاثمائة رأس، وستين رأساً. وتدخلوا بلادنا مجتازين غير مقيمين، وكذا ندخل بلادكم على أنكم إن قتلتم من المسلمين قتيلاً فقد برئت منكم الهدنة، وعلى إن آويتم للمسلمين عبداً، فقد برئت منكم الهدنة، وعليكم رد آباق المسلمين، ومن لجأ إليكم من أهل الذمة))[7]. فرغم ما قد نجد في هذه المعاهدة، من توازن بين الطرفين، في الأخذ والعطاء، إلا أنها فتحت نافذة مهمة للاطلاع على ما يحدث في هذه البلاد، عبر التجار المسلمين.

وعلى الساحة الأندلسية، ورد في صلح عبدالعزيز بن موسى بن نصير (ت ٩٦هـ/

محمد بن أحمد القرشي (ابن الأخوة) معالم القربة في أحكام الحسبة، تحقيق روبن لوي (كمبرج، مطبعة دار الفنون، ١٩٣٧): ص٤٠؛ ابن القيم، أحكام: ٧١٣/٢-٧١٤؛ ابن الأزرق، المصدر السابق: ١٧٩/٢.

(١) الواقدي، فتوح الشام: ١٤/٣. (٢) ابن الأثير، الكامل: ٤٩٦/٢.

(٣) تفليس: هي قاعدة إقليم جرزان، تقع على نهر الكر. ياقوت، معجم البلدان: ٣٥/٢-٣٦. وهي عاصمة جمهورية جورجيا في الوقت الحاضر.

(٤) أبو عبيدة القاسم بن سلام، الأموال، تحقيق محمد عمارة (بيروت، دار الشرق، ١٤٠٩/١٩٨٩): ص٢٩٦؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٢٣٨.

(٥) المصدر نفسه: ص٢٣٧.

(٦) دار العهد: هي تلك الدار التي لم يظهر المسلمون عليها، وعقد أهلها الصلح مع المسلمين، على شيء يؤدونه إليهم عن أرضهم يسمى خراجاً، دون أن تؤخذ منهم جزية، لأنها ليست دار إسلام. الزحيلي، المرجع السابق: ص١٧٥. (٧) ابن عبد الحكم، المصدر السابق: ص١٨٩.

٧١٤م) مع تدمير بن عبدوش عام (٩٤هـ/٧١٢م) ((... وأنه لا يؤوي لنا آبقاً، ولا يؤوي لنا عدواً، ولا يخيف لنا آمناً ولا يكتم خبر عدو علمه...))[١].

جـ- العيون والجواسيس في الرسائل:

تعد رسالة الإمام علي ﷺ، إلى قائديه على مقدمته المتجهة إلى الشام، زياد بن النضر، وشريح بن هانئ، من أقدم الرسائل، التي وردت فيها الإشارة إلى دور العيون، والجواسيس ((... واعلما أن مقدمة القوم عيونهم، وعيون المقدمة، طلائعهم. فإذا أنتما خرجتما من بلادكما، فلا تسأما من توجيه الطلائع ومن نفض[٢] الشعاب، والشجر، والخمرة[٣] من كل جانب كي لا يفتركما عدو، أو يكون لكم كمين... واجعلوا رقائبكم في صياصي الجبال، وأعالي الأشراف، ومناكب الهضاب، يرون لكم لئلا يأتيكم عدو، من مكان مخافة أو أمن، وليكن عندي كل يوم خبركما، ورسول من قبلكما...))[٤].

يلاحظ في هذه الرسالة، استخدام مصطلحات بديلة للعيون، أو مقاربة، حيث نجد النفضة، هم العيون، كما يلاحظ في هذه الرسالة، التأكيد على دور المقدمة، التي تبعث العيون والطلائع، لجلب الأخبار، كما تقوم هذه العيون، بالتأكد من خلو الوديان، والأدغال، والأشجار الكثيفة من أي تواجد للعدو فيها، لتأمين سير الجيش، كما يجب بث العيون على رؤوس الجبال والهضاب، والمناطق المطلة على الأراضي المنخفضة، كما يؤكد على ضرورة إطلاع المقدمة القيادة العامة على ما يتوفر لها من معلومات.

وتعد رسالة عبدالحميد الكاتب (ت ١٣٢هـ/٧٤٩م) على لسان الخليفة مروان بن محمد (١٢٩-١٣٢هـ/٧٤٦-٧٤٩م) إلى ولي عهده عبدالله بن مروان، في غاية الأهمية

---

(١) أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس (مجريط، مطبعة روفس، ١٨٨٤): ص٢٥٩؛ وينظر أحمد بن عمر العذري، ترصيع الأخبار، وتنويع الآثار في غرائب البلدان، إلى جميع المماليك، ونشر بعنوان نصوص عن الأندلس، تحقيق عبدالعزيز الأهواني (مدريد، معهد الدراسات الإسلامية، ١٩٦٥): ص٥.

(٢) النفيضة: جماعة يبعثون في الأرض متحسسين، لينظروا، هل فيها عدو، وكذلك النفيضة مثل الطليعة. ابن منظور، المصدر السابق: ٢٤١/٧.

(٣) الخمرة: ما واراه من جرف أو حبل من حبال الرمل أو غيره. ابن منظور، المصدر السابق: ٢٥٦/٤.

(٤) نصر بن مزاحم المنقري، وقعة صفين، تحقيق عبدالسلام هارون (القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة، ١٣٨٢): ص١٢٣-١٢٥.

حيث تظهر هذه الرسالة[1] بشكل واضح ضرورة، أن يكون هدف العيون، معرفة تحركات العدو، من حيث التنقل، والمواقع، والأهداف التي يتطلع إليها، وفي الوقت نفسه، يجب أن تحصل العيون، على الحد الأدنى للأهداف السياسية للعدو، التي يمكن من خلالها الوصول إلى حل سلمي قبل القيام بالعمل العسكري، أي النقطة التي يمكن الالتقاء عندها، عند تنازلات متفق عليها من الطرفين، أي أن عمل العيون، ليس المساهمة الفاعلة، في كسب المعركة على الأرض فقط، وإنما كسب المعركة السياسية، على طاولة المفاوضات أيضاً، وهو هدف الحرب النهائي.

وتشير الرسالة إلى ضرورة عدم إهمال أية معلومة، مهما كانت تبدو قليلة الأهمية، فيما يتعلق بأخبار العدو، أي لا بد من كفاءة المحللين، الذين يدرسون المعلومات للوصول، إلى نتيجة أو رسم صورة واضحة للموقف، من أجل القرار على الخيار المناسب، كما أكدت الرسالة، على أن يكون هناك أكثر من مصدر للمعلومات، من أجل إيجاد صورة واضحة، وإمكانية المقارنة للتأكد من صدق العين، أو الجاسوس، وعدم تجنيده من قبل العدو تحت تأثير الترغيب والترهيب، ويقدم طريقة متأنية في التعامل مع المعلومات المتناقضة، وهي عدم التسرع في التكذيب أو الشك في أحد المصادر، على الرغم من نفي إمكانية الخطأ أو الخيانة في الوقت نفسه، فقد يكون العدو لجأ إلى تغيير خططه أثناء ذهاب الجاسوس الأول، للتبليغ فرصد الجاسوس الثاني التغيير فحدث الاختلاف في المعلومات، وقد يكون طُعماً مدروساً، يقدمه العدو فالتقطه الجاسوس من غير روية أو بحسن نية، وهناك احتمال آخر، وهو أن يكون العدو يلجأ فعلاً، إلى تغيير خططه في الساعات مع تطور الموقف.

كما أشارت الرسالة، إلى ضرورة إقامة علاقة شخصية حميمة، بين العيون والمسؤول عنهم، ومما يدعم هذه العلاقة ويغذيها بصورة مستمرة، هو إشعارهم بتقدير المسؤول لهم مادياً ومعنوياً على السواء. إن العيون والجواسيس التي تستطيع خرق قيادة العدو، ونقل أخبارها، وخططها، وإيصالها بسرعة، وبصورة متصلة إلى القيادة، هي عيون لا غنى عنها أبداً. ومع كل هذا التقدير للعيون والجواسيس، إلا أن هناك تحذيرات لا بد من الأخذ بها، فقد يكون هؤلاء العيون والجواسيس يعملون لمصلحتهم، في الوقت نفسه الذي يعملون فيه لمصلحة الطرف المسؤول عنهم، أي عملاء مزدوجي الولاء. ومما يساعد على خلق سلوكية، من هذا القبيل لدى الجواسيس هو سوء المعاملة، أو الإفراط في العقوبة نتيجة

---

(١) ينظر الملحق: ص٣١٧.

لخطأ معين، مما يؤدي إلى الحقد، والرغبة في الانتقام.

وتؤكد الرسالة، أيضاً على إفهام العيون والجواسيس، بصورة غير مباشرة، أن معلوماتهم ليست مقبولة تماماً، أو أنها أخبار لا يؤخذ بها نهائياً، وأن هذه المعلومات عرضة للتدقيق، من قبل عناصر ذات قدرة عملية. أي أن التعامل معهم، يجب أن يكون متوازناً ومحسوباً بدقة، وليس عفوياً وليد وقته، وتحذر الرسالة كذلك، من معرفة بقية القادة، غير المخولين، فضلاً عن الجنود، بأشخاص هؤلاء العيون، أو يشار إليهم بالأصابع، داخل مقر القيادة، أو المعسكر. وهنا تؤكد الرسالة، علىأن يكون المسؤول عن الإدارة، وتنسيق العمل معهم، هو كاتب الرسائل، وهو الذي يقدمهم في الوقت نفسه، إلى القائد الأعلى، ولا تنسى الرسالة، أن تشير إلى حقيقة كبرى، وهي أن العدو يلعب نفس اللعبة التي نلعبها، فهو أيضاً لديه جواسيسه، ويحاول أن يحصل منا عن طريقهم على نفس ما نحصل منه، عن طريق جواسيسنا، فيجب أن يجهل جواسيس العدو، معرفة العيون التي تعمل لمصلحتنا، في صفوفهم، حيث تؤدي المعرفة إلى كشفهم، وإلقاء القبض عليهم، ومعاقبتهم بطريقة استعراضية، لإلقاء الرعب في بقية العيون غير المكشوفين، والذين سيلجأون نتيجة الخوف، والرعب إلى جمع المعلومات من مصادر غير موثوقة، وبشكل عرضي، وأحياناً كاذبة أو مبالغ في تصوير خطر العدو بطريقة مرعبة. وأكدت الرسالة أيضاً على ضرورة عدم معرفة العيون بعضهم بعضاً، فقد تؤدي معرفتهم إلى احتمال تقديم تقارير، متفق عليها مسبقاً، فيما بينهم، وقد تؤدي المعرفة، في حالة كون أحدهم يعمل لمصحلة العدو، إلى كسب البقية، وبالتالي تقديم أخبار كاذبة ومضللة قد تؤدي إلى كارثة كبرى(1).

إن تأثير رسالة عبدالحميد الكاتب، على ما كتب في الفقرات اللاحقة، عن العيون، والجواسيس، كان واضحاً، سواء عبر نقل النصوص كاملة منها، أو إعادة صياغتها بألفاظ مقاربة لها(2).

---

(١) يشير كلاوز فيتز، إلى ((أن الحرب بناء حساس، وتكفي أبسط الأشياء، لتدميره، وردمنا تحت أنقاضه، وتؤكد جميع الأنظمة العسكرية، أن علينا ألا نثق إلا بالمعلومات الأكيدة، وأن نتمسك دائماً بالحذر التام...)). المرجع السابق: ص١٣٠.

(٢) ينظر مثلاً ما كتبه الهرثمي، المصدر السابق: ص٢٣-٢٥؛ وعمر بن إبراهيم الأنصاري، تفريج الكروب في تدبير الحروب، تحقيق جورج سكانلون (القاهرة، الجامعة الأمريكية، ١٩٦١): ص١٩-٢٠؛ وأحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، (المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، عن الطبعة الأميرية، د.ت): ١/١٢٤-١٢٦.

الفَصْلُ الثَّانِي

العُيُونُ والجَوَاسِيسُ فِي عَهْدِ الرَّسُولِ

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

سيتم في هذا الفصل، التعامل مع العيون، من خلال الجوانب التالية:
أولاً: مصادر المعلومات، التي كان الرسول ﷺ، يحصل من خلالها على الأخبار.
ثانياً: مصادر المعلومات، التي كان الأعداء، يحصلون من خلالها على أخبار المسلمين.
ثالثاً: صفات العيون، وأنواعها، وأساليب الأمن والاستنطاق.
رابعاً: إدارة العيون.
خامساً: واجبات العيون المنفذة في عهد الرسول ﷺ:

أ. العمليات الخاصة التي كانت تستهدف تصفية قيادات العدو:

١. عملية عصماء بنت مروان.
٢. أبو عفك.
٣. كعب بن الأشرف.
٤. أبو سلام رافع بن أبي الحقيق.
٥. سفيان بن خالد الهذلي.
٦. رفاعة بن رافع الجشمي.
٧. أبو سفيان بن حرب الأموي.
٨. الأسود العنسي.
٩. طليحة بن خويلد الأسدي.

ب. الحرب النفسية

ج. التضليل.

د. حماية الرسول ﷺ من محاولات الغدر.

هـ. عمليات الإنقاذ.

و. الاستطلاع العميق.

١. النخلة.
٢. معونة.
٣. الرجيع.
٤. عبدا لله بن رواحة إلى خيبر.
٥. ذات أطلاح.
٦. علقمة بن مجزز ابن الداروم.

ز. إدارة التفاوض.

ح. التأكد من إسلام القبائل.

ط. إخلاء شهداء.

سادساً: تقويم عمليات العيون.

وفي الوقت الذي أشارت فيه المصادر، إلى عدد العمليات المنفذة في عهد الرسول ﷺ وهو ست وسبعون ما بين غزوة وسرية[1]، لا بد من الإشارة إلى أن العيون والجواسيس أنجزوا خلالها ستاً وثمانين عملية[2]، وهي التي سيتناولها هذا الفصل بالتفصيل.

أولاً: مصادر المعلومات التي كان الرسول ﷺ يحصل من خلالها على الأخبار:

أ. مسلمون من المهاجرين والأنصار، ومن مسلمي القبائل، الذين يقيمون في المدينة.

ب. التنظيم السري داخل مكة.

جـ. عيون من قبيلة خزاعة.

د. عيون من قبيلة جهينة.

هـ. عيون من قبيلة ضمرة.

و. عيون من قبيلة أسلم.

ز. عيون من قبيلة غطفان.

ح. عيون من قبائل أخرى.

ط. عيون من اليهود.

ي. عيون من الشام.

ك. التجار.

ل. الرسل.

م. عمال الصدقات.

ن. معلومات جاءت من طريق الصدفة، فأحسن استغلالها.

---

(١) الواقدي، المغازي: ٧/١؛ وينظر للمزيد ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص١؛ الصفاني، المصدر السابق: ٩٤/٥؛ مسلم: المصدر السابق: ١٩٩/٥؛ أبو يعلى، المصدر السابق: ١٦٨/٤؛ الطبري، تاريخ: ١٥٢/٣.

(٢) تم التوصل إلى هذا الرقم، لعمليات العيون والجواسيس، من خلال جمع العمليات التي قام بها العيون الذين عرفت أسماؤهم، وهي ثلاث وخمسون، والعمليات التي نفذها عيون مجهولون وهي تسعة عشر، فضلاً عن عمليات تنظيم مكة السري وهي أربعة عشر عملية.

أ. مسلمون من المهاجرين والأنصار، ومن مسلمي القبائل الأخرى الذين يقيمون في المدينة:

لقد شكل هؤلاء العمود الفقري للعيون والجواسيس في هذا العصر، سواء على صعيد تنفيذ العمليات المختلفة، أو على صعيد الإدارة، وقد عرفت أسماء كثيرة منهم، ومن خلال التفاصيل التي حرص مؤرخوا السيرة، والمغازي على إيرادها كما سوف يظهر واضحاً خلال أحداث هذا الفصل.

ب. التنظيم السري داخل مكة:

لا بد من الإشارة، بادئ ذي بدء، إلى أن ما سوف يطرح، عن هذا التنظيم، إنما هو مجرد محاولة أولية لإنارة الموضوع، الذي وردت عنه إشارات لا بأس بها، من خلال مجموعة من النصوص حاول من خلالها الباحث، تجاوز الصيغة الشكلية لها، قدر الإمكان، في محاولة لفهم دلالاتها البعيدة، وتجنب الوقوع في شرك النظرة السطحية للأحداث. وقد تم تسميته بالتنظيم لتوفر ثلاثة عناصر، وهي العقيدة الدينية، التي أفرزت موقفاً سياسياً موحداً، قاد إلى حدوث اتصالات بين عناصر هذا التنظيم، فضلاً عن بروز قيادة، تعمل على تنسيق المواقف، وأخيراً وجود شكل من أشكال الاتصال، بين قيادة هذا التنظيم والمدينة المنورة.

ولقد شمل التنظيم ثلاثة أقسام:

١. المستضعفون:

ورد مصطلح المستضعفين، في القرآن الكريم، ثلاثة مرات، في قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنْ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً وَاجْعَل لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيراً﴾[1] ، وفي قوله تعالى: ﴿إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض...﴾[2] . وقوله تعالى: ﴿... إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً﴾[3]. وهؤلاء كما يظهر من الطرح القرآني، لا يتكونون فقط كما اعتقد البلاذري[4] من أولئك الذين لا عشائر لهم، ولا

---

(١) النساء، الآية: ٧٥. (٢) النساء، الآية: ٩٧. (٣) النساء، الآية: ٩٨.

(٤) أنساب: ١/١٥٦-١٨٥، ١٩٤.

منعة، أي أن انتماءاتهم، تعود إلى خارج قريش وبعضهم ليس عربياً. وكانت قريش تستغل انعدام المظلة العشائرية لهم، فتلجأ إلى التنكيل بهم، وتعذيبهم مثل صهيب الرومي[1]، وخباب بن الأرت[2]، وعمار بن ياسر[3]، وعامر بن فهيرة[4]، فالواقع يشير إلى أشخاص، من قلب الأُسر القيادية من قريش، كانوا قد أعلنوا إسلامهم، وتعرضوا باستثناءات قليلة، إلى التنكيل، ولكن من قبل نفس أسرهم، وبطونهم، مثل الوليد بن الوليد المخزومي[5]، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي[6]، وسلمة بن هشام[7]، وأبو جندل بن سهيل السهمي[8]، وكان من الاستثناء عبدالله بن نعيم النحام العدوي، والذي بعكس هؤلاء، وفرت له عشيرته المظلة الداعمة والحامية.

---

(١) صهيب الرومي: أصله من النمر بن قاسط، سمي بالرومي، لأن الروم سبوه صغيراً فتكلم لغتهم، شهد مع رسول الله ﷺ بدراً، وكان ممن يجتمع برسول الله ﷺ في دار الأرقم، ومات بالمدينة سنة (٨٨هـ/٧٠٦م). ابن عبد البر، الاستيعاب: ٧٢٦/٢-٧٣٣؛ ينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٩/٣-٤٠.

(٢) خباب بن الأرت: حليف بني زهرة، قيل أصله من تميم، أو خزاعة، شهد بدراً والمشاهد مع رسول الله ﷺ كات سنة (٣٧هـ/٦٥٧م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤٣٧/٢-٤٣٩؛ ينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١١٤/٢-١١٧.

(٣) عمار بن ياسر: أصله من عنس من مذحج، حليف لبني مخزوم، شهد بدراً، استشهد في صفين (٣٧هـ/٦٥٧م)؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١١٣٥/٣-١١٤١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١٢٩/٤-١٣٥.

(٤) عامر بن فهيرة: من مولدي الأزد، اعتنق الإسلام، قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، اشتراه أبو بكر ﷺ، واشترك في الهجرة، استشهد في بئر معونة، البلاذري، أنساب: ١٩٣/١-١٩٤.

(٥) الوليد بن الوليد: من بني مخزوم، شقيق خالد بن الوليد، أسلم قبل بدر، شهد مع رسول الله ﷺ عمرة القضية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٥٥٨/٥-١٥٥٩.

(٦) عياش بن أبي ربيعة: من بني مخزوم، أسلم قبل أن يدخل النبي ﷺ دار الأرقم، هاجر الهجرتين، استشهد في اليرموك. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٢٣٠/٣-١٢٣٢؛ ينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٢٠/٤-٣٢١.

(٧) سلمة بن هشام: من بني مخزوم، من مهاجري الحبشة، استشهد في الشام في مرج الصفر سنة (١٤هـ/٦٣٥م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٦٤٣/٢-٦٤٤؛ ينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٣٥/٢-٤٣٦.

(٨) أبو جندل بن سهيل: من بني عامر بن لؤي، أسلم قديماً وشهد تحرير الشام. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٦٢١/٤-١٦٢٣.

وهكذا يظهر للعيان، أن مصطلح المستضعفين، يضم رجالاً، ونساء، وأحراراً، وحلفاء، وعتقاء، وعبيداً، كان معظمهم لا يملكون الحرية، من خلال قيود العبودية، أو من خلال عدم توفر المال اللازم للهجرة، ومعرفة الطريق إلى المدينة، وهو ما عبر عنه القرآن بقوله ﴿لاَ يَسْتَطِيْعُونَ حِيْلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيْلاً﴾. وكان تعاطف الرسول ﷺ معهم قوياً جداً، عبر عنه معنوياً بالدعاء لهم بالتخلص من أسر الكفار[1]. وعبر عنه عملياً بتحرير بعضهم، ومرة ثالثة، في مفاوضات الحديبية حين أمر عثمان بن عفان رضي الله عنه بالاتصال بهم، وتبليغهم تحيات الرسول ﷺ إليهم، وإن الفرج آتٍ[2].

٢. الذين يكتمون إيمانهم:

لقد تمتع هؤلاء بميزتين إيجابيتين، الأولى أن تركيبتهم متنوعة، تشبه تركيبة المستضعفين، والثانية أن عدم معرفة قريش بإسلامهم، قد جعلتهم يتمتعون بحرية أكبر في الحركة، وهذا ما أتاح لهم تغلغلاً مأموناً في قلب المجتمع المكي المتنفذ، فكونهم أعضاء في الأسر القيادية، أو حلفاء، أو عبيداً، جعلهم يطلعون على أدق الأسرار وهذا ما مكنهم من رفد المسلمين في المدينة، ببعض المعلومات العسكرية والأمنية، عن الجهد العسكري المعادي للمسلمين. أو بأسرار النشاط التجاري المتعلق بالقوافل، ومواعيد الانطلاق، والعودة، والطرق التي ستسلكها، وكذلك في تأمين وسائل الإنقاذ، والدعم، والصمود المادي والمعنوي للمستضعفين. ويشير العلي[3]، إلى أنهم يقومون أيضاً برعاية أسر المهاجرين وأموالهم.

إن هؤلاء الذين يكتمون إيمانهم، لم يكونوا غير معروفين من قبل مشركي مكة حسب، وإنما كان معظمهم غير معروفين من قبل مسلمي المدينة أيضاً. وهو ما عبر عنه القرآن بقوله تعالى: ﴿... وَلَوْلاَ رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ لَمْ تَعْلَمُوهُمْ أَنْ تَطَئُوهُمْ فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللهُ فِي رَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾[4]. ولم يكن النساء غائبات عن هذا القسم. حيث أشير إلى أم شريك الأوسية[5] التي كانت تكتم إيمانها،

---

(١) الزبيدي، نسب قريش: ص٣٠٢-٣٠٣.

(٢) الواقدي، المغازي: ٦٠١/٢.

(٣) صالح أحمد، الدولة في عهد الرسول ﷺ (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٨): ٨١/١.

(٤) الفتح، الآية: ٢٥؛ وينظر الطبري، جامع البيان: ٦٥/٢٦.

(٥) أم شريك: صحابية من دوس من الأزد، أسلمت بصورة مبكرة. ابن سعد، طبقات: م٨: ص١١٠-١١٢.

وكانت تتجول في بيوت قريش، تدعو النساء سراً إلى الإسلام إلى أن كشف أمرها، فسيرها كفار قريش إلى قبيلتها دوس، ثم هاجرت إلى الرسول ﷺ[1]، وكذلك أشير إلى نساء من علية قريش، مثل أم كلثوم بنت عتبة بن أبي معيط[2] التي أسلمت مبكرة وهاجرت إلى الرسول ﷺ في هدنة الحديبية، ونزل فيها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾[3] . إن وجود نساء مؤمنات من طراز أم كلثوم. من أسرة قيادية في قريش؛ وهي أسرة بني أمية بن عبد مناف ساعدها للحصول على المعلومات، بصورة أفضل والتعاون مع إخوانها في إيصالها إلى المدينة.

٣. هناك قسم يمكن وصفهم بأنهم لم يكونوا مسلمين في البداية، إلا أنهم متعاطفين، عملوا مع التنظيم، تدفعهم صلة الرحم، وانتهوا من خلاله إلى الانتماء إلى الإسلام. يمثلهم العباس بن عبدالمطلب ﷺ عم الرسول ﷺ. لقد اختلفت المصادر في تفسير بقاء العباس، على الشرك إلى قبيل فتح مكة على الأرجح وفي الدور الذي كان يلعبه، خلال ثماني سنوات بعد الهجرة، فقد أشار البعض إلى أن بقاءه كان بأمر الرسول ﷺ[4]. ويشير ابن سعد[5] إلى أنه طلب من الرسول أن يسمح له بالهجرة فكتب إليه [إن مقامك مجاهد حسن]. وقد علق الذهبي[6]، على هذه الرواية بأنها ضعيفة الإسناد. ويبدو أنها على الأرجح وضعت في العصر العباسي. وعلى الرغم من أن العباس، وقف مع الرسول ﷺ، في بيعة العقبة الثانية مشركاً[7] ولكن موقفه كان يدل على تعاطف شديد، مع الرسول ﷺ،

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٥١/٨.

(٢) أم كلثوم بنت عتبة: من بني أمية، أسلمت مبكرة، وهاجرت كأول امرأة بعد هجرة رسول الله ﷺ وصاحبت في هجرتها رجلاً من خزاعة في هدنة الحديبية. ابن سعد، طبقات: م٢: ص٣١٧-٣١٨.

(٣) الممتحنة، الآية: ١٠؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: ١٦٧/٨.

(٤) ابن عبدالبر، المصدر السابق: ٨١٢/٤؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ١٦٥/٣؛ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق محمد علي البجاري (القاهرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، د.ت): ٦٣١/٣.

(٥) الطبقات: م٤، قسم ١: ص٢١؛ ويقارن الطبري، تاريخ: ٤٦٥/٢-٤٦٦.

(٦) محمد بن أحمد، سير أعلام النبلاء، تحقيق شعيب الأرناؤوط (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦): ٩٩/٢.

(٧) الطبري، تاريخ: ٣٦١/٢-٣٦٢.

مدفوعاً بصلة الرحم التي قطعها في الوقت نفسه، أخوه المتطرف في عدائه للإسلام، أبو لهب. وقد اشترك في معركة بدر مكرهاً، حاله حال معظم رجال بني هاشم، ولذلك أصدر الرسول ﷺ أمراً بعد قتلهم، وتعاطف مع عمه في الأسر[1]. وقد فدى العباس نفسه، وابني أخيه عقيل بن أبي طالب، ونوفل بن الحارث[2]. ويبدو أن تعلقه بمكة، وبأهله، وماله كان شديداً، فضلاً عن شخصيته المسالمة التي تكره المخاطرة[3]. وأشارت المصادر إلى تحذيره للرسول ﷺ، قبل وصول قوات قريش إلى جبل أُحد، حيث يشير الواقدي[4] ((إلى أن قريشاً لما أجمعت على التوجه إلى المدينة كتب العباس إلى الرسول ﷺ كتاباً وختمه، واشترط على الرجل المكلف بحمله، أن يوصله في ثلاثة أيام، وتضمن كتابه معلومات خطيرة، عن قرار قريش بالتحرك إلى المدينة، بقوات تضم ثلاثة آلاف رجل، مع مائتي فارس، وثلاثة آلاف بعير)).

لم يشترك العباس في أُحد، وفيما بعدها من المعارك ضد الرسول ﷺ، ولا تشير المصادر في الوقت نفسه، إلى أي موقف مندد له من قبل مشركي قريش، نتيجة لذلك[5]، ويبدو أن موقف العباس كان يلقى تفهماً من قبل قيادات مكة، وكان من مصلحتهم إبقاء قسم من بني هاشم إلى جانبهم، ولو مظهرياً ضد الرسول ﷺ. وعلى هذا الأساس يجب عدم المبالغة كثيراً، في تضخيم الدور الذي كان يلعبه العباس، وجعله مسؤولاً عن إخبار الرسول ﷺ بكل صغيرة وكبيرة في مكة[6]. ولكن في الوقت نفسه لا بد من الإشارة، إلى أن العباس بموقعه الاجتماعي، كسيد بني هاشم في مكة، وإمكانياته المالية الكبيرة[7]، وشخصيته المقبولة، من قبل القيادات المشركة في مكة، والأهم من ذلك تعاطفه مع الرسول ﷺ،

---

(١) ابن هشام، السيرة: ١٩٧/٢؛ ينظر يعقوب بن سفيان البسوي، المعرفة والتاريخ، تحقيق أكرم ضياء العمري (بغداد، مطبعة الإرشاد، ١٩٧٩/١٣٩٤): ١٥٣/١؛ الطبري، تاريخ: ٤٥٠/٢.

(٢) المصدر نفسه: ٥٦٥/٢-٥٦٦؛ وينظر ابن عبدالبر، المصدر السابق: ٨١٢/٢.

(٣) الطبري، تاريخ: ٤٦١/٢؛ ينظر موفق الدين عبدا لله بن أحمد بن قدامة المقدسي، التبيين في أنساب القرشيين، تحقيق محمد نايف الدليمي (بغداد، المجمع العلمي العراقي، ١٩٨٢/١٤٠٢): ص١٢٥.

(٤) المغازي: ٢٠٣/١-٢٠٥؛ ينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٥.

(٥) الذهبي، سير: ٩٦/٢.

(٦) ينظر مثلاً من وصفه بهذا: الدغمي، المرجع السابق: ص٥٧؛ وينظر أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية، وعصر الرسول ﷺ (القاهرة، دار الفكر العربي، د.ت): ص٥٢٤.

(٧) ظل مرابياً كبيراً إلى حجة الوداع: ابن هشام، المصدر السابق: ٨٥/٤.

وإسلام بعض أفراد أسرته المبكر، ثم إسلامه هو شخصياً فيما بعد، كل ذلك جعله قادراً على تقديم مساعدة قيمة إلى المسلمين في المدينة، وهذه المساعدة تمت على الأرجح، عبر اتصالاته مع تنظيم مكة. ولا تشير المصادر إلى أي اتصال علني، تم بينه وبين الرسول ﷺ بعد أسره في بدر، وإلى هجرته، إلا مرة واحدة في عمرة القضاء، عندما زوَّجه ميمونه الهلالية(1) شقيقة زوجته أم الفضل(2).

قيادة التنظيم:

هناك كثير من الأدلة، التي تشير إلى أن التنظيم بأقسامه الثلاث، كان بزعامة عبدالله بن نعيم النحام(3) والذي ينتمي إلى بني عدي، أحد بطون قريش، ورهط عمر بن الخطاب رضي الله عنه(4). ويبدو أنه كان يتزعم بني عدي، عند ظهور الإسلام(5)، وأسلم مبكراً حيث كان تسلسله في بيت الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي في رواية، الحادي عشر وفي رواية ثانية، الثاني والثلاثين من مجموع الأربعين، الذين كانوا يجتمعون في هذا البيت، والذين ختموا بعمر بن الخطاب، وكان ذا مال، وهو أحد مصادر القوة في مجتمع قبلي تجاري، كالمجتمع المكي، وهو ما مكنه من إعانة أرامل وأيتام بني عدي، وقد أشير إلى هذا السبب في تبرير بقائه في مكة. بعد أن أراد الهجرة، فتعهد بنو عدي بحمايته مهما كانت النتائج(6).

وهكذا يظهر لنا النحام، شخصية من الطراز الأول، وزعيماً لبني عدي، وذا مكانة بين

---

(1) ميمونة بنت الحارث: هي آخر امرأة تزوجها الرسول ﷺ وتوفيت سنة (٦١هـ/٦٨٠م) في منطقة سرف قرب مكة. ابن سعد، المصدر السابق: م٨: ص٩٤-١٠٠.

(2) الواقدي، المغازي: ٣/١١٠٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٥-٦.

(3) سمي النحام لقول الرسول ﷺ: [دخلت الجنة فرأيت فيها أبا بكر وعمر، وسمعت نحمة من نعيم، فسميت به]. هشام بن محمد الكلبي، جمهرة النسب، تحقيق ناجي حسن (بيروت، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية ١٤٠٧/١٩٨٦): ص١٠٧؛ وينظر الزبيري، المصدر السابق: ص٣٨٠؛ البلاذري، أنساب: الورقة ٥٣٧؛ ابن حجر، الإصابة: ٦/٤٥٨.

(4) خليفة، طبقات: ص٢٤.

(5) الزبيري، المصدر السابق: ص٣٨٠؛ وينظر ابن الكلبي، جمهرة: ص١٠٧؛ ابن حزم، جمهرة: ١/١٥٧.

(6) البلاذري، أنساب: الورقة ٥٣٧؛ وينظر ابن قدامة، المصدر السابق: ص١٨٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/٣٤٦.

قريش، ومع ذلك فإنه لا يمكن الركون، إلى ذلك الشق من الرواية، والذي يبرر بقاءه في مكة، بأنه كان بمبادرة من قومه، لأنه كان يعيل ضعفاءهم، فقد ندد القرآن الكريم[1] وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة[2] بمن لا يهاجر وتوعدهم بالعذاب الأخروي، ولذلك لا يمكن تبرير بقائه في مكة من غير موافقة، ولربما مباركة على الأرجح من المدينة، لتحقيق هدف مهم جداً، وهو تأمين قناة كفوءة لمراقبة تحركات مشركي قريش، الذين أعلنوا الحرب على الإسلام. فضلاً عن أهداف أخرى، مثل رعاية المسلمين، الذين بقوا في مكة مضطرين، ومساعدتهم، لا سيما المستضعفين منهم. ومما يدعم هذا الاستنتاج الاستقبال الحار، الذي لقيه النحام عند هجرته، فقد اعتنقه الرسول ﷺ، وقبّله وأثنى عليه وعلى رهط بني عدي[3].

لقد كان نعيم يتمتع بشخصية قيادية، على الصعيد التنظيمي، تميل إلى العمل بصمت من غير ضوضاء فعلى الرغم من كونه معروفاً بإسلامه، فإنه نجح في عدم استفزاز مشركي قريش، وتسلط الأضواء عليه، فشدة الوضوح تؤدي أحياناً إلى الخفاء. وهكذا لا توجد أي إشارة في المصادر، إلى أي احتكاك أو استفزاز، تعرض له أثناء بقائه في مكة. ويعود إلى تأثيره، وعدم مشاركة بني عدي، في معارك بدر وأُحد والخندق[4]. وهي حالة تستلفت الانتباه، وهو ما عبر عنه عمر بن الخطاب، في مدح نادراً ما يصدر عنه في مثل هذه المواقف، لا سيما لقومه الأدنيين ((يا بني عدي فيكم خصال، لم يشهد بدراً منكم أحد، ولم تفتح مكة، ومنهم مشرك))[5].

أما عن تاريخ هجرته، فقد وضعته بعض المصادر، بعد عام الحديبية من غير تحديد دقيق[6]، أي في السنة السابعة للهجرة، على أقل تقدير، واستناداً إلى ذلك يكون النحام،

---

(١) ينظر قوله تعالى: ﴿... الذين تتوفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم، قالوا فيم كنتم، قالوا كنا مستضعفين في الأرض، قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾. النساء، الآية: ٩٧.

(٢) ينظر حديث الرسول ﷺ : [أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله لِمَ؟ قال: لا تراءى نارهما]. الترمذي، صحيح: ١١٩/٢.

(٣) البلاذري، أنساب: الورقة ٥٣٧؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٤٦/٥؛ ابن حجر، الإصابة: ٤٥٩/٦.

(٤) الواقدي، المغازي: ٤٥/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٩١/٢.

(٥) البلاذري، أنساب: ٢٩١/١؛ وينظر الواقدي، مغازي: ٦٠٠/٢.

(٦) ابن حزم، جمهرة، ١٥٧/١؛ وينظر ابن قدامة، المصدر السابق: ص١٨٧؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٤٦/٥؛ ابن حجر، الإصابة: ٤٥٩/٦.

هو الشخص الذي اتصل به عمر بن الخطاب، بعد توقيع صلح الحديبية، لتحريض مستضعفي مكة على الالتحاق بأبي بصير[1]، عندما أقام له قاعدة على ساحل البحر الأحمر، فالتحق به سبعون رجلاً من المسلمين[2]، واضطرت مكة بعد ذلك نتيجة لنشاطه المدمر إزاء تجارتها، إلى التوسل بالرسول ﷺ لقبولهم فقبلهم[3].

إن شدة الانضباط لدى عناصر التنظيم، وقيادته هي التي تفسر لنا، عدم التقاء أي شخصية منهم مع الرسول ﷺ، في عمرة القضاء عام (٧هـ/٢٨٩م)، عند نزوله في الأبطح في ضواحي مكة[4] ويظهر أن الحاجة إلى خدمات التنظيم قلت بعد الحديبية، وعلى هذا الأساس يمكن تفسير هجرة النحام إلى المدينة، والتحاق كثير من أعضاء التنظيم بأبي بصير وهجرة من هاجر بعد ذلك إلى المدينة، حيث لا نجد لهم دوراً في فتح مكة، أو في مقابلتهم للرسول ﷺ بعد فتحها.

أعمال التنظيم ووسائل الدعم التي وفرها الرسول ﷺ له:

إن أعمال التنظيم الرئيسية، كانت تبليغه عن طبيعة الحركات العدائية، التي سوف يشرع بها مشركوا مكة، أو يقومون بها، لتهديد دولة الإسلام في المدينة. كذلك كان التنظيم على الأرجح، أهم القنوات التي حصل من خلالها المسلمون، على مواعيد انطلاق القوافل من مكة إلى الشام، أو تلك العائدة من الشام إلى مكة. وفيما يلي أهم الإنجازات التي قام بها التنظيم على الأرجح:

١. الإخبار عن قافلة عائدة من الشام إلى مكة، خرج المسلمون لاعتراضها بقيادة حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر في السنة الأولى من الهجرة[5].
٢. الإخبار عن قافلة بقيادة أبي سفيان، خرج المسلمون لاعتراضها بقيادة عبيد بن الحارث

---

(١) أبو بصير: هو عتبة بن أسيد الثقفي، حليف بني زهرة، وقيل: رجل من قريش، ابن عبدالبر، المصدر السابق: ٣/١٦١٢-١٦١٤.
(٢) الواقدي، المغازي: ٢/٦٢٧.
(٣) أبو يوسف، المصدر السابق: ص٤١٠؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٢/٦٢٩؛ الزبيري، المصدر السابق: ص٤٢٠.
(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٨٢٩.
(٥) المصدر نفسه: ١/٩-١٠؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٧٤؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧١؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٠٢.

في رابغ في السنة الأولى من الهجرة[1].

٣. الإخبار عن قافلة ستمر بالخرار[2]، خرج المسلمون لاعتراضها، بقيادة سعد بن أبي وقاص، في نهاية السنة الأولى من الهجرة[3].

٤. الإخبار عن قافلة ستمر في الأبواء[4] فخرج الرسول ﷺ لاعتراضها، وكانت أيضاً في نهاية السنة الأولى من الهجرة[5].

٥. الإخبار عن قافلة كبرى ستمر في بواط[6]، فخرج الرسول ﷺ لاعتراضها في بداية السنة الثانية للهجرة.

٦. الإخبار عن قافلة كبرى، خرجت بقيادة أبي سفيان إلى الشام، فخرج الرسول ﷺ لاعتراضها في ذي العشيرة[7]، في نهاية النصف الأول من السنة الثانية من الهجرة[8].

٧. الإخبار عن عودة القافلة نفسها من الشام[9]، والتي أدت إلى معركة بدر الكبرى.

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/١٠-١١؛ رابغ: تبعد ٢٠ كم عن الحجة، وتبعد الأخيرة عن ساحل البحر الأحمر ٤ كم. الواقدي، المغازي: ١/٢؛ وينظر إبراهيم بن محمد الاصطخري، المسالك والممالك (لندن، بريل، ١٩٢٧): ص٢٠.

(٢) الخرار: من ديار قبيلة ضمرة على الطريق إلى مكة قرب خم، والذي يبعد عن المدينة ٦ كم. البكري، المصدر السابق: ٢/٤٩٢؛ وينظر ياقوت، معجم البلدان: ٢/٤٠٩.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/١١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧١؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٠٣.

(٤) الأبواء: يقول عنها خليفة بأنها تبعد عن المدينة ٢٤٠ كم. تاريخ: ص٥٦، وقال عنها ياقوت تبعد عن الجحفة مما يلي المدينة ٤٦ كم. معجم البلدان، ١/٧٩.

(٥) الواقدي، المغازي: ١/١٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢ ، قسم ١: ص٣؛ البلاذري، أنساب: ١/٢٨٧.

(٦) بواط: من جبال قبيلة جهينة، بينها وبين المدينة ٧٢ كم. الواقدي، المغازي: ١/١٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤.

(٧) ذي العشيرة: منطقة تبعد عن المدينة ٢٠٦ كم. ابن سعد، المصدر السابق: م ٢ ، قسم ١: ص٤.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/١٢-١٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢ ، قسم ١: ص٤؛ البلاذري، أنساب: ١/٢٨٧.

(٩) عروة بن الزبير، مغازي رسول الله ﷺ ، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي (الرياض، مكتبة التربية العربي لدول الخليج العربي، ١٤٠١/١٩٨١): ص١٣٥؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٤٩؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٨٢؛ خليفة، تاريخ: ص٥٧؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٢١؛ الطبراني، المعجم الكبير: ١٤/١٧٤-١٧٤.

٨. الإخبار عن خروج قريش، لنجدة القافلة[١].

٩. الإخبار عن مدد، سينظم إلى المشركين في بدر[٢].

١٠. مراقبة تحركات كعب بن الأشرف، أحد سادة بني النضير في مكة، أثناء زيارته لها بعد معركة بدر، والذي وضع فيه قابلياته الشعرية في خدمة قريش، من خلال رثائه لقتلاها، وهجائه للمسلمين. والعمل في الوقت نفسه، على إشاعة شعر حسان بن ثابت، شاعر الرسول ﷺ، الذي كان يرد عليه[٣].

١١. إيصال رسائل قادمة من المدينة إلى مكة[٤].

١٢. مد يد العون في عمليات إنقاذ داخل مكة[٥].

١٣. إخبار عن تحركات قوات قريش إلى المدينة، في معركة أُحد، عن طريق العباس بن عبدالمطلب[٦].

١٤. توفير الدعم لبعض العمليات الخاصة، التي نفذت داخل مكة[٧].

جـ. عيون من قبيلة خزاعة:

إن قبيلة خزاعة مضرية حالها حال قريش، من حيث شجرة النسب[٨]، وكانت منازلها تمتد من مكة باتجاه الشمال ، والى الساحل في رابغ، وقديد[٩] وعسفان[١٠] وفي مر

---

(١) ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٨٧-١٨٨؛ ينظر الطبري، تاريخ: ٢/٤٣٣-٤٣٤؛ يوسف بن عبدالبر النمري، الدرر في اختصار المغازي والسير، تحقيق شوقي ضيف (القاهرة، لجنة إحياء التراث الإسلامي ١٣٨٦/١٩٦٦): ص١١١؛ سليمان بن يوسف الكلاعي، الاكتفاء في مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء، تحقيق مصطفى عبدالواحد (القاهرة، مكتبة الخانجي، بيروت، مكتبة الهلال، ١٩٦٨): ٢/١٩-٢٠.

(٢) ابن حجر، فتح الباري: ٨/١٨٧.

(٣) الواقدي، مغازي: ١/١٨٦-١٨٧؛ وينظر ابن القيم، أحكام: ٢/٨٥١.

(٤) الواقدي، مغازي: ٢/٧٤٧؛ وينظر الزبيري، المصدر السابق: ص٣٢٤.

(٥) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/١٣٨٤-١٣٨٥؛ وينظر علي بن برهان الدين الحلبي، إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون (القاهرة، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٨٤/١٩٦٤): ٣/١٥٧.

(٦) ينظر ص٦٤ من هذا الفصل.

(٧) ابن سعد، طبقات: م٤، قسم ١: ص٩٨.

(٨) ابن حزم، جمهرة: ٣/٢٣٥.

(٩) قديد: إحدى المواضع الواقعة قرب مكة. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٣١٣.

(١٠) البكري، المصدر السابق: ٣/٩٤٢-٩٤٣؛ عسفان: تقع بين مكة، والجحفة، تبعد عن مكة ٧٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٤/١٢٢.

الظهران[1] والوتير[2]، والفرع، وحدَّدَ العلي[3] منازلهم بأنها في ثلث الطريق بين المدينة، ومكة.

ويشير أحد الكتاب المحدثين[4]، إلى أنهم كانوا مستقرين أيضاً في مكة. والواقع أن المصادر لم تشر أبداً، إلى سكن أحد من خزاعة في مكة، باستثناء بديل بن ورقاء، ومولاه رافع. حيث كان لهم داران في مكة[5]. فالقرشيون كانوا يتحفظون بالسماح بالسكن في الحرم، لغير البطون القرشية، وهذا يعود إلى أنه لم يكن من مصلحة قريش، أن يشاركها أحد في الامتيازات الدينية التي تتمتع بها، وما يتبعها من مركز سياسي واقتصادي، واجتماعي. والاستثناءات التي تسكن مكة من العرب، والموالي من غير قريش، كان عليها أن ترتبط معهم برابطة الحلف، أو الولاء. أي أن يصبح في مصطلحات الوقت الحاضر، مواطناً من الدرجة الثانية[6].

إن أهم تفسير لتحالف خزاعة مع الرسول ﷺ، يعود إلى ارتباطهم بحلف قبل الإسلام مع عبدالمطلب بن هشام، جد الرسول ﷺ. وانتقل هذا الحلف من بعده، إلى الزبير بن عبدالمطلب، ثم إلى أخيه أبي طالب، ثم إلى أبي لهب[7]. فضلاً عن عامل آخر، وهو العامل الاقتصادي على الأرجح، فهناك مصلحة مشتركة بين للطرفين، لا سيما خزاعة. وإذا كان الباحث لا يستطيع أن يورد تفاصيل، تدعم هذا الافتراض، نتيجة لسكوت المصادر عنه، فإن مما يعزز هذا الافتراض، أنه يمكن أن يبرر وقوف الخزاعي المسلم، مع الرسول ﷺ تديُّناً، فكيف يفسر وقوف المشرك الخزاعي معه، فلا بد أن يكون هناك مصلحة معينة، كأن تنال خزاعة تسهيلات تجارية معينة، أو مساعدات غذائية من دولة المدينة.

ويحدد أحد الباحثين[8]، بداية العلاقة الإيجابية، بين الطرفين في السنة الثانية من الهجرة،

---

(١) البكري، المصدر السابق: ١٢١٢/٤؛ مر الظهران: واد يبعد عن مكة ٢٢٥ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٥٣/٥.

(٢) الواقدي، المغازي: ٧٨٣/٢؛ الوتير: وهي من منازل قبيلة خزاعة ما بين عرفة إلى أدام. ياقوت، معجم البلدان: ٣٦١/٥.

(٣) الدولة في عهد الرسول: ٢٧٩/١.

(٤) عون الشريف قاسم، نشأة الدولة الإسلامية على عهد الرسول ﷺ (بيروت، دار الكتاب اللبناني، ١٤٠١): ص٤٧.

(٥) الواقدي، المغازي: ٧٨٣/٢.

(٦) وإن كان هناك استثناءات لهذه المنزلة، مثل الأخنس بن شريف في بني زهرة. الواقدي، المغازي: ٤٤/١-٤٥.

(٧) البلاذري، أنساب: ٧٢/١.

(٨) قاسم، المرجع السابق: ص٤٨-٥٠، ٥٢.

حيث عقد معها الرسول ﷺ معاهدة، وإن عدم إبداء قريش لأي معارضة، يدل على أن هذه المعاهدة كانت سرية، وكانت خزاعة ملزمة بمقتضاها بنقل المعلومات والأخبار، عن المكيين إلى الرسول ﷺ. إن هذا الموقف المتعاطف والمتعاون من خزاعة، قد جعل كتّاب السيرة، والحديث، والمغازي يصفونها تارة بأنها عيبة[1]، مسلمهم، ومشركهم لا يخفون عنه شيئاً بمكة[2]، وفي تهامة[3].

ويظهر أثر التعاون الإخباري، بين الرسول ﷺ، وخزاعة بصورة واضحة، في أُحد، حيث يشير الواقدي[4] إلى أن عمرو بن سالم الخزاعي[5] قدم مع نفر من خزاعة قطع المسافة في أربعة أيام، إلى الرسول ﷺ عند شروع قريش بالتحرك إلى المدينة، وعندما وصل أبو سفيان مع قواته إلى الأبواء، أُخبروا أن عمرو وجماعته، قد مروا مساءً في اليوم السابق، إلى مكة، فاقتنع بأنهم غادروا بعد أن بلغوا الرسول ﷺ بخبر مسيرهم إليه، وبذلك لم يعد الأمر مفاجئاً للمسلمين، وهو لم يكن يرجوه أبو سفيان.

كما يظهر دور خزاعة في حمراء الأسد[6]، حينما قام معبد الخزاعي[7]، بشن حرب نفسية على قريش، أدت إلى اتخاذ قرار العودة إلى مكة[8]، كما يظهر دور معبد مرة ثانية في بدر الموعد، عندما قام بنفس الدور[9]، وكانت الأخبار التي نقلتها عيون خزاعة، في الخندق، عن شروع قوات قريش بالتحرك إلى المدينة[10] بالغة الأهمية من حيث التوقيت

---

(١) عيبة: تسمى الصدور العياب لأنها تحفظ الأسرار، وعيبة الرجل موضع سره. ابن منظور، المصدر السابق: ٦٣٤/١.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق: ١٩٩/٣؛ وينظر الحلبي، المصدر السابق: ٦٩٥/٢.

(٣) الواقدي، المغازي: ٧٩١/٢؛ ينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤٤/٣؛ الطبري، تاريخ: ٥٣٥/٢؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٤٢٨/٣.

(٤) المغازي: ٢٠٥/١.

(٥) عمرو بن سالم: أحد زعماء خزاعة، ولم يكن مسلماً خلال هذه الفترة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١١٧٥/٣-١١٧٦؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٢٤/٤-٢٢٥.

(٦) حمراء الأسد: منطقة تبعد عن المدينة ٣٦٠ كم. البكري، المصدر السابق:٤٦٨/٢؛ الفيروزآبادي، المغانم المطابة: ص١١٩.

(٧) معبد الخزاعي: لم يكن مسلماً خلال هذه الفترة. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢١٧/٥-٢١٨.

(٨) الواقدي، المغازي: ٣٣٨/١-٣٣٩؛ وينظر خليفة، تاريخ: ٧٤/١؛ الطبري، تاريخ: ٥٣٥/٢.

(٩) الواقدي، المغازي: ٣٨٨/١-٣٨٩؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ١٢٣/٣.

(١٠) الواقدي، المغازي: ٤٤٤/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٨.

للشروع في اتخاذ الموقف الملائم. كما يشير الواقدي[1]، في الحديبية إلى أن الرسول ﷺ عندما وصل إلى ذي الحليفة[2] أرسل أحد عيونه من خزاعة، وهو بسر بن سفيان[3] إلى قريش، وطلب منه أن يأتيه بردود أفعالهم، وعاد إلى الرسول ﷺ. فالتقاه في غدير الأشطاط[4]، كما يلاحظ تعاون بديل بن ورقاء، أيضاً مع الرسول ﷺ في الحديبية.

د. عيون من قبيلة جهينة:

سكنت هذه القبيلة القضاعية[5] مناطق واسعة على الطريق بين مكة والمدينة، وبعض منازلها أقرب إلى المدينة منها إلى مكة، كما هو الحال مع فرش ملل، التي تبعد عن مكة ٣١٥ كم، وعن المدينة ٤٥ كم[6] كما أنها سكنت المناطق الساحلية، لا سيما في الحوراء، وراء ذي المروة[7]، وفي ينبع، وبواط، وبدر، والروحاء[8]، وفي السلسلة الجبلية المشرفة على الساحل، مثل الأشقر، والأجرد، وقدسا، وآرة، ورضوى[9].

ويعود أول اتصال للرسول ﷺ، مع هذه القبيلة، في أحداث سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر، حيث حال مجدي بن عمرو، سيد جهينة دون الصدام بين قوات قريش المكلفة بحماية القافلة، وسرية حمزة، وسرعان ما قابل الرسول ﷺ، التفاتة مجدي بأحسن منها، عندما استقبل وفد من القبيلة في المدينة، وأثنى على سيدهم مجدي[10]، ووردت أول إشارة إلى هذه القبيلة، على صعيد المعلومات، في أحداث معركة بدر، حيث بلغ عدد

---

(١) المغازي: ٢/٥٨٠-٥٨١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٣٠؛ البخاري، صحيح: ٣/٤٥؛ الطبري، تاريخ: ٢/٦١٢-٦٢٢.

(٢) ذي الحليفة: قرية بينها وبين المدينة ١٣ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٢/٢٩٥.

(٣) بسر بن سفيان: أسلم في الحديبية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/١٦٦.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/١٨٥، ٥٩٣-٥٩٥؛ ينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٩٧؛ غدير الأشطاط: تقع وراء عسفان. ابن سعد، طبقات: م٢ قسم١: ص٦٩. وعسفان من نواحي مكة. ينظر هامش حمد الجاسر. الفيروزآبادي، المغانم المطابة: ص١٣٩.

(٥) ابن حزم، جمهرة: ص٤٤٤.

(٦) البكري، المصدر السابق: ١/٣٦.

(٧) الواقدي، المغازي: ١/١٩.

(٨) البكري، المصدر السابق: ١/٣٨.

(٩) المصدر نفسه: ١/٩٠.

(١٠) الواقدي، المغازي: ١/٩-١٠.

عيونه من جهينة، خمسة من مجموع أحد عشر عيناً، تعاونوا في رفد الرسول ﷺ، بآخر أخبار القافلة العائدة، من الشام بقيادة أبي سفيان، وهم كشد الجهيني(١)، وبسيسة الجهني(٢) وعدي بن أبي الزغباء الجهني(٣) وبسبس بن عمرو الجهني(٤)، ابن الأريقط الجهني(٥).

ويلفت الانتباه موقف كل من كشد، ومجدي، ففي الوقت الذي تعاون فيه كشد، مع عيني رسول الله ﷺ طلحة بن عبيدالله(٦) وسعيد بن زيد(٧)، سواء في توفير المأوى والمأكل، والمساعدة الضرورية، ثم من خلال محاولته إقناع أبي سفيان، بعدم تواجد عيون الرسول ﷺ في منطقته، فإن موقف مجدي كان مغايراً له، حيث قرر في آخر لحظة، تقديم ما لديه من معلومات خدمت أبا سفيان بصورة غير مباشرة، وأدت إلى إنقاذ القافلة(٨). ولا

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم ١: ص٦؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ١٤/٨٤-٨٥.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٢١٧؛ وينظر أبو داود: سنن: ٣/٣٩؛ أحمد بن عبدالله الأصفهاني، معرفة الصحابة، تحقيق محمد راضي بن حاج عثمان (المدينة المنورة، مكتبة الدار، الرياض، مكتبة الحرمين، ١٤٠٨/١٩٨٨): ٣/١٧٥-١٧٦. بسيسة الجهني: إن طبيعة التشابه بين بسيسة وبسبسة قادت المؤرخين إلى عدم التفريق بينهما، وهو ما وقع فيه بعض من ترجم للصحابة، بينما هما اثنان وليس واحد. ينظر السهيلي، الروض الأنف: ٣/٤٤؛ ابن حجر، الإصابة: ١/٢٨٨؛ وأرجع البعض الأمر إلى التصحيف. أبو داود: سنن: ٣/٣٩؛ وورد في مصادر أخرى باسم بسبس فقط. الواقدي، المغازي: ١/٥١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٢٨٩.

(٣) عدي بن أبي الزغباء: حليف لبني النجار، شهد بدراً وسائر المشاهد، توفي في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. ابن عبد البر، الاستيعاب: ٣/١٠٥٩.

(٤) بسبس الجهني: حليف بني ساعدة من الخزرج. ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٢١٣.

(٥) الدياربكري، المصدر السابق: ١/٣٧٢؛ وينظر عبدالله بن حسين العصامي، سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي (القاهرة، المكتبة السلفية، ١٣٨٠): ٢/١٨؛ ابن الأريقط: لم أعثر له على ترجمة مما يدل على عدم إسلامه.

(٦) طليحة بن عبيدالله: من بني تيم من قريش، أحد العشرة المبشرين بالجنة، توفي عام (٣٦هـ/٦٥٦م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٧٦٤-٧٧٠؛ وينظر ابن الأثير: أسد الغابة: ٣/٨٥-٨٩.

(٧) سعيد بن زيد: من بني عدي من قريش، أحد العشرة المبشرين بالجنة توفي عام (٥٠هـ/٦٧٠م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٦١٤-٦٢٠؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/٣٨٧-٣٨٩.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/٤٠-٤١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٤٩؛ ابن هشام، المصدر السابق:٢/١٩٠؛ ابن سعد، المصدر السابق:م٢، قسم١: ص٧؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٣٣-٤٣٧.

يفسر موقف مجدي هذا، بأنه كان عيناً لأبي سفيان، كما اعتقد ابن عبدالبر[1]، فقد كان مودعاً للطرفين، إلا أنه قرر في اللحظة الأخيرة، أن يحافظ على مصالحة الاقتصادية المهمة مع قريش، على مجرد الالتزام بموادعة مع الرسول ﷺ، لم يجن ثمارها بعد، لا سيما بعد أن هدده أبو سفيان بلباقة، ولكن بحزم بأنه في حالة عدم إعطائه معلومات صحيحة، سيتحمل النتائج المترتبة على ضياع قافلة فيها أموال عائدة لكل قريش ((... لئن كتمتنا عدونا لا يصالحك رجل من قريش ما بل بحر صوفة))[2].

وفي أُحد، نجد أن الرجل الذي أرسله العباس إلى الرسول ﷺ، حاملاً كتابه كان من جهينة[3]، كما قام جندب بن مكيث الجهني[4]، بدوره كعين في سرية غالب الليثي إلى بني الملوح بالكديد[5]، ومن أشهر عيون رسول الله ﷺ، من هذه القبيلة عبدالله بن أنيس الجهني[6]، الذي اشتهر في العمليات الخاصة.

هـ. عيون من قبيلة ضمرة:

تعد ضمرة إحدى بطون بكر بن عبد مناة من مُضَر[7]، وكانت منازلها على الطريق الجنوبي ما بين مكة والمدينة في ودان[8]، وفي العشيرة[9]، وفي الهدة على بعد ١٤ كم من عسفان[10]. وعلى ساحل البحر[11]، وفي الخرار[12]، وكان أول اتصال، بين الرسول ﷺ، وهذه القبيلة، على خلفية غزوة الأبواء، حيث عقد اتفاقية موادعة مع مخشي بن عمرو، سيد بني ضمرة [على أن لا يكثروا عليه، ولا يعينوا أحداً] حسبما أشار إلى ذلك الواقدي[13]،

---

(١) الدرر: ص١١٢. (٢) الواقدي، المغازي: ٤١/١.

(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٤٧/٢؛ ولدى البلاذري روايتان عن الرجل، الأولى تجعله من كنانة، والثانية من غفار. أنساب: قسم٣: ص٣.

(٤) جندب بن مكيث: استعمله الرسول ﷺ على صدقات جهينة. ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٦٢/١.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٠.

(٦) عبدالله بن أنيس: حليف لبني سلمة، كان مهاجرياً، أنصارياً، عقبياً توفي سنة (٥٤هـ/٦٧٣م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٦٩/٣-٨٧٠؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١٧٩/٣-١٨٠.

(٧) ابن الكلبي، جمهرة: ص١٥٢-١٥٣؛ وينظر ابن حزم، جمهرة: ١٨٥/١.

(٨) الواقدي، المغازي: ٣٨٨/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٢٨٧/١؛ الطبري، تاريخ: ٤٠٣/٢٠.

(٩) البكري، المصدر السابق: ٩٤٥/٣. (١٠) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٧.

(١١) الواقدي، المغازي: ٥٨٦/١، ٩٩٠/٣. (١٢) البكري، معجم ما استعجم: ٤٩٢/٢.

(١٣) المغازي: ١١/١-١٢.

في حين أشار البلاذري[1] إليها بصورة أخرى [... أن لا يغزوهم، ولا يغزونه، ولا يعينوا عليه أحداً] وبرغم الصفة الحيادية الغالبة، على النصين عن موقف ضمرة، من الطرفين المتصارعين، إلا أن قراءة متأنية تكشف في الوقت نفسه، عن ميل أكثر لهذه القبيلة، إلى جانب الرسول ﷺ، والى رغبة أكيدة في التعاون معه، فعبارة [لا يعينوا عليه أحداً] يمكن قراءتها بعدم التدخل، والتغاضي عما يجري على أراضيها، من نشاط لعيون الرسول ﷺ، ورجاله الذين يراقبون قوافل قريش، ويعترضون طريقها. ويبرر أحد الباحثين[2] رغبة ضمرة في التعاون، بسبب قربها من المدينة، وربما كانت سوقهم ومصدر رزقهم. وفعلاً فقد ظل مخشي الضمري ملتزماً بالموادعة، إلى ما بعد سنة (٤هـ/٦٢٥م) حيث سكتت المصادر عن الإشارة إلى مصيره، وربما يعود سكوتها إلى وفاته مشركاً بعد هذا التاريخ[3]. ومن أشهر العيون الذين عملوا مع الرسول ﷺ من هذه القبيلة عمرو بن أمية الضمري[4].

و. عيون من قبيلة أسلم:

ارتبطت هذه القبيلة المضرية، شقيقة خزاعة في النسب[5]، مع الرسول ﷺ بصورة مبكرة، حيث أسلم قسم منها، عندما كان الرسول ﷺ، في طريقه أثناء الهجرة إلى المدينة[6]، وقبلت الإسلام ديناً في السنة الثانية من الهجرة[7]. وتمكن أهمية أسلم، في موقعها الجغرافي على الطريق التجاري، ما بين مكة والمدينة، ومن منازلها غدير الأشطاط[8]، والعرج[9]، والفرع[10]، وقد وردت أسماء، لعيون ينتمون إلى هذه القبيلة منذ فترة مبكرة، حيث يشير

---

(١) أنساب: ٢٨٧/١؛ محمد بن محمد بن سيد الناس، عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير (القاهرة، مكتبة القدسي، ١٣٦٥): ٢٢٤/١-٢٢٦.

(٢) قاسم، المرجع السابق: ص٤٤.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٨٨/١؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٥٦٠/٢-٥٦١.

(٤) عمرو بن أمية: أسلم بعد غزوة أُحد، وكان مشهوراً بالجراءة والنجدة عاش إلى خلافة معاوية، ومات في المدينة. ابن حجر، الإصابة: ٦٠٢/٤-٦٠٣.

(٥) ابن حزم، جمهرة: ٢٣٥/٣.

(٦) الواقدي، المغازي: ٧٨٢/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢ قسم١: ص٩٧.

(٧) قاسم، المرجع السابق: ص٥٣-٥٤؛ محمد حميدالله، مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة (بيروت، دار النفائس، ١٤٠٣/١٩٨٣): ص٢٧١-٢٧٣.

(٨) الواقدي، المغازي: ٧٩٢/٣.

(٩) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٢؛ العرج: من بلاد قبيلة أسلم تبعد عن المدينة ١٤٨كم. ابن خرداذبة، المسالك والممالك: ص١٣٠؛ البكري، المصدر السابق: ٩٣١/٣.

(١٠) الواقدي، المغازي: ٩٩٠/٣.

ابن سعد[1]، إلى دور أبو تميم الأسلمي[2]، في أحد، عندما أرسل غلامه من العرج، مخبراً رسول الله ﷺ، بتقدم قوات قريش إلى المدينة، كما أرسل الرسول ﷺ ثلاثة من هذه القبيلة، في اليوم التالي من المعركة للتأكد من نوايا العدو، الذي كان ينزل الروحاء على بعد ٧٢ كم من المدينة، وقد استشهد اثنان منهم في حمراء الأسد، وهما سليط وسفيان ابنا عوف الأسلمي، وهما يحاولان مراقبة العدو[3]. وقام الرسول ﷺ بإرسال بريدة بن الحصيب[4] كعين له في غزوة بني المصطلق[5]. وفي الحديبية كان أحد عيونه من أسلم وهو ناجية الأسلمي[6]، وفي غزوة حنين، برز عبدالله بن أبي حدرد[7]، كعين أرسله الرسول ﷺ إلى قيادة هوازن لجمع المعلومات عن أهدافها وخططها[8]. كما قام بصفته عيناً بدور الدلالة، لقوات المقدمة بقيادة خالد بن الوليد، في الهجوم غير الموفق في الصفحة الأولى من معركة حنين[9]، وبرز أيضاً كقائد لمجموعة نفذت عملية خاصة، استهدفت القضاء على أحد قادة الأعراب وهو رفاعة بن رافع الجشمي في منطقة الغابة القريبة من المدينة[10]، وبرز سلمة بن الأكوع، في غزوة بني لحيان كعين للرسول ﷺ[11].

---

(١) الطبقات: م٤، قسم ٢: ص٤٢.

(٢) أبو تميم الأسلمي: لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٣٧/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٤، ٣٥؛ ابن حزم، جمهرة: ٢٤٠/٣؛ ابن الأثير: أسد الغابة: ٥٥/٥؛ علي بن أبي بكر الهيثمي، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (بيروت، دار الكتاب ١٩٦٧): ١٣٥/٦.

(٤) بريدة بن الحصيب: أسلم قبل بدر ولم يشهدها، وشهد الحديبية، والمشاهد بعدها. مات في مرو في إمرة يزيد بن معاوية. ابن عبد البر، الاستيعاب: ١٨٥/١-١٨٦؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٠٩/١-٢١٠.

(٥) الواقدي، المغازي: ٤٠٤/١-٤٠٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٥؛ ابن سيد الناس، المصدر السابق: ٩٢/٢.

(٦) السهيلي، المصدر السابق: ٤٧٨/٦؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٩٣/٣؛ ناجية الأسلمي: مات في خلافة معاوية في المدينة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٥٢٢/٤-١٥٢٣؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٩٤/٥-٢٩٥.

(٧) عبدالله بن أبي حدرد: كانت الحديبية أول مشاهده؛ وشهد المشاهد بعدها، مات سنة ٧١هـ/٦٩٠. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٨٧/٣-٨٨٨؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٢١٠/٣-٢١١.

(٨) الواقدي، المغازي: ٨٩٣/٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٦٢/٤؛ الطبري، تاريخ: ٧٣/٣.

(٩) البسوي، المصدر السابق: ٢٦٥/١.

(١٠) ابن هشام، المصدر السابق: ٢٠٣/٤؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ٧٨/٢؛ الطبري، تاريخ: ٣٤/٣-٣٥.

(١١) مسلم، المصدر السابق: ١٩١/٥.

ز. عيون من قبيلة غطفان:

تعد غطفان إحدى القبائل القيسية[1]، وتعد أشجع إحدى بطونها[2]، وتسكن هذه القبيلة في شمال المدينة، في قرارة الكدر[3]، والطرف[4]، وقرب خيبر[5]، وحيفاء[6]، والجناب[7]، وكان أول اتصال للرسول ﷺ مع أشجع في أحداث معركة الخندق، حيث أسلم نعيم بن مسعود[8]، ولعب دوراً بارزاً في التخذيل بين الأحزاب، وقد أشارت المصادر إلى أربعة عيون أخرى من أشجع، وهم خارجة بن حسيل الأشجعي[9]، والذي نقل إلى الرسول ﷺ أخبار أسير بن زرام قائد يهود خيبر، ومحاولته إقامة تحالف مع غطفان ضد الرسول ﷺ[10]. كما وردت الإشارة إلى حسيل بن نويرة[11]، والذي نقل إلى الرسول ﷺ أنباء تحشد غطفان في منطقة الجناب[12]. وورد ذكر عينين آخرين وهما حسيل بن خارجة[13]، وعبدالله بن نعيم[14]، في معركة خيبر[15]، ولا بد من الإشارة إلى أن أشجع، كان لها في الوقت نفسه عيون وجواسيس، عملت لمصلحة الأعداء من يهود خيبر[16].

---

(١) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص٤١٣؛ وينظر ابن حزم، جمهرة: ٢٤٨/٣.

(٢) المصدر نفسه: ص٢٤٩.

(٣) الواقدي، المغازي: ١٨٢/١؛ قرارة الكدر: منطقة تبعد عن المدينة ١٩٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٤٤١/٤.

(٤) الواقدي، المغازي: ٥٥٥/٢؛ الطرف: ماء يبعد عن المدينة ٧٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٣١/٤.

(٥) الواقدي، المغازي: ٦٣٧/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٦٥١/٢؛ حيفاء: من منازل غطفان لم تحدد المصادر موقعها.

(٧) المصدر نفسه: ٧٢٧/٢.

(٨) نعيم بن مسعود: أسلم في أحداث الخندق، سكن في المدينة ومات في خلافة عثمان. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٥٠٨/٥-١٥٠٩.

(٩) خارجة بن حسيل: لم أعثر على من ترجمه.

(١٠) الواقدي، المغازي: ٥٦٦/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ أحمد بن علي المقريزي، إمتاع الأسماع بما للرسول من الأبناء والأموال والحفدة والمتاع، تحقيق محمود محمد شاكر (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٤١): ص٢٧٠.

(١١) حسيل بن نويرة: كان دليل الرسول ﷺ إلى خيبر. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣٥٢/١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١٧/٢.

(١٢) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢١.

(١٣) حسيل بن خارجة: أسلم يوم خيبر وشهد فتحها. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤٠٨/١.

(١٤) عبدالله بن نعيم: لم أعثر له على ترجمة.

(١٥) الواقدي، المغازي: ٦٣٩/٢.

(١٦) المصدر نفسه: ٤٦٠/٢-٤٦١.

ع. عيون من قبائل أخرى:

هناك عيون من قبائل أخرى في الجزيرة العربية، أثبتت الأحداث فعاليتهم، ودقة تقاريرهم، ولكن لم تصلنا أسماؤهم، كما أن قبائلهم ظلت في حالة عداء مع دولة الإسلام في المدينة، إلى فترة متأخرة، ويبدو أن هذه العيون، هي في الغالب عبارة عن أفراد، من هذه القبائل، أسلمت وأخفت إسلامها، وكانت على اتصال دائم مع الرسول ﷺ كلما احتاج إلى تقاريرها[(١)].

ط. عيون من اليهود:

على الرغم من أن اليهود، وقفوا موقفاً معادياً للدعوة الإسلامية، منذ البداية، إلا أفراداً منهم اعتنقوا الإسلام، خلال مسيرة الدعوة الإسلامية في المدينة، ومن أبرزهم عبدا لله بن سلام الذي كان من أحبارهم[(٢)]، ومخيريق اليهودي[(٣)]، وأشير إلى عشرة رجال من يهود المدينة، لم تذكر أسماؤهم وعشائرهم، قاتلوا مع الرسول ﷺ ضد يهود خيبر[(٤)]. وعلى صعيد العيون والجواسيس وردت إشارات مهمة، عن تعاون في تسريب المعلومات، من داخل القواعد اليهودية إلى الجانب الإسلامي، فقد أشير إلى امرأة من بني النضير، أرسلت منذرة عن مؤامرة يحيكها يهود بني النضير، لقتل الرسول ﷺ عندما دعوه إلى زيارتهم[(٥)]، كما وقفت امرأة أخرى من بني النضير، داعمة بالمشورة والطعام والمأوى، للوحدة الخاصة المرسلة لتصفية أبي رافع اليهودي في خيبر[(٦)]، وسجلت أحداث الخندق معلومات تسربت مرتين من داخل حصون بني قريظة، إلى الجانب الإسلامي، عندما بلغ الصراع أشده بين الأحزاب والرسول ﷺ، الأولى تتعلق بخيانة بني قريظة[(٧)]، والثانية تتعلق بخطة حيي بن

---

(١) ينظر مثلاً الواقدي، المغازي: ٢/ ٧٧٠-٧٧١؛ اليعقوبي، تاريخ: ٢/ ٦٢.

(٢) عبدا لله بن سلام: من اليهود الذين أسلموا مبكراً وهو من بني النضير، كان حليفاً للخزرج، توفي في خلافة معاوية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/ ٩٢١-٩٢٣.

(٣) مخيرق: من أحبار اليهود، آمن بالرسول ﷺ ، وقاتل معه في أُحد واستشهد. الواقدي، المغازي: ١/ ٢٦٢-٢٦٣.

(٤) المصدر نفسه: ٢/ ٦٨٤.

(٥) الصنعاني، المصدر السابق: ٥/ ٣٥٩.

(٦) خليفة، طبقات: ص١٠٣؛ وينظر الواقدي، المغازي: ١/ ٣٩١.

(٧) الواقدي، المصدر السابق: ٢/ ٤٥٧؛ وينظر البخاري، صحيح: ٣/ ٣٣؛ المصدر السابق: ٣/ ٣١٨؛ الطبري، تاريخ: ٢/ ٥٧١-٥٧٢؛ الكلاعي، الاكتفاء: ٢/ ١٦٤.

أخطب للهجوم على قلب المدينة[1].

ي. عيون من الشام:

نجح الرسول ﷺ بعد تجميد الصراع مؤقتاً، مع قريش في صلح الحديبية، في إقامة قواعد للعيون في الشام، لا سيما في أطرافها الجنوبية، المتاخمة لجزيرة العرب، حيث أشير إلى فروة الجذامي حاكم معان للبيزنطيين، والذي اعتنق الإسلام، مما دفع البيزنطيين إلى إعدامه[2]. كما أشير إلى حاجب حاكم بصرى الغساني، الذي أسلم بدوره، وراسل الرسول ﷺ[3]. وقد أثبتت حملة مؤتة وجود عيون محلية، على الأرجح في المنطقة، تعاونت معهم، عبر إرسالهم معلومات عن حجم القوة البيزنطية، وحلفائها[4]، وتكرر الأمر نفسه، خلال الأحداث التي أدت إلى خروج الرسول ﷺ، في حملته الكبيرة إلى تبوك[5]، وتفسر سرية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح[6]. وسرية علقمة بن مجزز إلى الداروم[7]، على أنهما استمرار للجهود المبذولة لإقامة قواعد، وجمع مزيد من المعلومات عن هذه المنطقة.

ك. التجار:

يعد التجار، أقدم صورة للجواسيس عبر التاريخ، وظلوا كذلك طيلة العصور الوسطى، وهؤلاء التجار قد يكون بعضهم مجنداً للعمل عيوناً، والبعض الآخر يتكلم عرضياً فيستفاد من المعلومات التي يحملها. ففي غزوة ذي الرقاع، نجد أن تاجراً مجهولاً قدم المدينة ببضاعة له فباعها في سوق النبط، وعندما سأله التجار، من أين جلب هذه البضاعة،أخبرهم أنه قدم بها من نجد، حيث شاهد تجمعاً من قبيلتي محارب، وثعلبة، التابعتين لغطفان يعدون العدة للإغارة على المدينة، فخرج الرسول ﷺ، في حملة إجهاضية استناداً إلى هذه المعلومات[8].

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/٤٥٨-٤٥٩؛ وينظر ابن هشام، السيرة: ٣/١٣٢-١٣٣؛ الطبري، تاريخ: ٢/٥٦٩.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة: ٧/٣٥٧.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم ١: ص٦٦.

(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٧٦٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٣٧؛ ابن عبدالبر، الدرر: ص٢٢٢.

(٥) البخاري، صحيح: ٣/٧٣.

(٦) الواقدي، المغازي: ٢/٧٥٢-٧٥٣؛ وينظر محمد بن حبيب البغدادي، المحبر، تحقيق إيلزة ليختستين شتيتر (بروت، المكتب التجاري، ١٣٦١): ص١٢٠.

(٧) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص١٥٩.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/٣٩٥-٣٩٦؛ وينظر الهيثمي، مجمع الزوائد: ٦/١٩١.

كما أن مما يلتف الانتباه أيضاً، إلى أن أحد أسباب غزوة دومة الجندل[1]، هو سوء معاملة قبائل المنطقة للتجار المارين بهم[2]، وهذا الاهتمام من قبل الرسول ﷺ يشير إلى أن دولة الإسلام في المدينة كانت تحاول دائماً أن توفر الظروف الشرعية للتجار للعمل بنجاح، وتعمل في الوقت نفسه على كسب هؤلاء التجار إلى جانبها من خلال إشعارهم بحجم المكاسب التي يمكن أن يحصلوا عليها في حالة تعاونهم المخلص مع الجانب الإسلامي، لا سيما على صعيد المعلومات كما تشير سوء المعاملة التي لقيها التجار المارون بدومة الجندل، إلى إحساس سكان هذه المنطقة وقبائلها بتعاون هؤلاء التجار مع الرسول ﷺ على الأرجح اقتصادياً، وإخبارياً، لا سيما وأن قبائل هذه المنطقة من قضاعة وغسان التابعين للبيزنطيين.

ووردت إشارة إلى دور التجار الأنباط في غزوة تبوك، الذين كانوا يترددون بصورة دائمة إلى المدينة حيث نقلوا إلى البيزنطيين أخباراً غير صحيحة عن وفاة الرسول ﷺ، وعن تردي المستوى الاقتصادي للمسلمين. وعلى ضوء هذه المعلومات حرك البيزنطيين قواتهم[3]. وفي الوقت نفسه نجد هؤلاء التجار الأنباط، هم الذين نقلوا إلى المسلمين، أخباراً عن تحشدات البيزنطيين في البلقاء[4]، وأكدتها مصادر أخرى[5].

ل. الرسل:

يشير ابن سعد[6]، إلى أن الرسل، الذين أرسلهم الرسول ﷺ إلى الملوك والذين كان منهم أربعة من غير العرب، وهم قيصر ملك البيزنطيين، وكسرى ملك الساسانيين، والمقوقس حاكم مصر، والنجاشي ملك الحبشة، كانوا يتكلمون لغات الدول، التي أرسلوا إليها. وهذا ضروري جداً، من أجل أن يعرف المرسل تطورات الأوضاع، التي تسود الدولة التي أرسلوا إليها. ومن أجل أن يكون الحوار مباشراً فيما بينهم. ومنذ زمن الرسول ﷺ ظهرت البدايات التأسيسية، لما سمي فيما بعد في العهد الأموي بـ (ديوان الرسائل)، من

---

(١) دومة الجندل: تبعد عن المدينة حوالي ١٧٥ كم شمالاً، ينظر الحلبي، إنسان العيون: ٥٨١/٢.

(٢) الواقدي، المغازي: ٤٠٣/١.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ١٩٤/١٨؛ وينظر الحلبي، المصدر السابق: ٩٩/٣.

(٤) الواقدي، المغازي: ٩٩٠/٣.

(٥) أحمد بن حنبل، المسند، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة، دار المعارف، ١٣٦٨/١٩٤٩): ٢٠٣/١.

(٦) الطبقات: م١، قسم٢: ص١٥.

خلال محاولة زيد بن ثابت[1]، تعلم اللغات الحبشية، والقبطية، واليونانية، والفارسية[2]. وبرز دور الرسول في أحداث خيبر، حيث نجد أن الرسول ﷺ، أرسل محيصة بن مسعود الحارثي، إلى يهود فدك، للتفاوض معهم. ونجح بعد مفاوضات صعبة، في إرغامهم على طلب الصلح، بشروط المسلمين[3]. وقد نقل الرسل الذين أرسلهم الرسول ﷺ، إلى الملوك، والزعماء، داخل الجزيرة، وخارجها، صورة عن المناطق التي أرسلوا إليها[4].

م. عمال الصدقات:

أشير إلى عمال الصدقات، في أواخر عهد الرسول ﷺ، كأحد مصادر المعلومات، فهم فضلاً عن تمثيلهم للرسول ﷺ، في القبائل التي أرسلوا إليها، لغرض جمعهم للزكاة كانوا يرسلون إليه أخباراً، عن تطورات الموقف، في هذه القبائل، لا سيما وأن قيادات هذه القبائل، ظلت كما هي من الناحية السياسية، تمشياً مع المرونة التي تبعها الرسول ﷺ في سياسته مع القبائل الحديثة الإسلام. مثال ذلك، قيام سنان بن أبي سفيان[5] عامل الصدقات، على بني مالك بإرساله خبر تنبؤ طليحة الأسدي، إلى الرسول ﷺ[6].

ن. معلومات جاءت عن طريق الصدفة، فأحسن استغلالها:

تأتي أهمية هذه القناة، من خلال الأخبار التي وصلت عن طريقها، فقد جاءت عن طريق الصدفة، أخبار خروج قافلة قرشية، بقيادة صفوان بن أمية، تسلك طريق العراق إلى

---

(١) زيد بن ثابت: من الخزرج، كان عمره عند هجرة الرسول ﷺ، أحدى عشرة سنة، شهد الخندق وما بعدها، كان يكتب للرسول ﷺ. توفي سنة (٤٥هـ/٦٦٥م). ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٢٧٨-٢٧٩.

(٢) علي بن الحسين المسعودي، التنبه والأشراف، تحقيق عبدالله اسماعيل الصاوي (القاهرة، دار الصاوي للنشر والتأليف): ص٢٤٦؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم٢: ص١١٥؛ البلاذري، فتوح: ٣/٥٨٣؛ ابن عساكر، تهذيب: ٥/٤٤٦؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٥٣٨.

(٣) الواقدي، المغازي: ٢/٦٨٤، ٧٠٦.

(٤) ينظر مكاتبات الرسول ﷺ، وردودها. حميدالله، المرجع السابق: ص٩٩-١١٥، ١٣٥، ١٤٤.

(٥) سنان بن أبي سفيان: أسلم مبكراً، وشهد بدراً والمشاهد كلها، وهو أول من بايع الرسول ﷺ في بيعة الرضوان. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/٦٥٨.

(٦) الطبري، تاريخ: ٣/١٨٧.

الشام. بصحبة دليل من بكر بن وائل، وهو فرات بن حيان[1]، عندما قدم نعيم بن مسعود الأشجعي من مكة إلى المدينة، وفي مجلس للشراب، في بني النضير، تحدث عن خروج القافلة، وكان معه في المجلس، سليط بن النعمان الأنصاري[2]، قبل أن تحرم الخمر، فسارع سليط إلى إخبار الرسول ﷺ، فأرسل على إثر ذلك، زيد بن حارثة[3]، فسيطر على القافلة[4].

كما أشير إلى معلومات جاءت عن طريق الصدفة، عبر رجل من طيء، نزل على قريبته، التي كانت زوجة لرجل من الصحابة، فأخبره أن طليحة الأسدي، وأخاه سلمة يحشدان قومهما للهجوم على أطراف المدينة، مستغلين الانتكاسة، التي مني بها المسلمون، في أُحد، فأرسل الرسول ﷺ بناء على ذلك أبو سلمة الأسدي[5]، إلى بني أسد، وخرج الطائي صاحب الخبر كدليل للحملة[6].

ثانياً: مصادر المعلومات التي كان الأعداء يحصلون من خلالها على أخبار المسلمين:

أ. مصادر قريش:

لقد حاولت قريش رداً على تعرض الرسول ﷺ، لقوافلها التجارية أو جهوده المتصاعدة لخنقها اقتصادياً، وتحديها عسكرياً، أن تجند كافة إمكانياتها في سبيل الحصول على المعلومات، التي تتعلق بالتحديات العسكرية للرسول ﷺ، وإذا كانت قريش قد حققت بعض النجاحات في البداية، فإن المسلمين استطاعوا بالتدريج أن يجففوا بعض القنوات، التي

---

(١) فرات بن حيان: حليف بني سهم، كان عيناً لأبي سفيان، ثم أسلم وحسن إسلامه. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/١٢٥٨-١٢٥٩؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/٣٥١-٣٥٢.

(٢) سليط بن النعمان: لم أعثر له على ترجمة.

(٣) زيد بن حارثة: من قبيلة كلب، أصابه سباء في الجاهلية، فاشترته خديجة ﵂ ووهبته للرسول ﷺ. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٥٤٢-٥٤٧؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢/٢٨١-٢٨٤.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/١٩٧-١٩٨؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢/٤٩٢-٤٩٣.

(٥) أبو سلمة الأسدي: هاجر الهجرتين، وشهدا بدراً ومات من جرح أصابه في معركة أُحد. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤/١٦٨٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٦/١٥٢.

(٦) الواقدي، المغازي: ١/٣٤١-٣٤٢؛ وينظر أمثلة أخرى. الواقدي، المغازي: ١/٤٠٤-٤٠٧.

استفادت منها قريش، أو يحيِّدوها، عبر سلسلة من الإجراءات التي استهدفت رفع مستوى الحس الأمني للمجتمع الإسلامي في المدينة، والقبائل المسلمة من جهة، وتقليل التداخل، والعلاقات الاجتماعية مع أعداء الإسلام ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ...﴾[2].

كما قام الرسول بعقد سلسلة من الاتفاقيات مع القبائل الواقعة في محيط المدينة، وعلى الطريق التجاري إلى الشام. سميت الموادعة[3]. كما أن الدستور أو الصحيفة التي عقدت بين الرسول ﷺ الذي يمثل الأمة الواحدة بجناحيها المهاجرين والأنصار، وبين اليهود، وبقايا المشركين في المدينة تضمنت بدورها تأكيدات في التعاون على كافة الاتجاهات، ومن جملتها صيانة الأمن داخل المدينة، والكف عن كل ما من شأنه تعكير صفوه[5]. ومع كل ما ذكر آنفاً، نجد أن اليهود والمنافقين ظلوا في السنوات الأولى، إلى معركة الخندق، أبرز قناتين مدت قريشاً بالمعلومات، عبر اليهود عن ذلك في غزوة السويق، عندما استقبل سلام بن مشكم أحد قادة بني النضير، أبا سفيان في حصونهم وزوده بالمعلومات[4]. وفي أُحد عندما أمدُّوه بمعلومات، عن نقاط الضعف لدى المسلمين، وكذلك في الخندق[5].

أما المنافقون فقد وقفوا مع قريش مدفوعين بحقدهم الأعمى على الإسلام. ولذلك وردت إشارة إلى تعاونهم إخبارياً مع المشركين، من خلال تزويدهم بأخبار تحركاته العسكرية، في السنة الأولى من الهجرة، والتي استهدفت نشاطاً متصاعداً ضد القوافل التجارية القرشية[6]. وكان لقريش أيضاً عيون في بعض القبائل العربية، لا سيما التي تقع على الطريق التجاري كما هو الحال مع الجاسوس الجذامي، الذي بلغ أبا سفيان في الزرقاء[7]، استعدادات الرسول ﷺ لمطاردة القافلة[8] وكذلك الجاسوس الذي عمل لحسابه

---

(١) آل عمران، الآية: ١١٨. (٢) الممتحنة: الآية: ١.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/١١-١٢؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٢٨٧.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/١٨١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣١٠؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٨٣.

(٥) الواقدي، المغازي: ٢/٤٥٨-٤٥٩؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٣٢-١٣٣؛ الطبري، تاريخ: ٢/٥٧١-٥٧٢.

(٦) الطبرسي، المصدر السابق: ٤/٥٣٥؛ سيف الدين سعد آل يحيى، الحركات العسكرية للرسول الأعظم في كفتي الميزان (بيروت، الدار العربية للموسوعات، ١٩٨٣): ٢/٥٣٤.

(٧) الزرقاء: موضع بالشام بناحية معان. ياقوت، معجم البلدان: ٣/١٣٧. وهي مدينة تقع في شمال

في الروحاء أثناء المطاردة قبل معركة بدر[١] والفرات بن حيان العجلي في ذي القردة[٢] ونعيم بن مسعود في بدر الموعد[٣].

ب. القبائل العربية، ويهود خيبر، والبيزنطيين:

كانت القبائل العربية، تحاول الحصول على المعلومات، عن الجانب الإسلامي، من خلال مصادر خاصة بها، بعضها عيون من نفس القبيلة، يرسلون إلى المدينة، أو يرابطون في مفارق الطرق، لمراقبة الموقف، أو عبر التعاون مع أصدقاء لهم ينقلون إليهم الأخبار[٤].

وفيما يتعلق بيهود خيبر، فقد دخلت هذه المدينة، الصراع مع الرسول ﷺ، منذ فترة مبكرة لا سيما بعد طرد بني النضير، ولجوءهم إليها، وكانت مصادر معلومات خيبر عن المسلمين، تأتي عبر بقايا اليهود في المدينة[٥]. وعبر المنافقين[٦]، وعبر عيون من أشجع، وفزارة الغطفانية، يرسلون إلى المدينة، أو يرابطون في الطرق لهذا الغرض[٧].

أما البيزنطيين، فقد اعتمدوا على مصادر خاصة بهم، للحصول على المعلومات، على ما يجري في الجزيرة العربية عامة، وفي الحجاز خاصة من خلال التجار الأنباط، الذين كانوا يترددون بصورة دائمة[٨]، وليس من المستبعد وجود اتصالات لهم مع نصارى نجران، من خلال العلاقات الدينية.

الأردن حالياً.

(٨) الواقدي، المغازي: ٢٨/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٢/٢؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٧؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٩١/١٤.

(١) ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٧/٢.

(٢) الواقدي، المغازي: ١٩٧/١-١٩٨؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٧/٣.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٨٥/١-٣٨٦؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤٠/١؛ الطبري، تاريخ: ٥٦٠/٢-٥٦١.

(٤) الواقدي، المغازي: ١٩٦/١-١٩٧؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٩٣/٣؛ الواقدي، المغازي: ٤٠٤/١-٤٠٧؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٥.

(٥) الواقدي، المغازي: ٦٦٦/٢.

(٦) الدياربكري، المصدر السابق: ٤٣/٢؛ وينظر إيتين دينيه، سليمان إبراهيم، محمد رسول الله، ترجمة عبدالحليم محمود ومحمود عبدالحليم (القاهرة، مكتبة نهضة مصر، ١٩٥٨): ص٢٨٠.

(٧) الواقدي، المغازي: ٩٩٠/٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٩٤/٣.

(٨) الواقدي، المغازي: ٩٩٠/٣.

ثالثاً: صفات العيون وأنواعها، وأساليب الأمن، والاستنطاق

أ. صفات العيون:

يفترض في العيون أن تتوفر فيهم صفات خاصة، تؤهلهم لأداء المهام الصعبة، والخطرة، المكلفين بإنجازها، منها:

١. اللياقة البدنية: تساعد اللياقة البدنية لدى العين، على تحمل الظروف الصعبة، سواء كانت تضاريسية، أو مناخية، أو معاشية، فقد وصف قائد سرية نخلة عبدالله بن جحش[(١)] من قبل الرسول ﷺ [... ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش...][(٢)].

٢. الشجاعة: هي صفة لازمة للعيون عبر التاريخ، حيث يجب على العين، أن يتمالك أعصابه في الحالات الحرجة، لا سيما إذا كانت المهمة تتطلب تماساً مع العدو، أو الدخول إلى قلب قواعده، إذا كانت احتمالات النجاح متدنية، ومع ذلك يجب المغامرة بتنفيذ الخطة، وقد ضرب عيون الرسول ﷺ المثل الأعلى في الشجاعة، لا سيما عيون المهمات الخاصة[(٣)].

٣. القابلية على الإقناع والقدرة على تمثيل الدور المطلوب أثناء التنفيذ: إن القابلية على الإقناع، تقوم على امتلاك العين، لقدرات ذكائية جيدة تتغلب على شكوك الخصم، وتجيب على تساؤلاته بنجاح، ولا بد للعين أن يخفي شخصيته الحقيقية تحت قناع يقوم على تغير الملامح، أو تغير في نبرات الصوت، والملابس، أو كلها مجتمعة، أو منفردة، وقدم عيون الرسول صوراً ناجحة من هذا[(٤)].

---

(١) عبدالله بن جحش: ينتمي إلى بني أسد، وأُمه أُميمة بنت عبدالمطلب عمة الرسول ﷺ، حليف لبني عبد شمس، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم، كان ممن هاجر إلى الحبشة، استشهد في أُحد. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٧٨/٣.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٧٨/٣؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٤٨٩/٢-٤٩٠؛ مسلم، المصدر السابق: ١٩٣/٥-١٩٤.

(٣) الواقدي، المغازي: ٥٦٦/٢، ٧٥٢-٧٥٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق:م٢، قسم١: ص٦٦.

(٤) البخاري، صحيح: ١٩/٣؛ وينظر عمر بن شبة النميري، تاريخ المدينة المنورة، تحقيق فهيم محمد شلتوت (جدة، دار الأصبهاني للطباعة، ١٣٩٣): ٤٦٨/٢-٤٦٩؛ أحمد بن عمرو العتكي (البزار)، البحر الزخار المعروف بمسند البزار، تحقيق محفوظ الرحمن زين الله (بيروت، مؤسسة علوم القرآن، المدينة المنورة، مكتبة العلوم والحكم، د.ت): ٣١٣/٣.

٤. تمكنه من معرفة لغة العدو: عبَّر عن هذه الصفة الحديث المنسوب للرسول ﷺ بقوله [من تعلم لغة قوم أمن مكرهم][(١)]. ولا تزال هذه الصفة تعتبر لحد الآن، ضرورية جداً للعيون، والجواسيس. وقد برز من عيون الرسول ﷺ من كان يعرف لغة القوم، الذين نفذت بين ربوعهم أهداف معينة[(٢)]. كما أشير إلى أن الرسل، كانوا يجيدون لغات من أرسلوا إليهم خارج الجزيرة[(٣)].

٥. امتلاك القابلية على أخذ المبادرة، بسرعة في اللحظات الحرجة[(٤)]، حيث أن التردد يقود إلى النهاية المحتومة، في مهمات العيون الخطرة.

٦. القدرة على تحمل الآلام[(٥)]، والاستعداد لقبول خيار الموت الطوعي[(٦)].

٧. القدرة على الإبداع من خلال معالجة المشاكل الثانوية، أثناء التنفيذ، والتي لم تأخذها الخطة في خطوطها العريضة بعين الاعتبار. نتيجة لمتغيرات طرأت على ميدان التنفيذ[(٧)].

٨. القابلية على القراءة والكتابة[(٨)].

---

(١) لم أعثر عليه في الصحاح والمسانيد المتاحة، وكذلك في كتب الموضوعات.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ وينظر البخاري، صحيح: ٣/١٨-١٩؛ الدياربكري، المصدر السابق: ٢/١٢.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق: م١، قسم٢: ص١٥.

(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٤٩٨-٤٩٠؛ وينظر ابن عبدالبر، الدرر: ص١٨٨؛ ابن عساكر، تهذيب: ٤/١٠١-١٠٢، ٦/٣٩٨-٣٩٩.

(٥) الواقدي، المغازي: ١/٣٦١.

(٦) ابن شبه، تاريخ: ٢/٤٦٠-٤٦١؛ لم يناقش الفقهاء قيام الجاسوس المسلم بقتل نفسه للتخلص من احتمال الوقوع في الأسر، وما يتبعه من احتمال ضياع أسرار الأمة، نتيجة الأذى الجسدي والمعنوي الذي سينزلونه به، وإنما ناقشوا المسألة من إطار أوسع من ذلك، وهو قيام المجاهد بطلب الشهادة بصورة مباشرة من خلال استماتته في قتال العدو إلى أن يستشهد، حيث اشترطوا لقبول ذلك، أن تكون نيته في سبيل الله، وأن يحقق النكاية في العدو، أي أن ينزل بالعدو خسائر بشرية كبيرة، إضافة إلى الخسائر المعنوية المتعلقة بتثبيط معنويات العدو ورفع معنويات المسلمين، ويمكن قياس مسألة استشهاده بنفسه على ذلك حيث أن استشهاده يحول دون إنزال أذى مادي ومعنوي لا تحمد عقباه بالأمة، وما يتبعه من رفع لمعنويات العدو. أبو بكر محمد بن عبدا لله (ابن العربي)، أحكام القرآن، تحقيق تحقيق محمد علي البجاوي (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٦/١٩٥٧): ١/١١٦؛ الرازي، التفسير: ٥/١٣٧؛ القرطبي، المصدر السابق: ١/٣٦٣-٣٦٤.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٢٠٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢/٥٤٥.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/١٣-١٦؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٧٩.

٩. امتلاك معرفة لا بأس بها للطرق والمسالك، التي ستنفذ العملية في محيطها، فقد أشير إلى وجود أدلاء في بعض العمليات[١]، ولم يشر إليهم في عمليات أخرى، مما يدل على امتلاك الوحدات المنفذة، لمعرفة جيدة بمسالك المنطقة، وهو ما يعطيها مرونة أكبر في اختيار الطرق في الذهاب والإياب[٢].

١٠. الالتزام بتنفيذ الهدف، وعدم الانجرار وراء الأهداف الثانوية المغرية، والأسهل من الهدف الأصلي، مهما تكن أهميتها في نظره[٣].

ب. أنواع العيون:

أوردت المصادر أسماء الكثير من العيون، وأحياناً اكتفت بذكر قبائلهم، دون أسمائهم وأحياناً أخرى أشارت إليهم بصفة الغائب (جاءته الأخبار) أو (بلغه) وتبين في الوقت نفسه أن هناك عيوناً من المسلمين، وعيوناً من المشركين، أسلم بعضهم في النهاية، ولا يوجد دليل على إسلام اثنين منهم، حيث لم يرد لهم ذكر في قوائم أسماء الصحابة، وعلى الأغلب توفوا في فترة مبكرة، كما أن هناك عيون، تنطلق إلى أداء أهدافها من المدينة المنورة، وعيون أخرى مقيمة في قبائلها، ترسل تقاريرها على الأرجح، مع رسل آخرين، أو تأتي هي بنفسها إلى المدينة للتبليغ عن الأحداث. وفيما يلي جدولاً يضم أسماء العيون، التي أوردت المصادر أسماءهم، مع انتماءاتهم القبلية، وعقيدتهم الدينية، وعدد العمليات التي نفذوها ونتائجها وطبيعتها:

---

(١) الواقدي، المغازي: ٣/٩٨٥-٩٨٧، ٢/٧٠٧-٧٢٨؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٦٥.

(٢) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠.

(٣) المصدر نفسه: ٢/٤٨٩-٤٩٠؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٣٩-١٤٠.

جدول رقم (١)

ت	اسم العين	القبيلة	العقيدة	العمليات المنفذة	المجموع	النتيجة
١.	علي بن أبي طالب	قريش	مسلم	استطلاع في بدر(١). استطلاع في أحد(٢). عملية خاصة في فتح مكة(٣).	٣	ناجحة
٢.	الزبير بن العوام	قريش	مسلم	استطلاع في بدر(٤). أخبار في الخندق(٥). عملية خاصة في فتح مكة(٦).	٣	ناجحة
٣.	عبدالله بن أنيس	جهينة	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع)(٧). إدارة التفاوض (أسير بن زمزم)(٨). عملية خاصة (خالد الهذلي)(٩).	٣	ناجحة
٤.	عمرو بن أمية	ضمرة	مسلم	إنقاذ(خبيب بن عدي)عملية خاصة(١٠). عملية خاصة (أبوسفيان)(١١). استطلاع (بئرمعونة)(١٢).	٣	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ١/٥١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم ١: ص٨؛ البزار، المسند: ٢/٢٩٦-٢٩٧.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق: ٣/٣٨؛ وينظر الأصبهاني، الأغاني: ١٥/٢٠١.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣/٧٩٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٧٩؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٥٤؛ البزار، مسند: ١/٣٠٨.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/٥١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٨؛ البزار، المصدر السابق: ٢/٢٩٦-٢٩٧.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٧٤؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٢/٤٥٧؛ البخاري، صحيح: ٣/٣٣.

(٦) الواقدي، المغازي: ٢/٧٩٧؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٥٤؛ البزار، المصدر السابق: ١/٣٠٨.

(٧) الواقدي، المغازي: ٢/٥٣٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٥.

(٨) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٩٦؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٢/٥٦٧؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٩٦.

(٩) الواقدي، المغازي: ٢/٥٣٣؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٢/٤٦٨-٤٦٩.

(١٠) الطبري، تاريخ: ٢/٥٤١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١/١٤٠.

(١١) ابن الكلبي، المصدر السابق: ١/١٥٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٨؛ البلاذري، المصدر السابق: ١/٣٧٩.

(١٢) الواقدي، المغازي: ١/٣٤٧.

٥.	عمرو بن سالم	خزاعة	مشرك ثم أسلم	أخبار في أحد[1]. أخبار في الحديبية[2]. أخبار في فتح مكة[3].	٣	ناجحة
٦.	عباد بن بشر	الأوس	مسلم	عملية خاصة (كعب بن الأشرف)[4]. استطلاع في الحديبية[5]. حماية في خيبر[6].	٣	ناجحة
٧.	خالد بن البكير	ليث	مسلم	استطلاع في نخلة[7]. استطلاع في الرجيع[8].	٢	غير موفقة
٨.	بسبس بن عمرو	جهينة	مسلم	أخبار في بدر[9]. أخبار أيضاً في بدر[10].	٢	ناجحة
٩.	معبد بن أبي معبد	خزاعة	مشرك ثم أسلم	حرب نفسية في حمراء الأسد[11]. حرب نفسية في بدر الموعد[12].	٢	ناجحة
١٠.	عبدالله بن رواحة	الخزرج	مسلم	استطلاع (أسير بن زارم)[13]. إدارة تفاوض (أسير بن زارم)[14].	٢	ناجحة
١١.	عبدالله بن حدرد	أسلم	مسلم	عملية خاصة (الغابة)[15]. أخبار في حنين[16].	٢	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ٢٠٥/١. (٢) المصدر نفسه: ٥٩٤/٢.

(٣) المصدر نفسه: ٧٨٩/٢-٧٩١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢٦/٤.

(٤) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص٦٣٦؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٤٠/١؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٧. (٥) الواقدي، المغازي: ٥٧٤/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٦٠٢/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤٤/٣-٤٥.

(٧) الواقدي، المغازي: ١٩/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٧٢/١.

(٨) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١.

(٩) المصدر نفسه:٤٠/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق:م٢، قسم١:ص٧؛ البلاذري، أنساب:٢٨٩/١.

(١٠) الواقدي، المغازي: ٥١/١.

(١١) المصدر نفسه: ٣٣٨/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤٤/٣-٤٥؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٤-٣٥.

(١٢) الواقدي، المغازي: ٣٨٨/١-٣٨٩. (١٣) المصدر نفسه: ٥٦٦/٢.

(١٤) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٩٦؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٥٦٧/٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ١٩٤/٤. (١٥) المصدر نفسه: ٢٠٣/٤.

(١٦) الواقدي، المغازي: ٨٩٣/٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٦٢/٤؛ الطبري، تاريخ: ٧٣/٣.

١٢.	سعد بن أبي وقاص	قريش	مسلم	استطلاع في نخلة[١]. استطلاع في بدر[٢].	٢	الأولى غير موفقة والثانية ناجحة
١٣.	العباس بن عبدالمطلب	قريش	مسلم	أخبار في أُحد[٣].	١	ناجحة
١٤.	طليحة بن عبيدالله	قريش	مسلم	أخبار في بدر[٤].	١	غير موفقة
١٥.	سعيد بن زيد	قريش	مسلم	أخبار في بدر[٥].	١	غير موفقة
١٦.	بسيسة بن عمرو	جهينة	مسلم	أخبار في بدر[٦].	١	ناجحة
١٧.	عدي بن أبي الزغباء	جهينة	مسلم	أخبار في بدر[٧].	١	ناجحة
١٨.	عمير بن عدي	الأوس	مسلم	عملية خاصة (عصماء بنت مروان)[٨].	١	ناجحة
١٩.	المقداد بن الأسود	كندة	مسلم	عملية خاصة في فتح مكة[٩].	١	ناجحة
٢٠.	عبدالله بن مسعود	هذيل	مسلم	استطلاع في بدر[١٠].	١	ناجحة
٢١.	عمار بن ياسر	عنس	مسلم	استطلاع في بدر[١١].	١	ناجحة
٢٢.	الفرات بن حيان	بكر	مسلم	أخبار في حركة مسيلمة[١٢].	١	مجهولة النتائج

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/١٩؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧٢.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٨.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/٢٠٣-٢٠٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٥؛ البلاذري، أنساب: ١/٣١٣.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦.

(٥) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠.

(٦) ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٩٧؛ وينظر أبو داود، سنن: ٣/٣٩. (٧) البلاذري، أنساب: ١/٢٨٩.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/١٧٢؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧٣.

(٩) ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص٩٧.

(١٠) الواقدي، المغازي: ١/٥٤؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢: ص٥٤-٥٥.

(١١) الواقدي، المغازي: ١/٥٤.

(١٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/١٢٥٨.

٢٣.	أنس بن فضالة	الخزرج	مسلم	استطلاع في أحد[١].	١	ناجحة
٢٤.	مؤنس بن فضالة	الخزرج	مسلم	استطلاع في أحد[٢].	١	ناجحة
٢٥.	الحباب بن المنذر	الخزرج	مسلم	استطلاع في أحد[٣].	١	ناجحة
٢٦.	أبو تميم...	أسلم	مسلم	أخبار في أحد[٤].	١	ناجحة
٢٧.	نعمان بن سفيان	أسلم	مسلم	استطلاع في حمراء الأسد[٥].	١	غير موفقة
٢٨.	سليط بن سفيان	أسلم	مسلم	استطلاع في حمراء الأسد[٦].	١	غير موفقة
٢٩.	نعيم بن مسعود	أشجع	مسلم	الخندق (حرب نفسية)[٧].	١	ناجحة
٣٠.	بريدة بن الحصيب	أسلم	مسلم	استطلاع في غزوة بني المصطلق[٨].	١	ناجحة
٣١.	كشد...	جهينة	مشرك	أخبار في بدر[٩].	١	ناجحة
٣٢.	أبا مرثد...	غنى	مسلم	أخبار في فتح مكة[١٠].	١	ناجحة
٣٣.	خوات بن جبير	الأوس	مسلم	أخبار في الخندق[١١].	١	ناجحة
٣٤.	عبدالله بن عتيك	الخزرج	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع)	١	ناجحة
٣٥.	أبو قتادة الحارث بن ربعي	الخزرج	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع).	١	ناجحة
٣٦.	مسعود بن سنان	الخزرج	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع).	١	ناجحة
٣٧.	خزاعي بن أسود	أسلم	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع).	١	ناجحة
٣٨.	فلان بن سلمة	الخزرج	مسلم	عملية خاصة (أبو رافع)[١٢].	١	ناجحة
٣٩.	سالم بن عمير	الخزرج	مسلم	عملية خاصة (أبو عفك)[١٣].	١	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ٢٠٦/١-٢٠٧.
(٢) المصدر نفسه: ٢٠٦/١-٢٠٧.
(٣) المصدر نفسه: ٢٠٧/١-٢٠٨.
(٤) ابن سعد، المصدر السابق: م٤، قسم٢: ص٤٢.
(٥) الواقدي، المغازي: ٣٣٧/٢.
(٦) الواقدي، المغازي: ٣٣٧/٢.
(٧) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص٤٥٥؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٤٨٥/٢-٤٨٦.
(٨) الواقدي، المغازي: ٤٠٤/١-٤٠٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٥.
(٩) المصدر نفسه: م٢، قسم١: ص٦.
(١٠) البلاذري، أنساب: ٣٥٤/١.
(١١) الواقدي، المغازي: ٤٦٠/١-٤٦١؛ وينظر المقريزي، الإمتاع: ص٢٨٨.
(١٢) الواقدي، المغازي: ٣٩١/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ ابن هشام، المصدر السابق: ١٧١/٣.
(١٣) الواقدي، المغازي: ١٧٥/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٧٣/١؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص١١.

٤٠.	مرثد بن أبي مرثد	غنى	مسلم	استطلاع في بئر الرجيع[١]. عملية إنقاذ خاصة[٢].	٢	فشل في الاستطلاع ونجاح في الإنقاذ
٤١.	عبدالله بن طارق	بلى	مسلم	استطلاع في بئر الرجيع.	١	غير موفقة
٤٢.	معتب بن عبيد	بلى	مسلم	استطلاع في بئر الرجيع.	١	غير موفقة
٤٣.	خبيب بن عدي	الأوس	مسلم	استطلاع في بئر الرجيع.	١	غير موفقة
٤٤.	عاصم بن ثابت	الأوس	مسلم	استطلاع في بئر الرجيع[٣].	١	غير موفقة
٤٥.	سنان بن أبي سنان	أسلم	مسلم	أخبار عن طليحة الأسدي[٤].	١	ناجحة
٤٦.	مخنف بن السليل	مجهول	مسلم	عملية خاصة للتخلص من طليحة الأسدي[٥].	١	غير موفقة
٤٧.	فيروز...	الأبناء	مسلم	عملية خاصة (الأسود العنسي).	١	ناجحة
٤٨.	داذويه	الأبناء	مسلم	عملية خاصة (الأسود العنسي)	١	ناجحة
٤٩.	قيس بن المكشوح	مراد	مسلم	عملية خاصة (الأسود العنسي).	١	ناجحة
٥٠.	المرزبانة	الأبناء	مسلمة	عملية خاصة (الأسود العنسي).	١	ناجحة
٥١.	وبرة بن يحنس	كلب	مسلم	عملية خاصة (الأسود العنسي)[٦].	١	ناجحة
٥٢.	بسر بن سفيان	خزاعة	مسلم	أخبار في الحديبية[٧].	١	ناجحة
٥٣.	حذيفة بن اليمان	عبس	مسلم	أخبار في الخندق[٨].	١	ناجحة
٥٤.	حسيل بن نويرة	أشجع	مسلم	أخبار في الخباب. دلالة في خيبر[٩].	٢	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١.   (٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٨٤/٤-١٣٨٥.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٩.

(٤) الطبري، تاريخ: ١٨٧/٣.   (٥) ابن عساكر، التهذيب: ٩٦/٧.

(٦) البلاذري، فتوح: ص١٢٥-١٢٦.

(٧) الواقدي، المغازي: ٥٧٣/٢؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٣٣٠/٥؛ البخاري، صحيح: ٤٥/٣.

(٨) الواقدي، المغازي: ٤٨٩/٢، ٤٩٠؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٣٩/٣-١٤٠؛ مسلم، المصدر السابق: ١٧٧/٥.

(٩) الواقدي، المغازي: ٧٢٧/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٣/٣.

.٥٥	خارجة بن حسيل	أشجع	مسلم	أخبار في خيبر[1].	١	ناجحة
.٥٦	حسيل بن خارجة	أشجع	مسلم	دلالة في خيبر[2].	١	ناجحة
.٥٧	القعقاع...	تميم	مسلم	استطلاع في حنين[3].	١	غير موفقة
.٥٨	أنس بن أبي مرثد	غنى	مسلم	مراقبة وحراسة في حنين[4].	١	غير موفقة
.٥٩	عبدالله بن نعيم	أشجع	مسلم	دليل في خيبر[5].	١	ناجحة
.٦٠	المنذر بن عمرو	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦١	نافع بن بديل	خزاعة	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٢	عامر بن فهيرة	مولى قريش	مسلم	استطلاع في بئر المعونة	١	غير موفقة
.٦٣	الحكم بن كيسان	مولى قريش	مسلم	استطلاع في بئر المعونة	١	غير موفقة
.٦٤	معاذ بن ماعص	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٥	حرام بن ملحان	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٦	سليم بن ملحان	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٧	الحارث بن الصمة	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٨	سهل بن عامر	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٦٩	الطفيل بن سعد	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٧٠	أنس بن معاوية	الأوس	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
.٧١	أبي بن ثابت	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة

(١) الواقدي، المغازي:٢/٥٦٦. (٢) المصدر نفسه:٢/٦٣٩. (٣) ابن الأثير، أسد الغابة: ٧/٤١٠.

(٤) الواقدي، المغازي: ٣/٩٤؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١/١٥٩.

(٥) الواقدي، المغازي: ١/٦٣٩.

٧٢.	عطية بن عبد عمرو	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
٧٣.	عروة بن الصلت	سليم	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
٧٤.	مالك بن ثابت	الأوس	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
٧٥.	سفيان بن ثابت	الأوس	مسلم	استطلاع في بئر المعونة.	١	غير موفقة
٧٦.	كعب بن زيد	الخزرج	مسلم	استطلاع في بئر المعونة(١).	١	غير موفقة
٧٧.	عبدالله بن جحش	أسد	مسلم	استطلاع في نخلة.	١	غير موفقة
٧٨.	أبو حذيفة بن عتبة	قريش	مسلم	استطلاع في نخلة.	١	غير موفقة
٧٩.	عامر بن ربيعة	عنز	مسلم	استطلاع في نخلة.	١	غير موفقة
٨٠.	واقد بن عبدالله	تميم	مسلم	استطلاع في نخلة.	١	غير موفقة
٨١.	عتبة بن غزوان	مازن	مسلم	استطلاع في نخلة.	١	غير موفقة
٨٢.	عكاشة بن محصن	أسد	مسلم	استطلاع في نخلة(٢).	١	غير موفقة
٨٣.	محمد بن سلمة	الأوس	مسلم	عملية خاصة (كعب بن الأشرف).	١	ناجحة
٨٤.	سلكان بن سلامة	الأوس	مسلم	عملية خاصة (كعب بن الأشرف).	١	ناجحة
٨٥.	الحارث بن أوس	الأوس	مسلم	عملية خاصة (كعب بن الأشرف).	١	ناجحة
٨٦.	أبو عبس بن جبير	الأوس	مسلم	عملية خاصة (كعب بن الأشرف)(٣).	١	ناجحة
٨٧.	حريث...	أسد	مسلم	دلالة في سرية الفلس(٤).	١	ناجحة
٨٨.	كعب بن عمير	غفار	مسلم	استطلاع في ذات أطلاح(٥).	١	غير موفقة

(١) الواقدي، المغازي: ١/٣٥٢-٣٥٣.
(٢) المصدر نفسه: ١/١٩؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٧٩؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧٢.
(٣) الواقدي، المغازي: ١/٣٩١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٧١؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢١-٢٢. (٤) الواقدي، المغازي: ٣/٩٨٥.
(٥) المصدر نفسه: ٢/٧٥٢؛ وينظر ابن حبيب، المحبر: ص١٢٠.

.٨٩	سلمة بن أسلم	الأوس	مسلم	عملية خاصة (أبو سفيان بن حرب)(١).	١	غير موفقة
.٩٠	جندب بن مكيث	جهينة	مسلم	استطلاع في بني الملوح(٢).	١	ناجحة
.٩١	سلمة بن الأكوع	أسلم	مسلم	استطلاع بني لحيان(٣).	١	ناجحة
.٩٢	ناجية...	أسلم	مسلم	استطلاع في الحديبية(٤).	١	ناجحة
.٩٣	بديل بن ورقاء	خزاعة	مشرك ثم أسلم	أخبار في الحديبية(٥). أخبار في فتح مكة(٦).	٢	ناجحة
.٩٤	الضحاك بن سفيان	عامر	مسلم	أخبار في بئر معونة(٧).	١	ناجحة
.٩٥	الوليد بن الوليد	قريش	مسلم	عمليات إنقاذ خاصة(٨). ونقل رسائل خاصة(٩).	٢	ناجحة
.٩٦	علقمة بن مجزز	مدلج	مسلم	استطلاع إلى منطقة الداروم(١٠).	١	مجهولة النتائج

يتبين من هذا الجدول، أن عدد العيون التي وردت فيه كان ستة وتسعين عيناً، نفذوا أربعاً وخمسين عملية متنوعة الأهداف، حيث اشترك اثنان وخمسون منهم في عمليات استطلاع، وثلاثون في عمليات خاصة، وخمسة وعشرين في نقل معلومات، وأربعة في واجبات دلالة إلى الأهداف، واثنان في حرب نفسية، واثنان في واجبات حماية ومراقبة، ونفذت ست عمليات في معركة بدر الكبرى، وخمس عمليات في معركة أُحد، وأربع عمليات في كل من خيبر، والحديبية، وثلاث عمليات في كل من فتح مكة، وحنين، وللتصدي لحركات التنبأ، وعمليتان في كل من الخندق، وحمراء الأسد، والجناب، وعملية واحدة في كل من نخلة، وعصماء، وأبي عفك، وكعب بن الأشرف، وأبي رافع سلام بن أبي الحقيق، وسفيان الهذلي، وعمليتا إنقاذ، وأخرى لإخلاء شهيد، وأخرى لقتل أبي سفيان، وعملية تصفية رافع الجشمي، وعملية ذي القردة، وبدر الموعد، وبني الملوح، ولحيان، وبئر معونة، والرجيع، وذات أطلاح، والداروم، وبني المصطلق، والفلس.

(١) ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص٦٥.
(٢) المصدر نفسه: م٢، قسم١: ص٩٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٢٧-٢٨.
(٣) مسلم، صحيح: ٥/١٩١.
(٤) السهيلي، المصدر السابق: ٦/٤٧٨.
(٥) الواقدي، المغازي: ٢/٥٩٣-٥٩٤.
(٦) الطبري، تاريخ: ٣/٤٥.
(٧) الواقدي، المغازي: ١/٣٤٩.
(٨) الزبيري، المصدر السابق: ص٣٢٤.
(٩) الواقدي، المغازي: ٢/٧٤٧.
(١٠) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص١٥٩.

وقدم الأنصار لوحدهم اثنين وثلاثين عيناً، منهم تسعة عشر من الخزرج، وثلاثة عشر من الأوس، ويليهم قريش، وقدمت عشرة عيون، ثم أسلم، ولديها ثمانية عيون، وجهينة، ولديها ستة عيون، وخزاعة، وأشجع ولكل منهما خمسة عيون، ثم أسد ولديها أربعة عيون، وغنى، والأبناء، ولكل منهما ثلاثة عيون، وبلى، وتميم، ولكل منهما عينان، وكان هناك عين واحد مجهول القبيلة، وهو مخنف بن السليل، وقدمت القبائل الأخرى لكل منها عين واحد وهم ليث، وهذيل، وضمرة، وعنس، وعبس، وبكر بن وائل، ومراد، وكلب، وسليم، وعنز، ومازن، وغفار، وعامر، ومدلج، وكندة.

ويلاحظ أن جميعهم كانوا مسلمين، باستثناء ستة منهم، اعتنق أربعة منهم الإسلام، في نهاية المطاف، وبقي اثنان على الشرك على الأرجح، كما أن ستة منهم نفذ كل منهم ثلاث عميات، وعشرة نفذوا عمليتين، والآخرون نفذ كل منهم عملية واحدة، وكان عدد العمليات الناجحة اثنين وأربعون عملية، وعدد العمليات غير الموفقة، عشرة عمليات، واثنتان مجهولتا النتائج.

وفيما يلي جدول بالعمليات التي نفذها عيون مجهولون مع عمليات تنظيم مكة والتي أشير إليها سابقاً:

جدول رقم (٢)

ت	العمليات المنفذة	نوع العملية	النتيجة
١.	عين من أسلم في حمراء الأسد، أرسل للاستطلاع[(١)].	استطلاع	غير موفقة
٢.	عيون من خزاعة بلغت الرسول ﷺ، عن تحرك قريش إلى المدينة في أحد[(٢)].	أخبار	ناجحة
٣.	وصول خبر خيانة بني قريظة في الخندق[(٣)].	أخبار	ناجحة
٤.	الاتصال بقيادة غطفان في الخندق[(٤)].	إدارة تفاوض	ناجحة
٥.	المرأة التي أخبرت عن تآمر بني النضير، لقتل الرسول ﷺ[(٥)].	أخبار	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ٣٣٧/١. (٢) المصدر نفسه: ٢٠٥/١.
(٣) المصدر نفسه: ٥٧/٢؛ وينظر البخاري، صحيح: ٣٣/٣.
(٤) الواقدي، المغازي: ٤٧٧/٢؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤٦/١؛ أبو عبيد، الأموال: ص٢٥٣.
(٥) الصنعاني، المصدر السابق: ٣٥٩/٥؛ وينظر ابن حجر، فتح الباري: ٣٣٣/٨.

٦.	المرأة التي أعانت عبدا الله بن عتيك وإخوانه، في عملية أبو رافع[١].	دعم	ناجحة
٧.	أخبار تحشدات في ذات الرقاع[٢].	أخبار	ناجحة
٨.	وصول أنباء تحشدات بني المصطلق[٣].	أخبار	ناجحة
٩.	ثلاثة عيون شاركوا عبدا الله بن رواحة، في رحلته الأولى، إلى خيبر (أسير بن زارم)[٤].	استطلاع	ناجحة
١٠.	ثلاثون عيناً شاركوا عبدا الله بن رواحة، في رحلته الثانية، إلى خيبر (أسير بن زارم)[٥].	تفاوض	ناجحة
١١.	عيون بلغت عن تحشدات في دومة الجندل[٦].	أخبار	ناجحة
١٢.	عيون بلغت عن تحشدات في ذات السلاسل[٧].	أخبار	ناجحة
١٣.	عيون بلغت عن تآمر بني سعد بفدك[٨].	أخبار	ناجحة
١٤.	عيون بلغت عن تحشدات لبني أسد[٩].	أخبار	ناجحة
١٥.	عيون بلغت عن تحشد في قرارة الكدر[١٠].	أخبار	ناجحة
١٦.	عيون بلغت عن تحشد في ذي أمَر[١١].		
١٧.	عيون بلغت عن تحشد في بحران[١٢].	أخبار	ناجحة
١٨.	عيون بلغت عن تواجد جواسيس لقريش في ضنجان وفي مر الظهران في الحديبية[١٣].	أخبار	ناجحة

(١) الواقدي، المغازي: ٣٩١/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦.

(٢) الواقدي، المغازي: ٣٩٥/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤٠/١.

(٣) الواقدي، المغازي: ٤٠٤/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤١/١.

(٤) الواقدي، المغازي: ٥٦٦/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦.

(٥) الواقدي، المغازي: ٥٦٧/٢.

(٦) المصدر نفسه: ٤٠٣/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤١/١؛ الطبري، تاريخ: ٥٦٤/٢.

(٧) الواقدي، المغازي: ٧٧٠/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٥.

(٨) الواقدي، المغازي: ٥٦٢/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦٤٢/٢.

(٩) البلاذري، أنساب: ٣٧٤/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٥.

(١٠) الواقدي، المغازي: ١٨٢/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣١٠/١.

(١١) الواقدي، المغازي: ١٩٤/١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣١١/١.

(١٢) الواقدي، المغازي: ١٩٦/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٤.

(١٣) الواقدي، المغازي: ٥٨٣/٢؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص٦٩.

١٩.	عين من طيء في سرية أبي سلمة[١].	دليل	ناجحة
٢٠.	عيون أشاعت تعرض منازل غطفان في حيفاء للهجوم في غزوة خيبر[٢].	تضليل	ناجحة
٢١.	أخبار عن تآمر خالد بن سفيان الهذلي[٣].	أخبار	ناجحة
٢٢.	عيون استخدمت في مؤتة[٤].	استطلاع	ناجحة
٢٣.	عيون بلغت عن إسلام بني المصطلق[٥].	تأكد من معلومات	ناجحة
٢٤.	عشرون عيناً مع عباد بن بشر في خيبر[٦].	أخبار	ناجحة
٢٥.	رجال سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح[٧].	استطلاع	غير موفقة
٢٦.	عين مع القعقاع التميمي في حنين[٨].	أخبار	ناجحة
٢٧.	عيون نقلت أخبار تحشدات البيزنطيين في تبوك[٩].	أخبار	ناجحة
٢٨.	عين من حِمير اشترك في تصفية الأسود العنسي[١٠].	عملية خاصة	ناجحة
٢٩.	عيون مع المنذر بن عمرو في بئر المعونة[١١].	تأكد من معلومات	غير موفقة
٣٠.	عيون اشتركت مع علقمة بن مجزز المدلجي إلى الداروم[١٢].	استطلاع عميق	مجهولة النتائج

لقد ضم هذا الجدول ثلاثين عملية، منها أحد عشر عملية متداخلة، مع عمليات نفذها عيون أشير إلى أسمائهم في الجدول رقم (١)، وهي العمليات رقم: (١، ٢، ٦، ٩، ١٠، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٨، ٢٩، ٣٠) كان منها عمليتان تهدفان إلى التفاوض، مع العدو

(١) الواقدي، المغازي: ٣٤١/١.   (٢) المصدر نفسه: ٦٥١/٢.
(٣) المصدر نفسه: ٦٣١/٢؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٤٦٨/٢-٤٦٩.
(٤) الواقدي، المغازي: ٧٦٠/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣٧/٣.
(٥) ابن أبي حاتم، المصدر السابق: ٥/٢-٦.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٩.
(٧) الواقدي، المغازي: ٧٥٢/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢١-٢٢.
(٨) ابن الأثير، أسد الغابة: ٤١٠/٧.
(٩) الواقدي، المغازي: ٩٩٠/٣؛ وينظر البخاري، صحيح: ٧٣/٣؛ البلاذري، أنساب: ٣٦٨/١.
(١٠) البلاذري، فتوح: ص١٢٥-١٢٦.   (١١) الطبراني، المعجم الكبير: ١٢٦/٦.
(١٢) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص١٥٩.

للوصول إلى حل، وخمس عمليات كانت أهداف كل منها، يتحصر في تقديم الدعم، أو الدلالة على الطريق، أو تنفيذ، أو تضليل، أو تأكيد معلومات سابقة، أو استطلاع عميق، وكانت العمليات العشرون الباقية، لغرض تقديم معلومات، وجميعها عمليات ناجحة، باستثناء ثلاثة منها.

ويرجح أن يكون هؤلاء ممن يقيمون بين أظهر قبائلهم، وكان معظمهم من مسلمين متكتمين على إسلامهم، حيث أن كشف هويتهم العقدية، قد يؤدي إلى تحجيم نشاطهم وإثارة الريبة تجاههم، وقد تعرضهم إلى فقدان حياتهم، أو اضطرارهم إلى مغادرة المنطقة إلى المدينة.

جـ. أساليب الأمن في التعامل مع العيون والجواسيس:

يقصد بالأمن كشف التجسس المعادي، وإلقاء القبض على عناصره، وتحييد وسائل جمع المعلومات لدى العدو، وحفظ المعلومات من أن تصل إلى العدو، وتحقيق أمن الخطط، بمنع تسربها إلى العدو، أو إعطاء صورة مضللة، وتأمين القيادات من محاولة التصفية، التي يقوم بها العدو.

لقد ضرب الرسول ﷺ، وعيونه أمثلة رائعة في حسهم الأمني المتميز، الذي ساهم في تحقيق أهداف الأمة، فقد طبقت ضرورات الأمن، في وحدات العيون، فكانت التبليغات لأداء المهام، تتم إما بصورة سرية، أو انفرادية أحياناً[1]. وجماعية حيناً آخر[2]، وكانت التعليمات شفوية في معظم الأحيان، ومكتوبة في أحيان معينة، كما هو الحال في سرية نخلة. حيث أشير إلى أنها كانت مختومة[3]، وكذلك الحال مع كتاب العباس بن عبدالمطلب إلى الرسول ﷺ في أُحد[4]. وأشير إلى وجود كتاب في سرية بئر معونة[5]. وفي سرية غالب الليثي إلى الكديد[6].

وحرص الرسول ﷺ على تلقي ما يخبره به عيونه بصورة سرية، وانفرادية، فعندما عاد

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢٠٧/١-٢٠٨؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص١٢٦.
(٢) الواقدي، المغازي: ١٣/١، ١٨٧؛ وينظر ابن سعد، طبقات: م٢، قسم١: ص٢٢.
(٣) الواقدي، المغازي: ١٣/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٩/٢؛ اليعقوبي، تاريخ: ٧٠/٢.
(٤) الواقدي، المغازي: ٢٠٣/١-٢٠٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٥.
(٥) الواقدي، المغازي: ٣٤٧/١؛ وينظر السهيلي، المصدر السابق: ١٧٨/٦.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٨٩.

بسيسة الجهني، من مهمته المتعلقة بتعقب قافلة أبو سفيان، ضمن أحداث معركة بدر الكبرى، التقاه رسول الله ﷺ في بيته بصورة انفرادية[1]. ولمنع تسرب الأخبار، كان الرسول ﷺ يؤكد على مستشاريه، الذين يتداول معهم تقارير العيون، ضرورة الكتمان كما حدث عندما وصله كتاب العباس بن عبدالمطلب في أحداث أُحد، فقرأه له أُبي بن كعب، وتداول محتواه مع سعد بن الربيع[2]. كما أكد على الحباب بن المنذر[3]، عندما أرسلة في مهمة في أُحد [لا تخبرني بين أحد من المسلمين]، وأكد الأمر مرة ثانية بعد عودته، وتقديمه إلى الرسول ﷺ نتائج مهمته، [لا تذكر من شأنهم حرفاً حسبنا الله ونعم الوكيل، اللهم بك أصول، وبك أجول][4]، خوفاً من تسرب المعلومات إلى المجاهدين، فتنال من معوناتهم، لا سيما وأن موقف المسلمين، كان في منتهى الصعوبة، حيث يتفوق العدو بصورة كبيرة.

امتاز الرجال الذين نفذوا مهمات خاصة، تتعلق بتصفية قيادات العدو، بأنهم كانوا يختارون ممن تتوفر فيهم شروط الأمن اللازمة، لإنجاح عمليات كهذه، فقد وصف ثلاثة ممن اشتركوا في تصفية كعب بن الأشرف، أحد قادة بني النضير، بأنهم إخوانه في الرضاعة، فهم رجال بعيدون عن الشبهات، من وجهة نظر الخصم برغم إسلامهم، كما أن الخطة تضمنت أن لا يكون اصطحاب رجال العملية للسلاح، معهم سبباً في إثارة الشكوك تجاههم، عبر الاتفاق المسبق مع كعب، على أن يرهنوه سلاحاً مقابل الطعام[5].

وينطبق الأمر نفسه على قائد عملية تصفية، أبو رافع اليهودي في خيبر، عبدالله بن عتيك حيث اختير فضلاً عن كفاءته، كونه يجيد العبرية[6]، ولديه أم من الرضاعة من بني النضير تسكن خيبر[7]، وقد حقق ضرورات الأمن عندما قام قبل الشروع بالتنفيذ بالسيطرة

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٩٧.
(٢) الواقدي، المغازي: ١/٢٠٤-٢٠٥؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ١٤/٢١٧-٢١٨.
(٣) الحباب بن المنذر: شهد بدراً والمشاهد كلها، مات في خلافة عمر ﷺ؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/٣١٦؛ وينظر ابن الأثير: ٢/٤٣٦-٤٣٧.
(٤) الواقدي، المغازي: ١/٢٠٧-٢٠٨؛ وينظر المقريزي، الإمتاع: ص١١٤.
(٥) الواقدي، المغازي: ١/١٨٨-١٩٠؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٠-١١؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ٢١-٣٢؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٨٩-٤٩٠؛ الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٢٠٣-٢٠٤.
(٦) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ وينظر الدياربكري، المصدر السابق: ٢/١٢.
(٧) خليفة، طبقات: ص١٠٣.

على مفاتيح الحصن، وغلق باب الدور، لمنع أي تدخل محتمل أثناء التنفيذ[1]، وهو ما ساهم بشكل فعال في إنجاح العملية رغم صعوبتها، وبعدها الجغرافي.

كما تطلبت ضرورات الأمن، أن تتقدم وحدات العيون، أمام الوحدة من أجل تتبع آثار العدو، ومحاولة إلقاء القبض على جواسيس العدو، أو أحد أفراده للاستفادة من المعلومات، التي يحملها، ولمنع تسرب أخبار تقدم الوحدة إلى العدو، وقد تحقق هذا في عمليات عديدة، ففي سرية عكاشة بن محصن[2] إلى الغمر، تم إلقاء القبض على جاسوس للعدو، وكان يترقب القوة، وبعد الحصول منه على المعلومات المطلوبة، استخدم كدليل للوحدة، ورغم أن الدليل يفترض به أن يتقدم أمام الوحدة، إلا أن عكاشة أمر أن يرافقه بعض الرجال أثناء أدائه مهمة الدلالة، خوفاً من محاولته الهرب، أو الغدر[3].

ومن ضرورات الأمن قتل الجاسوس المعادي، في حالة عدم إدلائه بما يحمله من معلومات، وهو ما سوف يحرم العدو من مصدره الذي اعتمد عليه في تزويده بالمعلومات، وهو ما حدث في سرية بشير بن سعد[4] إلى الجناب[5]، كما صمم العيون الذين أرسلهم الرسول ﷺ ، للقبض على المرأة، التي حملت رسالة حاطب بن أبي بلتعة إلى أهل مكة، على قتلها في حالة فشلهم في العثور على الرسالة[6]، كما فرض الرسول ﷺ رقابة صارمة على الطرق المؤدية إلى مكة، عبر مراقبة الطرق وتفتيشها بقيادة عمر بن الخطاب ﷺ، عبر رجال خزاعة، ومفارز راكبة تجوب الطريق[7]، وكانت كل هذه الإجراءات الاحترازية، تستهدف مكافحة التجسس المضاد، ومنع انتقال أسرار الخطط إلى العدو، بأي طريقة ممكنة...

---

(١) البخاري، صحيح: ١٨/٣-١٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٩٣/٢-٤٩٥.

(٢) عكاشة بن محصن: من بني أسد، حليف بني عبد شمس، شهد بدراً. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٠٨٠/٣-١٠٨١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٦٧/٤-٦٨.

(٣) الواقدي، المغازي: ٥٥٠/٢؛ وينظر أمثلة أخرى، المصدر نفسه: ٥٦٢/٢، ٩٨٥/٣، ٩٨٦.

(٤) بشير بن سعد: من الخزرج، شهد أحداً والمشاهد بعدها، استشهد في عين التمر سنة ١٢ هـ/٦٣٣م. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٧٢/١-١٧٣؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٣١/١.

(٥) الواقدي، المغازي: ٧٢٨/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٣/٣.

(٦) أبو يعلى، مسند: ٣١٨/١؛ وينظر الطوسي، المصدر السابق: ٥٧٣/٩؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٢٦٢/٧.

(٧) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص٢٠٩؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٧٩٦/٢؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٧/٨.

ومع هذا فقد أدى عدم الالتزام، بضرورات الأمن إلى كوارث أحياناً والى ضياع جهود كبيرة، كادت أن تثمر لولا أخطاء ارتكبت في اللحظة الأخيرة، فقد نجت قافلة أبي سفيان في بدر، في اللحظة الأخيرةعندما لم يتبع عدي الجهني، وبسبس الجهني، عيني ﷺ إلى ماء بدر قواعد الأمن، عند نزولهما إلى ماء بدر نهاراً، فرآهما مجدي الجهني، فشك فيهما كما أنهما تركا ما يدل على هويتهما، عندما لم يتخلصا من روث جملهما، الذي كان يحتوي على النوى، وهو علف أهل المدينة، وهو ما لاحظه أبو سفيان، فبان له الخطر المحدق عياناً[١]. كما أدى عدم الالتزام بالأمن، إلى فشل مهمة عمرو بن أمية الضمري[٢]، وسلمة بن أسلم[٣]، والتي كانت تهدف، تصفية أبي سفيان بن حرب في مكة، بسبب قيامهما بالطواف في الكعبة، فكشفت هوية عمرو، مما اضطرهما إلى الانسحاب، من غير تنفيذ العملية، وإلى تعرضهما إلى متاعب جمة، قبل الوصول إلى المدينة[٤]، وأدى التساهل في إجراءات الأمن، إلى تسلسل أحد الجواسيس من بني سليم، إلى سرية ابن أبي العوجاء[٥]، مما أدى إلى أبادة السرية تقريباً[٦].

لقد شهد التاريخ لعيون الرسول ﷺ، أنه لم يقع أحد منهم في قبضة الأعداء. سوى اثنين وهما: خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة في بئر الرجيع، وكانت نهايتهما المشرفة بالشهادة، من غير أن يدلوا بما يسيء إلى نبيهم ﷺ، وأمتهم، مصرين على العهد الذي قطعوه لله وللرسول ﷺ[٧]، كما شهد عصر الرسول ﷺ عيوناً رزقوا الشهادة، أثناء أدائهم واجبهم، بلغ عددهم سبعة وعشرين عيناً في أربع عمليات[٨].

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/٤٠-٤١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٤٩؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٩٠.

(٢) عمرو بن أمية الضمري: من مهاجرة الحبشة، ثم هاجر إلى المدينة، أول مشاهده بئر معونة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/١١٦٢-١١٦٣؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٤/١٩٣-١٩٤.

(٣) سلمة بن أسلم: شهد بدراً والمشاهد كلها، واستشهد في معركة الجسر عام ١٤هـ/٦٣٥م. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٦٣٨-٦٣٩.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٢٠٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢/٥٤٣.

(٥) ابن أبي العوجاء: لم أعثر له على ترجمة.

(٦) الواقدي، المغازي: ٢/٤٧١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢ قسم١: ص٨٩.

(٧) الواقدي، المغازي: ١/٣٦.

(٨) الواقدي، المغازي: ١/٣٥٢-٣٥٣، ٣٥٥-٣٥٦، ٢/٧٥٢-٧٥٣؛ وينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٦٤٥.

د. أساليب الاستنطاق:

مارس الرسول ﷺ، وعيونه قواعد خاصة، في استنطاق الجواسيس، والأسرى وحتى عابري السبيل، للاستفادة من المعلومات التي يحملونها. وتقوم هذه القواعد على محاولة تأمين هؤلاء على حياتهم وتوجيه أسئلة إليهم، الغرض منها جر الخصم إلى حالة بفرغ ما لديه من ملعومات، وفي حالة عدم التعاون، يلجأ إلى استخدام عنف محدود، لإرغامهم على الاعتراف. ومما يؤيد أن هذا العنف كان محدوداً، هو عدم إشارة المصادر إلى وفاة أي من جواسيس العدو، أثناء التحقيق، وعندما تفشل حتى هذه السبل، يهدد بإعدامه، ولم يرد لنا سوى حالتين، أشير فيهما إلى قتل الجاسوس، نتيجة لرفضه الاستسلام، ولجوئه إلى الفرار[1].

ولقد وردت الإشارة أول حالة استنطاق، مع أحد عابري السبيل، في الأحداث التي سبقت معركة بدر، حيث بادر الرسول ﷺ إلى سؤال سفيان الضمري، من سكان المنطقة، عما يعرفه عن قريش، ومحمد وأصحابه، فرفض الضمري الإجابة، إلا بعد أن يفصحوا له عن هويتهما، وكان مع الرسول ﷺ رجل من الصحابة، فأجابه الرسول ﷺ مستدرجاً، أنه إذا أخبرهما عما لديه، أخبراه من هما، وعندما ردد ثانية شرطه الأول، أجاب الرسول ﷺ بالإيجاب، وقد قام الضمري بسرد ما لديه من معلومات، عن خروج الرسول ﷺ من المدينة، وأين هو الآن حسب اعتقاده، وكذلك الحال عن خروج قريش من مكة لإنقاذ القافلة، وعندما انتهى من سرد ما لديه من معلومات، أبر الرسول ﷺ بتعهده بالإفصاح عن هويتهما، عبر بقوله، إنهما من ماء، والشيخ يتساءل من أين جاء؟ أمن ماء العراق[2]؟ وعاد الرسول ﷺ إلى عسكره.

ورغم ما يبدو على الرواية من مبالغة واضحة، في حجم الأخبار التي يحملها شيخ، عن قوتين متحركتين صوب بعضهما البعض، فإنها قد لا تخلو من فائدة أحياناً، وعلى الأقل في زيادة الاطمئنان إلى صحة المعلومات الواصلة، كما عبر الرسول ﷺ بعدم إفصاحه عن هويته، وإجاباته بصورة مبهمة وإن كانت صادقة، على شرعية ما يقوم به العيون ضمن هذا السياق.

---

(١) البخاري، صحيح: ١٧٨/٤؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٣/٣.

(٢) الواقدي، المغازي: ٥٠/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٨/٢-١٨٩؛ الطبري، تاريخ: ٤٣٥/٢-٤٣٦.

وكانت أول تجربة استنطاق لأسرى، وردت الإشارة إليها لدى الواقدي[1]، هي عندما قبضت عيون الرسول ﷺ، على ثلاثة من سقائي قريش، على ماء بدر، حيث قام المسؤولون في جيش قريش بسؤالهم عن هوياتهم، فأجابوا بأنهم سقائين لقريش فضربوهم، وكانوا يوحون إليهم آنذاك، بأنهم عائدون للقافلة، وليس لقوات قريش القادمة لنجدة القافلة، وكان الرسول ﷺ خلال ذلك يصلي، وهو يسمع سير الاستنطاق. وعندما انتهى من صلاته، تولى الاستنطاق بنفسه، وبلطف من غير عنف، فسألهم عن مواضع قوات قريش الآن، فقالوا إنها وراء التل الذي أمام المسلمين، ثم سألهم عن عدد قوات قريش، فقالوا: إنهم كثير، فأعاد صياغة السؤال مرة ثانية للحصول على إجابة محددة، فقال: كم ينحرون، فقالوا يوماً عشرة، ويوماً تسعة، ويشير ابن هشام[2] إلى أنه سألهم عن قيادات قريش، فذكروا عتبة، وشيبة ابني ربيعة، وأبا البحتري بن هشام، وحكيم بن حزام، ونوفل بن خويلد، والحارث بن عامر، ومنبه بن الحجاج، وسهيل بن عمرو، وعمرو بن ود العامري، فقال رسول الله ﷺ: [هذه مكة قد ألقت إليكم أفلاذ أكبادها] دليل أهميتهم وشرفهم في مكة. وتشير رواية الواقدي[3]، ختاماً إلى أنه سألهم، هل رجع أحد من بطون قريش إلى مكة؟ فأخبروه برجوع بني زهرة، وبني عدي.

ويرجع الفضل إلى أساليب الاستنطاق السليمة، في كسب الجاسوس المعادي عقدياً، إلى حظيرة الإسلام، كما حدث في غزوة ذي أمر، مما أدى إلى تعاونه التام في الإدلاء بكل ما لديه من معلومات[4]. وقد لجأ عمر بن الخطاب ﷺ أثناء استنطاقه جاسوساً لبني المصطلق، أثناء توجه الرسول ﷺ إليهم، إلى تهديده بالموت، إذا لم يتوقف عن المراوغة، ويلجأ إلى التعاون، وقد أدى هذا إلى تقديمه اعترافات مهمة في النهاية[5]. ولقد عبر عباد بن بشر[6]، عن امتلاكه الشروط التي يجب توفرها في الشخص المكلف باستنطاق الجواسيس،

---

(١) المغازي: ٣٥/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩؛ المقريزي، الإمتاع: ص٧٦-٧٧.

(٢) السيرة: ١٨٩/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٢٢/٢؛ السهيلي، المصدر السابق: ٣٤/٣.

(٣) المغازي: ٣٥/١.

(٤) الواقدي، المغازي: ١٩٤/١-١٩٥؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٣.

(٥) الواقدي، المغازي: ٤٠٦/١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٥.

(٦) عباد بن بشر: أسلم على يد مصعب، شهد بدراً والمشاهد كلها استشهد في اليمامة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٠١/٢-٨٠٥؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١٤٩/٣-١٥٠.

عبر تجريده من وسائل المراوغة، والتضليل، والتي قد ينجح بعضهم من خلالها في تحقيق أهدافهم، وهم في أسر أعدائهم، أكثر مما يتهيأ لهم ذلك، وهم يتمتعون بالحرية، فقد حاول الجاسوس، الذي ألقي القبض عليه في غزوة خيبر، والذي ينتمي إلى قبيلة أشجع من غطفان، ويعمل لمصلحة يهود خيبر أن يدعي بأنه أعرابي أضاع أباعر، فهو يطلبها، وعندما سئل عما يعرفه عن خيبر، كان جوابه واضحاً في تعاطفه معهم بقوة من خلال إضافته هالة كاذبة من المبالغة على قوة يهود خيبر، لإخافة المسلمين، وهو ما سهل كشف هويته، فهدد بالموت إن لم يعترف، فأبدى استعداده للتعاون إن ضمنت حياته، وأجيب إلى ذلك، فاعترف بما لديه من معلومات مهمة[1].

كما قام الرسول ﷺ، في نفس الغزوة، للتأكد من أقوال كنانة بن سلام بن أبي الحقيق، أحد قادة خيبر، باستدراج أخيه ثعلبة بن سلام، وكان معروفاً بالسذاجة، فدله على المكان الذي كان يخفي فيه كنانة كنزه[2]، ويشير هذا إلى أنه يمكن أحياناً الاستفادة حتى من السذج للحصول على الحقائق، وعندما توجه الرسول ﷺ إلى مكة، ألقي القبض على جاسوس لهوازن، ادعى أثناء استنطاقه بأنه رجل من غفار، وعندما سئل من أي بطون غفار، لزم الصمت، فازدادوا به ريبة، وسئل أين أهلك؟ فقال قريباً ولم يحدد وأومأ إلى ناحية، وسألوه على أي ماء ومن معه، فلزم الصمت ثانية، فهدد حينئذ بالموت، إن لم يعترف بالحقيقة، فاعترف بعد أن أمن على حياته[3]. ويظهر هنا أثر الأسئلة المتلاحقة، والدقيقة في شل تفكير الجاسوس، والحيلوله بينه وبين رسم صورة مضللة، وكانت الصدمة النهائية لإرغامه على الاعتراف، هي تهديده بالقتل.

رابعاً: إدارة العيون:

جمع الرسول ﷺ بين كونه نبياً يوحى إليه، من الله سبحانه وتعالى، وبين كونه رجل دولة تقع عليه مهمة القيادة السياسية للأمة، وهي حالة فريدة، أراد الله بها ختم خطابه الإلهي إلى البشر. وشهد هذا العصر، استناداً إلى هذه الحقيقة، وضع الإطارات العريضة للتأسيسات السياسية، والعسكرية، والإدارية، والاقتصادية، للأمة استناداً إلى القرآن الكريم، وأقوال وأفعال الرسول ﷺ، والتي حولت الخطاب الإلهي إلى حركة فاعلة،

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/٦٤٠-٦٤١.
(٢) المصدر نفسه: ٢/٦٧٢.
(٣) المصدر نفسه: ٢/٨٠٤-٨٠٥.

وسرعان ما نمت، وتطورت هذه التأسيسات، الوليدة فيما بعد، خلال التجربة التاريخية للأمة في العهود التالية.

واستناداً إلى هذه الحقيقة، لا يمكن قبول الطروحات التي تنفي أي تأسيسات خلال هذه الفترة، وكأن حركة الأمة سائبة، تجري بعفوية من غير نهج، ولا ضوابط، فقد ظهرت في هذا العصر، البدايات التأسيسية، لشبه هيكل إداري للإشراف على الشؤون السرية للدولة، وكان العيون مرتبطين مباشرة بالرسول ﷺ، فقد أشير إلى أُبي بن كعب[١]، إلى أنه كان يكتب ويقرأ له الرسائل السرية[٢]، ثم تولى الأمر من بعده زيد بن ثابت، حيث يشير ابن عساكر[٣]، إلى أن الرسول ﷺ قال له [إنها تأتيني كتب لا أحب أن يقرأها كل أحد، فهل تستطيع أن تتعلم العبرانية أو قال السريانية، فقلت نعم...] فالأمر يتعلق هنا بتعلم الكتابة، كما أشير إلى محاولته تعلم الفارسية، والرومية، والقبطية، والحبشية، من أصحاب هذه اللغات المقيمين في المدينة[٤].

مما يلفت الانتباه بروز دور واضح لعمر بن الخطاب ﷺ، على صعيد الشؤون الأمنية في عهد الرسول ﷺ، وهناك بعض الوقائع التي تدعم هذا الاستنتاج، فقد كان عمر، هو الذي نقل إلى الرسول ﷺ أخبار خيانة بني قريظة في الخندق من مصادر يهودية على الأرجح، من داخل بني قريظة[٥]، كما تولى بنفسه التحقيق مع الجاسوس الذي ألقي القبض عليه في أحداث بني المصطلق[٦]. كما أنه هو الذي اقترح على الرسول ﷺ التخلص نهائياً من زعيم المنافقين عبدا لله بن أُبي بن أبي سلول، بعد أن صعد عملياته التخريبية، لإحداث فتن بين الأوس والخزرج في هذه الغزوة. وقد كان للرسول ﷺ رأي آخر في الموضوع، نتيجة الأوضاع القبلية الحساسة في المدينة[٧]. كما تولى أثناء حصار خيبر، الإشراف المباشر على عمليات المراقبة الليلية على الحصون المحاصرة، حيث تمكن من القبض على يهودي

---

(١) أُبي بن كعب: من بني النجار، شهد العقبة الثانية، وبدراً والمشاهد كلها، مات في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/٦٥-٧١.

(٢) الواقدي، المغازي: ١/١٣، ٢٠٤؛ وينظر العسكري، الأوائل: ص٨٤؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١/٦٥-٧١.

(٣) تهذيب: ٥/٤٤٦.

(٤) المسعودي، التنبيه والأشراف: ص٢٤٦.

(٥) الواقدي، المغازي: ٢/٤٥٧؛ وينظر البخاري، صحيح: ٣/٣٣.

(٦) الواقدي، المغازي: ١/٤٠٦؛ وينظر ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص٤٥؛ ابن سيد الناس، المصدر السابق: ٢/٩٢.

(٧) ابن الكلبي، المصدر السابق: ص٦٣٦.

تسلل خارجاً من أحد الحصون، وقد أمر بقتله مما دفع اليهودي إلى إبداء رغبته، في لقاء الرسول ﷺ، وقد حضر عمر اللقاء، وقد أبدي اليهودي رغبته في التعاون، لقاء منحه الأمان، وقد تعهد له الرسول ﷺ بذلك وكانت اعترافاته مذهلة، عبر نقل الحالة النفسية المتردية للمقاتلين اليهود، وهروبهم من حصن النطاة إلى حصن الشق، والذي يحتوي على مخزون ضخم من الطعام، وفيه أسلحة ثقيلة مدفونة تحت الأرض تضم مجانيق مفككة[1]، ودبابتين[2]، وسلاح من دروع وسيوف[3].

كما أمر الرسول ﷺ عمر رضي الله عنه، بالإشراف الأمني على الطرق المتجهة، من المدينة إلى مكة، قبل أن يشرع المسلمون في التوجه إليها لفتحها، وكانت تعليماته إلى رجاله ((ولا تدعوا أحداً يمر عليكم تنكرونه، إلا رددتموه))[4]، وتدخل أثناء مسائلة الرسول ﷺ حاطب بن أبي بلتعة، عن سبب تراسله مع مكة، في أحداث فتح مكة، حيث طالب بإعدامه، لأنه خان الله ورسوله، وقد رفض الرسول ﷺ اقتراحه، لا لشيء إلا لصدق نية حاطب، وإيمانه، ثم لأنه من أهل بدر[5]. ويلاحظ أيضاً أن الرسول ﷺ أشركه في دراسة المعلومات، التي قدم بها عينه عبدا الله بن أبي حدرد، عندما أرسله إلى هوازن، حيث شكك في دقة المعلومات التي جلبها عبدا الله، وكان على حق في هذا، وعندما احتج عبدا الله على تقييم عمر لمعلوماته، واستنجد بالرسول ﷺ للوقوف معه، كان جواب الرسول ﷺ مؤيداً لحسن نية عبدا الله، أكثر من تأييده لما جاء به من أخبار[6].

---

(١) منجنيق: لفظة عربية، وقيل معربة آلة تصنع من الحديد والخشب، وهي تشبه مدفعية الميدان الثقيلة في الوقت الحاضر، إذ أن مقذوفاتها من الحجارة تهدم الحصون والأبراج، كما ترمي مقذوفات تحرق الدور والمعسكرات. الجواليقي، المصدر السابق: ص٣٥٣-٣٥٤؛ وينظر مرضي بن علي الطرطوسي، تبصرة أرباب الألباب في كيفية النجاة في الحروب من الأسوار، ونشر أعلام الإسلام في العدد والآلات المعينة على لقاء الأعداء، تحقيق ونشر كلود كاهن (بيروت، ١٩٤٨): ص١٧؛ عون، المرجع السابق: ص١٥٦-١٦١.

(٢) دبابة: هي إحدى الأسلحة المستخدمة في حصار المدن، تصنع من الخشب والجلود، ويوضع الرجال في داخلها لإيصالهم إلى أسفل الأسوار، لكي يقوموا بنقبها. ابن منظور، المصدر السابق: ٣٧١/١؛ وينظر الطرطوسي، المصدر السابق: ص١٨؛ عون، المرجع السابق: ص١٦٨-١٧١.

(٣) الواقدي، المغازي: ٦٤٧/٢-٦٤٨.

(٤) المصدر نفسه: ٧٩٦/٢.

(٥) المصدر نفسه: ٧٩٨/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٣٠/٤؛ الحميدي، المصدر السابق: ٢٧/١-٢٨؛ البخاري، صحيح: ١٧٠/٢، ٧/٣؛ مسلم، الجامع: ١٦٨/٧.

(٦) الواقدي، المغازي: ٨٩٣/٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٦٢/٤؛ الطبري، تاريخ: ٧٣/٣.

خامساً: واجبات العيون والجواسيس:

أ. العمليات الخاصة:

يقصد بالعمليات الخاصة، تلك العمليات التي كان الغرض منها، تصفية القيادات المعادية، التي فشلت كافة الوسائل السلمية، في تحييد نشاطاتهم السياسية، والعسكرية، التي باتت تشكل خطراً جدياً، على الدولة الإسلامية، وامتازت بأهدافها الصعبة والمتميزة، ومسرحها الجغرافي المتنوع، فعلى صعيد الأهداف، نجد عمليات استهدفت قيادات يهودية، وهو ما ينطبق على كعب بن الأشرف، وأبي رافع سلام بن أبي الحقيق. أو شخصيات عربية متهودة، وهو ما ينطبق على عصماء بنت مروان من الأوس، وأبي عفك من الخزرج، واللذين عملا ضد الإسلام، خدمة للمصالح اليهودية، وبتحريض منها على الأرجح، وعمليات استهدفت قيادات عربية مشركة، مثل سفيان بن خالد الهذلي، وأبي سفيان بن حرب، ورفاعة الجشمي، والأسود العنسي.

وعلى صعيد المسرح الجغرافي، نجد أن بعض هذه الأهداف، نفذت داخل المدينة، وبعضها في خيبر، وفي مكة، أو المناطق المجاورة لها، أو في اليمن. وأن هذه العمليات كانت تهدف إلى التخلص من القيادات المتطرفة، في عدائها للإسلام، ونتيجة لتحريضها على العدوان على المسلمين، ولا يمكن وصفها بأنها عمليات اغتيال سياسي[1] فهذا مصطلح معاصر، لا يعبر عن حقيقة الأوضاع في تلك الفترة، حيث أن سلطة الرسول ﷺ، لم تكن قد سيطرت على مجريات الأمور بصورة حاسمة، لا سيما في السنتين الأوليين، خاصة على المستقرات اليهودية داخل المدينة، وكذلك الحال في المناطق المحيطة بالمدينة. ولم يكن هناك جهاز، تنفيذي يمارس تنفيذ العقوبة، بحق غير المسلمين، كما لم يكن هناك شرطة، أو سجون، كما هو الوضع الآن، فماذا يكون جزاء من يتواطأ مع العدو، على تهديد الأمن، وحياة الرسول ﷺ، وممارسة التحريض على التمرد، وإيجاد حالة من الفوضى وعدم الاستقرار؟

١. عملية التخلص من عصماء بنت مروان:

تنتمي عصماء إلى بني خطمة من الأوس، الذين تأخر إسلامهم مع بطون أخرى إلى ما

---

(١) ينظر مثلاً: هادي العلوي، في السياسة الإسلامية، الفكر والممارسة (بيروت، دار الطليعة، ١٩٧٤): ص٢٦.

بعد الخندق[1] وكانت شاعرة[2] سليطة اللسان، متنفذة في قومها بني خطمة يهودية العقيدة، وقفت موقفاً عدائياً من المسلمين، منذ البداية، فهجت الرسول ﷺ والمسلمين وقد أورد الواقدي[3] إحدى قصادئها، والتي هي على الأرجح، أقل قصائدها حدة وجاء فيها:

فَبَأُسْتِ بني مالك والنبيت   وعوف وبَأُسْتِ بني الخزرج
أطعمتم أتاوي من غيركم   فلا من مراد ولا مذحج
ترجونه بعد قتل الرؤوس   كما يرتجي مرق المنضج

وقد كلف الرسول ﷺ، عمير بن وهب الأنصاري الأوسي[4]، بالتخلص منها، فقتلها داخل بيتها ليلاً[5].

٢. عملية التخلص من أبي عفك:

كان أبو عفك، يهودي العقيدة كعصماء، شيخاً كبيراً، بلغ المائة والعشرين من العمر، عند هجرة الرسول ﷺ، وعرف عنه عدائه الشديد للمسلمين. واستخدم شعره، في التحريض على الرسول ﷺ، مدفوعاً بعقيدته اليهودية، أكثر من أي شيء آخر، وقد قام سالم بن عمير[6] والذي ينتمي إلى نفس الرهط من الخزرج، بقتله ليلاً في فناء داره[7].

إن تنفيذ العملية، من غير أن يتدخل أحد من أهل المقتول، دليل على دقة التخطيط، والتنفيذ من جهة أخرى، كما أن اختيار المنفذ، من نفس الرهط، يتفق مع سياسة الرسول ﷺ فهي مأمونة أكثر ولا تخلق حساسيات، ومشاكل قبلية.

---

(١) ابن حزم، جمهرة: ص٣٤٥؛ وينظر هاشم الملاح (الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة) جامعة الموصل، مطبعة جامعة الموصل، ١٩٩١): ص٢٤٣.

(٢) يشير ابن تيمية إلى خطورة الشعر، بأنه يأتي من كلام موزون، ويروى، وينشد بالأصوات والألحان، ويشتهر بين الناس، وله من التأثير في الأذى والصد عن سبيل الله، ما ليس للكلام المنثور. الصارم المسلول: ص٨٤.

(٣) المغازي: ١/١٧٢.

(٤) عمير بن عدي: شهد أحداً وما بعدها من المشاهد، وهو أول من أسلم من بني خطمة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/١٢١٨.

(٥) ابن الكلبي، جمهرة: ص٦٤٢؛ وينظر الواقدي، المغازي: ١/١٧٣؛ ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص١٨؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧٣؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٥٦٧.

(٦) سالم بن عمير: شهد بدراً وأُحداً والمشاهد مع الرسول ﷺ توفي في خلافة معاوية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣/١٢١٨.

(٧) ابن الكلبي، جمهرة: ص٦٣٧؛ وينظر الواقدي، المغازي: ١/١٧٤؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧٣.

٣. عملية تصفية كعب بن الأشرف:

جاءت تصفية كعب، بعد معركة بدر الكبرى، وكان عربياً من بني نبهان من طيء، وأمه من بني النضير[١] وكان شاعراً هجاءاً، ماجناً، متنفذاً في بني النضير، يسكن بين أظهرهم[٢]، وقد أظهر عداوة مبكرة للرسول ﷺ، وازدادت هذه العداوة، بعد انتصار المسلمين في معركة بدر، فأظهر حزناً شديداً على قتلى قريش، وذهب إلى مكة يبكيهم، ويهجو المسلمين، ويحرض على أخذ الثأر، ونزل على أبي وداعة بن ضبيرة السهمي، وقد تصدى له حسان بن ثابت، فكان يرد عليه، ويثير جواً من الريبة، لدى من ينزل عليهم من أهل مكة، نظراً لمجونه وخلاعته، وهذا ما دفع في النهاية، من رحبوا به إلى طرده، فعاد إلى المدينة[٣].

وبعد عودة كعب إلى المدينة، استمر في سلوكه المعادي، فشبب بنساء المسلمين الطاهرات، للتشهير بهن بهتاناً[٤] وزاد الأمر خطورة، أنه أعد خطة لقتل الرسول ﷺ غدراً، عبر دعوته إلى وليمة، وواطأ جماعة من بني النضير على ذلك[٥] ويبدو أن العملية فشلت، لإحساس الرسول ﷺ، بالهدف المرجو من الوليمة، لكل هذه الأسباب مجتمعة، كان لا بد من التخلص من كعب بن الأشرف، لاستحقاقه الموت جزاءاً وفاقاً.

كلف الرسول ﷺ محمد بن مسلمة[٦]، وأمره بمشاورة سيد الأوس، سعد بن معاذ[٧]، وقد وضع سعد خطة ناجحة تقوم على الذهاب إليه أولاً. ومحاولة طمأنته عبر إظهار عدم الرضا بتطور الأوضاع في المدينة، وأن أحوالهم قد ساءت جميعها، بعد مجيء الرسول ﷺ ويطلب إليه أن يسلفهم طعاماً[٨]. وقد تم اختيار الفريق المنفذ بدقة، حيث اختيروا ممن لا يشك فيهم كعب فقد كان محمد بن مسلمة، وأبو نائلة سلكان بن سلامة[٩] أخويه من

---

(١) ابن هشام، المصدر السابق: ٨/٣.

(٢) الواقدي، المغازي: ١٨٤/١-١٨٥؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٤٥٩/٤.

(٣) الواقدي، المغازي: ١٨٦/١-١٨٧؛ وينظر ابن القيم، أحكام: ٨٥١/٢.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق: ١٠/٣. (٥) ابن حجر، فتح الباري: ٣٤٠/٨.

(٦) محمد بن مسلمة: من الأوس، شهد بدراً والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ مات سنة (٤٣هـ/٦٦٣م). ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٧٧/٣.

(٧) الواقدي، المغازي: ١٨٧/١. (٨) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٦٢.

(٩) سلكان بن سلامة: من الأوس، شهد أُحداً، وكان من الصحابة الرماة، إضافة إلى كونه شاعراً. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٧٦٥/٤.

الرضاعة[1]. ووصف ابن الكلبي[2] عباد بن بشر[3] العضو الثالث، بأنه أيضاً أخاه من الرضاعة. كما عرف عن أبي نائلة بأنه كان نديم كعب في الجاهلية[4]. وعلى هذا الأساس يمكن ترجيح رواية الواقدي[5]، التي تشير إلى أن الذي ذهب إليه أولاً، لإعطائه الطعم، لأغراض التطمين، كان أبو نائلة حيث جلس إليه، في ناديه مع بني النضير، ثم أشعره بعد أن تناشد الأشعار. وكعب يسأله عن حاجته، وهو لا يجيب، بأنه يريد الانفراد به لحاجة خاصة، فغادر ندماء كعب المجلس، وهنا شكا أبو نائلة، إلى كعب حالهم مع رسول الله ﷺ وأن أمورهم قد ساءت وأنهم يريدون الانفصال عنه، لكي يزيد من ثقة كعب به، وهذا مما زاد في سرور كعب وانشراحه، وطلب إليه في الختام، أن يبيعه وأصحابه طعاماً، وعرض عليه رهناً وهو الحلقة (السلاح) فوافق كعب على الصفقة. وكان غرض أبي نائلة من هذا الطرح، أن لا ينكر كعب قدومهم مع سلاحهم عند تنفيذ العملية، وحدد أبو نائلة معه موعداً، لقدومه مع صحبه، وهو العشاء حيث صلوا العشاء مع الرسول ﷺ. وأطلعوه على الخطة، وأقرهم عليها، ودعا لهم، وانظم إليهم الحارث بن أوس[6]، وأبو عبس بن جبير[7]، فأصبح عددهم خمسة وودعهم الرسول ﷺ، إلى البقيع ولما وصلوا إلى حصن كعب، ناداه أبو نائلة، فنزل كعب برغم تحذيرات زوجته فتحدثوا ساعة، يتناشدون الأشعار، ثم اقترحوا عليه أن يتمشوا إلى منطقة شرج العجوز، قرب المدينة، وعندما شرعوا في التمشي مد أبو نائلة يده إلى رأس كعب وكان مضمخاً بالطيب، وأبدى إعجابه الشديد بشعره، وكرر العملية مرة ثانية، بعد ساعة، وبعد أن اطمأن كعب إلى سلوكه، عندئذ سحبه من جدائله، وسيطر على رأسه، وسيطر على رأسه وأمر أصحابه بالإجهاز عليه.

ويذكر ابن شبة[8] رواية ثانية، عن طريقة قتله، لا تختلف كثيراً عن رواية الواقدي،

---

(١) الواقدي، المغازي: ١٨٨/١. (٢) جمهرة: ص٦٣٧؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٧٤/١.

(٣) عباد بن بشر: من الأوس، أسلم على يد مصعب بن عمير، وشهد بدراً والمشاهد كلها. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٠١/٢. (٤) ابن شبة، المصدر السابق: ٤٥٦/٥.

(٥) المغازي: ١٨٨/١-١٨٩؛ وينظر البخاري، صحيح: ١٧٤/٢؛ مسلم، الصحيح: ١٨٤/٥-١٨٥؛ ابن حبيب، المحبر: ص١١٧؛ الطبري، تاريخ: ٤٨٩/٢-٤٩٠؛ الأصبهاني، الأغاني: ١٣٣/٢٢.

(٦) الحارث بن أوس: من الأوس، شهد بدراً واستشهد في أُحد. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢٨١/١.

(٧) أبو عبس بن جبير: من الأوس، شهد بدراً والمشاهد كلها، مات سنة ٣٤هـ/٦٥٤. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٧٠٨/٤-١٧٠٩؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٠٢/٦-٢٠٣.

(٨) تاريخ المدينة: ٤٦٠/٢-٤٦١.

سوى أنه يجعل محمد بن مسلمة، بدل أبي نائلة، فيمن قابل كعب، في المرة الأولى وهو الذي قاد العملية وسيطر على رأسه. وقال لأصحابه ((لا تستنكروا إن قتلتموني وإياه جميعاً)). ويأتي هذا من الحرص على تنفيذ العملية بنجاح تام، وبأي ثمن ولو كان حياة المنفذ.

ولقد حققت العملية أهدافها المرجوة، إذ ألقت الرعب في قلوب اليهود، في المدينة وأجبرتهم على استخدام الهمس في حديثهم عن الإسلام، بدل التبجح والصخب، وجعلتهم يوافقون على الصحيفة التي اقترحها الرسول ﷺ، كإطار يحكم العلاقة بينهم، وبين المسلمين داخل المدينة، وتحت قيادة الرسول ﷺ.

٤ . عملية تصفية أبي رافع سلام بن أبي الحقيق في خيبر:

إن هذا القائد اليهودي، كان من جملة من حرض الأحزاب، على رسول الله ﷺ في معركة الخندق[١]، وكان يمول التحركات العدوانية، التي تقوم بها غطفان وغيرها من مشركي العرب، ضد الرسول ﷺ. وقد اختار الرسول ﷺ عبدالله بن عتيك الخزرجي[٢]، لقيادة العملية والذي امتاز بعدة مؤهلات ترشحه لذلك، فقد كان يجيد العبرية[٣]، وأشار خليفة[٤] إلى أن أُمه كانت يهودية تسكن خيبر. ويبدو أنها من بني النضير المرحلين عن المدينة، وكان يصحبه في التنفيذ أربعة رجال، وهم مسعود بن سنان[٥]، وعبدالله بن أنيس، وأبو قتادة[٦]، الحارث بن ربعي، وخزاعي بن أسود حليف لهم[٧]. وورد لدى الصنعاني[٨]

---

(١) ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٠/٣.

(٢) عبدالله بن عتيك: من الخزرج شهد المشاهد مع رسول الله ﷺ استشهد في اليمامة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٩٤٧/٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات: م٢، قسم١: ص٦٦؛ وينظر الدياربكري، المصدر السابق: ١٢/٢؛ الحلبي، إنسان العيون: ١٥١/٣.

(٤) الطبقات: ص١٠٣؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٣٩١/١.

(٥) مسعود بن سنان: حليف بني سلمة شهد أُحداً واستشهد في اليمامة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٩٢/٣.

(٦) أبو قتادة: كان يلقب فارس رسول الله ﷺ شهد أُحداً كلها. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٧٣١/٥.

(٧) ابن هشام، المصدر السابق: ١٧١/٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ خزاعي بن أسود: من مزينة هاجر إلى رسول الله ﷺ كان يحمل لواء مزينة عام الفتح. ابن الأثير: أسد الغابة: ١٣١/٢-١٣٢.

(٨) المصنف: ٤٠٧/٥.

أنهم ستة مع القائد، فهو يضيف إليهم فلان بن سلمة[1]، ولدى ابن شبة[2] أنهم أربعة فقط.

كانت أوامر الرسول ﷺ واضحة في الاهتمام بتنفيذ الهدف فقط، وهو قتل أبي رافع وعدم القيام بأي شيء آخر عرضي، ونهى عن قتل النساء والصبيان، أثناء التنفيذ لأنه يتعارض مع قيم الإسلام[3]. ويشير الواقدي[4] إلى أن أم عبدالله بن عتيك اليهودية، قد لعبت دوراً إيجابياً مسانداً للعملية حيث اتصل بها منذ البداية، عند وصوله إلى خيبر، وقدمت لهم المأوى والطعام والمشورة، بعد أن اطلعت على طبيعة الهدف القادمين لتنفيذه، واقترحت عليهم الدخول ليلاً وأطلعتهم على طبيعة الأوضاع السائدة في خيبر. وطلبت منهم الادعاء عند محاولتهم الدخول إلى أبي رافع، بأنهم قدموا بهدية. وكان أبو رافع يسكن في قصره داخل حصنه، يصعد إليه بسلم من جذوع النخل، وقد أغلق فريق التنفيذ، أبواب دور الحصن، من الخارج، قبل التنفيذ مباشرة. ولما طرق عبدالله بن عتيك باب أبي رافع، ردت عليه زوجته مستفهمة عما يريده، فرد بالعبرية أنه جاء لأبي رافع بهدية، ففتحت، فلما رأت السلاح معهم حاولت الصراخ لطلب النجدة والإنذار، إلا أنهم أشاروا إليها بالسيف، وهددوها حتى هدأت، وأخبرتهم عن موقع أبي رافع، وأشارت إلى غرفته، فدخلوا عليه حيث ضربوه بأسيافهم، فصاحت امرأته فهددوها ثانية ولولا وصية رسول الله ﷺ لقتلوها، وبعد أن أجهزوا عليه غادروا المكان، حيث اختبأوا في منهر من مناهير خيبر[5]. وقد أعطى إغلاق أبواب بيوت الحصن مفعوله، حيث عانت عملية مطاردة الفريق، التي قام بها أهل الحصن من عدم فعاليتها، لأن محاولات فتح هذه الأبواب، أخذت ساعات طويلة من قبل ساكنيها، وقد أشعل أهل خيبر سعف النخيل لإنارة المنطقة، دون جدوى لكشف المنفذين. وللتأكد التام من موت أبي رافع. عاد خزاعي بن أسود أحد

---

(١) فلان بن سلمة: لم أعثر على ترجمته.

(٢) تاريخ المدينة: ٤٦٣/٢؛ وينظر أبو يعلى، المصدر السابق: ٢٠٤/٢؛ الطبري، تاريخ: ٤٩٨/٢.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٣/٣؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٤٦٣/٢-٤٦٤.

(٤) المغازي: ٣٩١/١-٣٩٢؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٤٠٨/٥-٤١٠.

(٥) المنهر: يشير الواقدي إلى أنه عبارة عن منخفض من الأرض، يتكون نتيجة لتجمع مياه العين، كما يبدو وهو عميق يتدلى فيه كالبئر. المغازي: ٧١٤/٢-٧١٥، وهو بهذا الوصف ليس كما أورده اللغويون بأنه شق في جدار الحصن نافذ، يجري منه الماء. ابن سيده، المصدر السابق: ٣/١٠؛ وينظر ابن منظور، المصدر السابق: ٢٣٨/٥، ويبدو أن النباتات كانت تنموا حوله وبداخله مما يساعد على الاختباء.

أعضاء فريق التنفيذ، إلى بيت أبي رافع حاملاً سعف النخيل، كأي رجل من يهود خيبر، وبعد أن تأكد من موته، من خلال تصريح زوجته بذلك، عاد إلى صحبه، ثم رجع ثانية لمزيد من التأكد، ولقطع الشك باليقين، بشكل لا لبس فيه، وشارك في عملية دفنه، ثم عاد إلى أصحابه في المنهر، فمكثوا يومين حتى هدأ الطلب ثم غادروا خيبر إلى المدينة.

ويقدم البخاري[١] رواية أخرى تختلف عما ورد، حيث يشير إلى أن عبدا لله بن عتيك، هو أول من دخل حصن أبي رافع، حيث طلب من بقية رجاله المكوث في الخارج، واختبأ في مربط حمار عند باب الحصن، حيث يوضع مفتاح باب الحصن[٢]، في كوة الجدار، وبعد أن راقب مغادرة أصحاب أبي رافع، الذين كانوا يسمرون عنده في ساعة متأخرة من الليل، وهدأت الأصوات في الحصن، قام فأخذ مفتاح الحصن، لكي يغادر عن طريقه، إن حدث طارئ غير متوقع، ثم قام بإغلاق بيوت الحصن علىأصحابها، ثم صعد إلى أبي رافع فإذا البيت مظلم قد أطفأوا السراج، ولم يكن لديه علم أين ينام أبو رافع، فناداه وعندما رد عليه، اتجه نحو مصدر الصوت، فضربه بالسيف، فلم يتمكن منه، وعندما صرخ أبو رافع، ادعى عبدا لله بأنه شخص يغيثه، بعد أن غير صوته، فأخبره بأن أحداً ما ضربه بالسيف، فضربه عندها ابن عتيك ثانية، إلا أنها أيضاً كانت غير فعالة كالأولى، وهنا قام أهل أبو رافع لنجدته، فتقدم إليه ابن عتيك ثالثة، بعد أن غير نبرات صوته كالمغيث ثانية، فضربه فقضى عليه، ثم اتجه إلى السلم للهبوط فسقط نتيجة للاستعجال، فانخلعت رجله فعصبها والتحق بأصحابه مبشراً إياهم بتنفيذ الهدف، وعندها قرروا الانسحاب إلا أنه أصر على البقاء حتى يتأكد من موت أبي رافع، وهو ما شاع صبحاً عندئذ التحق بأصحابه وعادوا إلى المدينة.

وهناك رواية ثالثة لدى أبي يعلى[٣]، تتفق مع ما روي سابقاً من قدومهم ليلاً، وغلقهم أبواب دور الحصن، ثم تشير إلى إلقائهم المفاتيح في بئر، ثم صعد عبدا لله بن أنيس، وعبدا لله بن عتيك، إلى دار أبي رافع للتنفيذ، بيما ذهب الآخران إلى بستان نخل مجاورة، وصعدوا على نخلة للمراقبة، وعندما نادى عبدا لله بن عتيك أبا رافع، عرفوا صوته فأمر أبو رافع زوجته بفتح الباب، وعندئذ تولى عبدا لله بن أنيس، أمر الزوجة حتى لا تتدخل في

---

(١) الصحيح: ١٩/٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٩٣/٢-٤٩٥.

(٢) أشار الديلمي إلىأن ابن عتيك سجن الحرس وهو مالم يرد في أي رواية. المرجع السابق: ص١٧٦.

(٣) مسند: ٢٠٤/٢-٢٠٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٩٨/٢-٤٩٩.

تنفيذ العملية، ولولا أوامر رسول ا الله ﷺ بعدم التعرض للنساء لقتلها، بينما قام عبدا الله بن عتيك بالإجهاز على أبي رافع فقضى عليه، ثم هبطا السلم فسقط ابن عتيك، فحمله ابن أنيس ثم التحقوا بأصحابهم، وعادوا إلى المدينة.

إن أهمية هذه العملية، تأتي من خلال قيام وحدة صغيرة من العيون، ما بين ستة إلى أربعة، بتنفيذ هذه المهمة الخطرة في منطقة تبعد عن المدينة ١٩٢ كم. كما تم الإعداد لها بعناية عبر قائد يجيد العبرية، ولديه أم يهودية في خيبر، أفادت العملية كثيراً. ويلاحظ أن رجال العملية لم يصحبوا معهم دليلاً، مما يدل على معرفتهم المسالك إلى خيبر، ويدل سير العملية على معرفتهم بخيبر وحصونها.

وتكاد تتفق الروايات، جميعها في إجراءات الأمن المتخذة، والعمل الجماعي في التنفيذ، وهو الأقرب إلى الواقع. ولكن رواية البخاري، تكاد تعطي عبدا الله بن عتيك، كل شيء ولربما جاءت هذه الصورة، من خلال قيادته للعملية أكثر من أي شيء آخر. كما أن اختيار المنهر كان خطوة ذكية للاختباء، ريثما يهدأ الطلب، حيث أن النباتات التي تنمو في محيطه وداخله، وفرت مكاناً للتخفي، فضلاً عن توفر الماء الضروري للشرب.

٥. عملية التخلص من سفيان الهذلي:

يشير الواقدي(١)، إلى أن الرسول ﷺ أرسل عبدا الله بن أنيس، للقضاء على زعيم قبلي من هذيل، كان يقوم بتجميع الأعراب للإغارة على المدينة. وقد اتخذ من عرنة(٢) في ضواحي مكة مقراً له، حيث تجمع حوله أناس من قبائل شتى، وقد قدم الرسول ﷺ وصفاً لخلق سفيان الهذلي، يبدو من خلاله بأنه قبيح الصورة، مرعباً، حيث وصفه بالشيطان، وذكر الرسول ﷺ لعبدا الله، بأنه سيشعر بقشعريرة عندما يراه، وأمره أن ينتسب إلى خزاعة، لأن لديه أنصاراً من هذه القبيلة، وسمح له أن يقول ما يشاء للتمويه على الخصم، فالحرب خدعة، ولم يأخذ من السلاح سوى السيف، وقد أخذ عبدا الله يصرح لكل من يراه الطريق، بأنه جاء للانضمام إلى سفيان، وقد التقاه عصراً في عرنة، وعرفه بنفسه، وأنه جاء للانضمام إليه، وكان عبدا الله متحدثاً لبقاً، شاعراً، وقد كسب ثقته فلم تراوده الشكوك عن شخصيته، حيث صحبه إلى خبائه، وعندما تفرق أصحابه إلى أخبيتهم المحيطة بخباء

---

(١) المغازي: ٥٣٢/٢-٥٣٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٥-٣٦؛ ابن شبة، المصدر السابق: ٤٦٨/٢-٤٦٩؛ البلاذري، أنساب: ٣٧٦/١؛ الطبري، تاريخ: ١٥٦/٣.

(٢) عرنة: قال عنها البكري إنه بينها وبين الحرم بمكة رمية حجر. المصدر السابق: ١١١٧/٤.

قائدهم، وبعد أن هدأ الناس، وأخلدوا إلى النوم، قام عبدا لله بالإجهاز على سفيان، واتجه بعد ذلك إلى جبل مجاور، ونجا من مطاردة قوية قام بها أنصار سفيان، حيث اختبأ في غار حتى هدأ الطلب، وأخذ يسير ليلاً، ويكمن نهاراً حتى جاء المدينة المنورة.

ويقدم الشيباني[1] رواية أخرى عن مقتله، تشير إلى أن عبدا لله بن أنيس، بعد أن التقاه عصراً سايره، ثم تأخر عنه بدعوى أنه وطئ على عصن شوك، حتى إذا أصبح خلفه قتله وغادر المنطقة. أن ما ورد في الروايتين، لا يتفق مع ما أورده خطاب[2]. من أن مهمة عبدا لله بن أنيس كانت استطلاعية، للتأكد من صحة المعلومات عن موقف سفيان.

عند تحليل الروايتين، اللتين تناولتا الطريقة التي طبقت للتخلص من سفيان، يمكن ترجيح الرواية الأولى، التي تشير إلى قتله ليلاً، إذ، هي أقل خطورة في كشف المنفذ، وتساعده على الاختفاء، مستغلاً الظلام والفوضى، التي ستعقب شيوع نبأ القتل[3]، كما تكشف عن ثقة مفرطة بالنفس من قبل سفيان، حيث ينام في خيمة واحدة مع أحد المنضمين الجدد إلى جمعه.

كانت أهمية هذه العملية، من الناحية العسكرية، والسياسية، كبيرة فهي قضت على تحشد معاد في مهده، برغم بعده الجغرافي عن المدينة بحوالي ٤٠٠ كم، كما لا ينسى أن تنفيذ عملية من هذا القبيل، هي درس لقادة الأعراب الآخرين، الذين قد تسول لهم أنفسهم القيام بعمل من هذا القبيل، كما أن القيام بعملية ناجحة في ضواحي مكة، سيجعل قيادات المشركين في مكة تعيد النظر في حساباتها، لتجنب دعم مثل هذه العمليات، التي اتخذت من ضواحي مكة مقراً لها. ومما يدل على دعمها لها، ما ذكر من تواجد الأحابيش ضمن تجمعه[4]، وهم حلفاء قريش.

---

(١) ينظر روايته لدى السرخسي، المصدر السابق: ١/٢٦٧-٢٦٩؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤/١٩٦-١٩٧؛ أبو يعلى، المصدر السابق: ٢/٢٠١-٢٠٢.

(٢) الرسول القائد: ص١٣٢؛ وينظر محمد فرج، العبقرية العسكرية في غزوات الرسول (د.م، دار الفكر العربي، ١٣٧٧): ص٦٦؛ لبيد إبراهيم، فاروق عمر فوزي، عصر النبوة والخلافة الراشدة (بغداد، دار الحكمة لنشر والترجمة والتوزيع، ١٩٦٨): ص١٣٢.

(٣) لقد وهم الديلمي عندما أشار إلى أنه قضى عدة أيام لديه، ثم قتله، المرجع السابق: ص١٧٨.

(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٥٣٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٦.

٦. **عملية التخلص من رفاعة بن رافع الجشمي:**

يشير ابن اسحق[١]، إلى أن رفاعة نزل بمن معه من أنصاره منطقة الغابة[٢]، القريبة من المدينة، فأرسل الرسول ﷺ عبدا لله بن أبي حدرد، ومعه رجلان من الأنصار، لجلب الأخبار عنه، وفي رواية أخرى[٣] يورد نص التعليمات التي أوجزها الرسول ﷺ [أخرجوا إلى هذا الرجل حتى تأتوا به أو تأتونا منه بخبر أو علم]، أي أن الواجب كان إما أسره، أو قتله، أو جلب أخبار عنه، تساعد في القضاء عليه، وقد استطاع عبدا لله القضاء على الجشمي، وهزيمة أنصاره عبر كمين وضع له ليلاً.

إن هذه الرواية الموجزة، لا توضح كثيراً من التساؤلات، فمن هم أنصار رفاعة، وعددهم، وما هي أهدافه الحقيقية، وما هي القوى الساندة له؟ ويظهر أن تنفيذ العملية جاء في بداية النشاط التخريبي الذي حاول هذا الأعرابي القيام به، وقد انتهت حركته بمقتله.

٧. **محاولة التخلص من أبي سفيان بن حرب:**

اختلف في سبب إرسال عمرو بن أمية الضمري، إلى مكة لقتل أبي سفيان، حيث يرجح البلاذري[٤] السبب إلى إرسال أبي سفيان رجلاً لقتل الرسول ﷺ. ويشرح ابن سعد[٥] الأمر بقوله، إن أبا سفيان وجه أحد الأعراب لقتل الرسول ﷺ، وأعطاه مالاً وراحله وأمره بالكتمان، إلا أن الرجل كشف أمره من قبل الرسول ﷺ، وألقي القبض عليه، ثم اعترف بمهمته وأسلم وعفى عنه رسول ا لله ﷺ. ويرجع ابن إسحق[٦] اختيار عمرو، لأداء هذه المهمة، إلى أنه كان معروفاً، على نطاق واسع بالجرأة، وعلمه بالمسالك والطرق، فضلاً عن كونه عداءً مشهوراً. واختير معه رجل من الأنصار[٧] لمساعدته في المهمة، وعندما وصلا إلى وادي يأجج[٨]، ربطا جمليهما في الوادي، ثم انطلقا إلى مكة،

---

(١) ينظر روايته لدى ابن هشام، المصدر السابق: ٢٠٣/٤.
(٢) الغابة: منطقة أحراش، تبعد عن المدينة ٢٤ كم على طريق الشام. ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٥٨.
(٣) ينظر روايته لدى الطبري، تاريخ: ٣٤/٣-٣٥؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ٧٨/٢.
(٤) أنساب: ٣٧٩/٣-٣٨٠؛ وينظر الحلبي، المصدر السابق: ١٨٧/٣.
(٥) المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٨؛ وينظر ابن سيد الناس، المصدر السابق: ١١٢/٢.
(٦) ينظر روايته لدى ابن هشام، المصدر السابق: ٢٠٦/٤؛ وينظر الطبري، اختلاف: ص٤١.
(٧) هو سلمة بن أسلم. ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٩.
(٨) يأجج: واد يبعد عن مكة ١٦ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٤٢٤/٥.

وقد اقترح عمرو على الأنصاري في حالة افتضاح العملية، أن ينسحب بمفرده إلى الوادي، ويركب جمله عائداً إلى المدينة، وسيتكفل عمرو بنفسه، وكان عمرو يحمل معه خنجراً صغيراً (كخافية النسر). ولا تعرف الأسباب، التي جعلتهما يبقيان في مكة لمدة أسبوع، قضوها في الحرم ثم انتقلا إلى أفنية مكة، لتنفيذ العملية إلا أنهما كشفا، ويعرف ابن سعد[1] الرجل الذي كشفهما بأنه معاوية بن أبي سفيان، الذي أنذر أهل مكة، نتيجة لما عرف عن عمرو من دهاء وجرأة فبدأت المطاردة. وعندئذ نفذت الخطة المتفق عليها، حيث انسحب الأنصاري وتكفل عمرو بنفسه، حيث قتل اثنين من مطارديه، ثم التقى مع عينين لقريش في الطريق إلى المدينة، فقتل أحدهما وأسر الآخر، ووصل المدينة سالماً. ويرى الدليمي[2] أن كشفهما جاء عن طريق استخبارات قريش في المدينة وهو ما لم يتطرق إليه أحد من المؤرخين.

إن هذه العملية، كانت ضرورية من الناحية السياسية، لإفهام الخصم بأن سلاحه ذو حدين، يمكن أن يرتد إليه أيضاً، فمحاولة أبي سفيان لقتل الرسول ﷺ لا يمكن أن تمر دون عقاب. ومما يؤيد أنها كانت لأغراض الردع، أن الرسول ﷺ لم يرسل رجلاً آخر لتصفية أبي سفيان، فبرغم كل شيء لم يكن أبو سفيان أشد قيادات الشرك تشنجاً، وعدوانية، بل يمكن وصفه بالاعتدال نسبياً، إذا قيس بعكرمة بن أبي جهل، أو صفوان بن أمية، وغيرهم، وإن قيمة القيادات المعتدلة، تكمن في أنها في مرحلة من مراحل الصراع، يمكن التوصل معها إلى حل يحقق كافة الأهداف، وبأقل خسائر وهذا ما قام به أبو سفيان في فتح مكة، عندما توقف عن دعم دعاة المقاومة من قريش فانهارت.

٨. عملية التخلص من الأسود العنسي[3]:

عندما برزت حركة الأسود العنسي، وأخذت في الاتساع في اليمن، عمد رسول الله ﷺ في التصدي لها، إلى الاعتماد على القوى المؤيدة للإسلام في اليمن. حيث راسل الشخصيات المهمة في القبائل، للتخلص منه، فقد وضع الصحابي وبرة بن يحنس[4] خطة

---

(١) المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٨؛ وينظر ابن سيد الناس، المصدر السابق: ٢/١١٢.

(٢) الاستخبارات: ص١٦٣.

(٣) الأسود: هو عبهلة بن كعب، كان كاهناً، لقي تأييد مذحج ونجران، الطبري، تاريخ: ٣/١٨٥.

(٤) وبرة بن يحنس: من أصحاب الرسول ﷺ، أرسله إلى اليمن لتنسيق عملية قتل الأسود العنسي. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤/١٥٥١.

للقضاء على الأسود سراً، بأمر من رسول الله ﷺ، بالتعاون مع قيس بن المكشوح[1]، وزعماء الأبناء[2]، فيروز الديلمي[3]، وداذويه[4]، وأحد زعماء حمير، وزوجة الأسود المرزبانة، التي كانت تمقته، وتتمنى الخلاص منه، لقتله زوجها السابق، فتعاونت معهم عن طريق تسهيل دخلوهم إلى قصره، عبر جدول ماء فجراً. وقيل بل قاموا بنقب الجدار باستخدام الخل في تفتيت الصخور، ثم قتلوه وهو نائم، بعد أن أمنت المرزبانة التغطية الضرورية للعملية[5] وكان نجاح العملية، سبباً في عدم اتساع الردة في اليمن، في هذه الفترة المبكرة علىالأقل، وعملت على سرعة عودة الإسلام، إلى اليمن في عهد أبي بكر الصديق.

٩. محاولة التخلص من طليحة بن خويلد الأسدي[6]:

لقد عرف عن طليحة، عداؤه المبكر للدعوة الإسلامية، ويبدو أنه لجأ إلى الهدوء، بعد اتساع الدعوة الإسلامية، في أواخر عهد الرسول ﷺ، وسرعان ما أعلن تمرده وتنبأه، ورغم شحة الروايات التي تغطي هذه الفترة، من العلاقات بين أسد، بقيادة طليحة، وبين الرسول ﷺ، فيبدو أن المسلمين وضعوا خطة للتخلص منه، عن طريق تصفيته، ويشير ابن عساكر[7]، إلى أنه رشح لتنفيذ هذه المهمة، رجل بعيد عن الشبهات، مشهور بتجواله بين القبائل بصفته حداداً للسيوف، وهو مخنف بن السليل الهالكي[8] أثناء عمله في بني أسد، وفعلاً فقد طلب منه طليحة أن يحد له سيفه، فقام مخنف بتنفيذ الأمر وبدلاً من أن يرده إليه قام بضربه به، على رأسه إلا أنه لم يؤثر فيه إلا قليلاً، حيث أغمي عليه فقط. وقد قتل مخنف في أعقاب هذه المحاولة الفاشلة، وكان فشل المحاولة، سبباً في تعزيز ادعاءات طليحة

---

(١) قيس بن المكشوح: ينتمي إلى قبيلة مراد، وكان فارساً، وشاعراً، اشترك في صفين مع الإمام علي. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٠٠/٣.

(٢) الأبناء: يطلق هذا المصطلح على الذين ينتمون إلى العنصر الفارسي في اليمن.

(٣) فيروز الديلمي: من أبناء فرس صنعاء وفد على رسول الله ﷺ. ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٧١/٧.

(٤) داذويه: اشترك في قتل الأسود العنسي، ثم لقي حتفه على يد قيس بن المكشوح، بالتعاون مع أنصار الأسود. ابن الأثير، أسد الغابة: ١٥٧/٢.

(٥) البلاذري، فتوح: ص١٢٥-١٢٦؛ وينظر مطهر بن طاهر المقدسي، البدء والتاريخ، تحقيق كليمان هوار (باريس ١٨٩٩): ١٥٥/٥؛ ابن حجر، الإصابة: ٣٩٧/٢.

(٦) طليحة بن خويلد: كان فارساً مشهوراً، ادعى النبوة ثم حسن إسلامه واشترك في تحرير العراق. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٧٧٣/١.

(٧) تهذيب: ٩٦/٧.

(٨) لم تشر كتب التراجم إلى شخصيته وأصله.

بالنبوة، واتسعت سلطته بين قبيلتي أسد، وغطفان، المتحالفتين حتى قالوا (ولا يحيك السلاح في طليحة)[1].

ب. الحرب النفسية:

هي (مجموعة الأعمال التي تستهدف التأثير على أفراد العدو، بما في ذلك القادة السياسيين، والأفراد غير المقاتلين، بهدف خدمة، أغراض مستخدمي هذا النوع من الحرب، وهي تهدف إلى خلق تصورات معينة لدى العدو، ونفي تصورات معينة)[2]. فهي إذن إحدى أنواع الحرب، التي مارستها الشعوب قديماً، وحديثاً، مع اختلاف في الأساليب من عصر إلى آخر، ويلاحظ أن الطرفين المسلم والمشرك، قد مارساها في هذا العصر، ففي غزوة حمراء الأسد، عندما خرج الرسول ﷺ، بعد يوم واحد من أُحد برغم الصدمة النفسية، التي قد ترتبت على استشهاد أربعاً وسبعين من أصحابه[3]، لمطاردة العدو، حيث التقى مع عينه معبد الخزاعي في حمراء الأسد، وسرعان ما غادر معبد إلى الروحاء، حيث كانت قوات قريش هناك، يتجاذبها تياران، تيار متطرف يطالب بالعودة، وتصفية المسلمين، بصورة نهائية، وتيار يطالب الاكتفاء بما تحقق من نصر غير حاسم، والعودة إلى مكة. ولعب معبد من خلال نقل صورة مضخمة، عن استعدادات المسلمين، وتصميمهم على مطاردة قريش، لأخذ الثأر لمن قتل منهم، مستخدماً الشعر خلال ذلك، في زيادة التأثير النفسي، وهو ما أدى في النهاية، إلى انسحاب قريش إلى مكة[4]، ومع هذا فقد حاول أبو سفيان بن حرب، أن يزرع البلبلة في نفوس المسلمين، من خلال اتفاقه مع ركب لعبد القيس، يقصد المدينة، أن ينقلوا إلى المسلمين رسالة منه مفادها، أن قريشاً مصممة على تصفيتهم، إلا أن التحرك السريع للرسول ﷺ وكبار صحبه أحبط هذا المسعى[5].

وحاول أبو سفيان في بدر الموعد، أن يشن على المسلمين حرباً نفسية، تثنيهم عن

---

(١) ابن عساكر، تهذيب: ٩٧/٧.

(٢) الموسوعة العسكرية: ٦٦٧/١؛ وينظر محمد سيد محمد، المسؤولية الإعلامية في الإسلام (القاهرة، مكتبة الخانجي، الرياض، دار الرفاعي، ١٤٠٣/١٩٨٣): ص١٥٣.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٠٠/١.

(٤) الواقدي، المغازي: ٣٣٨/١-٣٣٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٥٣٦/٢.

(٥) ابن هشام، المصدر السابق: ٤٤/٣-٤٥؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤٠/١؛ الطبري، تاريخ: ٣٥٦/٢.

الالتزام بالموعد الذي اتفق عليه الطرفان، بعد معركة أُحد للقاء ثانية، بعد سنة في بدر الموعد، فقد كان غير راغب في قبول احتمال إضاعة، ما تحقق من نصر جزئي، إلا أنه مهم في أُحد، ولكنه في نفس الوقت، كان يريد أن يكون التراجع من الجانب الإسلامي، فأخذ يبلغ كل من يريد الذهاب إلى المدينة، بأنه يعد العدة لقتال المسلمين، وكان نعيم بن مسعود الأشجعي، قد قدم إلى مكة من المدينة، فأخبر المشركين عن استعدادات المسلمين للقائهم، فاتفق معه قادة قريش، على أن يرجع إلى المدينة، لكي يقوم بشن حرب نفسية تستهدف تثبيط المسلمين وتخويفهم من قريش، وتعهدوا له لقاء ذلك بأن يعطوه عدداً من الإبل، وقد قدم نعيم إلى المدينة، وشن حملة من الإرجاف، كان لها أثرها السلبي على المسلمين، إلا أن صلابة الرسول ﷺ، وإصراره على المواجهة، أفشلت خطة نعيم، فقد خرج الرسول ﷺ، مع قواته إلى بدر الموعد، وظل هناك ثمانية أيام، وكانت سوقاً من أسواق العرب تعقد لمدة ثمانية أيام، وعند عودته أرسل عينه معبد الخزاعي، إلى مكة ينقل لهم حجم القوة التي وصل بها المسلمون إلى بدر الموعد[1]، وهناك فرق، بين حرب نفسية شنها أبو سفيان، مستنداً إلى الصدمة التي حدثت في أُحد، والى تهديدات لم تأخذ طريقها إلى الواقع، وبين ما قام به الرسول ﷺ، حين قرن حربه النفسية، بإنجازات ملموسة، وكان بقاؤه في سوق بدر الموعد، الذي يؤمه كثير من العرب، موقفاً حكيماً، فهؤلاء الذين قدموا للتسوق، ولمراقبة ما يحدث بين المسلمين والمشركين، نقلوا إلى قبائلهم صورة مضيئة، عن حجم القوة الإسلامية، وبذلك كسب الرسول ﷺ حرباً نفسية، وإعلامية.

وفي الخندق، جاء إرسال نعيم بن مسعود الأشجعي، والذي حول ولاءه من الشرك إلى الإسلام، في الوقت المناسب، عندما اشتد الحصار، وتجمد الوضع العسكري، بين الطرفين، اللذين كانا كلاهما يعانيان من ظروف نفسية، ومعاشية قاسية. وتشير رواية الواقدي[2]، إلى أنه قدم ما بين العشاء، والمغرب إلى المعسكر الإسلامي، وأبلغ الرسول ﷺ بإسلامه، وأن قومه لا يعرفون بذلك وأبدى استعداده لقبول أية مهمة تكلفه بها القيادة،

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/٣٨٥-٣٨٩؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٢-٤٣؛ الطبري، تاريخ: ٢/٥٦٠-٥٦١؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٤٠.

(٢) المغازي: ٢/٤٨٠-٤٨٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٩-٥٠، م٢، قسم٢: ص٢٠-٢١؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٣/١٣٧-١٣٩؛ الطبري، تاريخ: ٢/٥٧٨-٥٧٩؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ٤/٢١٩-٢٢٠؛ ابن عبدالبر، الدرر: ص١٨٦-١٨٧.

فطلب منه أن يخذل بين قوات الأحزاب، وأذن له الرسول ﷺ في حرية القول، بما يشاء، فاتجه أولاً إلى بني قريظة، والذين تربطه مع زعيمهم كعب بن أسد، علاقات خاصة، حيث باح لهم بقلقه المزعوم، على مصيرهم، وذكرهم بمصير بني قينقاع، والنضير، وذكر لهم، أن قريشاً، وغطفان لا يضمن بقاؤهم إلى ما لا نهاية، وقد يرحلون في أية لحظة، تاركين إياهم لمصيرهم الأسود، حيث أنهم لن يستطيعوا اتباعهم وترك بلادهم، ونسائهم، وأولادهم، واقترح عليهم أخذ رهائن من قريش، وغطفان من أشرافهم، وطلب منهم أن يكتموا ما باح لهم به، فشكروه على نصيحته. ثم خرج إلى أبي سفيان وقيادته، وأسرّ إليهم أن قريظة قد ندموا على خرقهم عهودهم مع رسول الله ﷺ، وأنهم قد قرروا العودة إلى عهدهم السابق، مع رسول الله ﷺ، وقد أرسلوا إليه، أنهم سيأخذون رهائن من أشراف قريش، ويسلمونهم له، لقاء إعادة الرسول ﷺ، لبني النضير إلى المدينة، وسيقفون معه ضد قريش، فإذا جاؤكم يسألون الرهائن فلا تعطوهم، فشكروه وطلب منهم أن يكتموا ما نقله إليهم، ثم عاد إلى قومه غطفان فذكرهم بنسبه فيهم، وقال لهم مثل ما قال لقريش، من أخذ الرهائن، وأن قريظة قد اتفقت مع الرسول ﷺ، على تسليمهم رهائن من غطفان، وحذرهم فصدقوه، وسرعان ما قام بنو قريظة بإرسال أحد قيادييهم، عزال بن سمؤال، إلى أبي سفيان، لتنفيذ الخطة المتفق عليها مع نعيم، لا سيما وأن قريظة، سبق وأن اتفقت عبر كعب بن أسد، مع حيي بن أخطب، زعيم بني النضير المقيم في خيبر، والذي لعب دوراً حاسماً في عقد تحالف قريظة مع الأحزاب، على أخذ سبعين رهينة من قريش، وغطفان، لقاء انضمامهم إلى التحالف، وقد وافق حيي على طلبهم خدعة منه، لمجرد نقض العهد من غير أن يأخذ موافقة قريش، وغطفان، وقد امتنع أبو سفيان، عن إعطاء رده على الطلب مباشرة، إلا أنه تأكد لديه، ولدى بقية قيادته صدق ما قاله نعيم بن مسعود، وهنا تحرك نعيم عائداً إلى بني قريظة، حيث نقل لهم رفض أبي سفيان لطلبهم، وهذا مما زاد في اضطراب بني قريظة، وهبوط معنوياتهم، وفي هذه الأثناء، وصل عكرمة بن أبي جهل، مبعوثاً من أبي سفيان إلى بني قريظة، يطلب منهم المشاركة غير المشروطة في الجهد العسكري للأحزاب، كما هو متفق عليه سابقاً، وقد ردوا عليه رافضين ذلك قبل استلام الرهائن، وهذا مما زاد في شكوك أبي سفيان، في بني قريظة، وبعثت غطفان بنفس الطلب إلى بني قريظة، فأجابوهم بنفس الرد، وهذا ما أكد مقالة نعيم أيضاً لديهم. وكرر أبو سفيان الاتصال بهم مرة ثانية، إلا أنهم أكدوا له شروطهم السابقة نفسها.

لقد كانت هذه الرواية، التي عرضت بإسهاب آنفاً، هي الأكثر شهرة بين المؤرخين،

والتي وصفها الواقدي[1]، بأنها أثبت من الرواية الثانية، والتي أوردها للأمانة العلمية فقط، وهي الهاجس الذي حمل مؤرخينا، على إيراد كل ما سمعوه، سواء أقتنعوا به أم لم يقتنعوا، إلا أن هذا الهاجس، تحول إلى عبء ثقيل على المؤرخ المعاصر، فقد التزم ببذل جهود تتفاوت ما بين حادثة وأخرى، في سبيل الغربلة، والتمحيص، والتثبيت والعزل، وقدمت بعض هذه الروايات نقاط ارتكاز، لأعداء هذا التاريخ أحياناً، لكي يلمزوا حيناً، ويشوهوا حيناً آخر، بعض أحداث تاريخنا.

إن ملخص الرواية الثانية، هو أن نعيماً كان جالساً عند أبي سفيان، عندما جاء مبعوث من بني قريظة، يطالبه بالانضمام إلى هجوم سيشنه اليهود على قلب المدينة، فسارع إلى إخبار الرسول ﷺ به، فرد الرسول ﷺ ((فلعلنا أمرناهم بذلك))، وقد عرف عن نعيم بأنه كان نماماً لا يحافظ على الأسرار، وعندما غادر مجلس الرسول ﷺ، أمر ﷺ بإعادته إليه، زيادة في تثبيت الطعم، فأمره بأن لا يذكر لأحد شيئاً مما سمعه منه، إلا أن نعيم سارع إلى إبلاغ زعيم غطفان عيينة بن حصن، ونقل عيينة بدوره، الخبر إلى أبي سفيان، مما زاد في شكوك غطفان وقريش من بني قريظة، وهذا مما دفعهم إلى مطالبة قريظة، بسبعين من أشرافهم، رهائن للاستمرار في التحالف معهم، إلا أن بني قريظة، رفضوا العرض، فاتخذ أبو سفيان قرار الانسحاب، بعد أن أحس بغدر بني قريظة.

إن إشكالات هذا النص كثيرة، فهو يذكر أن نعيماً كان نماماً، والنمام يصلح كطعم، إلا أنه لا يصلح للائتمان على عملية كبيرة، وحساسة كتلك التي كانت تجري، والتي يمكن أن تنهار في حالة وقوع أي خطأ مهما كان صغيراً، ويبدو أن هذه الرواية الثانية، مع التحفظ على وصف نعيم فيها بالنمام، سبقت الرواية الأولى، زمنياً وكانت قبل إسلام نعيم، وربما جاءت من مصادر اختلطت عليها الرؤية، فخلطت بين الأحداث والشخصيات، حيث يرد مثلاً أخذ سبعين رهينة في الرواية الأولى، من قريش، وغطفان، إلى بني قريظة، وفي الرواية الثانية، انعكست الآية، حيث تطالب قريش وغطفان، بني قريظة بتقديم سبعين رهينة، وهذا غير معقول. إن عملية نعيم بن مسعود، يجب فهمها، ووضعها في مكانها المناسب، من غير تضخيم لمردوداتها، فهي برغم أهميتها، واعتبارها إنجازاً رائعاً، لعين مسلم، ليست منعزلة عن الاتصالات السرية، مع جهات من بني قريظة، وغطفان، ومع إيجاد مقومات الصمود في القاعدة.

---

(١) المغازي: ٢/٤٨٦-٤٨٧؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٦٨-٣٦٩؛ السرخسي، المصدر السابق: ١/١٢١-١٢٢؛ ابن حجر، الإصابة: ٦/١٠٥؛ الهندي، المصدر السابق: ١/٢٩٢-٢٩٣.

وقام الرسول ﷺ في نهاية حملته على بني لحيان، وعند وصوله إلى عسفان، بإرسال عشرة من المسلمين بقيادة أبي بكر الصديق ﷺ إلى الغميم في ضواحي مكة، وكان الغرض من هذه العملية، كما عبر عنها الرسول ﷺ [إن هذا يبلغ مكة فيذعرهم، ويخافون أن نكون نريدهم]. وفعلاً فقد اعتقدت قريش، أن الرسول ﷺ يريد من وراء حركته هذه مهاجمة أهداف معينة داخل مكة نفسها، وهو ما كان له رد فعل سيئ في نفوسهم[1]. ولم يكن هدف هذه العملية الاستعراضية المحددة، إحداث إرباك في معنويات العدو فحسب، بل ورفع معنويات المسلمين، الذين كانوا ينتظرون بفارغ الصبر، تحرير مكة.

وفي الحديبية، لا يمكن تفسير وصول أخبار، تشير إلى مقتل عثمان بن عفان ﷺ على يد مشركي قريش، والذي أرسله الرسول ﷺ، لعرض وجهات نظره، بصفته شخصية مقبولة نسبياً لدى قيادة قريش، والذي تربطه بأطراف مؤثرة فيها صلة نسب، إلا صورة من صور الحرب النفسية، التي لجأ إليها المتطرفون من قريش، لإشعال الحرب، خوفاً من الطرف المعتدل، والذي يميل إلى التفاوض مع المسلمين للوصول إلى حل وسط، وكان رد فعل الرسول ﷺ على هذه الأخبار، هو بيعة أصحابه على القتال، والصدق فيه، وقيل على الموت، وقد أدى وصول هذه الأخبار إلى قريش، إلى أن تعلو أصوات الاعتدال في صفوفهم، لا سيما بعد أن أسر المسلمون مجموعتين من المتطرفين القرشيين، حاولتا مهاجمة المسلمين خلسة، فقدم في أثر هذه التطورات سهيل بن عمرو، وكان ذلك فاتحة لمفاوضات الحديبية.

كما مارس المسلمون الحرب النفسية ضد يهود خيبر، قبل الشروع بالحركة نحوهم، حيث يشير الواقدي[2]، إلى أنهم بلغت مساعهم أبناء احتمال تعرض المسلمين لهم، فأخذوا في الاستعداد للأمر، ويبدو أن الأنباء التي وصلتهم عن قرب الهجوم، كانت أخباراً مبالغاً فيها، حيث أرهقت أعصابهم، وعندما تأخر الرسول ﷺ في الحركة نحوهم، فترت حماستهم، وتراخت حالة الاستنفار لديهم، وهذا ما أدى إلى مفاجأتهم عندما لا حظوا طلائع القوات الإسلامية صبحاً. كما ظهر تأثير الحرب النفسية، في نفس الغزوة، عندما سرب المسلمون عبر عيونهم، إلى قوات غطفان المرابطة في خيبر، أخباراً عن تعرض منازلهم

---

(١) الواقدي، المغازي: ٥٣٦/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٥٧.

(٢) المغازي: ٦٠٢/٢-٦٠٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٧٠؛ الطبري، جامع البيان: ٥٤/٢٦؛ الطبري، تاريخ: ٦٣٢/٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ٢٠٢/٣.

في حيفاء، إلى الهجوم من قبل قوات المسلمين[1]، وكان لهذه الإشاعة[2]، أثرها الفاعل، في انسحاب غطفان على عجل إلى مواطنها، وتركها يهود خيبر، لوحدهم في الميدان.

جـ. التضليل:

يقصد بالتضليل قيام أحد الأطراف المتصارعة، بإيجاد أجواء ضبابية، تحول دون اتخاذ الطرف الآخر، لقرارات تستند على رؤية منطقية للأحداث وتطوراتها. وكان رسول الله ﷺ يستخدم هذا الأسلوب، عند تحركه نحو العدو، فكان كما يقول الواقدي[3]، (لا يغزو غزوة إلا ورى بغيرها، لئلا تذهب الأخبار بأنه يريد كذا وكذا).

ففي غزوة بني لحيان، نجد أن الرسول ﷺ أشاع أنه يريد الشام، وقام بسلك طريق يدعم ذلك، ثم اتجه نحو الهدف مسرعاً[4]. كما بعث الرسول ﷺ عندما أكمل استعداداته لفتح مكة، أبا قتادة ربعي بن الحارث، في ثمانية رجال إلى أضم، ليظن جواسيس وعيون العدو، أنه يقصد هذه المنطقة، مما يساهم في التعتيم على الهدف الأصلي، وأشاع أيضاً أنه سيتجه إلى هوازن، أو ثقيف، أو الشام، ضمن نفس السياق[5]. وبذلك سوف ينشغل جواسيس العدو، بمراقبة ثلاثة أهداف، بدل هدف واحد، وهذا مما يقلل من فعاليتهم، ويشتت جهودهم، بدل حصرها في هدف واحد.

د. حماية الرسول ﷺ من محاولات الغدر:

تعرض الرسول ﷺ، في حياته، إلى ستة محاولات غادرة لقتله، الأولى في ليلة الهجرة[6]، والثانية بعد معركة بدر، على يد عمير بن وهب الجمحي[7]، والثالثة من قبل بني النضير[8]،

---

(١) الواقدي، المغازي: ٦٧٦/٢.

(٢) الإشاعة: عرف كرم شبلي الإشاعة بأنها (تنطوي عادة على جزء صحيح من خبر أو أنها خبر جرى تحريفه عن قصد، فأصبح حكاية مقدمة للتصديق، وليست صادقة). الخبر الصحفي وضوابطه الإسلامية (بيروت، دار الشروق، ١٤٠٩/١٩٨٨): ص١٦٦. (٣) المغازي: ٩٩٠/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٥٣٦/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٤/٣-١٧٥؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٥٧؛ الطبري، تاريخ: ٥٩٥/٢.

(٥) الواقدي، المغازي: ٧٩٦/٢-٧٩٧؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٨١/١.

(٦) الصنعاني، المصدر السابق: ٣٨٩/٥-٣٩٠.

(٧) الواقدي، المغازي: ١٢٥/١-١٢٧؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢٢٠/٢-٢٢١؛ الطبري، تاريخ: ٥٥١/٢.

(٨) الصنعاني، المغازي: ٣٥٩/٥-٣٦٠.

والرابعة على يد دعثور المحاربي من غطفان[1]، والخامسة على يد أعرابي، بتحريض وتخطيط من قبل أبي سفيان[2]، والسادسة على يد امرأة من بني النضير في خيبر[3]. وفي الوقت الذي أشارت فيه المصادر، إلى دور الوحي في نجاته في بعضها، نجد أنها أشارت إلى دور العيون، في نجاته من واحدة منها على الأقل. وهي المحاولة الثالثة، التي حدثت في ديار بني النضير في المدينة قبل طردهم على أثر هذه المحاولة. وتتفق مصادرنا على المحاولة، إلا أنها تعطي تفاصيل مختلفة، لأسباب ذهاب الرسول ﷺ مع بعض أصحابه إلى بني النضير، فلدى الواقدي[4]، أنه ذهب يستعين بهم في ديتين. ويشير الصنعاني[5]، إلى أن السبب يعود إلى أن الرسول ﷺ لبى دعوة لبني النضير، ظاهرها رغبتهم في الحوار معه، إلا أنهم اتفقوا على قتله أثناءها. كما تختلف مصادرنا في كيفية تسرب أنباء المؤامرة، ونجاة الرسول ﷺ من شرها، حيث يشير الواقدي[6]، إلى أن الخبر أتاه من السماء، إلا أن الصنعاني[7]، يشير إلى أن أنباء المؤامرة وصلت إلى مسامع الرسول ﷺ عبر امرأة من بني النضير، أرسلت الخبر إلى إخوتها من الأنصار[8]، فأوصل الخبر بسرعة إلى رسول الله ﷺ، حيث بلغه به وهو في طريقه إلى لقاء بني النضير، فرجع بعد ذلك، فلما أن كان من الغد، حاصرهم. ويجمع ابن الطلاع[9]، بين الروايتين، حيث يشير إلى وصول خبر المؤامرة إلى الرسول ﷺ، ولا يشير إلى المصدر. ويورد رواية ثانية تتفق مع ما أورده الواقدي. في حين نجد أن ابن سعد[10]، يشير إلى الحادث (جاء رسول الله ﷺ الخبر) بصورة يفهم منها، أن مصدر الخبر بشري، وليس إلهياً عن طريق الوحي على الأرجح. وبذلك يمكن الاطمئنان إلى أن العيون، ساهموا

---

(١) الواقدي، المغازي: ١٩٥/١؛ وينظر ابن سعدن، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٤؛ البلاذري، أنساب: ٣١١/١.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٨؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٧٩/١-٣٨٠.

(٣) الواقدي، المغازي: ٦٧٨/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم٢: ص٦.

(٤) المغازي: ٣٦٤/١-٣٦٥؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٠٨/٣.

(٥) المصنف: ٣٥٩/٥.

(٦) المغازي: ٣٦٥/١.

(٧) المصنف: ٣٥٩/٥-٣٦٠؛ وينظر ابن حجر، فتح الباري: ٣٣٣/٨؛ ويقارن إسرائيل ولفنسون، تاريخ اليهود في بلاد العرب في الجاهلية وصدر الإسلام (القاهرة، لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩١٤): ص١٣٦-١٣٧.

(٨) يبدو على الأرجح أنها أخته من الرضاعة، وكان هذا شائعاً بين عرب المدينة، ويهودها قبل الإسلام.

(٩) أقضية رسول الله: ص٢١٨.

(١٠) الطبقات، م٢، قسم١: ص٤٠-٤١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٣٩/١.

ولو مرة واحدة، في نجاة الرسول ﷺ من محاولة غادرة لقتله. وعبرت سياقات العملية، عن نجاح المسلمين، في إيجاد قنوات داخل يهود المدينة، من المتعاطفين مع المسلمين وإن ظلوا يهوداً من ناحية العقيدة. ومما يدل على أن هذه المرأة عين، وليست مجرد امرأة نقلت الخبر عن طريق الصدفة، أنها أرسلت الخبر بسرعة عن طريق وسيط إلى الأنصاري، وتمت العملية بإتقان حيث لم يكشف أمر المرأة ولا المرسل من قبل الجانب اليهودي.

هـ. عمليات الإنقاذ:

قام الرسول ﷺ ضمن خطته، لدعم المستضعفين داخل مكة، بإرسال عيون قاموا بتنفيذ عمليات إنقاذ جسورة داخل مكة، بالتعاون مع تنظيم مكة السري، تستهدف تحرير بعض المستضعفين، ونقلهم بأسلوب الخطف من مكة إلى المدينة. ولكن المصادر، لا تكشف الكثير في هذا المجال، نظراً للسرية التي أحيطت بها،وكان مرثد بن أبي مرثد الغنوي[1]، يقوم بعمليات تحرير لبعض المستضعفين، برغم أن مصادرنا تصف عمليات مرثد بأنها تحرير لأسرى، وبما أن سجلات الحملات، التي حدثت خلال هذه الفترة، لا تشير إلى وقوع أسرى، باستثناء خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، في بئر الرجيع، اللذين باعتهما بنو لحيان إلى قريش[2]. فإنه يمكن إعادة الصياغة، بصورة أكثر واقعية، ووصفها بأنها تحرير للمستضعفين داخل مكة، الذين يعانون من التعذيب الوحشي، ولا نتوقع أن يقوم مرثد بهذه العمليات، بصورة متكررة وناجحة، إذا لم يلق مساعدة هامة من داخل مكة، عبر توفير المخبأ المؤقت والمأكل، والمعلومات الثمينة، لإنجاز عمليات بهذه الجرأة[3]، وهنا تتجه الأنظار إلى التنظيم السري داخل مكة، الذي سبقت الإشارة إليه.

وهناك مثال آخر، على عمليات الإنقاذ، التي نفذها عيون للرسول ﷺ، فقد قام الوليد بن الوليد بن المغيرة، بأمر من الرسول ﷺ، بتحرير عياش بن أبي ربيعة، وسلمة بن هاشم، حيث أمره الرسول ﷺ بالاتصال برجل يدعى القين[4]، وأن ينزل عنده، ليؤمن نفسه، ثم يعمل على الوصول إلى عياش، وسلمة، وفعلاً نجحت عملية تحريرهما، ونقلهما إلى المدينة،

---

(١) مرثد بن أبي مرثد: كان حليفاً لحمزة بن عبدالمطلب، شهد بدراً، وأُحد. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٨٣/٣-١٣٩٠.

(٢) الواقدي، المغازي: ٣٥٧/١.

(٣) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٨٣/٣-١٣٨٥؛ وينظر الحلبي، المصدر السابق: ١٥٧/٣.

(٤) لم تشر المصادر إلى أحد بهذا الاسم، لا سيما تراجم الصحابة.

رغم المطاردة التي قام بها خالد بن الوليد، والذي وصل فيها إلى عسفان(1).

و. الاستطلاع العميق:

هي تلك العمليات، التي ينفذها عيون، في مناطق بعيدة نسبياً، عن قواعدهم، لغرض جمع معلومات مهمة عن العدو، وقد نفذ المسلمون على هذا الصعيد، خمس عمليات، كانت أولاها هي الوحدة التي أرسلها الرسول ﷺ إلى نخلة(2).

١. سرية نخلة:

وتعد أول عملية عيون، بكل معنى الكلمة، ويشير الواقدي(3)، إلى أنها كانت بقيادة عبدا الله بن جحش، وتضم ثمانية أفراد، وهم فضلاً عن القائد، أبا حذيفة بن عتبة بن ربيعة(4)، وعامر بن ربيعة(5)، وواقد بن عبدا الله التميمي(6)، وعكاشة بن محصن، وخالد بن أبي البكير(7). وسعد بن أبي وقاص(8)، وعتبة بن غزوان(9)، وقد كتب الرسول ﷺ تعليماته لقائد العملية، في أديم خولاني (جلد) وأمره بفتح كتابه المختوم. بعد يومين، وأن يسلك طريقاً يمر بالنجدية، إلى ركية (بئر)، وبعد انقضاء اليومين، فتح عبدا الله الكتاب،

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٤، قسم١: ص٩٨؛ وينظر الكلاعي، المصدر السابق: ٢٣٦/١-٢٣٧.

(٢) نخلة: واد يبعد عن مكة حوالي ٤٥ كم. البكري، المصدر السابق: ١٣٠٤/٤.

(٣) المغازي: ١٤/١، ١٩؛ وينظر المقريزي، الإمتاع: ص٥٦.

(٤) أبو حذيفة بن عتبة: من بني عبد شمس، صلى القبلتين، وهاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد مع رسول ا لله ﷺ. واستشهد في اليمامة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٦٣١/٤-١٦٣٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٧٠/٦-٧٢.

(٥) عامر بن ربيعة: من قبيلة عنز، حليف لبني عدي، أسلم قديماً، وهاجر الهجرتين، شهد بدراً والمشاهد كلها توفي سنة ٣٣هـ/٦٥٣م. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢٩٠/٢-٢٩١.

(٦) واقد التميمي: حليف لبني عدي، أسلم قبل دخول الرسول ﷺ دار الأرقم. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٥٥٠/٤.

(٧) خالد بن أبي البكير: من بني ليث، شهد بدراً مع إخوته. ابن الأثير، أسد الغابة: ٩١/٢.

(٨) سعد بن أبي وقاص: أسلم قديماً، وشهد بدراً والمشاهد كلها وتوفي سنة ٥٥هـ/٦٧٤م. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٦٠٦/٢-٦١٠.

(٩) عتبة بن غزوان: من بني مازن حليف لبني نوفل، هاجر الهجرتين، وشهد بدراً والمشاهد كلها. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٠٢٦/٣-١٠٢٩.

فإذا فيه [سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركته، ولا تكرهن أحداً من أصحابك، على المسير معك، وامض لأمري، فيمن تبعك، حتى تأتي بطن نخلة، فترصد بها عير قريش]. وفي نص آخر، لتوضيح التعليمات المكتوبة جاء فيه [ما أمرهم رسول الله ﷺ بالقتال في الشهر الحرام، ولا في غير الشهر الحرام، إنما أمرهم أن يتحسسوا أخبار قريش].

ولقد أوردت المصادر الأخرى، نص الكتاب الآنف الذكر، مع زيادة أو نقصان أحياناً، ومع تغير بسيط في اللفظ، مع المحافظة على المعنى، في أحيان أخرى، إلا أنها مهمة، فقد ورد لدى ابن هشام[1]، [إذا نظرت في كتابي هذا، فامض حتى تنزل بطن نخلة، بين مكة والطائف، فترصد بها قريشاً، وتعلم لنا من أخبارهم]. وإذا كان النص الذي أورده الواقدي، يشير إلى أن الهدف رصد قافلة تجارية قادمة من جنوب مكة، أي من الطائف، أو اليمن، فإن التوضيح الذي أورده الواقدي، في نصه الثاني، يشير إلى أن المهمة، جمع أخبار عن قريش، لا تتحدد بالضرورة بالقوافل التجارية، وهو ما أكده نص ابن هشام. ويلاحظ على نص ابن هشام، أيضاً أنه يحدد نخلة بين مكة والطائف، تمييزاً لها عن نخلة الشامية[2]، وهذا أمر له أهميته الكبيرة، فيما يتعلق بتحديد الهدف جغرافياً بدقة. ويكاد النصان يتفقان على عدم استخدام القوة، لأنه يحرف العملية، عن أداء مهمتها الأصلية، وهي الحصول على الأخبار.

وبعد أن قرأ قائد الوحدة، كتاب رسول الله ﷺ، أبدى الجميع حماسهم للعمل بكل ما ورد فيه[3]، وقد تقلص عدد الوحدة إلى ستة، نتيجة لضياع جمل كان يتعقبه اثنان، فقاما بالبحث عنه[4]. وعندما وصلت المجموعة إلى نخلة، أخذت تقوم بواجب الرصد، فصادفت مرور قافلة صغيرة من الطائف إلى العراق، بقيادة عمرو بن الحضرمي، فتمت مهاجمتها، حيث قتل الحضرمي، وأسر اثنان وفر الثالث[5].

---

(١) السيرة: ١٧٩/٢؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ٧٠/٢؛ الطبري، تاريخ: ٤١١/٢؛ ابن عبدالبر، الدرر: ص١٠٧؛ الكلاعي، المصدر السابق: ٩/٢-١٠؛ ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٣٢/٥.

(٢) نخلة الشامية: واديان لقبيلة هذيل يبعدان عن مكة حوالي ٩٠ كم. ياقوت، معجم البلدان، ٢٧٧/٥.

(٣) ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٩/٢.

(٤) الواقدي، المغازي: ١٧/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٩/٢؛ ابن شبة، تاريخ: ٢/ ٤٧٢؛ الطبري، تاريخ:٤١١/٢-٤١٢، وقد وهم كل من جمال الدين عياد، وآل يحيى، في أنهما أسرا. نظم الحرب في الإسلام(القاهرة، مكتبة الخانجي،١٣٧٠):ص٤٨، المرجع السابق: ص١٢٢.

(٥) الواقدي، المغازي: ١٥/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٧٩/٢.

لقد اهتم الكثير من الباحثين، بهذه العملية، وجلب اهتمامهم على الأخص الكتاب المختوم، الذي أعطاه الرسول ﷺ لقائدها، والذي بنيت عليه تحليلات كثيرة، فسعيد حوى[1]، يبرر الكتاب المختوم، بأنه يحقق الأمن بأكبر معانيه، سواء لحماية العملية، من الكشف من جاسوس معاد، أو من تسرب الأخبار عن أهدافها، من أفراد السرية أنفسهم، ويلاحظ أن اختيار أفراد العملية، وقائدها كان لتوفر الشروط المطلوبة فيهم[2]. ولا تشير المصادر التي غطت العملية، إلى الفترة التي مكثتها السرية في نخلة قبل وصول القافلة التجارية، ولا إلى الأسباب التي صرفتها، عن أداء واجبها الأساسي من مهمة جمع الأخبار، إلى مهمة قتالية، وبالتالي لم تنجز على الأرجح الهدف الذي أرسلت من أجله. فهل قلة أفراد القافلة، أغرت رجال السرية بها كغنيمة سهلة؟[3]، وهل تم الهجوم، في أعقاب انتهاء مهمة الرصد، التي لم تتمخض عن شيء كما يبدو؟. إنها أسئلة من الصعب الإجابة عليها بشكل حاسم، إلا أنه يمكن القول بثقة إن المجموعة، لم تلتزم بالأوامر التي كانت تحملها بشكل دقيق، ويؤيد هذا موقف الرسول ﷺ من رجالها بعد عودتهم، ورفضه تسلم الغنائم التي حصلوا عليها، والأسيرين، وتعنيفه لهم[4].

٢. عملية بئر معونة[5]:

اختلف في عدد أفراد هذه الوحدة، المرسلة إلى نجد، فقد أشار الواقدي[6]، إلى أنها ضمت نحو الأربعين رجلاً، ولكنه عند إيراده قوائم أسماء الشهداء لم يذكر سوى ستة عشر رجلاً، وأشار إلى نجاة رجل آخر، وهو عمرو بن أمية الضمري[7]. في حين أشار

---

(١) الرسول ﷺ (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٩٩/١٩٧٩): ٢٥٦/١؛ وينظر عماد الدين خليل، دراسة في السيرة، بيروت، مؤسسة الرسالة، دار النفائس، ١٣٩٤/١٩٧٤): ص١٥٧؛ الملاح، الوسيط: ص٢٢٢.

(٢) ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٧٨/٣. (٣) الواقدي، المغازي: ١٦/١.

(٤) المصدر نفسه: ١٦/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٠/٢.

(٥) بئر معونة: منطقة تقع بين أرض بني عامر، ومرة بني سليم. الواقدي، المغازي: ٣٤٧/١؛ ياقوت، معجم البلدان: ١٥٩/٥.

(٦) المغازي: ٣٤٦/١-٣٥٢؛ وينظر خليفة، تاريخ: ص٦٧؛ ابن هشام، السيرة: ١٠٣/٣؛ الطبري، تاريخ: ٥٤٦/٢؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٩٤/٢-٢٩٥.

(٧) الواقدي، المغازي: ٣٥٢/١-٣٥٣.

الطبراني[1]، إلى أنهم عشرة من الشباب المشهورين، بالعمل والعبادة، بقيادة المنذر بن عمرو الساعدي، وكان معهم دليلاً من بني سليم. وقد أرسل الرسول ﷺ هذه الوحدة، إلى منطقة نجد، والتي تسكنها قبائل ظلت مشركة، إلى فترة متأخرة بعد أن تعهد أحد قادة قبيلة عامر، وهو عامر بن مالك، أثناء زيارة له إلى المدينة، بحماية الرجال الذين سيرسلهم الرسول ﷺ، إلى المنطقة.

وفي الوقت الذي لا تشير فيه رواية الواقدي، إلى أية أهداف تجسسية للعملية التي كان مسرحها منطقة بعيدة نسبياً، وليس للإسلام فيها، إلا قليل من الأنصار[2]، وأن هدفها كان نشر الإسلام فحسب، نجد الطبراني[3]، يشير إلى أن السبب من خروجها، كان للتأكد من المعلومات التي وصلت المدينة، عن تجمع يقوده عامر بن طفيل، أحد زعماء قبيلة عامر، من بطون رعل، وذكوان، وعصية[4]، ضد الرسول ﷺ.

يمكن إجمال الأمر في هذه العملية، بأن عدد أفرادها يتراوح، ما بين ١٠-١٦ رجلاً، وأن هذا الرقم يحقق الغرض المنشود، والذي كان على الأرجح، ذا شقين، الأول نشر الإسلام في منطقة نجد، والثاني العمل على تكوين معلومات أولية، عن هذه المنطقة، سواء على الصعيد الجغرافي، أو على الصعيد القبلي، لكي يكون المسلمون، على استعداد للقيام بأي عمل، في المستقبل، في هذه المنطقة، وأن المصير المأساوي، الذي تعرضت له، على يد عامر بن طفيل، وأنصاره جاء نتيجة لعداء غير محدود، من قبل عامر للإسلام إلى أن مات[5]، فهل يعود الأمر، إلى رفض عامر لأية سلطة فوق سلطته القبلية، نتيجة لطموحه، واعتداده بنفسه، أكثر مما يعود الأمر إلى موقف عقدي، لصالح الشرك. أم يعود الأمر إلى تحريض، من قبل بني النضير، الذين وصفوا بأنهم حلفاء لبني عامر[6]، وهو الأرجح.

٣. عملية الرجيع[7]:

تكاد المصادر تجمع تقريباً، على أن الوحدة، التي استشهدت في بئر الرجيع، هي وحدة

---

(١) المعجم الكبير: ١٢٦/٥.

(٢) أشار الواقدي إلى الضحاك بن يوسف العامري، إلى أنه كان مسلماً خلال هذه الفترة، ويراسل الرسول ﷺ بالأخبار. المغازي: ٣٤٩/١.

(٣) المعجم الكبير: ١٢٦/٥.

(٤) من بطون سليم. ابن حزم، جمهرة: ٢٦١/٣-٢٦٣.

(٥) الواقدي، المغازي: ٣٥٢/١-٣٥٣.

(٦) المصدر نفسه: ٣٦٤/١.

(٧) الرجيع: منطقة تقع بين عسفان ومكة جنوبي المدينة، علماً بأن عسفان تبعد عن المدينة نحو ٤٤٨ كم. عبدالله بن أحمد بن خرداذبة، المسالك والممالك (بغداد، مكتبة المثنى، عن طبعة دي غويه، ليدن، ١٨٩٩): ص١٣٠؛ وينظر البكري، معجم ما استعجم: ١٣٤٧/٤.

عيون، هدفها منطقة مكة، لجمع المعلومات عن قريش[1]. أما ابن هشام[2]، فيشير إلى أن الهدف من إرسالها كان لنشر الإسلام، في بطنين من سليم، هما عضل، والقارة، بناء على طلب وفد منهم، قدم المدينة لهذا الغرض، متواطئاً مع بني لحيان، ورهط سفيان الهذلي، للانتقام لمقتله.

وقد تفاوتت الأرقام، التي أعطيت لأفراد هذه العملية، ما بين عشرة[3]، وستة[4]، وسبعة[5]. وتتفق المصادر تقريباً رغم اختلاف التفاصيل، على أن مائة من بني لحيان، هم الذين تتبعوا آثارهم بعد أن أخبروا بوصولهم إلى المنطقة، وتوصلوا إليهم من خلال نوى التمر في أعلافهم، وحاول قائد العملية عاصم بن ثابت[6]، إنقاذ الموقف، على الرغم من التفوق الساحق، وهو واحد إلى عشرة، تقريباً، وذلك بالالتجاء إلى جبل فدفد[7]، لغرض الحماية، إلا أنه استشهد معظمهم، نتيجة لتعرضهم لرمي السهام، بعد أن رفضوا الاستسلام، ووقع في الأسر، خبيب بن عدي، وزيد بن الدثنة، حيث بيعوا لقريش، فقامت بقتلهما[8].

إن هذه العملية، تشبه عملية نخلة، برغم اختلاف النتائج، التي تحققت فقد كان هدفهما تقريباً واحداً. وهو جمع المعلومات عن قريش، وإن كانت المصادر، لم تحدد الهدف الجغرافي النهائي للعملية بدقة. وإن عدم توفيق هذه العملية، في أداء واجبها، واستشهاد وأسر كل أفرادها، يشير إلى الصعوبات الجمة، التي كانت تعترض عمل عيون المسلمين، في الأراضي المعادية، وهذا مما يزيدنا إعجاباً بأولئك الرجال، الذين كانوا يعرفون تماماً حجم هذه الأخطار، واحتمال عدم العودة، منذ نقطة الشروع في الانطلاق نحو الهدف، وفضلوا

---

(١) الواقدي، المغازي: ٣٤٥/١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٣٥٣/٥؛ الطيالسي، منحة المعبود: ١٠١/٢؛ أحمد، المسند: ٥٧/١٥؛ البخاري، صحيح: ٥٨/٣؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٢٣/٤؛ ابن حجر، فتح الباري: ٣٨٢/٨.

(٢) السيرة: ٩٣/٣؛ وينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٨٤/٣.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١؛ وينظر الطيالسي، المصدر السابق: ١٠١/٢؛ أحمد، مسند: ٥٧/١٥؛ الطبراني، المعجم الكبير: ٢٢٣/٤؛ ابن حجر، فتح الباري،: ٣٨٥/٨.

(٤) ابن هشام، المصدر السابق: ٩٣/٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٥٣٨/٢؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣٨٤/٣.

(٥) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١.

(٦) عاصم بن ثابت: من الأوس، شهد بدراً. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٧٧٩/٢-٧٨١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١١١/٣-١١٢.

(٧) فدفد: لم أعثر على مكانه في المصادر الجغرافية.

(٨) الواقدي، المغازي: ٣٥٥/١.

في اللحظات الحاسمة الاستشهاد المشرف، على الاستسلام وما يتبعه من ذل وتعذيب، واحتمال البوح بأسرار الأمة.

٤. عملية عبدا لله بن رواحة الأولى في خيبر:

يشير الواقدي[1]، إلى أن الرسول ﷺ، أرسل عبدا لله بن رواحة، مع ثلاثة رجال، لغرض الاستطلاع، وجمع المعلومات عن زعيم خيبر أسير بن زارم، الذي تولى قيادة خيبر بعد مقتل سلام بن أبي الحقيق، ولمعرفة حقيقة نواياه، بعد أن نقل عين الرسول ﷺ في المنطقة، خارجة بن حسيل الأشجعي، إن هذا الزعيم اليهودي، قد أعلن بأنه يهدف إلى إقامة تحالف قوي بين غطفان وخيبر، من أجل التصدي سوية، للإسلام في المدينة. وعندما وصل العيون إلى خيبر، توزعوا في حصونها، النطاة، والشق، والكتيبة، وبعد جمع المعلومات المطلوبة، عن أسير بن زارم، وغيره من الزعامات اليهودية، عادوا إلى المدينة، بعد أن قضوا فيها ثلاثة أيام. ولقد كانت هذه الوحدة موفقة بشكل تام، في أداء مهمتها، فلم ترتكب أخطاء في التنفيذ. كما أن المعلومات التي جاءت بها، شكلت مادة موثوقة، تم على أساسها التعامل مع أسير بن زارم.

٥. عملية كعب بن عمير الغفاري إلى ذات أطلاح[2]:

تعد هذه الوحدة من العيون، أولى المفارز، التي أرسلت إلى الشام، فقد أرسل الرسول ﷺ كما يقول الواقدي[3]، خمسة عشر رجلاً، بقيادة كعب بن عمير، إلى هذه المنطقة النائية عن المدينة. وبرغم أن العملية، اتبعت أساليب الأمن المطلوبة، فقد سارت ليلاً، وكمنت نهاراً، لكنها كشفت من قبل عين معاد، حيث نقل إلى القبائل المعادية في المنطقة، معلومات عن قلة عددهم فحوصروا واستشهدوا جميعاً، باستثناء أحدهم انسحب جريحاً إلى المدينة.

إن رواية الواقدي مختصر جداً، فهي لا تشير إلىالهدف الجغرافي بدقة، ولا إلى

---

(١) المغازي: ٢/٥٦٦؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦؛ المقريزي، الإمتاع: ص٢٧٠.

(٢) ذات أطلاح: منطقة في الشام تبعد عن البلقاء حوالي ٤٥ كم. الواقدي، المغازي: ١/٦.

(٣) المغازي: ٢/٧٥٢-٧٥٣؛ وينظر ابن حبيب، المصدر السابق: ص١٢٠؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٢؛ ابن عساكر، تهذيب: ١/٣٨٧.

الانتماءات القبلية للقوات التي تصدت لهم. ويشير واط[1]، إلى أن هذه العملية لم تكن مجرد غزوة، بل كانت تنفذ مخططاً بعيد المدى، وهو على حق في هذا. حيث أن عدد أفراد الوحدة القليل وتوغلهم في عمق الأراضي الواقعة تحت النفوذ البيزنطي، وحلفاءهم من عرب الشام، يشير إلى هدفها التجسسي، في جمع المعلومات، جغرافياً، وبشرياً، وسياسياً، تمهيداً لإرسال قوات في فترات لاحقة.

٦. عملية علقمة بن مجزز المدلجي إلى الداروم:

يشير ابن الكلبي[2]، إلى أن الرسول ﷺ بعث علقمة ومعه خيل إلى فلسطين، حيث وصل إلى الداروم، الواقعة بعد غزة، للمسافر إلى مصر، والتي تبعد عن ساحل البحر المتوسط حوالي ٦ كم[3]، ولا تشير رواية ابن الكلبي المنفردة، إلى تاريخ العملية، وعدد المشتركين بها، والذي يتوقع أن لا يزيد عن عدد أفراد عملية ذات أطلاح، نظراً لأن الهدف يقع تحت السيطرة البيزنطية، ولربما كان رجال الحملة بصفة تجار على الأغلب، والهدف منها استطلاعي، كما لا تشير رواية ابن الكلبي أيضاً إلى نتيجة هذه العملية.

ز. إدارة التفاوض:

قدمت العيون في هذا المجال، أمثلة ناجحة عن الإنجازات، التي يمكن أن تحققها العيون على صعيد التفاوض مع الأعداء، ففي أحداث الخندق، لما اشتد الحصار، وتجمد الوضع العسكري تقريباً، و لم يكن بإمكان المسلمين، تحمل المزيد من الضغوطات العسكرية، والنفسية لحصار طويل الأمد. لجأ الرسول ﷺ إلى العمل السياسي، المستند إلى كفاءات رجال العيون، لتحريك الوضع، تمهيداً لإيجاد ثغرة بين الحلفاء، لتفكيك هذا التحالف، تمهيداً لانسحاب الأعداء، أو للقيام بعمل عسكري، في حالة إصرار من تبقى من عناصر التحالف على الحرب.

كانت غطفان وأحلافها، أكثر الحلقات التي تصلح للعمل، فهي قد انضمت إلى التحالف، لأسباب اقتصادية بحتة، وهي تمر خيبر لمدة سنة، ولذلك اتصل الرسول ﷺ،

---

(١) مونتجومري واط، محمد بن المدينة، ترجمة شعبان بركات (صيدا، بيروت، المكتبة العصرية، د.ت): ص٧٩.　　　(٢) جمهرة: ١٥٩/١.

(٣) عبدالمؤمن بن عبدالحق البغدادي، مراصد الأطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، تحقيق علي محمد البجاوي (بيروت، دار المعرفة، ١٣٧١/١٩٥٢): ٥٠٨/٢.

باثنين من قادة غطفان، وهما عيينة بن حصن، والحارث بن عوف، ولا يعرف أسماء العيون، أو العين الذين كلفهم الرسول ﷺ، بالاتصال بهما، في منطقة الزغابة قرب جبل أُحد[1]. حيث تعسكر القبيلة وأحلافها، وكان العرض المطروح عليها، أن ينسحبا ويخذلا بين أطراف التحالف، لقاء إعطائهما ثلث واردات نخل المدينة، إلا أن غطفان طلبت النصف، ثم رضوا بالثلث، أمام إصرار الرسول ﷺ[2]، ولا تشير المصادر إلى جولات المفاوضات غير المباشرة، وسرعان ما قدم المدينة، عيينة، والحارث، مع عشرة من مساعيدهما، للوصول إلى اتفاق نهائي، وفي هذه المرحلة الحساسة، والاتفاق جاهز للتوقيع، قام الرسول ﷺ، بعرض الاتفاق السري، على قادة الأنصار، أصحاب النخيل، المتفاوض على ثمره سعد بن عبادة، وسعد بن معاذ، وأسيد بن الخضير، وقد تساءل قادة الأنصار بعد سماعهم الخطة، إن كان العرض أمراً من ا لله، أو اقتراحاً من الرسول ﷺ؟ وعندما أبدى لهم الرسول ﷺ، أنه مجرد اقتراح منه، لتخفيف الثقل عنهم، والأمر يعود إليهم في النهاية، رفضوه بشدة[3].

وقد يطرح تساؤل هنا، إن كان اقتراح الرسول، الذي تم التوصل إليه عبر مفاوضات سرية، غاب عنها حتى زعماء الأنصار، على الأقل، هو عرض حقيقي، أم مجرد مناورة لكسب الوقت؟ ريثما يتحسن الوضع العسكري، في أعقاب ما يترتب، عن تسرب أنباء هذه المفاوضات، إلى بقية أعضاء التحالف، وما يترتب على ذلك، من انعدام الثقة، وربما انهيار التحالف، وانسحابه، أو طرف منه على الأقل، وهم غطفان، وهو في الوقت نفسه استفزاز لإيمان الأنصار، الذين يقع عليهم العبء الأكبر، في الدفاع، والتمويل، فيندفعون بكل عرق ينبض لديهم، دفاعاً عن ا لله، ورسوله، كما أن فشل المفاوضات، يعني بالنسبة لغطفان، استمرار تدهور أوضاعهم المعاشية، مع انعدام الأمل في الوصول إلى حل عسكري.

وفي الحديبية، نجد أن عيون الرسول ﷺ من خزاعة، وعلى رأسها بديل بن ورقاء،

---

(١) الواقدي، المغازي: ٤٤٤/٢؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٣١/٣.

(٢) ابن عبدالبر، الدرر: ص٢٥٣؛ وينظر ابن الطلاع، المصدر السابق: ص٢٣٨-٢٣٩؛ المقريزي، المصدر السابق: ص٢٣٥-٢٣٦؛ ابن سيد الناس، المصدر السابق: ١٣٢/٦.

(٣) الواقدي، المغازي: ٤٧٧/٢؛ وينظر ابن سلام، الأموال: ص٢٣٥؛ الصنعاني، المصدر السابق: ٣٦٧/٥-٣٦٨؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٥٢-٥٣؛ البلاذري، أنساب: ٣٤٦/١؛ ويقارن ولفنسون، المرجع السابق: ص١٤٥-١٤٦.

ساهموا عبر نقل وجهات نظر الرسول ﷺ وأهدافه من قدومه إلى مكة، في كسر الحاجز النفسي، الذي كان يشعر به مشركو قريش، تجاه الرسول ﷺ، لا سيما بعد أن أحسوا بميل الكفة العسكرية، بشكل متسارع لصالح الرسول ﷺ، بعد الخندق، وفي حث قريش على الوثوق بالرسول ﷺ والوصول معه إلى اتفاق[١]، وهذا إنجاز لا يستهان به.

كما حققت العيون إنجازاً كبيراً آخر، في ميدان العلاقات الإسلامية، اليهودية، حيث نجد أن الرسول ﷺ، حاول الوصول إلىحل سلمي يتم بمقتضاه، التحاق يهود خيبر، بسلطة الرسول ﷺ في المدينة، مع احتفاظهم بحكم أنفسهم ذاتياً، أي ضمن نفس بنود الصحيفة، أو الدستور، الذي أقره يهود المدينة، ونقضوه تباعاً، لا سيما بعد وصول أنباء إصرار قيادة خيبر، والمتمثلة في أسير بن زارم[٢]، على إقامة تحالف قوي مع غطفان للوقوف بوجه الإسلام، وبعد أن نجح عبدالله بن رواحة، وصحبه في تقديم صورة، عن طبيعة الأوضاع السائدة، في خيبر، وعن المواقف السياسية لقيادتها[٣]، أمر الرسول ﷺ عبدالله بن رواحة، بالعودة ثانية إلى خيبر، مع ثلاثين رجلاً، من أجل الوصول مع أسير بن زارم إلى اتفاق، يغني عن العمل العسكري، ولم يكن في جدول العملية أبداً تصفية أسير[٤]، وإنما الاتفاق معه، وإقناعه بالمجيء إلى المدينة، ليأخذ الاتفاق صيغته النهائية، وقد نجح عبدالله بن رواحة، أخيراً في الوصول إلى اتفاق مع أسير، رغم معارضة أطراف من يهود خيبر، والذين شككوا في نوايا المسلمين، وغادر أسير خيبر، مع ثلاثين من رجاله، بصحبة عبدالله بن رواحة ورجاله الثالثين، إلا أنه غير رأيه عندما وصل قرقرة ثبار[٥]، فحاول الغدر بالمسلمين، فكان جزاؤه القتل مع رجاله، ولم ينج سوى واحد منهم، وعادت الوحدة إلى المدينة.

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/٥٩٣-٥٩٤.

(٢) وردت تسميات عديدة لهذا القائد اليهودي، فلدى عروة بن الزبير هو بشر بن زارم، وأسير بن زارم، المصدر السابق: ص١٩٥-١٩٦، ولدى ابن هشام، اليسير بن زارم، المصدر السابق: ١٩٦/٤؛ ويبدو أن السبب هو التصحيف من قبل النساخ على الأرجح.

(٣) لقد وهم محمد أبو زهرة، عندما أشار إلى أن الهدف من إرسال عبدالله هو قتل أسير. خاتم النبيين، القسم الثاني، العهد المدني (قطر، الدوحة، المؤتمر العالمي الثالث للسيرة والسنة النبوية، ١٤٠٠): ١١١٤/٢.

(٤) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٩٦؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٥٦٧/٢؛ ابن هشام، المصدر السابق: ١٩٦/٤؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٧؛ ويقارن ولفنسون، المرجع السابق: ص١٥٩.

(٥) قرقرة ثبار: لم تشر إليها المصادر الجغرافية، وهي منطقة على الأرجح قرب خيبر.

ح. التأكد من أسلام القبائل:

هناك حالة واحدة، على هذا الصعيد، وردت الإشارة إليها لدى الواقدي[1]، فقد ذكر أن الرسول ﷺ، بعث الوليد بن عقبة[2]، إلى بني المصطلق، ليشرف على جمع الصدقات، وعندما خرج القوم لاستقباله، ولى مذعوراً راجعاً إلى المدينة، معتقداً سوءاً بهم، وأخبر الرسول ﷺ أنهم لقوه بالسلاح، وحالوا بينه، وبين الصدقة، وقد أمر الرسول ﷺ في أعقاب ذلك خالد بن الوليد، بالتوجه إليهم مع قوة، وأمره بالتثبت، وعدم العجلة، فانطلق حتى أتاهم ليلاً، فبعث عيونه، فلما عادوا أخبروه أنهم مستمسكون بالإسلام، وأنهم سمعوا أذانهم، وصلاتهم، فلما أصبحوا أتاهم، فرأى خالد الذي يعجبه من إسلامهم[3].

إن استخدام خالد للعيون، حال دون خطأ قاتل، كاد أن يرتكب بحق مسلمين، وعلى أثر هذه الحادثة، نزل قوله تعالى في الوليد بن عقبة ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾[4].

ط. عملية إخلاء شهيد:

يشير أبو كريب[5]، إلى أن الرسول ﷺ، أرسل عمرو بن أمية الضمري، وحده عيناً إلى مكة، لإخلاء جثة خبيب بن عدي المصلوبة في مكة، وقد استطاع عمرو التسلل بنجاح إلى مكة، ووصل إلى خشبة صلبه، وصعد عليها، وحل الجسد المصلوب، فسقط على الأرض، ثم ابتعد لكي يؤمن عملية نقله، ويبدو أن الجثة التي جفت على الأرجح، نتيجة الشمس والرياح، قد تفككت وتحطمت فلم يمكنه حمل شيء منها.

إن الغرض من هذه العملية، معنوي بحت، فالمشركين أرادوا بعملية الصلب، أن ينكئوا جروح المسلمين، سواء المستضعفين منهم في مكة، أو مسلمي المدينة. وقد أراد الرسول ﷺ أن يثبت لهم على الأرجح، بإرسال عمرو بن أمية، أنه قادر على حرمانهم من لذة مرضية، وهي تمتعهم بجسد مصلوب، لا حول له ولا قوة.

---

(١) المغازي: ٩٨٠/٣.

(٢) الوليد بن عقبة: من بني أمية، مات بالرقة من الشام. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٥٥٢/٤-١٥٥٨.

(٣) ابن أبي حاتم، المصدر السابق: ٥/٢-٦. (٤) الحجرات، الآية: ٦.

(٥) ينظر روايته لدى الطبري، تاريخ: ٥٤١/٢-٥٤٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١٤٠/١؛ الهيثمي، مجمع الزوائد: ٣٢١/٥؛ الهندي، المصدر السابق: ٣٧٢/١.

سادساً: تقويم عمليات العيون:

لكي يتم القيام بعملية تقويم، متوازنة، لما أنجزه العيون، والجواسيس، في هذا العصر، لا بد من الإشارة إلى العمليات التي تكللت بالنجاح، وتلك التي لم يحالفها التوفيق، ولا بد في الوقت نفسه، من تحديد المعايير، التي تستخدم في إصدار الأحكام، فقد يأتي العيون، بالمعلومات المطلوبة، وفي الوقت المناسب، إلا أن التعامل معها يتم بشكل غير صحيح، فتكون النتائج سلبية، كما يجب التحفظ عند إصدار الأحكام النهائية، على بعض العمليات، في ضوء قلة المعلومات، بل وغموضها أحياناً.

أ. العمليات الناجحة:

يمكن وصف العمليات الناجحة، بأنها تلك العمليات، التي نجح فيها العيون، في جلب الأخبار الدقيقة، أو في تنفيذ ما أوكل إليهم من مهام خاصة، متنوعة الأهداف، تصب في خدمة السياسة العليا للرسول ﷺ. وهي تاخذ السياقات التالية:

١. عمليات نفذت ضد مشركي قريش.
٢. عمليات نفذت ضد مشركي القبائل.
٣. عمليات نفذت ضد اليهود.
٤. عمليات نفذت ضد البيزنطيين.
٥. عمليات نفذت ضد المتنبئين الكذابين.

١. عمليات نفذت ضد مشركي قريش:

أ. عمليات معركة بدر:

كان أداء العيون في هذه العمليات جيداً بصورة عامة، على الرغم من الأخطاء، التي ارتكبت، فبعد أن تبلغ الرسول ﷺ بالمعلومات عن القافلة العائدة بقيادة أبي سفيان، عن طريق عينه بسبسة الجهني، قرر الخروج لمطاردتها[(١)]، وعندما تم إلقاء القبض على جاسوس لأبي سفيان في الروحاء، ودلت التحقيقات معه، على أن القافلة اتجهت جنوباً[(٢)]، قام بإرسال ابن الأريقط الجهني لمتابعة الموقف، والذي أكد صحة المعلومات، التي أشارت إلى

---

(١) ابن الأثير، أسد الغابة: ٩٧/١؛ وينظر أبو داود، المصدر السابق: ٣٩/٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٧/٢.

اتجاه القافلة جنوباً، سابقة المسلمين[1]، وكان وصول تقرير من تنظيم مكة السري على الأرجح، يشير إلى أن قريشاً، قد خرجت، لإنقاذ قافلتها، سبباً في عقد الرسول ﷺ، مجلساً للشورى، اتخذ فيه قرار المواجهة[2]، وأكمل الرسول ﷺ، رسم صورة واضحة للموقف، عندما كشفت عملية استنطاق ثلاثة من سقائي قوات قريش، إلى أن القافلة نجت، وأن المسلمين أمامهم الآن، قوة تفوقهم ثلاثة أضعاف، من حيث العدد، فضلاً عن تفوق كبير في الكراع والسلاح[3]. كما قامت العيون بجلب معلومات، عن الحالة النفسية لقوات قريش، ورغم أن قريشاً رصدت العينين، اللذان قاما بهذه العملية، إلا أنهما عادا بسلام[4]، كما أوصلت العيون احتمال وصول مدد من مكة. إلى قوات قريش[5].

ب. عمليات معركة أُحد:

أنجزت العيون واجباتها، في هذه المعركة، بإيصال خبر تقدم قوات قريش، من خلال ثلاث قنوات مختلفة، عن طريق التنظيم السري من خلال العباس بن عبدالمطلب[6]، وعن طريق خزاعة[7]، وعن طريق أسلم[8]، كما استمرت العيون في متابعة تطورات الموقف، بعد وصول القوات إلى ضواحي المدينة، وقد تم إرسال وحدتين لهذا الغرض[9]، وعلى ضوء تقاريرها، تم دراسة الموقف، واتخاد القرار، كما أكملت العيون، آخر صفحات هذه المعركة، من خلال التأكد من نوايا قوات قريش، هل ستعود إلى مكة؟ أم ستحاول إعادة الكرة على المسلمين؟[10].

---

(١) الدياربكري، المصدر السابق: ٣٧٢/١؛ وينظر العصامي، المصدر السابق: ١٨/٢.

(٢) عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٣٧؛ وينظر الواقدي، المغازي: ٤٨/١-٤٩؛ ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٨/٢.

(٣) الواقدي، المغازي: ٥٣/١؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ١٨٩/٢؛ الطبري، تاريخ: ٤٢٢/٢؛ البزار، المصدر السابق: ٢٩٦/٢-٢٩٧.

(٤) الواقدي، المغازي: ٥٤/١-٥٥.

(٥) ابن حجر، فتح الباري: ٢٨٧/٨؛ وينظر العيني، المصدر السابق: ٧٧/١٧.

(٦) الواقدي، المغازي: ٢٠٣/١-٢٠٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٥.

(٧) الواقدي، المغازي: ٢٠٥/١.

(٨) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٢.

(٩) الواقدي، المغازي: ٢٠٦/١-٢٠٨؛ وينظر ابن حبيب، المصدر السابق: ص٢٨٥-٢٨٦؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٥-٢٦.

(١٠) ابن هشام، المصدر السابق: ٣٨/٣؛ وينظر الأصبهاني، الأغاني: ٢٠١/١٥.

جـ. حمراء الأسد:

في الوقت الذي نجحت فيه قوات قريش، في قتل اثنين من العيون الثلاثة، الذين أرسلهم الرسول ﷺ لجلب الأخبار[1]، فإن معبد الخزاعي، سد هذه الثغرة عبر قيامه بحرب نفسية ناجحة، أسهمت في إقناع العدو، في العودة إلى مكة[2].

د. بدر الموعد:

نجح المسلمون في بدر الموعد، في إفشال الحرب النفسية، التي شنها العدو عليهم، بفضل حسهم الأمني المرتفع، وحصانتهم الذاتية، ضد كل أشكال التخذيل، وقاموا من جانبهم بحرب نفسية مضادة، عن طريق معبد الخزاعي، زادت في الشعور بالإحباط لدى قيادة قريش[3].

هـ. عمليات معركة الخندق:

قامت العيون، أثناء الحصار، وقبله بأداء واجباتها بصورة ناجحة من خلال ثماني وحدات من العيون الظاهرة، والمجهولة، فتقارير العيون المبكرة، التي وصلت الرسول ﷺ، من مصادره المتعددة، التي أشارت إلى تحرك قوات قريش نحو المدينة، هي التي أدت إلى اتخاذ قرار حفر الخندق، والذي كان الحجر الأساس، في الخطة الدفاعية، التي تم الاتفاق عليها[4]، كما أن فعالية عيون المسلمين، أثناء الحصار، هي التي كشفت الخطة الخطيرة، التي وضعها حيي بن أخطب الزعيم اليهودي، والمتضمنة الاستعانة، بألفي مقاتل من قريش وغطفان، بالاتفاق مع بني قريظة للإغارة على قلب المدينة من جهة حصون بني قريظة، مما جعل الرسول ﷺ يتخذ الإجراءات المضادة لذلك[5]، وبقية العمليات أشير إليها سابقاً سواء في جلب الأخبار، وإدارة التفاوض، أو شن الحرب النفسية[6].

---

(١) الواقدي، المغازي: ٣٣٧/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٣٤-٣٥.

(٢) الواقدي، المغازي: ٣٣٨/١-٣٣٩.

(٣) المصدر نفسه: ٣٨٥/١-٣٨٧؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٤٠/١؛ الطبري، تاريخ: ٥٦٠/٢-٥٦١.

(٤) الواقدي، المغازي: ٤٤٤/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٨.

(٥) الواقدي، المغازي: ٤٦٠/٢-٤٦٢؛ وينظر المقريزي، المصدر السابق: ص٢٨٨.

(٦) الواقدي، المغازي: ٧٩٦/٢-٧٩٧، ٨٠٤-٨٠٦، ٨١٤-٨١٨؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٧.

و. الحديبية:

أدت العيون دورها الناجح، من خلال أداء عمليات عديدة، عبر نقل أخبار قريش بصورة مستمرة، والقيام بالدلالة، وتسهيل التفاوض، وكشف التجسس المضاد(١).

ي. عمليات فتح مكة:

إن الإجراءات الوقائية، التي اتخذها الرسول ﷺ، من خلال عيونه المختلفة في المدينة، وخزاعة، للحيلولة دون تسرب أخبار الحركة إلى مكة، كانت ناجحة بصورة عامة، لولا الخرق غير المتوقع، الذي جاء من الداخل الإسلامي، عبر حاطب، ومع ذلك فقد عولج هذا الخرق بسرعة ونجاح في اللحظة الأخيرة(٢).

ز. كما سجل ميدان الصراع مع قريش، عمليات إنقاذ ناجحة، سبقت الإشارة إليها(٣).

٢. عمليات نفذت ضد مشركي القبائل:

أ. عملية قرارة الكدر:

أدت المعلومات المبكرة، التي وصلت إلى الرسول ﷺ، عن تحشد غطفان وسليم، إلى توجيه ضربة إجهاضية ناجحة(٤).

ب. عملية ذي أمر:

كانت كسابقتها ناجحة، بفضل وصول معلومات دقيقة، وقبل أن يكمل العدو استحضاراته(٥).

---

(١) الواقدي، المغازي: ٥٧٣/٢، ٥٨١، ٥٩٣، ٥٩٤؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٣٣٠/٥، ٣٣٣-٣٣٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٩-٧١.

(٢) الواقدي، المغازي: ٧٩٦/٢-٧٩٧، ٨٠٤، ٨٠٦، ٨١٤، ٨١٨؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٧.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٨؛ وينظر ابن عبدالبر، الاستيعاب، ١٣٨٤/١-١٣٨٥؛ الطبري، تاريخ: ٥٤٢/٢-٤٥٣؛ وينظر ص؟؟ من الرسالة.

(٤) الواقدي، المغازي: ١٨٢/١-١٨٣.

(٥) المصدر نفسه: ١٩٤/١-١٩٥؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٣؛ البلاذري، أنساب: ٣١١/١.

جـ. عملية بني سليم ببحران:

ضربة إجهاضية ناجحة، من خلال معلومات العيون المقيمة في القبائل[1].

د. عملية سفيان الهذلي:

عملية خاصة ناجحة، من حيث التخطيط والتنفيذ، وجهت إلى حركة مشبوهة، اتخذت من ضواحي مكة مقراً لها. وأغنت عن إرسال حملة باهضة التكاليف، إلى منطقة بعيدة نسبياً، مع احتمال انجرار قريش إلى الحرب[2].

هـ. عملية بني المصطلق الأولى:

عملية استندت إلى معلومات دقيقة، وثقت من مصدر آخر، وحققت نجاحاً تاماً، من خلال إجراءات الأمن الجيدة، في مكافحة التجسس المضاد[3].

و. عملية عكاشة بن محصن إلى الغمر:

ساهمت العيون في نجاح العملية، من خلال دورها النشط، قبل الوصول إلى الهدف، عبر مقاومة التجسس المضاد، وأساليب الأمن الناجحة[4].

ز. عملية بشير بن سعد إلى الجناب:

استخدمت العيون في التبليغ عن تحشدات معادية، ثم في الدلالة إلى الهدف، وفي مقاومة التجسس المضاد، وتغطية أخبار العدو، أثناء أداء العملية[5].

ح. عملية ذات السلاسل:

قامت العيون بالتبليغ عن تحشدات العدو، وفي جلب الأخبار عند الوصول إلى الهدف،

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/١٩٦-١٩٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٢٤.

(٢) الواقدي، المغازي: ٢/٥٣٢-٥٣٣؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٢/٤٦٨-٤٦٩؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧٦؛ السرخسي، المصدر السابق: ١/٢٦٧-٢٦٩.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/٤٠٤-٤٠٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤٥.

(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٥٥٠؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦١؛ الطبري، تاريخ: ٢/٦٤٠.

(٥) الواقدي، المغازي: ٢/٧٢٧-٧٢٨؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٨٧؛ الطبري، تاريخ: ٣/٢٣.

وفي تبليغ القاعدة، بتطورات الموقف[1].

ط. عملية رفاعة بن رافع الجشمي:

عملية خاصة نجحت في التخلص، من قائد معاد، بأقل خسائر ممكنة[2].

ي. عملية بني المصطلق الثانية:

أدى الاستخدام الناجح للعيون، في هذه العملية، إلى الحيلولة، دون ارتكاب خطأ فادح، بحق مسلمين، بعد أن بلغ خطأً بأنهم معادون[3].

ك. عملية دومة الجندل:

أبلغت العيون عن التحشد المعادي، في هذه المنطقة الواقعة، ضمن مناطق النفوذ البيزنطي، دينياً، وسياسياً، وقامت العيون بدور الدلالة أيضاً[4].

ل. عملية الفلس[5]:

أدت العيون، واجبها من خلال الدلالة على الهدف، وتقديم المشورة الأمنية، قبل الشروع بالتنفيذ عند الوصول إلى الهدف، وفي مقاومة التجسس[6].

٣. عمليات نفذت ضد اليهود:

أ. عملية عصماء بنت مروان:

عملية خاصة، نفذت بنجاح ضد امرأة متهودة، عرفت بكونها شاعرة، ومؤثرة في

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/٧٧٠-٧٧١؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٥؛ الطبري، تاريخ: ٣/٣٢؛ ابن عساكر، تاريخ: ١/٤٠٣.

(٢) ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٢٠٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٣٤-٣٥؛ اليعقوبي، تاريخ: ٢/٧٨.

(٣) الواقدي، المغازي: ٣/٩٨٠؛ وينظر ابن أبي حاتم، المصدر السابق: ٢/٥-٦.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/٤٠٣-٤٠٤؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢/٥٦٤؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٤١.

(٥) الفلس: صنم لطي، كان مقره في وسط جبلهم، ويتولى سدانته بنو بولان. هشام بن محمد الكلبي، الأصنام، تحقيق أحمد زكي (القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٣٤٣/١٩٢٤): ص٥٩.

(٦) الواقدي، المغازي: ٣/٩٨٤-٩٨٧.

رهطها، ولم تترك أي أثر سلبي على الوضع الأمني في المدينة[1].

ب. عملية أبي عفك:

لا تختلف كثيراً عن العملية السابقة، فقد كان الهدف يهودي العقيدة، يستخدم الشعر في هجومه على الإسلام، ولم تترك أي مشاكل في المدينة[2].

جـ. عملية كعب بن الأشرف:

امتاز أداء العيون، في هذه العملية الخاصة، بنجاحها في تصفية قائد يهودي خطر، على المستوى السياسي، والإعلامي، نفذت العملية أربعة عناصر من الأوس، وامتازت بدقة التخطيط، والتنفيذ[3].

د. عملية أبي رافع سلام بن أبي الحقيق:

نجاح هذه العملية، التي نفذتها خمسة عناصر، من الخزرج، كان كبيراً، فالهدف بعيد من الناحية الجغرافية في خيبر، وداخل قلاع يهودية محصنة، وفي وسط تجمع يهودي مغلق، وكان الإعداد لها جيداً، من خلال اختيار العناصر، التي تصلح لأداء هكذا عمليات، كما التزم عناصر العملية، بمتطلبات الأمن، والاحتمالات الطارئة[4].

هـ. عمليتا خيبر:

كلف عبدالله بن رواحة، بقيادة عمليتين متتاليتين إلى خيبر، الأولى عملية استطلاع عميق ناجح، تم فيها جمع المعلومات الضرورية، عن القيادة اليهودية وأهدافها، وكان عدد أفراد العملية أربعة مع قائدهم، ثم عاد في مهمة تفاوضية مع ثلاثين رجلاً، حققت نجاحاً في إقناع القائد اليهودي أسير بن زارم، بالتعاون مع المدينة، ضمن شروط متفق عليها،

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/١٧٢-١٧٣؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٤/٢٠٩؛ ابن حبيب، المصدر السابق: ص٢٨٣؛ الملاح، المرجع السابق: ص٢٤٣.

(٢) الواقدي، المغازي: ١/١٧٤؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧٣-٣٧٤؛ الكلاعي، المصدر السابق: ٢/٤٣٢.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/١٨٧-١٩٠؛ وينظر عروة بن الزبير، المصدر السابق: ص١٦٢؛ ابن شبة، المصدر السابق: ٥/٤٦٠-٤٦١.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/٣٩١-٣٩٤؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦.

وتكللت العملية بالنجاح، عبر كشفها محاولة الغدر، التي كان يزمع القائد اليهودي، القيام بها في اللحظة الأخيرة فتمت تصفيته مع رجاله، إلا أحدهم هرب إلى خيبر[١].

و. عمليات معركة خيبر:

أدت العيون واجبها في معركة خيبر، من خلال قيامها بمقاومة التجسس المضاد، وممارسة التضليل، مع غطفان لفك تحالفها مع خيبر، ومن خلال الدلالة إلى الهدف[٢].

وأخيراً سجلت العيون، نجاحاً في نجاة الرسول ﷺ، من محاولة واحدة على الأقل لقتله على يد اليهود، في بني النضير، من خلال معلومات، وصلت من الجانب اليهودي نفسه[٣].

٤. عمليات نفذت ضد البيزنطيين:

أ. عمليات حملة مؤتة:

أدت العيون واجبها في هذه المعركة بشكل ناجح، وكان مسار الحملة سيكتب بصورة أخرى، لو أخذت تقارير العيون التي وصلت القيادة في معان بنظر الاعتبار، والتي أشارت إلى تفوق العدو الكاسح، قبل يومين من الاشتباك. وبرغم أن هذه التقرير درست من قبل القيادة وأفرزت موقفين متباينين، رأي ينادي بالاتصال بالمدينة، وإطلاعها على التطورات الجديدة، ورأي يطالب باتخاذ قرار الاشتباك، مهما تكن النتائج، وهو ما أقر في النهاية[٤]. وبذلك يظهر جلياً نجاح المسلمين، في إقامة قواعد لهم في هذه المنطقة، وأن ما حدث لا يتحمل مسؤوليته العيون.

ب. عمليات تبوك:

بلغت العيون عن التحشدات المعادية البيزنطية، في البلقاء، والتي على ضوئها غادرت الحملة المدينة المنورة[٥]، وهنا يظهر أيضاً أثر العيون، التي زرعها المسلمون في المنطقة.

---

(١) الواقدي، المغازي: ٢/٥٦٦-٥٦٧؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٦.

(٢) الواقدي، المغازي: ٢/٦٤٠-٦٤١، ٦٦٤، ٦٧١.

(٣) الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٥٩-٣٦٠؛ وينظر ابن حجر، فتح الباري: ٨/٣٣٣.

(٤) الواقدي، المغازي: ٢/٧٦٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٣٧؛ ابن عبدالبر، الدرر: ص٢٢٢.

(٥) أحمد، المسند: ١/٢٥٣.

٥. عمليات نفذت ضد الأنبياء الكذابين:

نظراً للفترة الزمنية القصيرة، التي امتدت ما بين ظهور هؤلاء الكذابين، ووفاة الرسول ﷺ، فإن إنجازات العيون، لم تكن كاملة، و لم ينجز منها سوى عملية التخلص من الأسود العنسي، التي استخدمت قيادات يمنية، نفذت مهمة خاصة، بالتعاون الدقيق مع المرزبانة زوجة الأسود(١).

ب. العمليات الفاشلة:

١. على صعيد مشركي قريش:

شهدت السنة الأولى من الهجرة، تنفيذ سبع عمليات، قام بها المسلمون، بعضها بقيادة رجال من الصحابة، وبعضها بقيادة الرسول ﷺ، ويلاحظ أن ستة من هذه العمليات، لم توفق في تحقيق هدفها الرئيسي، الذي خرجت من أجله، وهو ضرب النشاط التجاري لقريش على الطريق الساحلي إلى الشام الذي يشكل شريان الحياة بالنسبة لقريش، ويرجع عدم التوفق إلى سببين، الأول عدم دقة المعلومات، التي كانت تصل إلى الجانب الإسلامي، عن مواعيد انطلاق القوافل، وعددها ورجال الحماية الذين يصحبونها، وهو ما ظهر جلياً، في خمس منها: وهي عملية حمزة بن عبدالمطلب إلى سيف البحر(٢)، وفي عملية سعد بن أبي وقاص إلى الخرار(٣)، وفي عملية الأبواء(٤)، وبواط(٥)، وذي العشيرة(٦).

أما السبب الثاني، فيبدو أن قريشاً، كانت تحصل على تحذيرات مسبقة، عن حملات الرسول ضدها من القوى المعادية للإسلام، في المدينة، والتي لم تكن قد جحمت بعد، مثل اليهود، والمنافقين(٧).

ومع ذلك فقد كانت هذه الحملات، غير الموفقة، درساً للمسلمين لكي يعززوا، ويزيدوا من كفاءة عيونهم، سواء في المدينة، أو في مكة، أو في القبائل التي تستقر على

---

(١) البلاذري، فتوح: ص١٢٥-١٢٦.

(٢) الواقدي، المغازي: ١/٩-١٠؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٧٤؛ البلاذري، أنساب: ١/٣٧١.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/١١؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧١؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٠٣.

(٤) الواقدي، الغازي: ١/١١-١٢.

(٥) المصدر نفسه: ١/١٢؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٢٨٧.

(٦) الواقدي، المغازي: ١/١٢-١٣؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٤.

(٧) الطبرسي، المصدر السابق: ٤/٥٣٥.

الطريق التجاري، وهو ما أنجز عن طريق الموادعات، التي عقدها الرسول ﷺ مع القبائل[1].

وقد عبرت عملية نخلة، عن تحسن كبير في التخطيط، ونسبياً في التنفيذ، عبر إرسال وحدة مكونة من ثمانية رجال لجمع المعلومات[2]، وليس لأداء واجب قتالي، وفي الوقت الذي نجحت فيه الوحدة في الوصول إلى الهدف، فإنها انحرفت واقعياً، عن أداء واجبها الأصلي، إلى مهمة قتالية[3].

ويمكن إرجاع الفشل في مطاردة قافلة أبي سفيان، العائدة من الشام، إلى الأخطاء التي وقع فيها بعض عيون الرسول ﷺ، فقد تأخر طلحة بن عبيدا لله، وسعيد بن زيد، في النخبار في منطقة ذي المروة، أكثر من اللازم، وأضاعا ليلة كاملة، بعد أن رأيا بأم أعينهما القافلة، وهي تمر في النخبار متجهة جنوباً، ثم وصلا بعد انتهاء المعركة[4]، كما أن عدي بن أبي الزغباء، وبسبس الجهنيين، برغم حصولهم على أخبار مهمة، عن قرب وصول القافلة إلى بدر، إلا أن ظهورهما العلني، في بدر، أثار شكوك مجدي الجهني، فدل أبا سفيان على مناخ جملهما، وكانا قد تركا الدليل، على هويتهما، وهو روث راحلتهما، الذي يحتوي على النوى، وهو علف أهل يثرب، وهو ما أنقذ القافلة[5].

ولقد ساهم في فشل بعض عيون الرسول ﷺ، أن أبا سفيان، استخدم كل مواهبه القيادية في إيصال قافلته غير المحمية، إلى مكة سالمة، فقد كان استطلاعه ناجحاً في النخبار، وكذلك في ماء بدر.

وتعد عملية السويق، التي قادها أبو سفيان، بعد معركة بدر، في الوصول في جنح الظلام، إلى ضواحي المدينة، بعد أن ترك رجاله المائتين في رواية، والأربعين في رواية أخرى، عند جبل تيت في ضواحي المدينة، ثم تسلل إلى منازل بني النضير، حيث استقبله سلام بن مشكم، بعد رفض حيي بن أخطب استقباله، فحصل منه على المعلومات ، التي يريدها من الجانب الإسلامي، ثم انسحب فجراً، من صنف العمليات الخاصة الناجحة،

---

(١) ينظر مثلاً عون، المرجع السابق: ص٤٨، ٥٠، ٥٢.

(٢) الواقدي، المغازي: ١/١٦؛ وينظر ابن هشام، المصدر السابق: ٢/١٧٩.

(٣) الواقدي، المغازي: ١/١٤-١٥.

(٤) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٩٧؛ الدياربكري، المصدر السابق: ١/٣٧٢؛ الصنعاني؛ المصدر السابق: ٥/٣٤٩؛ الكلاعي، المصدر السابق: ٢/١٩-٢٠.

(٥) الواقدي، المغازي: ١/١٩-٢٠؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦، ٢٧٨-٢٧٩.

على المستوى المعنوي، حيث كانت مردوداتها على الأرض محدودة جداً، فقد حرق أثناء انسحابه، بعض شجيرات النخل، وقتل اثنان من الأنصار[1].

ولقد أشارت هذه العملية، إلى ثغرة في نظام المعلومات، في داخل تنظيم مكة، ويعود الفشل في كشف هذه العملية، على الأرجح، إلى الكتمان الشديد، الذي مارسه أبو سفيان، والى أن إمكانيات تنظيم مكة، لم تكن كبيرة دائماً، فهناك مشاكل في الحصول على الأخبار، وفي نقلها لمسافة ٤٠٠ كم، فضلاً عن ثغرة في أساليب الأمن داخل المدينة.

وفي محاولة تصفية أبي سفيان في مكة، نجد أن سبب الفشل، يعود إلى انكشاف عمرو بن أمية وسلمة بن أسلم الأنصاري، من قبل القرشيين، من خلال قيامهما بالطواف في الكعبة، لا سيما وأن عمرو شخصية معروفة لديهم بالمكر والدهاء، فضلاً عن إسلامه المعروف، فاضطر عمرو وسلمة إلى الانسحاب إلى المدينة[2]. فعدم الالتزام بأساليب الأمن هي المسؤولة عن الفشل.

٢. على صعيد مشركي القبائل:

سجلت أحداث السيرة، أربع عمليات فاشلة للعيون الإسلامية، على صعيد الصراع مع مشركي قبائل العرب وهي:

أ. عملية بئر معونة:

كشفت هذه العملية، عن حجم المخاطر، التي يمكن أن يتعرض لها العيون، وتعدد الولاءات لدى قبائل العرب، ضمن حالة التشرذم السياسي، التي كانت سائدة قبل الإسلام، فالعملية انطلقت استناداً إلى وعد من أحد قادة قبيلة عامر، بتوفير الأمان، لرجال المسلمين، إلا أن المتغيرات المستجدة، قد تقضي على كل شيء، وهكذا جاء غدر عامر بن طفيل حالة مفاجئة لهذه الوحدة[3].

ب. عملية بئر الرجيع:

إن عيون هذه العملية تعرضوا للشهادة، والأسر، نتيجة للثقة التي منحت لبعض

---

(١) الواقدي، المغازي: ١/٤٠-٤١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٥/٣٤٩؛ ابن هشام، المصدر السابق:٢/١٩٠؛ ابن سعد، المصدر السابق:م٢، قسم١: ص٧؛ الطبري، تاريخ: ٢/٤٣٧-٤٣٨.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٦٨؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٣٧٩-٣٨٠.

(٣) الطبراني، المعجم الكبير: ٥/١٢٦؛ وينظر الواقدي، المغازي: ١/٣٤٦-٣٥٢.

الأعراب، عبر ادعائهم الكاذب للإسلام، فضلاً عن عدم استخدام أساليب الأمن، بصورة صحيحة، حيث تركت الوحدة، في الطريق ما يدل على هويتها، من خلال روث حيواناتهم، الذي يحتوي على النوى[1].

جـ. عملية ذات أطلاح:

إن أهمية هذه العملية، أنها عملت ضمن أراضي الشام، وسط أرض معادية، بشكل عام، ولا يتوقع لعملية ضمن هذه الظروف، أن تكون نزهة، أو مضمونة النتائج، فاحتمالات الشهادة واردة دائماً، وإن الرواية الموجزة عنها، تشير إلى انكشافها المبكر، من قبل عيون قبائل المنطقة[2].

٣. على صعيد حركة التنبؤ:

لقد فشلت في حياة الرسول ﷺ، العملية التي كانت تهدف إلى التخلص من طليحة الأسدي، عبر قيام أحد حدادي السيوف، بالإجهاز عليه، إلا أن فشل العملية أدىإلى نتائج معكوسة حيث ازداد رصيد طليحة بين أتباعه[3].

إن العمل الميداني، فيه النجاح والفشل، ولذلك لا يستغرب المرء، من بعض العمليات الفاشلة، إزاء العشرات من العمليات الناجحة، كما أن هذا الفشل، يضرب المثل للعيون المسلمين عبر العصور، إلى أن أي فشل يصادفونه بعد بذل الجهد المطلوب، لهم فيه أسوة حسنة، من عيون الرسول ﷺ.

---

(١) الواقدي، المغازي: ٣٥٤/١؛ وينظر الصنعاني، المصدر السابق: ٣٥٣/٥؛ الطيالسي؛ المصدر السابق: ١٠١/٢؛ أحمد، المصدر السابق: ٥٧/١٥.

(٢) الواقدي، المغازي: ٧٥٢/٢-٧٥٣؛ وينظر ابن حبيب، المصدر السابق: ص١٢٠؛ ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم١: ص٩٢.

(٣) ابن عساكر، تهذيب: ٩٦/٧.



الْفَصْلُ الثَّالِثُ

الْعُيُونُ وَالْجَوَاسِيسُ فِي الْعَصْرِ الرَّاشِدِيِّ

سيتم في هذا الفصل، كما جرى عليه العمل، في الفصل الثاني، التعامل مع العيون والجواسيس، من خلال الجوانب التالية:

أولاً: مصادر المعلومات، التي كانت تحصل من خلالها، الدولة الإسلامية، في هذا العصر، على الأخبار.

ثانياً: مصادر المعلومات، التي كان الأعداء، يحصلون من خلالها على أخبار الدولة الإسلامية.

ثالثاً: صفات العيون، وأنواعها، وأساليب الأمن والاستنطاق.

رابعاً: إدارة العيون.

خامساً: واجبات العيون في العصر الراشدي:

أ. العمليات الخاصة:

١. عملية تحرير حلب.

٢. عملية تحرير تستر.

٣. اختطاف الأسرى.

٤. عملية التخلص من مالك الأشتر.

ب. الحرب النفسية

ج. التضليل.

د. إدارة التفاوض مع العدو.

هـ. الاستطلاع العميق.

سادساً: تقويم عمليات العيون.

أولاً: قنوات المعلومات المتعددة التي كانت تحصل من خلالها الدولة الإسلامية على المعلومات:

إن اتساع التحديات، التي جابهتها دولة الإسلامية، في هذا العصر، بعد القضاء على حركة الردة، والانطلاق نحو تحرير الأراضي المحتلة، من قبل الفرس الساسانيين، والروم البيزنطيين، في العراق، والشام، والجزيرة، ومصر، وشمال أفريقيا، وفي فتح بلاد فارس، وخراسان، وسجستان، وكرمان، وأرمينية، وأذربيجان، وشمال القوقاز، قد حتم عليها تطوير، وتنويع، مصادر المعلومات لديها، لمواجهة المشاكل الكبيرة المستجدة، والتي أخذت تظهر ابتداءاً من تعقيدات الأوضاع الجغرافية، بما فيها من تضاريس، ومناخ، وانتهاء بالسكان ولغتهم وعقائدهم وعاداتهم.

ولقد ارتبط نجاح الجهد العسكري، ضد الأعداء في الخارج، وضبط الأجهزة الإدارية في الداخل، مع المحافظة على الاستقرار الاجتماعي، والاقتصادي، بكفاءة وفعالية نظم قنوات المعلومات، وإداراتها، وما الانتكاسات الاستثنائية، التي تعرضت لها الأمة، على ثغورها أحياناً[1]، والأخطاء الإدارية التي وقع بها صانعو القرار، في الأمصار، وعدم إيصالها بصورة أمينة إلى العاصمة، وما نتج عن ذلك من ظهور عناصر الشغب، والتمرد والفوضى خلال أحداث الفتنة المؤلمة[2] إلا نتيجة حتمية لسوء أدائها أحياناً، وعدم الاعتماد على تقاريرها واقتراحاتها من قبل أولياء الأمور أحياناً أخرى.

إن تطوير فكرة التعامل مع غير المسلم، وغير العربي، في وحدات العيون، والجواسيس كانت تعبيراً عن الواقعية والإبداع الذي امتازت به القيادة الإسلامية نظراً للإمكانيات الكبيرة والخبرات المتراكمة التي تمتع بها هؤلاء، على مختلف الأصعدة، مثل معرفتهم بالعادات والتقاليد واللغة والتضاريس والمناخ، وأساليب الخصوم في القتال والسياسية.

---

(١) الثغر: هو ما يلي دار الحرب، وهو موضع المخافة من البلدان. ابن منظور، المصدر السابق: ١٠٣/٤؛ أي أنها نقطة التقاء حدود الدولة الإسلامية، مع حدود الدول المعادية.

(٢) الفتنة: هي الابتلاء والامتحان والاختبار. المصدر نفسه: ٣١٧/١٣؛ ويقصد بها الأحداث التي أدت إلى أستشهاد الخليفة عثمان ﷺ، واستمرت طيلة خلافة سيدنا علي ﷺ، وخلافة الإمام الحسن ﷺ، وانتهت بعام الجماعة بخلافة معاوية عام ٤١هـ/٦٦١م.

أ. القناة الإسلامية:

شكل العيون والجواسيس، من أصل عربي إسلامي، الثقل الأساس في وحدات العيون في هذا العصر، كما أنهم كانوا على رأس إدارة هذه الوحداتب شكل عام، وهذا ما يظهر من خلال الجدول رقم (٣) على الرغم من تعدد التحديات التي جابهتهم على مختلف الأصعدة، ففي معارك القضاء على الردة كانت العيون كلهم من العرب، وفي معارك التحرير والفتح لعبوا أدواراً متعددة لا سيما على صعيد الاستطلاع العميق، وفي مقاومة التجسس المضاد، وفي العمليات الخاصة فضلاً عن تربعهم على رأس إدارة هذه الوحدات. كما أنهم لعبوا الدور الأساس في تغطية أحداث الفتنة، وفي مراقبة الجهاز الإداري.

إن نجاح العيون الإسلامية، كان من خلال التنسيق، مع القنوات المتعددة، وفي التأكد من ولائها، ومن صدق المعلومات المجلوبة، فضلاً عن تطوير العمل بشكل مستمر، من خلال التعامل مع التحديات المستجدة، والتي أصبحت حالة متكررة وسريعة، وهو ما سوف يظهر من خلال أحداث الفصل.

ولا بد من القول إن عدداً لا بأس به من قادة هذا العصر، لا سيما القرشيون منهم، كانت لديهم معلومات عن أوضاع أعدائهم، حصلوا عليها من خلال ممارستهم للتجارة، فقد أشير إلى أن أبا بكر الصديق ﷺ زار الشام[1]، وكذلك عمر بن الخطاب ﷺ الذي زار فلسطين[2]، وأشير إلى عمرو بن العاص الذي زار مصر[3]، والحبشة[4]،كما زار المغيرة بن شعبة ﷺ مصر[5]. وكانت هذه المعلومات، عوناً لهم أثناء توليهم قيادة الأمة، أو مسؤوليات عسكرية أو إدارية.

ب. أنباط الشام:

أطلق العرب المسلمون على السكان المحليين، في بلاد الشام، هذه التسمية[6]، وقد

---

(١) الطيالسي، المصدر السابق: ١٧/٢.

(٢) ابن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٦١٥؛ وينظر ابن الأثير، النهاية: ٩٩/٢؛ ابن حجر، الإصابة: ٥٦٩/٢.

(٣) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٥٣؛ وينظر محمد بن يوسف الكندي، الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن كست (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٠٨): ص٧.

(٤) الواقدي، المغازي: ٧٤٢/٢-٧٤٣. (٥) المصدر نفسه: ٥٩٦/٢.

(٦) الأزدي، تاريخ: ص٨٧؛ وينظر ابن منظور، المصدر السابق: ٤١٢/٧.

جاءت من خلال ممارسة هؤلاء للزراعة[1]، كما أطلق عليهم أيضاً أهل البلد[2]، ومسالمة الشام[3]، والمعاهدين[4]، ويشير صاعد[5] إلى أن أصولهم تعود إلى السريان، والبابليين، ولا تختلف الدراسات المعاصرة، كثيراً في معطياتها عن أصولهم، عما ورد لدى الأقدمين، حيث يشير بروكلمان[6] إلى أنهم سلالة الآراميين.

إن القسم الأكبر من هؤلاء الأنباط، تعاون بشكل جيد مع المسلمين، على صعيد المعلومات، وقد تم التأكيد على أهمية هذا التعاون، من خلال إدراجه ضمن معاهدات الصلح[7]، وكان للأنباط أسبابهم الخاصة بهم في التعاون، يعود قسم منها إلى المعاملة الحسنة، التي تلقوها من القوات الإسلامية، برغم اختلافهم معهم، على صعيد العقيدة، والتي ضمنها لهم المسلمون[8]، على عكس معاملة المحتلين البيزنطيين لهم[9]. يضاف إلى ذلك محاولة بعض قيادات الأنباط الدينية، إيجاد إطار من العلاقات الثابتة، مع المحررين[10]، كما قام العرب المسلمون بتقديم مغريات مادية، لعيونهم وجواسيسهم من الأنباط، لأنها من أهم الأسباب وأكثرها واقعية، في استمرار التعاون بإخلاص، فقد كانوا يعطون من الغنائم فضلاً عن مساعدات مالية أخرى لتشجيعهم[11]، مع إعفائهم من الجزية[12]، وهو أسلوب تكرر فيما بعد مع أقوام آخرين.

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق: ٤١١/٧.

(٢) الأزدي، تاريخ: ص٨٤. (٣) المصدر نفسه: ص٣١. (٤) الواقدي، فتوح الشام: ١٢٢/٢.

(٥) صاعد بن أحمد بن صاعد الأندلسي، طبقات الأمم، تحقيق لويس شيخو (بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، ١٩١٢): ص٦.

(٦) تاريخ الأدب العربي، ٨/٢؛ وينظر فيليب حتي وآخرون، تاريخ العرب (مطول) (بيروت، دار الكشاف، ١٩٥٢): ٣١٠/١؛ عزة النص، مع الواقدي في فتوح الشام، مجلة الحوليات الأثرية السورية: م٢، ج١ (دمشق، مديرية الآثار العامة، ١٩٥٢): ص٨٧.

(٧) أبو يوسف، المصدر السابق: ص٣٠٩-٣١٠؛ وينظر الأزدي، تاريخ: ص٣٢٥؛ البلاذري، فتوح: ص١٧٧؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣٤٦/٣.

(٨) أبو يوسف، المصدر السابق: ص٢٩٩؛ وينزر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٤٣/١-١٤٤.

(٩) الواقدي، فتوح: ٢٢٨/٢-٢٣٠؛ وينظر الأزدي، تاريخ: ص١٧٥؛ جورج مرعي، فتح العرب للشام، بحث تاريخي انتقادي تحليلي (بيروت، المطبعة الأدبية، ١٩٣١): ص٢٩؛ حتي، المرجع السابق: ١٩٤/١.

(١٠) البلاذري، فتوح: ص١٣٣، ١٤٤، ١٤٥؛ وينظر سامي الدهان، دمشق على عهد الأمويين، الذكرى المئوية الثانية عشر لوفاة القديس يوحنا الدمشقي (حريصا، المطبعة البولسية، ١٩٥٠): ص٣٩.

(١١) الأزدي، تاريخ: ص٨٧. (١٢) الواقدي، فتوح: ١٤٢/٣.

ويلفت ابن أعثم[1] الانتباه إلى أن من أهم أسباب نجاح الأنباط، في أداء مهامهم عيوناً للعرب المسلمين، هو أن البيزنطيين لم يكونوا يشكون في ولائهم لهم، نظراً لاتفاقهم معهم على صعيد العقيدة، فالطرفين نصارى. كما يشير الواقدي[2]، إلى أنهم كانوا يلبسون الزي البيزنطي، ويتكلمون اليونانية بطلاقة. ومن الجدير بالذكر أن قسماً من هؤلاء العيون والجواسيس، قد اعتنقوا الإسلام، من خلال تعاملهم مع القيادات الإسلامية، التي جسدت تعاليم الإسلام بحق[3]. ولقد أثبتت الأحداث أن ما قام به الأنباط، كان كبيراً سواء على صعيد الأخبار[4]، أو كسعاة حاملين للرسائل السرية (فيوج)، في جبهات القتال[5]، أو من الجبهة إلى المدينة المنورة[6]، كما قاموا بدور الترجمة من اليونانية إلى العربية وبالعكس، لا سيما أثناء إجراء المفاوضات مع قيادات العدو[7]، ويتوقع الشيء نفسه أثناء استنطاق الأسرى كما قاموا بدور الأدلاء[8].

لقد كان الأنباط بصورة عامة على مستوى المسؤولية التي حملوها، حيث أخلصوا في أداء الأعمال التي كُلفوا بإنجازها، برغم خطورتها، و لم تُشِرِ المصادر العربية، إلى حالة خيانة واحدة من قبلهم، ويدل هذا على كفاءة التقويم الأمني، وعلى فعالية أساليب التعامل، التي مارسها العرب المسلمون تجاههم.

جـ. أنباط العراق:

تعود تسمية العرب المسلمين لهم، حالهم حال إخوانهم أنباط الشام، إلى ممارستهم للزراعة في منطقة السواد[9]، وسموا أيضاً بالعلوج[10]، وكانت العقيدة الدينية لهؤلاء هي

---

(١) الفتوح: ١٤٢/٣. (٢) المصدر نفسه،: ١٥٣/٣.

(٣) يحيى بن آدم، الخراج، تحقيق أحمد محمد شاكر (القاهرة، المطبعة السلفية ومكتبتها، ١٣٤٧): ص٦٠؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٥٠/١، ١١٥/٢.

(٤) الأزدي، تاريخ: ص١٥٣، ١٥٧، ١٧٤.

(٥) المصدر نفسه: ص٤٤، ٨٤، ١٥٣؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٤٣/١، ١٤٤.

(٦) المصدر نفسه: ١٨٧/١. (٧) المصدر نفسه: ١٥٠/١.

(٨) الأزدي، تاريخ: ص٢٤٢؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٢٠٦.

(٩) البلاذري، فتوح: ص٣٢٢؛ وينظر محمد بن أحمد البيروني، الآثار الباقية عن القرون الخالية، تحقيق إدوارد سكيو (بغداد، مكتبة المثنى، القاهرة، مؤسسة الخانجي، عن طبعة ليبزك، ١٩٢٣): ص٥٩. السواد: يقول ياقوت، إن السواد من حديثة الموصل (جنوب الموصل الحالية) طولاً، إلى عبادان، ومن العذيب بالقادسية، إلى حلوان، عرضاً. معجم البلدان: ٢٧٢/٣.

(١٠) العلج: يقال للرجل القوي الضخم من الكفار علج. ابن منظور، المصدر السابق: ٣٢٦/٢.

النصرانية، وبذلك اختلفوا عن أنباط الشام، في انعدام العقيدة الدينية المشتركة، مع الحكام، فقد الفرس الساسانيون مجوساً. ولا يمكن تصور إمكانية تحقيق ما أُنجز من انتصارات باهرة، في نحو أربع سنين من خلال تحرير العراق، ودحر الامبراطورية الساسانية، من غير دعم معلوماتي، من قبل هؤلاء الأنباط وقياداتهم، لا سيما وأن جغرافية المنطقة (السواد) تتصف بالتعقيد، حيث تغطيها شبكات لا حصر لها من القنوات، والأنهار، التي تأخذ مياهها من دجلة والفرات، فضلاً عن الأهوار التي تغطي مساحات شاسعة، بما فيها من قصب وبردي وغابات النخيل الكثيفة، وكل ذلك يعد معوقات، لا يقلل من مخاطرها سوى علم المسلمين بها بصورة مفصلة، ولذلك أشير إلى دور الأنباط بصورة مبكرة، في الدلالة على مخاضات الأنهار[1]، وكان الخليفة أبو بكر الصديق ﷺ، قد أكد منذ بداية عمليات تحرير العراق، لقادته على ضرورة معاملتهم معاملة حسنة[2]، من أجل الاستفادة منهم على شتى المستويات، بما يخدم الجهد العسكري للأمة.

إن أهمية المعرفة الجغرافية التفصيلية، لميادين العمليات قد أكد عليها أيضاً، عمر بن الخطاب ﷺ، في وصيته إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ، عندما وجهه إلى جبهة العراق بقوله: ((... ثم لا تعاجلهم المناجزة، ما لم يستكرهك قتال، حتى تبصر عورة عدوك ومقاتله، وتعرف الأرض كلها كمعرفة أهلها...))[3] كما أكد على ضرورة إيجاد متعاونين من أهل الأرض[4]. ولم تكن المعلومات التي يحصل عليها الأنباط، معلومات عسكرية فقط، وإنما كانت أحياناً تتعلق بتطورات الأوضاع في البلاط الساساني، وما يمكن أن يترتب على ذلك، على صعيد المواجهة مع العرب المسلمين.

إن أولى القيادات النبطية، التي أشير إلى تعاونها، مع المحررين، كان صلوبا بن نسطونا بن بصبهري[5]، دهقان[6] بانقيا[7]، وأليس[8]، وباروسما[9]. وكانت معاهدة الصلح

---

(١) أبو يوسف، المصدر السابق: ص١١٨؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٢٩٧، ٣٢٣؛ الطبري، تاريخ: ٤٧٤/٣.

(٢) المصدر نفسه: ٣٥٠/٣. (٣) النويري، المصدر السابق: ١٧٠/٦. (٤) المصدر نفسه: ١٦٩/٦.

(٥) ورد اسمه مصحفاً لدى خليفة باسم صلوتا. تاريخ: ص١١٨؛ ولدى الأزدي بصبهن بن صلوبا. تاريخ: ص٦٧؛ ولدى ابن أعثم برصلوما. الفتوح: ١٦٨/١؛ ولدى البلاذري بصبهري بن صلوبا. فتوح: ص٢٩٩؛ ولقد أشار طه الهاشمي إلى أنه نبطي، وليس فارسياً. خالد بن الوليد في العراق (مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٩٥٤): م٣، ج١: ص٨٣.

(٦) الدهقان: كلمة فارسية معربة، يقصد بها زعيم فلاحي العجم، ورئيس الإقليم. الفيروزآبادي، القاموس: ٢٢٤/٤؛ ويشير كلود كاهن إلى أن الدهاقين، يقصد بهم في خراسان الأمراء الصغار،

المعقودة معه، تؤكد على أن يعمل مع سكان المنطقة عيوناً للمسلمين[1]، وقد تعاون مع أبي عبيد الثقفي، الذي قدم العراق قائداً للجبهة، بعد مغادرة خالد بن الوليد إلى الشام[2]، وتعاون مع المثنى بن حارثة، بعد معركة الجسر[3]، وكان آخر الدهاقين، الذين أعلنوا التمرد بتحريض من القائد الساساني رستم[4]. وقد اختار قسم من هؤلاء بصورة مبكرة الوقوف مع العرب المسلمين، خدمة لاستمرار مصالحهم، وهو الموقف الذي أجمعوا عليه بعد القادسية بصورة طوعية، فقد أشير إلى أن خالد بن الوليد عقد معاهدة صلح مع دهاقين الملطاطين[5]، وزاد بن بهيش دهقان فرات سريا[6]، وعقد عروة بن زيد الطائي، معاهدة صلح مع دهقان الزوابي[7]، أثناء تولي أبي عبيد الثقفي جبهة العراق[8]، وكذلك الحال مع الأندزغر، ودهقان باروسما[9]، وعقد سعد بن أبي وقاص معاهدة صلح مع شيرزاد، ودهقان ساباط[10].

ممن يملكون مناطق بأسرها، ثم أصبحت علماً على الأعيان الريفيين الصغار. تاريخ العرب والشعوب الإسلامية، ترجمة بدر الدين القاسم (بيروت، دار الحقيقة، ١٩٧٢): ١٨٣/١.

(٧) بانقيا: ناحية من نواحي الكوفة، تقع على الفرات. ياقوت، معجم البلدان: ٣٣١/١-٣٣٢.

(٨) أليس: قال عنها ياقوت، إنها قرية من قرى الأنبار. معجم البلدان: ٢٤٨/١؛ ويشير طه الهاشمي إلى أنها تقع جنوبي غرب الفلوجة على بعد ٣٥ كم، المرجع السابق: م٣، ج١: ص٧٦.

(٩) باروسما: ناحيتان في السواد يقال لهما باروسما العليا، وباروسما السفلى ويسقيهما نهر سورا الأعلى. ياقوت، معجم البلدان: ٣٢٠/١؛ وينظر لسترنج، بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد، مطبعة الرابطة، ١٩٥٤): ص٩٦.

(١) البلاذري، فتوح: ص٢٩٧. (٢) خليفة، تاريخ: ص١٢٤. (٣) الطبري، تاريخ: ٤٦٠/٣.

(٤) المصدر نفسه: ٣٣/٤.

(٥) الملطاطين: إن الملطاط هو الطريق على الساحل، وكان يقال لظهر الكوفة اللسان، وما ولي منه الملطاط. ياقوت، معجم البلدان: ١٩٢/٥.

(٦) الطبري، تاريخ: ٣٦٨/٣؛ فرات سريا: لم أجد منطقة بهذا الاسم، وإنما أشار ياقوت إلى نهر بهذا الاسم يأخذ مياهه من الفرات، ويقصد به شط الحلة. معجم البلدان: ٢٢٢/٤؛ وينظر لسترنج، بلدان: ص٤٣.

(٧) الزوابي: يقصد بها ثلاثة أنهار هي الزاب الأعلى، والأوسط، والأسفل، ويجريان من دجلة جنوبي بغداد. ياقوت، معجم البلدان: ١٥٥/٣؛ وينظر لسترنج، المرجع السابق: ص١٠٨.

(٨) البلاذري، فتوح: ص٣٠٧. (٩) خليفة، تاريخ: ص١٢٤.

(١٠) الطبري، تاريخ: ٥/٤؛ ساباط: موضع مقابل المدائن على الضفة الأخرى من دجلة. لسترنج، المرجع السابق: ص٥٢.

وعرف عن دهقان كلواذي[١]، موقفه الإيجابي قبل القادسية حيث أصبح مع سكان منطقته، عيوناً للمسلمين فيما وراء نهر دجلة شرقاً[٢]. وتعاون نسطام بن نرسي، مع القائد زهرة بن الحوية التميمي[٣]، وتعاون دهقان مهروذ، مع القائد هاشم بن عتبة المرقال[٤]. ولقد أصبح التعاون بين الدهاقين الفرس، والعرب المسلمين، تاماً بعد القادسية، بل وأسلم كثير منهم مثل دهقان الفلاليج[٥]، والنهرين[٦]، ودهقان خطرنية[٧]، بسطام بن نرسي، ودهقان العال[٨]، الرفيل، وفيروز دهقان نهر الملك[٩] وكوثي[١٠] وغيرهم من الدهاقين وظلت الأراضي بأيديهم[١١]، وبقي قسم منهم على الجزية[١٢].

د. عرب الشام:

يشير الأزدي[١٣]، إلى أن عرب الشام، انقسموا بعد بدء عمليات تحرير الشام، إلى ثلاثة أقسام، القسم الأول اعتنق الإسلام، وشارك إخوانه في عمليات الجهاد والتحرير، في حين ظل القسم الثاني على النصرانية، ودفعهم إيمانهم بها إلى القتال في صفوف المحتلين البيزنطيين، ضد المسلمين، ووقف القسم الثالث على الحياد، على الرغم من بقائهم على النصرانية، وقالوا: (نكره أن نقاتل أهل ديننا ونكره أن ننصر العجم على قومنا). ومع هذا

---

(١) كلواذي: إحدى المناطق التي تقع جنوب بغداد، وتبعد عنها نحو ستة كيلومترات. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٤٧٧؛ وينظر لسترنج، المرجع السابق: ص٤٩.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/٣٧٥. (٣) المصدر نفسه: ٣/٦١٩-٦٢٠. (٤) البلاذري، فتوح: ص٣٢٤.

(٥) الفلاليج: يطلق على مجموعة قرى، منها الفلوجة الصغرى، والفلوجة الكبرى. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٢٧٥؛ ويشير طه الهاشمي، إلى أنها تقع ما بين الأنبار جنوباً، إلى شمالي النخيلة. خالد بن الوليد في العراق، (مجلة المجمع العلمي العراقي، بغداد، ١٣٧٥/١٩٥٦): م٤، ج١: ص٥٧.

(٦) النهرين: لم أجد عنها شيئاً في المصادر الجغرافية.

(٧) خطرنية: ناحية من نواحي بابل. ياقوت، معجم البلدان: ٢/٣٧٨.

(٨) العال: يقال للأنبار وبادوريا وقطربل، ومسكن، العال. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٧٠.

(٩) نهر الملك: سمي أيضاً نهر صرصر، يأخذ مياهه من الفرات ويسقي منطقة السواد. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٢٤١؛ وينظر لسترنج، المرجع السابق: ص٩٣-٩٤.

(١٠) كوثي: نهر يأخذ مياهه من الفرات. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٤٨٧.

(١١) البلاذري، فتوح: ص٣٢٥. (١٢) الطبري، تاريخ: ٤/٥.

(١٣) تاريخ: ص١٦٩؛ وينظر أ. أكرم، سيف الله خالد بن الوليد، ترجمة صبحي الجابي (بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٣٩٩): ص٣١٧-، ٣٢٣.

الموقف، فقد أشير إلى تعاون على صعيد الأخبار، مع نصارى عرب الشام، في معركة فحل[1]، وفي اليرموك[2].

هـ. عرب العراق:

كان العرب في العراق، ينقسمون على صعيد الاستيطان، إلى قسمين، فقد كان أكثرهم من البدو الرعاة، في أقسام من السواد، والجزيرة، مثل تغلب، وإياد، والنمر، وبكر، في حين كان هناك قسم صغير متحضر، يستقر في المدن مثل أهل الحيرة. وعلى الصعيد العقدي، فقد كان قسم من هذه القبائل على النصرانية، وقسم آخر على الشرك، وفي كلتا الحالتين لم تكن لهم عقيدة مشتركة، مع الحكام الساسانيين في العراق، الذين كانوا يعتنقون المجوسية وكان يتوقع من عرب العراق، استناداً إلى هذه الحقائق، إما التعاون مع إخوانهم العرب المسلمون، أو في أضعف الإيمان الوقوف علىالحياد. وهو ما لم يحدث إلا في نهاية حروب تحرير العراق، لا سيما أثناء تحرير تكريت، حيث تعاونوا مع عبدا لله بن المعتم العبسي[3]، بعد أن يئسوا من النصر، وحاول حلفاؤهم البيزنطيون، مغادرة المدينة نهراً عبر دجلة[4]، كما تعاونوا في تحرير الموصل[5].

وعلى صعيد آخر وقف نصارى الحيرة بصورة مبكرة، إلىجانب المحررين، على مستوى المعلومات، مع احتفاظهم بعقيدتهم الدينية، حيث وقع زعماء الحيرة، عبد المسيح بن عمرو الأزدي، وهانئ بن قبيصة الشيباني، وإياس بن قبيصة الطائي، معاهدة صلح شملت فضلاً عن بنودها السياسية، والدينية، والاقتصادية، بنداً نص على أن يعملوا عيوناً وأدلاء للمسلمين على الفرس[6]. ولقد عبر القائد الساساني رستم، عن امتعاضه وغضبه من الدور الذي لعبه أهل الحيرة، مثل عمليات القادسية[7]. وقد وصف الأزدي[8]، موقف عرب

---

(١) معركة الفحل: وقعت هذه المعركة في الأردن، حيث انتصرت القوات الإسلامية، على القوات البيزنطية، بعد خمسة أشهر من تولي عمر بن الخطاب الخلافة. البلاذري، فتوح: ص١٣٧.

(٢) الأزدي، تاريخ: ص١١١.

(٣) عبدا لله بن المعتم: قيل إنه من الصحابة، وكان على مقدمة سعد من القادسية إلى المدائن، مع زهرة بن الحوية التميمي، وقد حرر تكريت، وأرسل ربعي بن الأفكل إلى الموصل فحررها. ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٩٧/٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٣٥/٤. (٥) المصدر نفسه: ٢٦/٤-٢٧. (٦) البلاذري، فتوح: ص٢٩٧.

(٧) الطبري، تاريخ: ٥٠٨/٣؛ وينظر شكري فيصل، حركة الفتح الإسلامي في القرن الأول (بيروت، دار العلم للملايين، ١٩٨٠): ص٨٥-٩٤. (٨) تاريخ: ص٦٥.

الحيرة وتعاونهم مع العرب المسلمين بقوله:(وكان ظهور المسلمين أحب إليهم من الفرس).

و. الفرس:

يتمثل دور الفرس في بعض الوحدات الساسانية المندحرة، التي أعلنت وقوفها إلى جانب العرب المسلمين، بصورة طوعية مبكرة، فقد أسلم الحمراء قبل القادسية، واستفاد منهم سعد بن أبي وقاص، على صعيد المعلومات والخبرة[1]، كما انضم الحرس الخاص برستم المسمى جند شاهنشاه، وقائدهم ديلم إلى الإسلام، بعد القادسية وحالفوا تميماً، وأعطوا شرف العطاء، وتسموا باسم نقيبهم ديلم، فأصبحوا حمراء ديلم[2]. كما انضم أساورة البصرة[3]، وأساورة الديلم المرابطين في قزوين[4]، إلى القوات الإسلامية. وكذلك الحال مع قوات سياه الاسواري، والذي كان قائد مقدمة القوات الساسانية، حيث أسلم وانضم مع قواته بعد معركة السوس[5]، وشهد حصار تستر[6]، بعد أن وافق عمر بن الخطاب على شروطهم للانضمام إلى الإسلام، والعمل مقاتلين في صفوف القوات الإسلامية[7]، وانضمت كذلك السيابجة، والزط[8] إلى الإسلام، وعملت في القوات

---

(١) الحمراء: يقصد بهم لغة العجم، واصطلاحاً القوات الساسانية التي اعتنقت الإسلام وعملت في صفوف القوات الإسلامية. البلاذري، فتوح: ص٣٩٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣/٥١٢، ٥٥٥.

(٣) الأساورة: يقصد بهم صنف الخيالة الدارعين (الاسواران) وكان لهم المقام الأول في المعارك وقد انضموا إلى أبي موسى الأشعري واعتنقوا الإسلام. البلاذري، فتوح: ص٣٤٤، ٣٩٥؛ الطبري، تاريخ: ٤/٩٠-٩١؛ ارثر كرستنسن، إيران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، وعبدالوهاب عزام (القاهرة، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، ١٩٥٧): ص١٥٧؛ أحمد صالح العلي، التنظيمات الاجتماعية والاقتصادية في البصرة في القرن الأول الهجري (بيروت، دار الطليعة، ١٩٦٩): ص٨٣.

(٤) قزوين: مدينة مشهورة قرب الري، شمال غرب طهران، وهي المركز الرئيسي للطرق المؤدية إلى طبرستان، وشواطئ بحر قزوين. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٣٤٢.

(٥) السوس: من المدن التاريخية المهمة، تقع قرب نهر الكرخة. ياقوت، معجم البلدان: ٣/٢٨٠؛ وينظر لسترنج، المرجع السابق: ص٢٧٤.

(٦) الطبري، تاريخ: ٤/٩١؛ تستر: وهي قاعدة إقليم الأحواز، وتقع على نهر دجيل. ياقوت، معجم البلدان:٢/٢٩-٣٠؛ وينظر لسترنج، المرجع السابق:ص٢٦٨. (٧) البلاذري، فتوح: ص٤٥٩.

(٨) الزط والسيابجة: هي الوحدات البحرية الساسانية التي اعتنقت الإسلام، وحالفت تميماً وظلت في البصرة، وقد اختلف في أصولهم، فالبلاذري يشير إلى أنهم من الأندغار من السند. في حين يشير

الإسلامية، وحالفوا تميم[1].

إن قيمة هذه الوحدات، أنها كانت تمتلك رصيداً وخبرة مهمة، عن أوضاع البلاد سياسياً، وعسكرياً، واجتماعياً، أفادت القوات الإسلامية، وعززت موقفها في مواجهة عدو شرس، استمر في المقاومة لفترة ليست بالقصيرة[2]، فبعد معركة جلولاء[3]، نجد أن قباذ قائد الحمراء يتولى الإشراف على حدود الجبهة المتحركة، والتي كانت قد وصلت إلى حافات جبال زاكروس، المطلة على منطقة السواد، وكان مقره في حلوان[4]، كما تعاون الزينبي[5]، وهو من القيادات الفارسية، ومن أهل مدينة الري[6] مع نعيم بن مقرن المزني[7]، على صعيد المعلومات في فتح مدينة الري[8].

ولقد ساعد تعاون هؤلاء على تحقيق الأهداف السياسية، والعسكرية، الإسلامية، في عمق الدولة الساسانية، لا سيما تحركات الملك الفارسي يزدجرد، وعن طريقهم تم نقل أنباء تحشدات يزدجرد، من الباب، إلى السند، وخراسان، وحلوان، والتي أدت إلى معركة نهاوند[9]. وكذلك تحشدات الفرس في رامهرمز[10]، وتستر[11]، وقد مارس العيون

فيران إلى أن السيابجة من سلالة مهاجرين من أهل سومطرة، نزحوا إلى الهند ثم إلى العراق. البلاذري، فتوح: ص٤٦٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤/٤٦٨؛ جابريل فيران، مادة سيابجة، دائرة المعارف الإسلامية: ١٢/٤٠٠-٤٠٢؛ العلي، تنظيمات: ص٨٤-٨٦.

(١) البلاذري، فتوح: ص٤٦٠.

(٢) استمرت المقاومة وحركة التمرد في بلاد فارس وخراسان وغيرها إلى مقتل الملك الساساني كسرى يزدجرد عام ٣١هـ/٦٥١م. الطبري، تاريخ: ٢٩٣-٣٠٠.

(٣) معركة جلولاء: هي المعركة التي انتصر فيها القائد العربي المسلم هاشم بن عتبة، على القوات الساسانية بعد معركة القادسية. البلاذري، فتوح: ص٣٢٤-٣٢٥.

(٤) الطبري، تاريخ: ٤/٣٤، ٣٨؛ حلوان: هي آخر حدود منطقة السواد، مما يلي الجبال من بغداد، وتقع ضمن العراق جغرافياً. ياقوت، معجم البلدان: ٢/٢٩٠.

(٥) ورد اسمه مصحفاً، حيث سماه البلاذري الفرخان بن الزبندي، وسماه العرب الزينبي. فتوح: ص٣٩٠، وسماه الطبري، أبو الفرخان. تاريخ: ٤/١٥١.

(٦) الري: مدينة تبعد عن قزوين ١٠٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٥/١٥٩.

(٧) نعيم بن مقرن: من صحابة رسول الله ﷺ، كان من وجوه مزينة، وكانت له ولأخيه النعمان منزلة كبيرة عند عمر ﷺ. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤/١٥٩. (٨) الطبري، تاريخ: ٤/١٥٠.

(٩) البلاذري، فتوح: ص٣٩١؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤/١٢٠.

(١٠) رامهرمز: إحدى المدن المشهورة في إقليم الأحواز. ياقوت، معجم البلدان: ٣/١٧.

(١١) الطبري، تاريخ: ٣/٨٤.

والجواسيس الفرس، دورهم في الترجمة لا سيما أثناء المفاوضات[1].

ويلاحظ أن استمرار العمليات في عمق الأراضي الساسانية في خراسان وجرجان وقزوين وغيرها دفعت القوات الإسلامية إلى تضمين معاهدات الصلح بنوداً خاصة تعفي من بقي منهم على المجوسية من الجزية لقاء تعاونهم العسكري والإخباري فقد صالح القائد عبدا لله بن عامر[2] مرزبان مروزوذ عام (٣٢هـ/٦٥٢م) على ((... نصرة المسلمين وقتال عدوهم بمن معك من الأساورة، إن أحب المسلمون ذلك، وأرادوه وإن لك على ذلك نصرة المسلمين، ولا خراج عليك...))[3].

وشمل رفع الجزية أيضاً الأساورة، الذين ظلوا على المجوسية، بأمر من الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ[4]. كما أُسقطت الجزية عمن تعاون مع المسلمين، من أهل جرجان، حيث جاء في صلحهم ((... ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته، عوضاً عن جزائه...))[5]. إن حاجة المسلمين إلى السكان المحليين عيوناً وأدلاء وللخدمات الإدارية، كانت أكثر من حاجتهم إليهم مقاتلين، ومن هذا المنطلق تفسر فقرات التعاون هذه.

ز. سكان القوقاز:

ينتمي السكان في هذه المنطقة، إلى قوميات مختلفة، يدل على ذلك الكيانات السياسية المختلفة، التي تعاملت معها القوات الإسلامية، والتي نجحت في عقد معاهدات صلح معها، صانت حقوقهم، وعقائدهم، وأعفتهم من الجزية، وسهلت عليهم التعاون في مختلف المجالات، لا سيما الإخبارية منها، فضلاً عن الدلالة، والخبرة فقد جاء في صلح القائد سراقة بن عمرو[6]، مع شهربزار وسكان أرمينية ((... وعلى أهل أرمينية

---

(١) البلاذري، فتوح: ص٣٧٥.

(٢) عبدا لله بن عامر: عامل البصرة للخليفة عثمان بن عفان ﷺ، ينتمي إلى بني أمية. الزبيري، نسب قريش: ص١٤٧-١٤٨؛ وينظر ابن حزم، جمهرة: ص٧٥.

(٣) الطبري، تاريخ: ٣١٤/٤. (٤) المصدر نفسه: ٤٩/٤.

(٥) الطبري، تاريخ: ١٥٢/٤؛ وينظر حمزة بن يوسف السهمي، تاريخ جرجان (حيدرآباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٦٩/١٩٥٠): ص٤٥.

(٦) سراقة بن عمرو: من أصحاب رسول ا لله ﷺ أرسله عمر بن الخطاب ﷺ إلى الباب، حيث فتح المنطقة وعقد صلحاً مع أهلها ومات هناك. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٥٨٠/٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٣٠/٢.

والأبواب[1] والطراء منهم والتناء، ومن حولهم فدخل معهم أن ينصروا لكل غارة، وينفذوا لكل أمر ناب، أو لم ينب رآه الوالي صلاحاً، على أن توضع الجزاء عمن أجاب إلى ذلك...))[2] وعندما قام سلمان بن ربيعة[3]، بتحرير بلنجر[4]، تعاون معه بعض القوقازيون وعبر هو عن ذلك بقوله:((يحمل أعداء ا لله على أعداء ا لله))[5]. وفي ضوء هذه المعاهدات، يفسر الاندفاع الباسل لعبدالرحمن بن ربيعة[6]، إلىالبيضاء[7] والتي تبعد ١٣٠٠كم عن بلنجر[8]. فلولا الدلالة والمساعدات الإخبارية التي قدمها هؤلاء، لما أمكن تحقيق ماأنجز.

ح. الروم البيزنطيين:

يبدو أن العرب المسلمين، نجحوا في زرع جواسيسهم، في بعض المراكز الحساسة في الإدارة البيزنطية، فقد ساعد انضمام بعض الإداريين، والعسكريين البيزنطيين، أثناء عمليات التحرير، إلى القوات الإسلامية، بصورة مبكرة مثل حاكم بصرى روماس في الحصول على

---

(١) الأبواب: وصفها الإدريسي بأنها أفواه شعاب في جبل القبق (القوقاز)، فيها حصون منها باب صول (باب اللان)، وباب الشابران، وباب لاذقة، وباب بارقة، وباب لمسخي، وباب صاحب السرير، وباب فيلان شاه، وباب كارونان، وباب طبرسرانشاه، وباب ليران شاه، وباب لبان شاه. محمد بن محمد بن عبدا لله الإدريسي، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (روما، مطبعة دون بوسكو، ١٩٧٨): ٨٢٩/٧. (٢) الطبري، تاريخ: ١٥٧/٤.

(٣) سلمان بن ربيعة: أدرك النبي ﷺ وليس له صحبة، وهو أول من قضى في الكوفة، وشهد تحرير الشام واستشهد في بلنجر في خلافة عثمان رضي الله عنه. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٦٣٢/٢-٦٣٣؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٤١٥/٢-٤١٦.

(٤) بلنجر: موضع هذه المدينة في الوقت الحاضر مدينة استرخان على نهر الفولغا في اتحاد روسيا.

The Encycgopedia American, habad. Zar 1967. Vol. 16, P391.

(٥) سعيد بن منصور الخراساني، سنن سعيد بن منصور، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٣٨٧): ٣٣١/٢.

(٦) عبدالرحمن بن ربيعة: هو أخ لسلمان بن ربيعة، أدرك النبي ﷺ و لم يسمع منه، كان على القضاء في معركة القادسية، مات شهيداً في بلنجر في خلافة عثمان رضي الله عنه. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٣٢/٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٤٤٦/٣.

(٧) البيضاء: من مدن الخزر المهمة، التي تقع على الجانب الغربي لمدينة أتل. الإدريسي، المصدر السابق: ٩١٨/٢؛ وينظر بارتولد، مادة الخزر، دائرة المعارف الإسلامية، ترجمة أحمد الشنتاوي (طهران، انتشارات جهان، ١٩٣٣): ٣٠٥/٨.

(٨) الطبري، تاريخ: ١٥٥/٤-١٥٦.

معلومات جيدة، سواء على صعيد العمليات العسكرية، أو متابعة التطورات السياسية البيزنطية، كما حدث في معركة اليرموك، عندما قدم روماس إلى القيادة الإسلامية، تقريراً أشار فيه إلى الحرب النفسية، التي يمارسها البيزنطيون على العيون والجواسيس، الذين يعملون لمصلحة العرب المسلمين، في محاولة واضحة تهدف إلى تضليلهم عبر حمل أخبار كاذبة[1]. كما قدم بعض هؤلاء معلومات قيمة، تتعلق بتكوين القوات البيزنطية، وقياداتها، وتحصيناتها، ومعلومات أخرى[2]. كما أن استمرار وصول الأنباء عن التحركات العسكرية البيزنطية، طيلة حروب التحرير دليل لا لبس فيه على وجود جواسيس يعملون لمصلحة الدولة الإسلامية، داخل المراكز القيادية البيزنطية[3].

ط. الأقباط:

هم من سلالة المصريين القدماء، الذين عرفهم العرب باسم القبط[4]. وهي مشتقة من كلمة ذات أصل هيروغليفي تعني مصر[5]. وقد ابتدأت علاقة هؤلاء بالدولة الإسلامية، من خلال مراسلة الرسول ﷺ للمقوقس[6]، ولم تكن علاقة هؤلاء بالمحتلين البيزنطيين جيدة، بل كان يسودها العداء الذي كان ينطلق من خلافات مذهبية، داخل الكنيسة النصرانية[7]، ولذلك نجد أن موقف الأقباط، بعد مناوشات بسيطة مع المسلمين، كان إيجابياً[8].

---

(١) الواقدي، فتوح: ٢/١١٥. (٢) المصدر نفسه: ٣/٥٨-٦٩.

(٣) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/١٤٤. (٤) ابن منظور، المصدر السابق: ٧/٣٧٣.

(٥) زكي شنودة، موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧٤): ٨/خ.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق: م٢، قسم٢: ص١٦-١٧؛ وينظر البلاذري، أنساب: ١/٥٣١؛ الطبري، تاريخ: ٣/٢١؛ المقوقس: هو البطريرك القبطي بنيامين والذي كان يحكم مصر مستغلاً الحالة التي كانت عليها في أعقاب انسحاب الفرس منها سنة ٦٢٨م. وكانت سلطته مشابهة لسلطة الحاكم البيزنطي جرجريس. ميخائيلوفتش كوبيشانوف، الشمال الشرقي الأفريقي في العصور الوسطى المبكرة وعلاقته بالجزيرة، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٨): ص٢٣٦-٢٤٠.

(٧) إبراهيم العدوي، مصر الإسلامية (القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٣٩٥/١٩٧٥): ص٤-٨.

(٨) سعيد بن البطريق، التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق (بيروت، مطبعة الآباء اليسوعيين، ١٩٥٥): ص٢٤؛ ويقارن ألفريد بتلر، فتح العرب لمصر، ترجمة محمد فريق أبو حديد (القاهرة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٣٥١/١٩٣٣): ص٢٥٢.

وسرعان ما تعاون هؤلاء في مجال المعلومات، مع القوات الإسلامية، وخاصة بعد نزول المسلمين في الفرما[1]. وقد ازدادت وتائر هذا التعاون، بعد أن تبين للقبط عدل المسلمين وحسن سياستهم[2]، ويعود إليهم الفضل في الاتصال بالشخصيات المسؤولة أثناء حصار الاسكندرية، حيث أن أحد مسؤولي أبواب المدينة، وهو ابن بسامة وافق على فتح أحد أبواب المدينة لقاء تأمينه على نفسه وأهله وماله[3]. كما رافق الأقباط حملة عبدالله بن سعد بن أبي سرح، إلى أفريقية، وقدموا له معلومات قيمة، عن المنطقة وأهلها وقيادتها[4]. كما لا ينسى دورهم، في دعم عمليات الأسطول الإسلامي[5].

ي. الجراجمة:

يرجع البلاذري[6]، نسبة هؤلاء إلى مدينة بجبل اللكام، يقال لها جرجومة. في حين يشير حتي[7] إلى أنهم شعب مجهول الأصل، اعتنق النصرانية وتمتع بقسط وافر من الحرية في معاقله الجبلية، في جبال أمانوس (اللكام). وبعد تحرير أنطاكية حاولوا الالتحاق بالأراضي البيزنطية، ثم غيروا رأيهم وتفاوضوا مع العرب المسلمين، حيث توجت هذه المفاوضات في النهاية باتفاقية نصت ضمن بنودها، على أن يعملوا مع القوات الإسلامية، عيوناً فضلاً عن عملهم في الحجابات الأمامية، وهي المسالح التي كانت تمارس عملها في جبال اللكام، كما نصت أيضاً على مشاركتهم في القتال إلى جانب القوات الإسلامية، ويعفوا نتيجة لذلك من الجزية، وينفلوا من أسلاب القتلى[8]، وربما كانت هناك مغريات مادية أخرى، فضلاً

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٥٨-٥٩؛ وينظر يوسف بن تغري بردي الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب (القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي): ٧/١؛ الفرما: مدينة تقع قرب قطية، وشرقي تنيس، تبعد عن البحر المتوسط ثلاث كيلومترات. ياقوت، معجم البلدان: ٢٥٦/٤.

(٢) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٨٠؛ وينظر بتلر، المرجع السابق: ص١٨٧، ١٩٧.

(٣) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٨٠.

(٤) عبدالله بن أبي عبدالله المالكي، رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وأفريقية وزهادهم وعلمائهم ونساكهم وسير أخبارهم وفضائلهم، تحقيق حسين مؤنس (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية): ص١١-١٢؛ وينظر عبدالرحمن بن محمد الدباغ، معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، تحقيق إبراهيم شبوح (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٩٦٨): ص٣٤.

(٥) الطبري، تاريخ: ٢٩١/٤. (٦) فتوح: ص١٨٩. (٧) تاريخ العرب: ٢٦٩/١.

(٨) البلاذري، فتوح: ص١٨٩.

عما ذكره البلاذري، ولكن الأحداث أثبتت فيما بعد أن مواقف هؤلاء كانت متذبذبة، وليس من الحكمة الوثوق بهم دائماً، إلا أن أهميتهم كانت تكمن في موقعهم السوقي، كطريق رئيسي تسلكه القوات الإسلامية، إلى داخل الأراضي البيزنطية، وبالعكس بالنسبة للبيزنطيين، إذا أرادوا التقدم وتهديد الأراضي الإسلامية، في شمال بلاد الشام والجزيرة.

ك. اليهود:

لم يعمل اليهود في أحيان كثيرة في خدمة مصالح غيرهم، وإنما كانوا يضعون دائماً مصالحهم أولاً نصب أعينهم، ومقدار ما يمكن أن يأخذوه مقابل الخدمات التي يمكن أن يقدموها إلى غيرهم، وعلى هذا الأساس يجب عدم تضخيم دورهم، كما يحلو للبعض فعل ذلك في عمليات الشام[١]، فقد كانوا يحملون كرهاً بلا حدود للبيزنطيين، نظراً للمعاملة السيئة التي كانوا يتلقونها منهم[٢]، فاستبدال المسلمين بالبيزنطيين، هو حالة صحية من وجهة نظرهم، فضلاً عن أن هذا يعطيهم فرصة للانتقام من أعدائهم، وقد أشير إليهم باليهود السامرة، والذين كانوا يسكنون في الأردن وفلسطين، وقد نصت معاهدات الصلح المبكرة معهم على أن يكونوا عيوناً وأدلاء للمسلمين، ومقابل ذلك أعفوا من الجزية على أراضيهم، وعندما توقفوا عن أداء هذا الدور في عهد يزيد بن معاوية، فرضت عليهم الجزية[٣].

إذن كانت هناك مغريات مادية لهؤلاء اليهود، وقد وردت إشارات إلى مواقف إيجابية لهم في قيسارية[٤]، كما أشير إلى موقفهم في حمص[٥]، وإلى إسكانهم في مدينة طرابلس بعد تحريرها، على يد سفيان بن مجيب الأزدي[٦]، ويبدو أن الغرض من ذلك كان الحصول على المعلومات، أكثر مما يتعلق الأمر، بحمل السلاح للدفاع عن المدينة، لا سيما بما عرف من ممارستهم للتجارة، كما يذكر بتلر[٧]، بأن المصادر البيزنطية، قد أشارت إلى تضمين العرب لبنود في صلح الاسكندرية الأول، مع المقوقس تسمح لليهود بالإقامة في هذه المدينة.

---

(١) يقارن حداد، المرجع السابق: ص٢٩.
(٢) عارف العارف، تاريخ القدس (القاهرة، دار المعارف بمصر، د.ت): ص٤٠.
(٣) البلاذري، فتوح: ص١٨٩.
(٤) المصدر نفسه: ص١٦٨؛ وينظر ابن قدامة، الخراج: ص٣٠١؛ ابن عساكر، تهذيب: ٣٩٩/٤.
(٥) البلاذري، فتوح: ص١٦٢. (٦) البلاذري، فتوح: ص١٥٠-١٥١.
(٧) بتلر، المرجع السابق: ص٢٧٧-٢٧٨.

ل. التجار:

إن حرية الحركة، التي ضمنتها الأنظمة السياسية المختلفة للتجار، قد جعلت منهم إحدى القنوات المهمة، على صعيد التجسس، وحتى على صعيد الكلفة الاقتصادية اللازمة لتمويل العمليات، ولذلك كانت الأطراف المتصارعة، تتعاون بصورة غير مباشرة، في تأمين سهولة حركتهم، وفي تقديم التسهيلات لهم، حيث يطمح كل طرف لكي يكون أكثر فائدة من غريمه من خلال الكفاءة الفنية لجواسيسه التجار، وحسن تدريبهم، وإعدادهم، ولذلك نجد أن الفقهاء قد عالجوا بصورة مبكرة، مسألة دخول تجار دار الحرب، إلى دار الإسلام، بما أنهم كانوا يعرفون، بطبيعة الحال، حجم الأخطار الناجمة عن دخولهم، فقد حاولوا إيجاد حلول واقعية لمشاكل حقيقية ضمن الضوابط الشرعية(1). وحاولت معاهدات الصلح أن تنظم عملهم فقد جاء في معاهدة صلح عمرو بن العاص، مع أهل مصر والنوبة ((... وعلى النوبة الذين استجابوا أن يعينوا ولا يمنعوا من تجارة صادرة أو واردة...))(2). وجاء في معاهدة صلح سويد بن مقرن المزني مع أصهبذ خراسان ((... سبيلنا عليكم بالإذن آمنة وكذلك سبيلكم...))(3). وإذا كان الفقهاء أكدوا على دخول تجار دار الحرب، ضمن الحدود المعدة لذلك، وتعشيرهم هناك، فإن الحدود الواسعة والمعقدة تضاريسياً، وغير المحمية بالمسالح، والمناظر(4)، مع المهام التجسسية المكلف بها معظم هؤلاء التجار، كل ذلك يرجح عدم التزامهم بهذه النقاط. وإنما سيسلكون على الأرجح طرقاً خاصة، يتسللون من خلالها إلى دار الإسلام، التي يستهدفونها، وهذا مما يزيد من صعوبة تعقبهم، ومعرفتهم، وإلقاء القبض عليهم، لا سيما إذا كانت لديهم قواعد تستقبلهم لأسباب دينية، أو لمغريات مادية. ولا يزال التجار لحد الآن يستخدمون الأساليب نفسها برغم التقدم التقني الهائل، حيث أن التهريب يمارس على مستوى العالمين المتقدم والمتخلف، على السواء لأهداف متعددة. إن مما يسهل عمل التجار جواسيس أنهم يعرفون الطرق،

---

(1) أبو يوسف، الخراج: ص٣٧٤-٣٧٧؛ وينظر مالك بن أنس، المدونة الكبرى (بغداد، مكتبة المثنى، عن مطبعة السعادة، ١٣٢٣): ١١/٢؛ أبو عبيد، الأموال: ص١٤٧؛ ابن آدم، الخراج: ص١٧٢-١٧٣؛ الطبري، اختلاف الفقهاء: ص٥٨-٥٩؛ ابن القيم، أحكام: ١٥٢/١.

(2) الطبري، تاريخ: ١٠٩/٤.

(3) المصدر نفسه: ١٥٣/٤.

(4) المسالح: مقرات للعيون ومهمتها جمع المعلومات، وإرسال الإنذار عن أي تحرك مضاد. الطبري، تاريخ: ١١٩/٧؛ وينظر ياقوت، معجم البلدان: ١٢٨/٥-١٢٩؛ المناظر: هي أبراج عالية يوقد فيها لأغراض الإنذار، ويقوم عليها رجال متخصصين لذلك. ابن عبدالحكم، فتوح: ص١٣٠.

وطبيعة التضاريس، والمناخ، وطبيعة السكان، وعقائدهم، ولغاتهم، وميولهم، وإمكانياتهم الاقتصادية، وكل هذه الأمور في غاية الأهمية.

م. الرسل:

استخدم الرسل تارة في ميادين القتال، للاتصال بقيادات العدو، لأغراض التفاوض وتارة أخرى للذهاب إلى مدن العدو لنفس الغرض. وقد أشارت المصادر إلى الجانب الأول بكثرة حيث قام عمرو بن العاص نفسه بدور الرسول أثناء حصار أجنادين[1]، من خلال دخوله المدينة للتفاوض، مع القائد البيزنطي الأرطبون ظاهرياً، وكان غرضه الحقيقي ملاحظة تحصينات المدينة، وقد شك فيه القائد البيزنطي وكاد أن يقتل، لولا استدراك عمرو للأمر، وادعائه رغبته في العودة ثانية مع عشرة من مستشاري القائد[2]، وكرر العمل نفسه في حصار حصن بابليون[3].

كما استخدم الرسل، الذين يجيدون لغة العدو، وذلك لجمع أكبر ما يمكن من معلومات. أثناء الوصول إلى مقر قيادة العدو، ابتداء من الحوار مع القائد المعادي، ومروراً بما يحصل عليه عبر السماع والمشاهدة والحديث، مع الخدم والحرس، وغيرهم. حيث يجب عدم إهمال أية معلومة، يتم الحصول عليها من هؤلاء، ومما يزيد في قيمة وفائدة، إرسال رسول يجيد لغة العدو، هو جهل العدو بمعرفة الرسول للغته، وإدارته التفاوض عبر مترجم[4].

وقد أشير إلى سفارات قليلة في هذا العصر، كما هو الحال مع سفارات أرسلت إلى البيزنطيين، في عهد عمر بن الخطاب ﷺ، تتعلق بإعادة من لجأ من قبيلتي إياد، وتغلب، إلى دار الإسلام[5]. ويشير ابن منصور[6] إلى أنه كان هناك اتصالات دائمة من خلال بريد ينقل الرسائل، ما بين الدولة الإسلامية، في عهد عمر، والبيزنطيين. كما أشير إلى سفارتين ذهبتا إلى الصين في الأعوام (٣٠هـ/٦٥٠م، ٣٥هـ/٦٥٥م)[7]. وكان يتم اختيار الرسل

---

(١) أجنادين: مدينة في فلسطين، قريبة من الرملة تتبع كورة بيت جبرين. ياقوت، معجم البلدان: ١٠٣/١.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦٠٥/٣-٦٠٦. (٣) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٦١-٦٢.

(٤) الطبري، تاريخ: ٦٠٦/٣. (٥) المصدر نفسه: ٥٥/٤. (٦) مسند سعيد بن منصور: ١٨٦/٢.

(٧) فيصل السامر، السفارات العربية إلى الصين في العصور الإسلامية الأولى، مجلة الجامعة المستنصرية، العدد الثاني، السنة الثانية (بغداد، مطبعة سلمان الأعظمي، ١٣٩١هـ): ص٣٤٥-٣٤٧.

ضمن مواصفات معينة، يراعى فيها النواحي الشكلية، فمن له هيأة ورأي ومهابة، وذلك لإيجاد أكبر تأثير ممكن على القيادات المعادية[1].

ن. مصادر طوعية:

ظهرت أهمية هذه القناة، على الصعيد الداخلي خاصة، لا سيما في مراقبة الجهاز الإداري للدولة، وكان دافعها الأساس هو الإحساس العالي بالمسؤولية، التي يتحملها أبناء الأمة، أفراداً، وجماعات، أمام الله سبحانه وتعالى، سواء من الحاكمين، أو من المحكومين حيث على المحكومين مساعدة الحاكم في ضمان الحق، والعدالة، واستتباب الأمن، فسلامة الجبهة الداخلية ضمانة أكيدة لسلامة الثغور المقابلة للعدو. ومن هذا المنطلق يفسر دور العامل الطوعي في المراقبة، وفي الاتصال بقيادة الدولة، أو أجهزتها الإدارية، بالرغم من أنه يبقى حالة استثنائية، نظراً لعدم توفر الإمكانيات لهذه القناة، بصورة دائمة فضلاً عن عامل الثقة بالخبر، في حالة عدم معرفة المصدر. وكانت الأخبار التي تأتي عن هذا الطريق تارة، بصورة تحريرية، وتارة بصورة شفوية، مثال ذلك القصيدة، التي أرسلها يزيد بن قيس بن الصعق[2] إلى الخليفة عمر بن الخطاب، يشكو فيها من تصرفات عمال الأحواز، والتي جاء في بعض أبياتها:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت أمين الله في النهي والأمر
فأرسل إلى الحجاج فاعرف حسابه ... وأرسل إلى جزء وأرسل إلى بشر
ولا تنسين النافعين كليهما ... ولا ابن غلاب من سراة بني نصر
وأرسل إلى النعمان فاعرف حسابه ... وصهر بني غزوان إني لذو خبر
إذا التاجر الداري جاء بفارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري[3]

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٦٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٤٩٦-٤٩٨.

(٢) لم أعثر على ترجمة ليزيد.

(٣) ينظر مثلاً عن مواقفهم المعادية. الأزدي، تاريخ: ص٦٧-٨٤؛ وينظر الواقدي، فتوح: ٣/٢٥-٢٩، ٦٤؛ الطبري، تاريخ: ٣/٤١٧-٤١٨؛ ابن عساكر، تاريخ: ١/٤٧٤-٤٧٦؛ فيصل، المرجع السابق:ص٤٤-٤٨؛ محمد عبدالقادر خريسات، دور العرب المتنصرة في الفتوحات، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام (عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٧): ص١٥٠-١٥٦.

ثانياً: مصادر المعلومات التي كان الأعداء يحصلون من خلالها على أخبار الدولة الإسلامية:

أ. الدولة البيزنطية:

عملت الدولة البيزنطية، على استغلال الروابط العقدية مع نصارى العرب(1)، والذين حملوا أسماء كثيرة منها، روم العرب(2)، وعرب الضاحية(3)، والمستعربة(4)، إن موقف هؤلاء كان غير مبرر البتة، فقد كان أكثرهم يختلفون مذهبياً مع الكنيسة البيزنطية(5)، وكانوا يعاقبة من أتباع الطبيعة الواحدة للمسيح عليه السلام، بينما كان البيزنطيون أرثوذكس من أصحاب الطبيعتين،التي أقرت مذهباً رسمياً للدولة في مجمع خلقدونية(6). وقد ساعد هؤلاء في أداء مهامهم التجسسية، بالرغم من إجراءات الأمن المتخذة في المعسكرات الإسلامية، أن سحنتهم ولغتهم وعاداتهم وملابسهم، تتفق مع مثيلاتها في الجانب الإسلامي(7)، فضلاً عن إسلام إخوان لهم من نفس قبائلهم، وتواجد بطون مشتركة النسب، قادمة من الجزيرة العربية، مع القوات الإسلامية،مع إخوانها عرب الشام. وكانت دوافعهم للتعاون مع العدو، يختلط فيها الجانب العقدي، والمصالح الشخصية لقياداتهم على الأرجح.

---

(1) ينظر مثلاً عن مواقفهم المعادية. الأزدي، تاريخ: ص٦٧-٨٤؛ وينظر الواقدي، فتوح: ٣/٢٥-٢٩، ٦٤؛ الطبري، تاريخ: ٣/٤١٧-٤١٨؛ ابن عساكر، تاريخ: ١/٤٧٤-٤٧٦؛ فيصل، المرجع السابق:ص٤٤-٤٨؛ محمد عبدالقادر خريسات، دور العرب المتنصرة في الفتوحات، المؤتمر الدولي الرابع لتاريخ بلاد الشام في صدر الإسلام (عمان، الجامعة الأردنية، ١٩٨٧): ص١٥٠-١٥٦.

(2) الطبري، تاريخ: ٣/٤٠٢؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١/١٧٤. (3) الطبري، تاريخ: ٣/٣٨٨.

(4) البلاذري، فتوح: ص١٦٠، ١٩٤-١٩٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٥٧٠؛ ابن البطريق، المصدر السابق: ص١٣؛ ابن عساكر، تهذيب: ١/١٦١.

(5) ثيودور نولدكه: أمراء غسان، ترجمة بندلي جوزي، قسطنطين زريق (بيروت، المطبعة الكاثوليكية، ١٩٣٣): ص٣٤؛ وينظر أسد رستم، الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت، دار مكشوف، ١٩٥٥): ١/٢٤٧-٢٤٨.

(6) توماس وأرنولد، الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن، عبدالمجيد عابدين، إسماعيل النحراوي (القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ١٩٧١): ص٧١؛ وينظر محمد ضيف الله البطاينة، بحوث في التاريخ الإسلامي (عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ١٩٨٣): ص٦٠.

(7) الواقدي، فتوح: ٢/١٨٤-١٨٥.

ومما ساعد على استمرار هذه القناة، لفترات لاحقة رحيل بطون من بعض القبائل العربية، لا سيما من إياد، والذين اختلف في عددهم حيث يشير سيف[١]، إلى أنهم قليلون من غير تحديد لعددهم. بينما تشير رواية أخرى مجهولة المصدر[٢]، إلى أن رحيلهم كان جماعياً. وقد دفع ذلك عمر بن الخطاب ﷺ إلى إرسال إنذار إلى البيزنطيين، بضرورة إعادتهم وإلا سوف يتخذ إجراءات مضادة، فأعيد منهم أربعة آلاف، وظل البقية مستقرين في حدود الشام، والجزيرة، داخل الأراضي البيزنطية. كما أشير أيضاً إلى رحيل ثلاثين ألفاً من نصارى العرب، مع جبلة بن الأيهم الغساني[٣]، لا سيما من غسان، والذين غادر منهم بعد ذلك، بقيادة أبي النمس يزيد بن الأسود الغساني إلى الشام[٤]. ومن الطبيعي أن يعمد البيزنطيون، إلى الاستفادة من هؤلاء اللاجئين، مستغلين حاجتهم إلى الاستقرار والأمن وتوفير وسائل العيش، سواء على صعيد المعلومات التي يحملونها، أو عبر تجنيدهم وإعادتهم إلى دار الإسلام، وأضيف إلى هؤلاء في فترات لاحقة أفراد من المرتدين عن الإسلام، ممن اعتنقوا الإسلام من غير اقتناع، أو من ضعاف الإيمان ممن أقيم عليه الحد الشرعي لارتكابهم جرائم معينة، فدفعتهم العزة بالإثم إلى مغادرة الأراضي الإسلامية، ودخول الأراضي البيزنطية، والعيش في كنفها، وقد أشارت مصادرنا إلى المعروفين منهم فقط على صعيد النسب[٥].

وقد استفاد البيزنطيين من الجراجمة، الذين أسلفنا الإشارة إليهم، فقد امتازوا رغم صلحهم مع العرب المسلمين بمواقفهم المتذبذبة. وحاول البيزنطيون كما يظهر الإبقاء على قناة مفتوحة معهم، للاستفادة من موقعهم الجغرافي الحساس[٦]. كما استفاد البيزنطيون أيضاً من القبط، حيث وردت إشارات، إلى تعاون أفراد منهم مع البيزنطيين، في أثناء تحرير القوات الإسلامية لفلسطين[٧]. كما عمل أفراد منهم مع البيزنطيين، بعد تحرير مصر في ولاية عمرو بن العاص، وقد كشف أمرهم وتمت معاقبتهم[٨]. ووردت إشارة أيضاً عن

---

(١) ينظر روايته لدى الطبري، تاريخ: ٤/٥٤. (٢) الطبري، تاريخ: ٤/٥٤-٥٥.

(٣) البلاذري، فتوح:ص١٦١؛ وينظر اليعقوبي،تاريخ:٢/١٤٧؛ البطاينة، المرجع السابق:ص٨٣-٨٤.

(٤) ابن الكلبي، جمهرة: ص٤١٩.

(٥) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٢٠٢؛ وينظر ابن حزم، جمهرة: ١/١٥٩.

(٦) البلاذري، فتوح: ص١٨٩. (٧) الواقدي، فتوح: ١/٣٧-٣٨.

(٨) جلال الدين السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة (القاهرة، دار إحياء الكتب العربية، ١٩٦٧): ١/٥٧٩.

جواسيس من القبط، عملوا لصالح البيزنطيين، في حملة عبدا لله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية[1].

ب. الدولة الساسانية:

اعتمدت الدولة الساسانية بصورة رئيسية، على جواسيسها المنتمين إلى العنصر الفارسي، الذين اكتسبوا من خلال احتلالهم العراق، والأراضي العربية الأخرى، في اليمن وشرق الجزيرة العربية، خبرة في التعامل مع القبائل العربية، سواء عبر تمكنهم من اللغة والعادات والتقاليد العربية، وهو ما ظهر واضحاً في العذيب، إحدى المسالح الفارسية المتقدمة، على حدود العراق مع جزيرة العرب قبل الاشتباك في القادسية[2]. وظهرت كفاءة جواسيس الفرس، في كشفهم نبأ تقدم خالد بن الوليد ﷺ إلى الحفير، عند قدومه إلى العراق، برغم لجوئه إلى تشتيت قواته، لكي تلتقي عند الهدف[3]، كما نجحوا في كشف نبأ انتقال خالد إلى الشام، فحاولوا استغلال الموقف[4]. وظهر دورهم أيضاً عند نزول رستم في النجف[5]، كما حاولوا الاعتماد على بعض دهاقين السواد، وهو ما يفسر تمرد السواد مرتين قبل القادسية[6]. وقد أشير في هذا الصدد مثلاً إلى تجسس دهقان الدسكرة، والذي قتل بعد أن كشف أمره، من قبل هاشم بن عتبة المرقال[7].

كما اعتمدت الدولة الساسانية، على تعاون قسم من قيادات نصارى العرب، في السواد، والجزيرة، لا سيما من تغلب، وإياد، والتمر، فعلى الرغم من وقوف قسم منهم إلى جانب أبو عبيد الثقفي، في معركة الجسر[8]، فقد وقف قسم منهم مع الفرس المجوس في الأنبار[9]، وفي عين التمر[10]، وفي الحصيد، وفي الخنافس[11]. وقد حاول البعض إيجاد

---

(١) المالكي، المصدر السابق: ص١٧؛ وينظر فيصل، المرجع السابق: ص١٣٩-١٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤٩٣/٣. (٣) المصدر نفسه: ٣٤٨/٣-٣٤٩. (٤) المصدر نفسه: ٤١١/٣.

(٥) المصدر نفسه: ٥٣٢/٣-٥٣٣. (٦) المصدر نفسه: ٣٦٤/٣، ٤٧٨، ٥٠٤.

(٧) البلاذري، فتوح: ص٣٢٤.

(٨) أبو حنيفة أحمد بن داود، الأخبار الطوال، تحقيق عبدالمنعم عامر (القاهرة، دار إحياء الكتب القديمة، ١٩٦٠): ص١١٤.

(٩) معركة الجسر: تلك المعركة التي حدثت في أول خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ١٣هـ/٦٣٤م بين العرب المسلمين بقيادة أبي عبيد الثقفي والفرس بقيادة ذو الحاجب مردانشاه واستشهد فيها أبو عبيد. البلاذري، فتوح: ص٣٠٨.

(١٠) الطبري، تاريخ: ٣٧٥/٣. (١١) المصدر نفسه: ٣٧٦/٣.

تفسير مقبول لمواقف هؤلاء فيرى الهاشمي[1]، أن قبائل ربيعة وقفت هذا الموقف نتيجة لعدائهم لبكر بن وائل، والذين كان يمثلهم المثنى وصحبه، وإذا كان هذا جانباً من الحقيقة فإن الجانب الآخر يتمثل في عدائهم للإسلام الذي أساؤا فهمه.

(١) طه الهاشمي، خالد بن الوليد في العراق، دراسة تاريخية جغرافية عسكرية، مجلة المجمع العلمي العراقي (بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٣٧٣/١٩٥٤): م٤، ج١: ص٦٦-٦٧.

ثالثاً: صفات العيون وأنواعها وأساليب الأمن والاستنطاق:

أ. صفات العيون وأنواعها:

لم يكن العيون في هذا العصر، يختلفون في صفاتهم على عهد رسول الله ﷺ، وإنما ازدادت المساحة الجغرافية، لعملهم وتنوعت وتعقدت الأهداف، التي كلفوا بإنجازها، وعلى هذا الأساس يفسر ازدياد غير العرب، وغير المسلمين، ضمن من يعملون في وحدات العيون والجواسيس، استناداً إلى الواقع الجديد وتحدياته، وكانت الإشارة إلى هؤلاء تختفي في كثير من الأحيان تحت ستار ألفاظ تشير إلى أصولهم تارة، أو تنسب العمل إلى مجهولين، وهذا ما نلاحظه كثيراً في عمليات التحرير والفتح، التي جرت في العراق، والجزيرة، والشام، ومصر، وأفريقية، وأقاليم الشرق، والشمال الشرقي، في سجستان، وخراسان، وأرمينية، وأذربيجان، وكانت عملياتهم تستهدف عمق أراضي العدو، وأنشطته السياسية، والعسكرية، فضلاً عن الاتصال بالسكان المحليين، ومحاولة تجنيدهم أو كسبهم أو لتغيير ولائهم، للعمل في خدمة الدولة الإسلامية، وهذه الأعمال من الصعب على العيون العرب المسلمين، في هذه الفترة القيام بها، لأسباب واقعية معروفة، مثل اللغة، والعادات، والخبرة، والشكل.

لقد كانت مسؤوليات العيون العرب على الأرجح، تشمل الجانب الإداري للعيون وتنفيذ عمليات في ميادين القتال، ومحيطها تستهدف جمع المعلومات عن العدو، مثل أعداده وأسلحته، وقياداته، وخططه، وكذلك في تنفيذ بعض العمليات الخاصة، كما كان دورهم حاسماً على الصعيد الداخلي، سواء في المراقبة الإدارية، أو السياسية، أو المالية. وبذلك يمكن القول أنه كان هناك نوعان رئيسيان من العيون في هذا العصر: العيون المعروفون، أو الذين عرفوا فيما بعد، والعيون المجهولون الذين لم تشر المصادر إلى هويتهم، فضلاً عن العيون العرب وغير العرب والمسلمين وغير المسلمين. وفيما يلي جدول بأسماء العيون المعروفين:

جدول رقم (١)

ت	الاسم	القبيلة	العقيدة	نوع العملية	العدد	النتيجة
١.	حريث...	عذرة	مسلم	دلالة في حملة أسامة إلى أبنى[1].	١	ناجحة
٢.	عكاشة بن محصن	أسد	مسلم	استطلاع في عملية خالد ضد طليحة.	١	غير موفقة

(١) الواقدي، المغازي: ١١٢٢/٣؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١١٥/٤؛ ابن حجر، الإصابة: ٥٦/٢.

٣.	ثابت بن أقرم	بلى	مسلم	استطلاع في عملية خالد ضد طليحة[١].	١	غير موفقة
٤.	سعيد بن عمرو	قريش	مسلم	استطلاع في عملية خالد ضد طليحة[٢].	١	غير موفقة
٥.	رافع بن عمير	طيء	مسلم	دلالة في تقدم خالد إلى العراق[٣]. ودلالة في تقدمه إلى الشام[٤].	٢	ناجحة
٦.	سالم بن نصر	مجهولة	مسلم	دلالة في تقدم خالد إلى العراق.	١	ناجحة
٧.	مالك بن عباد	مجهولة	مسلم	دلالة في تقدم خالد إلى العراق[٥].	١	ناجحة
٨.	عبدالرحمن بن مطرح	حنيفة	مسلم	إخبار في عمليات اليمامة ضد مسيلمة[٦].	١	ناجحة
٩.	صهبان بن شمر	حنيفة	مسلم	إخبار في عمليات اليمامة ضد مسيلمة[٧].	١	ناجحة
١٠.	عمير بن ضابئ	بكربن وائل	مسلم	حرب نفسية في عمليات اليمامة ضد مسيلمة[٨].	١	ناجحة
١١.	عبدالله بن حذف	بكربن وائل	مسلم	عملية تضليل في حرب البحرين ضد المرتدين[٩].	١	ناجحة
١٢.	الصدي بن عجلان	باهلة	مسلم	استطلاع في عمليات تحرير الشام[١٠].	١	ناجحة
١٣.	روماس حاكم بصرى	بيزنطي	مسلم	استطلاع في عمليات تحرير الشام[١١].	١	ناجحة
١٤.	الأسقف منصور	نبطي	نصراني	إخبار في عمليات تحرير الشام[١٢].	١	ناجحة
١٥.	بسر بن أبي أرطات	سليم	مسلم	عملية خاصة في تحرير الشام[١٣].	١	ناجحة
١٦.	صلونا بن نسطونا	نبطي	نصراني	إخبار في عمليات تحرير العراق[١٤].	١	ناجحة

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٦٤-٦٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٢٥٤.

(٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ١/١١-١٢.

(٣) الطبري، تاريخ: ٣/٣٤٨.

(٤) اليعقوبي، تاريخ: ٢/١٣٤؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١/١٣٥.

(٥) الطبري،تاريخ: ٣/٣٤٨.

(٦) ابن حجر، الإصابة: ٥/١٠٨.

(٧) البكري، المصدر السابق: ٣/١٠٦٣.

(٨) سلمان بن موسى الكلاعي، تاريخ الردة، اقتبسه من الاكتفاء وهذبه، خورشيد أحمد فارق (الهند، معهد الدرسات الإسلامية، دلهي الجديدة، ١٩٧٠): ص٦٨-٦٩.

(٩) خليفة، تاريخ: ص١١٦؛ وينظر الكلاعي، تاريخ الردة: ص١٣٩-١٤٠.

(١٠) البلاذري، فتوح: ص١٧٧؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٤٠٤.

(١١) الواقدي، فتوح: ٢/١١٥.

(١٢) حتي، المرجع السابق: ١/٢٠٣؛ وينظر هاتمان، مادة دمشق، دائرة المعارف الإسلامية: ٩/٢٦٧؛ ويقارن ابن البطريق، المصدر السابق: ص١٥.

(١٣) ابن عساكر، تهذيب: ٣/٢٢٤.

(١٤) الطبري، تاريخ: ٣/٤٩٥.

١٧.	شيرزاد...	نبطي	نصراني	إخبار في عمليات تحرير العراق(١).	١	ناجحة
١٨.	بسطام...	نبطي	نصراني	إخبار في عمليات تحرير العراق(٢).	١	ناجحة
١٩.	زاذ بن بهيش	نبطي	نصراني	أخبار في عمليات تحرير العراق(٣).	١	ناجحة
٢٠.	طليحة بن خويلد	أسد	مسلم	خطف أسير في عمليات تحرير العراق (عملية خاصة)(٤). حرب نفسية ومراقبة للعدو في عمليات تحرير العراق(٥). استطلاع في عمليات تحرير العراق(٦). استطلاع في عمليات تحرير نهاوند(٧).	٥	ناجحة ناجحة ناجحة ناجحة
٢١.	عمرو بن معدي كرب	زبيد	مسلم	استطلاع في عمليات تحرير العراق(٨). عملية خاصة من خلال مراقبة في عمليات تحرير العراق(٩). عملية خاصة في خطف أسير في عمليات تحرير العراق(١٠). استطلاع في نهاوند(١١).	٤	ناجحة ناجحة غيرناجحة غيرناجحة
٢٢.	قيس بن هبيرة	أسد	مسلم	استطلاع في عمليات تحرير العراق(١٢).	١	ناجحة
٢٣.	عمرو بن أبي سلمى	عنز	مسلم	استطلاع في عمليات نهاوند(١٣).	١	ناجحة
٢٤.	محمود بن زكار	خثعم	مسلم	إخبار في عمليات تحرير فارس(١٤).	١	ناجحة
٢٥.	بكير بن وشاح	ليث	مسلم	إخبار في عملية تحرير فارس(١٥).	١	ناجحة
٢٦.	نسيبة بن دارنة	فارسي	مجوسي	إخبار في عمليات تحرير فارس(١٦).	١	ناجحة

(١) الطبري، تاريخ: ٤/٥. (٢) المصدر نفسه: ٣/٦٢٠. (٣) المصدر نفسه: ٣/٣٦٨.
(٤) المصدر نفسه: ٤/٥١٢-٥١٤. (٥) المصدر نفسه: ٣/٥٥٧-٥٥٩.
(٦) المصدر نفسه: ٤٣/٥١٤-٥١٥.
(٧) المصدر نفسه: ٤/١٢٧-١٢٨؛ وينظر اسماعيل بن علي القالي، الأمالي (بيروت، المكتب التجاري، د.ت): ص١٤٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/٤٤؛ الحميري، الروض المعطار: ص٥٨٠.
(٨) الطبري، تاريخ: ٣/٥١٤-٥١٥. (٩) المصدر نفسه: ٣/٥٥٧-٥٥٩.
(١٠) المصدر نفسه: ٣/٥١٢-٥١٤. (١١) المصدر نفسه: ٤/١٢٧-١٢٨.
(١٢) المصدر نفسه: ٣/٥١٤-٥١٥. (١٣) المصدر نفسه: ٤/١٢٧-١٢٨.
(١٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/٤٥-٤٦.
(١٥) الطبري، تاريخ: ٤/١١٥-١١٦؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/١٢٠.
(١٦) ابن أعثم، الفتوح: ٢/٢٠؛ ورد لدى الدينوري اسم سينه، المصدر السابق: ص١٣١؛ وورد لدى خليفة باسم سينبه، تاريخ: ص١٤٥.

٢٧.	الفرحان بن الزنبدي	فارسي	مجوسي	إخبار في عمليات تحرير الري[١].	١	ناجحة
٢٨.	مجزاءة بن ثور	سدوس	مسلم	عملية خاصة في تحرير تستر[٢].	١	ناجحة
٢٩.	يوسف (أنطاق)	يهودي	يهودي	إخبار في عملية تحرير قيسارية[٣].	١	ناجحة
٣٠.	عمرو بن العاص	قريش	مسلم	مفاوضات في أجنادين[٤]. مفاوضات في بابليون[٥].	٢	ناجحة ناجحة
٣١.	يزيد بن قيس	مجهول	مسلم	إخبار عن الجهاز الإداري[٦].	١	ناجحة
٣٢.	حمران بن أبان	النمر	مسلم	مراقبة الجهاز الإداري[٧]. إخبار في أحداث الفتنة[٨].	٢	ناجحة ناجحة
٣٣.	أبوالأسود ظالم بن عمرو	دؤل	مسلم	مراقبة الجهاز الإداري[٩].	١	ناجحة
٣٤.	قيس بن زرارة	همدان	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٠].	١	ناجحة
٣٥.	خفاف بن عبدالله	طيء	مسلم	حرب نفسية في أحداث الفتنة[١١].	١	ناجحة
٣٦.	عبدالله بن شبيب	فزارة	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٢].	١	ناجحة
٣٧.	عمارة بن عقبة	قريش	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٣].	١	ناجحة
٣٨.	أبا بردة بن عوف	الأزد	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٤].	١	ناجحة
٣٩.	حنظلة بن الربيع	تميم	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة.	١	ناجحة
٤٠.	عبدالله بن المعتم	عبس	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٥].	١	ناجحة
٤١.	معاوية بن الضحاك	سليم	مسلم	إخبار في أحداث الفتنة[١٦].	١	ناجحة
٤٢.	عمرو بن حمالة	الأزد	مسلم	مراقبة أسطول بيزنطي وصل الاسكندرية[١٧].	١	ناجحة

---

(١) البلاذري، فتوح:ص٣٩٠؛ وينظر الدينوري، المصدر السابق:ص١١٩-١٢٠؛ الطبري، تاريخ: ٤/٥١٢-٥١٤.
(٢) خليفة، تاريخ: ص١٤٦.
(٣) البلاذري، فتوح: ص١٦٨؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ٤/٣٩٩.
(٤) الطبري، تاريخ: ٣/٦٠٥-٦٠٦.
(٥) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٦٢.
(٦) البلاذري، فتوح: ص٤٧٣.
(٧) البلاذري، أنساب: ٥/٥٧-٥٨.
(٨) المصدر نفسه: ٥/٥٧.
(٩) المصدر نفسه: ٢/١٦٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٥/١٤١؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٥/٩٧.
(١٠) البلاذري، أنساب: ٢/٤٥٥.
(١١) ابن مزاحم، وقعة صفين: ص٦٥-٦٦.
(١٢) ابن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٣٤٧.
(١٣) البلاذري، أنساب: ٢/٣٨٤؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢/١١٤-١١٥.
(١٤) ابن مزاحم، المصدر السابق: ص٤-٥؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٣/١٠٤.
(١٥) المصدر نفسه: ٣/١٧٥-١٧٧.
(١٦) ابن مزاحم، المصدر السابق: ص٤٦٨-٤٦٩.
(١٧) إبراهيم بن محمد العلائي (ابن دقماق)، الانتصار لواسطة عقد الأمصار (بيروت، المكتب التجاري، د.ت): القسم الأول: ص٣.

يتبين لنا من هذا الجدول أن عدد العيون والجواسيس، الذين عرفت أسماؤهم هو اثنان وأربعون، وهو رقم لا يعبر إطلاقاً عن الرقم الحقيقي لهؤلاء، في هذا العصر بل هو غيض من فيض، ويعود ذلك بشكل أساسي إلى سرية العمل، فضلاً عما هو معروف من تأخر التدوين التاريخي، وضياع الكثير من التفاصيل المتعلقة بعمليات التحرير والفتح، لا سيما ما يتعلق منها بالمهام السرية.

وفيما يتعلق بالانتماء القبلي على الصعيد العربي فقد قدمت كل من قريش وأسد، لكل منها ثلاثة عيون، ويليهما سليم، وطيء، وحنيفة، وبكر، والأزد، حيث كان لكل منهم عينين. وقدمت القبائل الباقية لكل منها عين واحد وهي عذرة، وباهلة، وزبيد، وعنز، وخثعم، وليث، وسدوس، والنمر، ودؤل، وهمدان، وفزارة، وتميم، وعبس، وبلى. وكان هناك ثلاثة من العيون الذين لم ترد الإشارة إلى قبائلهم.

وعلى الصعيد القومي كان هناك ثلاثة وثلاثون من العرب، وخمسة من النبط، واثنان من الفرس، وواحد لكل من البيزنطيين، واليهود. كما بلغ عدد العيون المسلمين أربعة وثلاثون، ويليهم النصارى وعددهم خمسة، والمجوس اثنان، واليهود واحد. وفيما يتعلق بنوع العمليات نجد أن هناك إحدى وعشرون عملية جمع أخبار، وثماني عمليات استطلاع، وأربع عمليات خاصة، وأربع عمليات مراقبة، وثلاث عمليات حرب نفسية، وعمليتان لإدارة التفاوض، وعملية تضليل واحدة. وكانت جميعها عمليات ناجحة باستثناء ثلاثة منها. كما كانت جميعها في خدمة الجهد العسكري للأمة إبان عمليات التحرير باستثناء اثنا عشر عملية، منها ثلاث في مراقبة الجهاز الإداري وتسع في أحداث الفتنة.

وفيما يلي جدولاً لعمليات نفذها عيون مجهولون:

جدول رقم (٤)

ت	الهدف	تفاصيل العملية
١.	حركات الردة	تقديم معلومات عن مصدر المياه الذي يزود مدينة الزارة[١] في البحرين[٢].
٢.	حركات الردة	أخبار أفادت زياد بن لبيد في[٣] اقتحام حصن النجير في حضرموت[٤].

---

(١) الزارة: من مدن البحرين المشهورة قبل الإسلام. ياقوت، المصدر السابق: ١٢٦/٣.

(٢) خليفة، تاريخ: ص١٢٥؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٠٤.

(٣) زياد بن لبيد:من بني بياضة من الأنصار، خرج إلى رسول الله ﷺ وأقام معه في مكة حتى هاجر، وكان يقال له مهاجري أنصاري، شهد العقبة والمشاهد كلها. مات أول خلافة معاوية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٥٣٣/٢. (٤) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر الكلاعي، تاريخ: ص١٦٢-١٦٣.

٣.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن عدد القوات البيزنطية في الشام[١].
٤.	عمليات تحرير الشام	أخبار عن تحشدات بيزنطية في أنطاكية[٢].
٥.	عمليات تحرير الشام	أخبار عن تحشدات بيزنطية في أجنادين[٣].
٦.	عمليات تحرير الشام	تقديم معلومات عن تحشد عشرين ألفاً من البيزنطيين في بعلبك[٤].
٧.	عمليات تحرير الشام	معلومات من قبيلة قضاعة عن حشود بيزنطية في الجابية ونهر الرواد[٥].
٨.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن حشود بيزنطية أثناء حصار حمص[٦].
٩.	عمليات تحرير الشام	أخبار وصلت عن حشود بيزنطية بعد تحرير حمص[٧].
١٠.	عمليات تحرير الشام	أخبار عن تنديد القائد البيزنطي ماهان بأهل حمص بعد استعادتها[٨].
١١.	عمليات تحرير الشام	أخبار عن تقدم قوات بيزنطية كبيرة نحو دمشق[٩].
١٢.	عمليات تحرير الشام	وصول أخبار عن احتفالات تقام داخل مدينة دمشق المحاصرة[١٠].
١٣.	عمليات تحرير الشام	معلومات وصلت إلى خالد بن الوليد، أثناء تقدمه من العراق إلى الشام، عن حشود معادية، من نصارى العرب في زيزاء[١١].
١٤.	عمليات تحرير الشام	معلومات وصلت إلى خالد بن الوليد، عن تحشدات لغسان في مرج راهط[١٢].
١٥.	عمليات تحرير الشام	أخبار عن تحشدات بيزنطية قبل معركة اليرموك[١٣].
١٦.	عمليات تحرير الشام	أخبار وصلت ليلة معركة اليرموك، عن إكمال البيزنطيين حشد قواتهم[١٤].
١٧.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن تواطؤ أهل الجزيرة مع البيزنطيين[١٥].
١٨.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن خيانة سكان عربسوس[١٦] وتعاملهم مع البيزنطيين[١٧].

(١) الواقدي، فتوح: ١٢٢/٢.

(٢) الأزدي، تاريخ: ص٣٠؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٣٢/١.

(٣) الأزدي، تاريخ: ص٨٤؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٤٣/١-١٤٤.

(٤) المصدر نفسه: ١٥٧/١. (٥) المصدر نفسه: ١٣٢/١؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١٦٢/١.

(٦) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢١٥/١-٢١٦.

(٧) المصدر نفسه: ٢٢٣/١. (٨) المصدر نفسه: ٢٢٨/١. (٩) المصدر نفسه: ٢٢٨/١-٢٢٩.

(١٠) البلاذري، فتوح:ص١٤٤-١٤٥؛ وينظر ابن عساكر، تاريخ:١٥٥/١؛ ابن قدامة، الخراج:ص٢٩٢.

(١١) الطبري، تاريخ: ٣٨٨/٣-٣٨٩. (١٢) المصدر نفسه: ٤١٠/٣.

(١٣) الأزدي، تاريخ: ص١٥٣. (١٤) المصدر نفسه: ص٢١٢. (١٥) الطبري، تاريخ: ٣٨/٤.

(١٦) عربسوس: مدينة من مدن الثغور الشامية لم تحدد المصادر موقعها بدقة. البكري، معجم: ٩٢٩/٣.

(١٧) أبو عبيد، الأموال: ص٢٦٢-٢٦٣؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٨٥-١٨٦؛ البكري، المصدر السابق: ٢٩٢/٣.

١٩.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن تحشدات بحرية بيزنطية، في البحر المتوسط، في عهد عثمان رضي الله عنه[١].
٢٠.	عمليات تحرير الشام	معلومات عن تحرك حملة بحرية بيزنطية، إلى جزيرة صقلية، أثناء حملة معاوية بن أبي سفيان إليها[٢].
٢١.	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات نقلت إلى خالد بن الوليد، أثناء تحركه إلى الحفير[٣]، عن معرفة القوات الساسانية لهدفه المباشر[٤].
٢٢.	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تحشدات ساسانية في المذار[٥]، بقيادة قباذ وأنوشجان[٦].
٢٣.	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار عن تحشدات ساسانية، مع نصارى العرب في أليس[٧].
٢٤.	عمليات تحرير العراق وفارس	وصول أنباء إلى خالد بن الوليد، عن تحشدات ساسانية مع نصارى العرب في الحصيد والخنافس[٨].
٢٥.	عمليات تحرير العراق وفارس	وصول أنباء تقدم القوات الساسانية، بقيادة هرمز ماذويه، بعد رحيل خالد بن الوليد إلى الشام[٩].
٢٦.	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات نقلت إلى المثنى بن حارثة عن انشقاقات في صفوف القيادات الفارسية في السواد[١٠].
٢٧.	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار وصلت إلى عمر بن الخطاب، عن خلافات بين قيادة جبهة العراق المتمثلة في المثنى بن حارثة، وجرير بن عبدالله البجلي[١١].
٢٨.	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات وصلت عن تمرد سيجتاح السواد، بتحريض من القيادة الساسانية[١٢].
٢٩.	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات وصلت عن تحشد للأندرزغر في السواد[١٣].

(١) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٢٨/٢. (٢) المصدر نفسه: ١٤٤/٢.

(٣) الحفير: أول منزل من البصرة لمن يريد مكة. ياقوت، معجم البلدان: ٢٧٧/٢.

(٤) الطبري، تاريخ: ٣٤٨/٣-٣٤٩.

(٥) المذار: منطقة تقع بين البصرة وواسط، تبعد عن البصرة حوالي ٢٤٠كم. ياقوت، معجم البلدان: ٨٨/٥.

(٦) الطبري، تاريخ: ٣٥١/٣. (٧) المصدر نفسه: ٣٥٥/٣-٣٥٦.

(٨) المصدر نفسه: ٣٧٩/٣-٣٨٠؛ الحصيد: لم تشر إلى موقعها المصادر الجغرافية؛ الخنافس: منطقة تقع على أطراف العراق مع الجزيرة العربية قرب الأنبار. ياقوت، معجم البلدان: ٣٩١/٢؛ ويشير الهاشمي إلى موقعها قرب بغداد. المرجع السابق، م ٤، ج١: ص٦٠.

(٩) الطبري، تاريخ: ٤١٢/٣. (٩) المصدر نفسه: ٤٥٩/٣-٤٦٠.

(١١) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٧٢/١. (١١) الطبري، تاريخ: ٤٤٨/٣-٤٤٩.

(١٣) المصدر نفسه: ٣٥٣/٣.

.٣٠	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار تتعلق بتطورات الأوضاع السياسية، في البلاط الساساني(١).
.٣١	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تقدم القائد الساساني، مهران نحو الحيرة(٢).
.٣٢	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار عن خطة يزدجرد، لمغادرة المدائن خلال ثلاثة أيام بعد القادسية(٣).
.٣٣	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن وصول الانطاق، القائد البيزنطي إلى تكريت(٤).
.٣٤	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار عن تحشدات ساسانية، في حلولاء وبيزنطية في تكريت(٥).
.٣٥	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار عن محاولة البيزنطيين، الانسحاب من تكريت عن طريق نهر دجلة(٦).
.٣٦	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تعاون أهل هيت، مع أهل حمص(٧).
.٣٧	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تحشدات ساسانية، في سهل ماسبذان(٨).
.٣٨	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تحشدات ساسانية، في رامهرمز وتستر(٩).
.٣٩	عمليات تحرير العراق وفارس	معلومات عن تحشدات لأهل الديلم والري وأذربيجان(١٠).
.٤٠	عمليات تحرير العراق وفارس	أخبار عن تحشدات لأهل طخارستان، والجوزجان، والفارياب(١١).
.٤١	عمليات تحرير العراق وفارس	إدارة مفاوضات عن قيادات في أصبهان(١٢).
.٤٢	عمليات تحرير مصر وأفريقية	عيون تعاونت مع عمرو بن العاص، في حصار الفرما(١٣).

(١) الطبري، تاريخ: ٤٩٥/٣.   (٢) المصدر نفسه: ٤٦١/٣.   (٣) المصدر نفسه: ١٠/٤.
(٤) المصدر نفسه: ٣٥/٤.   (٥) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٧١/١.
(٦) الطبري، تاريخ: ٣٥/٤-٣٦.   (٧) المصدر نفسه: ٣٨/٤.   (٨) المصدر نفسه: ٣٧/٤.
(٩) المصدر نفسه: ٨٣/٤؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٣/٢، ٥، ٧.
(١٠) الطبري، تاريخ: ١٤٨/٤.   (١١) المصدر نفسه: ٣١١/٤-٣١٢.
(١٢) البلاذري، فتوح: ص٣٨٤.
(١٣) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٥٨-٥٩.

٤٣.	عمليات تحرير مصر وأفريقية	معلومات وصلت إلى عمرو بن العاص، وساعدت في إدارة المفاوضات، مع أحد مسؤولي أبواب الاسكندرية[١].
٤٤.	عمليات تحرير مصر وأفريقية	أخبار أفادت في معركة عين شمس[٢].
٤٥.	عمليات تحرير مصر وأفريقية	عيون رافقت حملة عبدالله بن سعد بن أبي سرح إلى أفريقية[٣].
٤٦.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات عن شراء جرير بن عبدالله، أرض في السواد، وصلت إلى عمر ﷺ[٤].
٤٧.	مراقبة الجهاز الإداري	أخبار عن سلوك شخصي، لخالد بن الوليد وصلت إلى عمر ﷺ[٥].
٤٨.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات مالية لخالد بن الوليد، وصلت إلى عمر ﷺ[٦].
٤٩.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات مالية لعمرو بن العاص، وصلت إلى عمر (رض)[٧].
٥٠.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات مالية لأبي موسى الأشعري، وصلت إلى عمر ﷺ[٨].
٥١.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات شخصية قام بها عامل ميسان لعمر ﷺ[٩].
٥٢.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات شخصية ليزيد بن أبي سفيان، وصلت إلى عمر ﷺ[١٠].
٥٣.	مراقبة الجهاز الإداري	ظهور أموال للحارث بن وهب، أحد عمال عمر ﷺ وصلت إليه[١١].
٥٤.	مراقبة الجهاز الإداري	ظهور أموال لأبي هريرة، والي البحرين لعمر ﷺ وصلت إليه[١٢].
٥٥.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات مالية لعبدالله بن عباس، عامل علي ﷺ وصلت إليه[١٣].
٥٦.	مراقبة الجهاز الإداري	تصرفات مالية للمنذر بن الجارود، عامل علي ﷺ على أصطخر وصلت إليه[١٤].
٥٧.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات عن زيارة أبي سفيان بن حرب، إلى الشام في عهد عمر ﷺ[١٥].
٥٨.	مراقبة شخصيات مهمة	معلومات عن شكوى عيينة بن حصن من معاملة عمر له[١٦].

(١) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٨٠.
(٢) جمال الدين الشيال، مصر الإسلامية (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٧): ١/١٦.
(٣) المالكي، المصدر السابق: ص١١-١٢. (٤) الطبري، تاريخ: ٤/٣٣.
(٥) المصدر نفسه: ٤/٦٦؛ وينظر ابن الأثير، النهاية: ٢/١٣٠.
(٦) الطبري، تاريخ: ٤/٦٧؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ٥/١١١.
(٧) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ١/٣٥. (٨) المصدر نفسه: ١/٣٤.
(٩) الزبيري، المصدر السابق: ص٣٨١-٣٨٢؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/٣٣٥.
(١٠) ابن حجر، الإصابة: ٦/٦٥٩. (١١) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ١/٣٥.
(١٢) المصدر نفسه: ١/٣٤.
(١٣) الطبري، تاريخ: ٥/١٤١؛ وينظر ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٥/٩٧.
(١٤) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٢٠٣-٢٠٤.
(١٥) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ١/٤٩.
(١٦) ابن شبة، المصدر السابق: ٢/٦٨٩-٦٩٠.

٥٩.	مراقبة تصرفات قبلية	معلومات عن نعرات قبلية قامت بها قبيلة بلى، في الشام عهد عمر[١].
٦٠.	مراقبة تصرفات قبلية	معلومات عن نعرات قبلية، قامت قبيلة ضبة عهد عمر[٢].
٦١.	مراقبةتصرفات شخصية	أخبار عن قيام بعض المقاتلين، بزرع أرض في الشام عهد عمر[٣].
٦٢.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات عن تصرفات غير مسؤولة، قام بها عياض بن غنم عهد عمر[٤].
٦٣.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات عن كيفية استقبال أبي موسى الأشعري لأهل الكوفة[٥].
٦٤.	أحداث الفتنة	أخبار وصلت إلى معاوية، عن اضطرار واليه على الجزيرة، إلى التراجع أمام الأشتر بن مالك، قائد الخليفة علي ﷺ[٦].
٦٥.	أحداث الفتنة	معلومات وصلت إلى الخليفة علي ﷺ، عن إرغام قواته على التراجع، في إحدى معارك صفين[٧].
٦٦.	أحداث الفتنة	معلومات وصلت إلى قوات الإمام علي ﷺ، في هيت، والأنبار، عن تقدم قوات الشام لاحتلالهما[٨].
٦٧.	أحداث الفتنة	معلومات قدمت لأهل لشام لأجل التضليل[٩].
٦٨.	أحداث الفتنة	معلومات وصلت معاوية عن خطاب ألقاه الأشعث بن قيس، في كندة ليلة الهرير في صفين[١٠].
٦٩.	أحداث الفتنة	أخبار نقلت إلى معاوية عن كيفية أداء عمرو بن العاص في التحكيم في دومة الجندل[١١].
٧٠.	أحداث الفتنة	معلومات وصلت إلى معاوية، عن استعدادات يقوم بها الخليفة علي ﷺ، للعودة إلى الشام بعد فشل التحكيم[١٢].
٧١.	أحداث الفتنة	أخبار نقلت إلى معاوية، عن الانشقاقات التي حدثت في صفوف أنصار الخليفة علي ﷺ[١٣].
٧٢.	أحداث الفتنة	عيون من قبل معاوية اتصلت بقيادات تابعة للإمام علي ﷺ، لتغير ولاءها[١٤].

---

(١) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص١١٦؛ وينظر أحمد بن علي المقريزي، البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين (القاهرة، عالم الكتب، ١٩٦١): ص٢٩.

(٢) الجاحظ/ البيان والتبيين: ٢/٢٩٣. (٣) ابن حجر، الإصابة: ٥/٨٤.

(٤) ابن شبة، المصدر السابق: ٣/٨١٧-٨١٨.

(٥) وكيع بن خلف بن حيان، أخبار القضاة (بيروت، عالم الكتب، د.ت): ١/٢٨٦.

(٦) نصر بن مزاحم، المصدر السابق: ص١٢-١٣. (٧) المصدر نفسه: ص٣٦٠.

(٨) ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢/٨٥-٨٧. (٩) المصدر نفسه: ٣/٩٥-٩٦.

(١٠) المصدر نفسه: ٢/٢١٤. (١١) ابن قتيبة، عيون الأخبار: م٢، ج٥: ص٢٠٦.

(١٢) ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢/١١٣. (١٣) المصدر نفسه: ٢/١١٤.

(١٤) البلاذري، أنساب: ٢/٣٨٣.

٧٣.	أحداث الفتنة		عيون لمعاوية أشاعت مقتل قيس بن سعد أثناء تقدم الحسن بن علي إلى الشام بعد بيعته[١].
٧٤.	أحداث الفتنة		عيون لمعاوية في اليمن، دفعته إلى إرسال قوات إليها، لميل الأوضاع فيها لصالحه[٢].

يتبين من هذا الجدول، أن عدد العمليات كانت أربعاً وسبعين عملية، وإن هذا الرقم لا يعبر عن حقيقة ما حدث، بل هو ما قدمته المصادر المتاحة، وهو بالتأكيد مجرد عينات... ويلاحظ أن العمليات، التي نفذت في أحداث قمع التمرد، وعمليات تحرير العراق، والشام، وفارس، ومصر، وأفريقية، بلغ عددها خمساً وأربعين عملية، بينما بلغ عدد العمليات التي كانت لأغراض داخلية، تسعاً وعشرون عملية، كان منها أربع عشرة عملية، في مراقبة الجهاز الإداري، وإحدى عشرة عملية، في أحداث الفتنة، وعمليتان في مراقبة تصرفات قبلية، وعمليتان في مراقبة تصرفات شخصية.

ب. أساليب الأمن والاستنطاق:

إن تأمين أداء جيد للعيون والجواسيس، وعدم كشفهم في الوقت نفسه، فضلاً عن مقاومة التجسس المضاد، وتأمين الخطط والأهداف والقيادات، كلها أهداف لا يمكن تحقيقها من غير توفير مستلزمات الأمن، ومن هذا المنطلق نجد أن المسلمين، في هذا العصر اتبعوا ما يحقق هذه الأهداف، وإن لم تكن تخلو عملياتهم، على هذا الصعيد، من خروقات محدودة يقوم بها الأعداء، فتحقيق الأمن التام حالة مستحيلة، والحالة المقبولة هي الوصول إلى أفضل ما يمكن، وتقليل الأخطاء إلى أقل حد ممكن.

ومن أجل توفير أكبر قدر من الحماية، والسرية، والكتمان، كانت العمليات التي يقوم بها العيون والجواسيس، تتم ليلاً بشكل عام[٣]. كما كانت القيادة تجتمع سراً معهم، عند عودتهم، وعلى أضيق نطاق[٤]. كما لجأ العيون إلى ارتداء أزياء العدو للتمويه[٥]، أو تقليد أصوات الحيوانات[٦]، أو عبر تمثيل أداء يعبر عن الحاجة، والجوع الشديد، والاستنجاد بالقرابة[٧]، ولجأ المسلمون كذلك إلىاستخدام العيون والجواسيس، من سكان البلاد المحررة

---

(١) اليعقوبي، تاريخ: ٢١٥/٢. (٢) المصدر نفسه: ١٩٧/٢. (٣) الطبري، تاريخ: ٨٥/٤.
(٤) السرخسي، المصدر السابق: ٤٩/١.
(٥) الطبري، تاريخ: ٩١/٤؛ وينظر الواقدي، فتوح: ١٥٣/٣. (٦) المصدر نفسه: ٥٢/١-٥٦.
(٧) خليفة، تاريخ: ص١١٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣٠٨/٣-٣٠٩.

والمفتوحة، بكثرة من أجل توفير أكبر قدر ممكن من الأمن، أثناء العمل على شتى الميادين.

وعلى صعيد تحقيق أمن القيادة، فإن الحس الأمني المرتفع لدى عمر ﷺ، هو الذي جعله لا يأذن للصبيان الذين بلغوا من أسرى العدو، بدخول المدينة لأنها عاصمة الدولة وفيها الخليفة، وكبار قادة الأمة، من أهل الحل والعقد والشورى[١]. وكانت رسائله إلى قادته ((... لا تجلبوا علينا من العلوج أحداً جرت عليه الموسى...))[٢]. ويبدو أن السماح فيما بعد بدخول هؤلاء الأسرى، من الأعاجم البالغين، جاء نتيجة لضغوط قوى كثيرة كانت تضغط على الخليفة عمر ﷺ، من أجل إدخال هؤلاء إلى المدينة للاستفادة من خدماتهم المهنية[٣]، ومن هذه الثغرة نفذ أبو لؤلؤة فيروز[٤]، وآخرون وهو ما أثار انتباه عيينة بن حصن الفزاري، سيد غطفان، والذي اقترح على الخليفة، منع إدخال الأعاجم من غير المسلمين إلى المدينة، وحذره من أن تكون نهايته على أيديهم[٥] وهو ما حدث فعلاً.

إن الأسرى الذين تحولوا إلى عبيد، والذين كان الغيظ يأكل قلوبهم قد يدفعهم اليأس إلى القيام بأي عمل، ولو كانت انتحارياً، لإيقاع أكبر الأذى بمن دالوا دولتهم وهزموهم، وهذا ما يفسر جريمة أبي لؤلؤة. وضمن السياق نفسه يمكن تفسير رفض عمر بن الخطاب ﷺ زواج الإداريين من كبار الصحابة، من الكتابيات كما حدث مع حذيفة بن اليمان ﷺ عامله على الخراج في الكوفة، وعندما سأله حذيفة: ((أحرام هي؟ قال: لا، ولكنك سيد المسلمين)). ففارقها[٦].

إن الخوف على حياة القادة، وعلى تسرب أسرار الدولة، عن طريق زوجاتهم الكتابيات، من خلال احتمال تعاطف هؤلاء الزوجات مع بني جنسهن، هو السبب في موقف عمر

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٢٥٠.

(٢) المصدر نفسه: م٣، قسم١: ص٢٥٣.

(٣) ابن سعد، الطبقات: م٣، قسم١: ص٢٤٤؛ وينظر البلاذري، أنساب: الورقة ٤٨٩؛ المسعودي، مروج الذهب: ٣٢٠/٢.

(٤) أبو لؤلؤة: قال عنه الطبري، إنه كان فارسياً من نهاوند وأسرته القوات البيزنطية في إحدى معاركها ضد الفرس الساسانيين فتنصر هناك ثم عاد وأسرته القوات الإسلامية. تاريخ: ١٣٦/٤؛ وينظر ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٦٠؛ ويقول عنه ابن أعثم بأنه كان مجوسياً. المصدر السابق: ٨٣/٢؛ بينما يشير ابن عبدالبر إلى الروايتين معاً عن دينه. الاستيعاب: ١١٥٥/٣.

(٥) البكري، المصدر السابق: ٤١٧/٢.

(٦) سعيد بن منصور، المصدر السابق: ١٩٣/١-١٩٤.

أكثر مما يتعلق الأمر بالأبعاد الاجتماعية، المعروفة[1]. وعلى صعيد مقاومة التجسس المضاد، نجد أن هذا العصر قدم صوراً كثيرة ومتنوعة، وتكمن أهمية الإنجازات المتحققة، في أن الأعداء لا سيما من البيزنطيين، والفرس، كانوا يملكون خبرة جيدة، اكتسبوها من خلال تجاربهم العسكرية، عبر مئات السنين وعبر أعداء مختلفين، ففي أثناء تحرير الشام، نجد أن أبا عبيدة ﷺ، عندما نزلت قوات التحرير في اليرموك، يوجه العيون والجواسيس، على كافة الطرق التي تقود إلى أرض المعركة، وذلك لمنع تسرب الأخبار من معسكرات المسلمين، إلى قادة العدو، سواء عبر من قد تسلل من جواسيسهم، في صفوف القوات العربية، أو من سوف يحاول التسلل[2].

وفي أثناء حصار حلب، دفعت دواعي الأمن خالد بن الوليد، ونتيجة لتسلل جواسيس العدو من متنصرة العرب، داخل القوات الإسلامية، ورفع التقارير عن تحركاتها إلى البيزنطيين، إلى أن يقوم بإصدار أوامره بالقبض على من يشتبه به منهم داخل قواته، وقد ألقي القبض نتيجة لذلك على جاسوس، من قبيلة غسان، اعترف أثناء التحقيق معه بأنه دخل معسكر القوات الإسلامية، ضمن وحدة مكونة من ثلاثة أفراد، وقد ذهب اثنان حاملين الأخبار وبقي هو لأغراض المتابعة[3].

وقد اكتشف المسلمون، بعد إكمال عمليات تحرير الشام، أن إحدى مدن الثغور وهي عربسوس، قد تحولت إلى قاعدة للتجسس البيزنطي، برغم أن معاهدة الصلح تلزمها أن تقدم خدمات تجسسية إلى المسلمين، وليس العكس، ونظراً لعدم استجابتهم، للتحذيرات الموجهة إليهم، فقد فاتحت قيادة الشام، عمر بن الخطاب ﷺ، بشأن طبيعة الإجراءات والتي يجب أن تتخذ بحقهم، فأمر عمر بترحيلهم، إلى داخل الأراضي البيزنطية، مع تعويضهم عن أراضيهم وممتلكاتهم تعويضاً سخياً، عبر مضاعفة ما يدفع لهم بقدر ما يساوي أموالهم مع إعطائهم مهلة لمدة سنة، وفي حالة رفضهم الإنذار تعلن الحرب عليهم. وقد رحل سكان هذه المدينة في نهاية المطاف ودمرت مدينتهم[4].

إن ترحيل سكان عربسوس، يصب ضمن خطة تجفيف ينابيع العدو التجسسية، والتي تحتل مرتبة متقدمة في إجراءات الأمن. وضمن السياق نفسه، يمكن فهم قرار عمر بترحيل نصارى نجران، والذي كانت له أبعاد أمنية، فضلاً عن الأبعاد العقدية، من خلال قول النبي

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥٨٨/٣. (٢) الواقدي، فتوح: ١٢٠/٢. (٣) المصدر نفسه: ٣١/٣-٣٢.

(٤) أبو عبيد، الأموال: ص٢٦٢-٢٦٣؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٨٥-١٨٦؛ البكري، المصدر السابق: ٩٢٩/٣.

ﷺ: [لا يجتمع دينان في جزيرة العرب][1]، فنصارى نجران عبروا عن خطرهم المبكر على الدولة الإسلامية، من خلال تعاونهم مع الأسود العنسي[2]. ومن خلال عودتهم إلى التسلح واقتناء الخيول، والتي كان محظوراً عليهم امتلاكها، ضمن معاهدتهم مع المسلمين[3]. وزاد الأمر خطورة علاقتهم بالحبشة، والدولة البيزنطية، حيث يجمع الثلاثة كنيسة واحدة، كما هو معروف فالولاء العقدي، قد ينعكس في معظم الأحيان إلى مواقف سياسية، وإلا فبماذا يفسر مهاجمة الأحباش، لسواحل مكة في الشعيبة، في نهاية عصر الرسول ﷺ؟[4]، وعودتهم إلى الهجوم البحري ثانية، على سواحل اليمن، بعد ترحيل نصارى نجران، في عهد عمر رضي الله عنه[5]، وتكرارهم الهجوم في عهد عثمان رضي الله عنه[6].

إن خطورة نصارى نجران، أنهم كانوا قنبلة موقوتة، قد تنفجر في أية لحظة، قرب مكة، ومن ثم المدينة من خلال الموقع الجغرافي، في ظل وجود حليف خارجي قوي، يمتلك إمكانيات كبيرة كالدولة البيزنطية[7] وقد وجد التهديد الحبشي، بدوره صداه زمن عمر رضي الله عنه في حوار بينه وبين علي رضي الله عنه[8]. ويمكن كذلك تفسير موقف عمر رضي الله عنه في إصراره على الحيولة دون رحيل إياد، وتغلب، إلى الأراضي البيزنطية، والوصول إلى حل مقبول ومؤقت، مع تغلب، ضمن الإجراءات المتعلقة بمحاولة عدم تمكين العدو من الاستفادة من أي مصدر عربي على صعيد المعلومات[9]. وضمن مقاومة التجسس المضاد نجد أن المسلمين عملوا على حماية خططهم، وعلى الاستفادة من جواسيس العدو، والمنبثين أحياناً في المناطق المحررة، حديثاً من خلال تقديم طعم كاذب، يخدم أمن الخطط ويضلل قيادة العدو[10]. كما كانت القيادة الإسلامية، تحرص أشد الحرص، على اصطياد جواسيس الأعداء أحياء، للاستفادة من المعلومات الموجودة في حوزتهم، أكثر مما يتعلق الأمر بقتلهم

---

(١) هذا الحديث رواه الطبراني وقد وجدت له لدى مسلم ما يوافقه في المعنى في قوله ﷺ: [لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع إلا مسلماً]. صحيح: ١٦٠/٥.

(٢) العلي، الدولة في عهد الرسول: ٣٧٢/١.

(٣) البلاذري، فتوح: ص٧٨؛ وينظر أبو يوسف، المصدر السابق: ص١٩٥.

(٤) الواقدي، المغازي: ٩٨٣/٣.

(٥) الطبري، تاريخ: ١١٢/٤؛ وينظر البكري، المصدر السابق: ٦٣٢/٢-٦٣٣.

(٦) ابن أعثم، الفتوح: ١١٦/٢.

(٧) كوبيشانوف، المرجع السابق: ص٩٣-٩٥.

(٨) الطبري، تاريخ: ١٢٥/٤.

(٩) الطبري، تاريخ: ٥٤/٤-٥٥؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٢١٦-٢١٧.

(١٠) الأزدي، تاريخ: ص١٦٥-١٦٦.

وهو إجراء أخير يلجأ إليه، عند رفض الجواسيس الاستسلام، بعد كشف أمرهم[1].

ورغم حالة الانضباط التي كانت سائدة في المعسكرات الإسلامية، وتفهم المجاهدين لأهمية الأمن، فقد كان العدو ينجح أحياناً، في اختراق المواقع الإسلامية، وكانوا يكتشفون أحياناً[2]، أو يعودون من غير الحصول على معلومات ذات أهمية عسكرية، مثل تأثرهم بسلوك المسلمين وأخلاقهم[3]. ويسجل للعدو الساساني، نجاحه في إثارة التمرد في السواد، مرتين بعد تحريره، وقبل معركة القادسية، من خلال استخدامه الترغيب والترهيب، مع الدهاقنة الفرس، والسكان المحليين[4]. وعرف عن البيزنطيين، استخدامهم الكثيف للجواسيس، أثناء حروب تحرير الشام[5]، وحاولوا إيجاد قنوات دائمية، تمدهم بالمعلومات حتى بعد مغادرتهم للشام[6].

ويمكن اعتبار استشهاد عمر ﷺ، خرقاً خطيراً قام به العدو ضد قيادة الأمة، برغم أنه من الصعب الادعاء بأن أبا لؤلؤة وبقية المتآمرين[7] قاموا بما قاموا به بأمر من القيادة الفارسية، التي كانت مطاردة من بلد إلى آخر متمثلة بيزدجرد. فالعملية على الأرجح نفذت من منطلق شخصي، حيث أن أبا لؤلؤة سبق وأن توعد عمر ﷺ بصورة غير مباشرة[8]، من غير أن يعير عمر ﷺ هذه التهديدات أهمية تذكر.

وفيما يتعلق بأساليب الاستنطاق، فإنه لم يصل لنا، سوى معلومات شحيحة من هذه الأساليب التي كانت تمارس مع جواسيس وأسرى العدو، للحصول منهم على المعلومات، ومع ذلك فيمكن القول بأنها كانت تسير على نمط ما مورس في عهد الرسول ﷺ، من احترام الضوابط الشرعية، وتجنب العنف الجسدي المبالغ فيه، ومحاولة انتزاع المعلومات من خلال الأسئلة الذكية، وشل تفكير الخصم ومنعه من المراوغة. فعندما وقع جاسوس من غسان بيد أبي عبيدة، يعمل لصالح البيزنطيين، حاول في بداية الأمر، المراوغة عبر ادعاء الإسلام، ونفي تهمة التجسس، كما ادعى أنه من اليمن، ومن غسان، عندما سئل عن

(١) الواقدي، فتوح: ١٦٦/٣.
(٢) المصدر نفسه: ٣١/٣-٣٣.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥٣٢/٣-٥٣٣.
(٤) المصدر نفسه: ٤٤٨/٣-٤٤٩.
(٥) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٤٧/١.
(٦) ابن عساكر، تهذيب: ٢٤١/١.
(٧) هناك إشارات إلى تواطؤ الهرمزان الفارسي، وجفينة الحيري، مع أبو لؤلؤة، فقد وصف الهرمزان بأنه ينتمي إلى إحدى البيوت السبعة، التي حكمت فارس كما كان حاكم نهاوند وأسر هناك. ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٢٥٨؛ الطبري، تاريخ: ٢٤٠/٤.
(٨) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٢٥٢.

قبيلته. وعندما طلب منه أن يصلي الصلاة الإسلامية، وبصوت جهوري، تبين كذبه ثم انهار واعترف بما لديه من معلومات[1]. كما لجأ المسلمون المسؤولون، عن التحقيق إلى إعطاء ضمانات كافية للأسير، سواء فيما يتعلق بحياته، وعائلته، وماله، في حالة تعاونه واستجابته لما يطلب إليه من معلومات[2].

(١) الواقدي، فتوح: ٣/٣١-٣٢.
(٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/١٤٥-١٤٦.

رابعاً: إدارة العيون:

إن ميزة هذا العصر، معالجته لمشاكل كبيرة نتيجة للتحولات العسكرية، والسياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية الكبرى، والتي حدثت في أعقاب عمليات التحرير والفتح، فضلاً عن التعامل مع دولتين كبيرتين، لهما سمات حضارية متراكمة كالفرس الساسانيين، والروم البيزنطيين، وقوى أخرى محلية، لديها خبرات ميدانية ونظرية، في آن واحد. ولا يمكن مجاراتها على صعيد التجسس، إلا عن طريق الارتقاء بمستوى الأداء وتطويره بصورة مستمرة، للتفوق على العدو سواء عبر اختراق جواسيسه وتوظيفهم، أو عبر زرع العيون العائدة للدولة الإسلامية، في أراضي الخصم والعمل في نفس الوقت على مقاومة التجسس المضاد.

إذن إن طبيعة التحدي ومستوى الخصم، كل ذلك ينفي أي تحليل يقود إلى تبسيط ما كان يبذل على هذا الصعيد، وتركه سائباً للظروف وللجهود الشخصية، التي قد يبرع فيها بعضهم دون الآخرين، ولا بد من القول إن إيجاد إطار إسلامي، ينظم عمل العيون والجواسيس، داخل الدولة الإسلامية، في هذه المرحلة لا ينفي أن المسلمين على الأرجح استفادوا من تجارب من ورثوهم. إن طابع السرية الذي يغلف أعمال العيون والجواسيس، فضلاً عن حوالي ستة وعشرين عاماً من الجهاد المتواصل، في هذا العصر على جبهات طويلة، بلغت آلافاً من الكيلومترات، وضد قوى كبرى ومحلية، لم تقبل الهزيمة بسهولة، واستشهاد الكثير ممن صنعوا الأحداث، وتركيز الرواية التاريخية التي أرخت لهذه الفترة على الإنجازات وقادتها، بصورة رئيسية. كل ذلك جعل الباحث المعاصر لا يرى إلا بقايا من تقارير إخبارية مختصرة، نقلت شفاهاً، أو إنجازات في عمليات خاصة تركت بصماتها ميدانياً، من غير أن نعرف الأشخاص الذين خططوا لها، أو أولئك الذين ألقيت على عاتقهم مهمة تنفيذها، ونظراً لأن الإطارات الإدارية للدولة بمفهومها المعروف بدأت تظهر ملامحها الواضحة، في هذا العصر لا سيما في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﵁، فإن إدارة العيون والجواسيس تطورت ملامحها، عما كانت عليه في عهد الرسول ﷺ، وبصورة متداخلة مع صلاحيات العمال والقادة الميدانيين، وكانت خيوطها تتجمع في النهاية في المدينة المنورة، حيث مقر الخليفة.

كانت للخليفة عيونه الخاصة به، والمرتبطة به شخصياً، ومهمتهم الأساسية مراقبة أداء القيادات، والقوات العسكرية، حتى وصف سيف[1] الأمر بقوله: ((كانت تكون لعمر

---

(١) ينظر روايته لدى الطبري: ٣/٤٧٦.

رحمه الله العيون في كل جيش)). وكذلك الحال مع الجهاز الإداري[1]. وإن حجم الإنجازات المتحققة على هذا الصعيد لا سيما في عهد الخليفتين عمر، وعلي رضي الله عنهما، يشير بوضوح إلى أعمال منظمة وفق سياقات خاصة.

وقد وقع على عاتق القادة العسكريين، وعمال الأمصار، على الأرجح مهمة الإشراف على التجسس الخارجي، وفي مقاومة التجسس المضاد[2]. يؤيد ذلك أن طبيعة بعض الأخبار القادمة من المدن الخاضعة للعدو، أو من عمق أراضيه، يشير بشكل واضح إلى أن هناك سلسلة من الأيدي التي تعاونت في الحصول على الخبر، وتأمين عملية إيصاله إلى المسؤولين في دار الإسلام[3]. وبالمقابل فإن هذه الوحدات التجسسية، تحتاج إلى تمويل سخي يضمن استمرار تدفق الأخبار. وهذه النقطة بالذات كانت بدورها تحتاج إلى ضبط يوازي عملية ضبط العيون وتأمينهم.

ويلاحظ أن المسالح التي استقرت على حافات الثغور المقابلة للعدو، وفي مفارق الطرق المهمة، شكلت المقرات الخلفية لوحدات العيون، والتي تعمل في مناطق الحدود وداخل أراضي العدو، حيث كانوا يرسلون التقارير الأولية، إلى هذه المقرات، ومنها إلى قائد المنطقة، ثم القيادة العامة[4]. وهي تشبه في الوقت الحاضر نقاط السيطرة على المراكز الحدودية التي يتم العبور من خلالها، وكذلك تلك المقامة على الطرق الرئيسية ومفارقها.

يمكن القول بأن من أهم الواجبات التي كانت ملقاة على المشرفين على العيون، العمل على تنسيق المعلومات، ودراساتها، وتمحيصها، والعمل على إكمال المعلومات الناقصة، من خلال التقارير المتعددة والتي تصل تباعاً[5]، كما كان عليها أيضاً العمل على إيصال نسخ من التقارير إلى قائد المنطقة، والى القائد العام وهو الخليفة، حيث كان الأخير يعتمد على هذه التقارير في اتخاذ القرارات النهائية بخطوطها العريضة، تاركاً التفاصيل لقادته الميدانيين[6]. وكان عمر ﷺ يحث قادته الميدانيين، على إطلاعه بصورة مستمرة على ما يستجد لديهم من معلومات، لكي ترتسم في ذهنه صورة واضحة، عما يجري، وطبيعة المشكلات التي يجب حلها. فمن كتاب له إلى سعد بن أبي وقاص ﷺ ((فصف لنا منازل المسلمين، والبلد الذي بينكم وبين المدائن صفة، كأني أنظر إليها، واجعلني من أمركم على

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦٧/٤. (٢) البلاذري، فتوح: ص١٧٧. (٣) الأزدي، تاريخ: ص٣١.
(٤) الطبري، تاريخ: ٨٣/٤، ١٢٠، ١٤٨. (٥) أكرم، المرجع السابق: ص٤٥٣.
(٦) الطبري، تاريخ: ٣٥١/٣، ٣٧/٤-٣٨، ١٤٨، ٢٤٨؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٠١/١-١٠٢، ١١٩-١٢٠.

الجلية))[1]. وفي كتاب آخر ((اكتب لي في كل يوم...))[2]. ومع الأسف لم ترد لنا في هذا العصر صورة واضحة عن طبيعة الرجال الذين كانوا يساعدون الخليفة، في تصريف بعض المهام المتعلقة بعمل العيون.

طبيعة القوى العاملة والساندة في وحدات العيون:

فضلاً عن العرب المسلمين، فقد استخدمت مجموعات من السكان المحليين في الأراضي المحررة، والمفتوحة، للعمل ضمن وحدات العيون، أو تلك الساندة لهم، وربط هؤلاء مع عامل المنطقة، التي يعمل هؤلاء ضمن حدودها الجغرافية والإدارية[3]. وإذا كان التحدي الساساني، قد انتهى عملياً مع مقتل كسرى يزدجرد عام (٣٤هـ/٦٥٤م) فإن التحديات الملقاة على عاتق العيون، في الثغور الشرقية، والشمالية الشرقية، ابتداءاً من سجستان، وما وراء النهر، وأرمينية، وأذربيجان، والقوقاز، وثغور الجزيرة، والشام، والثغور البحرية في السواحل الشرقية والجنوبية للبحر المتوسط، وجزره، وجنوباً في ثغور النوبة، والصحراء، وغرباً باتجاه أفريقية كان كبيراً، ولا يمكن تصور العمليات التي نفذت فيها منذ عهد أبي بكر الصديق، وعمر، وعثمان، وعلي ﷺ من غير دعم وإسناد تام من قبل وحدات العيون المحلية، التي استكشفت الأرض والطرقات، وأعطت تصوراً دقيقاً عن طبيعة العدو، سياسياً، وعسكرياً، وبشرياً، واقتصادياً. ويمكن وصف رجال البريد[4] من حاملي الرسائل (الفيوج)، والأدلاء، والتراجمة، كقوى عاملة ومساندة في وحدات العيون والجواسيس، وإن اختلف حجم إنجازاتها بين فترة وأخرى. وتكمن أهمية هؤلاء في خطورة الأخبار التي كانوا يحملونها، والتي كان قسم منها تحريرياً، كما كان معظمهم مكلفاً بالإجابة على الأسئلة، التي تطرح عليهم بعد تسليم الرسائل التي يحملونها، وكان معظمها يتسم بالخطورة والأهمية البالغة، مما يدل على اطلاعهم الواسع على مجريات الأمور، رغم سريتها[5].

وإذا علمنا أن عدداً لا بأس به كانوا من غير العرب، وبعضهم من غير المسلمين، لتبين لنا مقدار الثقة التي منحت لهؤلاء، وكانوا أهلاً لها[6]. وكذلك الحال مع الأدلاء الذين

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤٩١/٣. (٢) المصدر نفسه: ٤٩٥/٣. (٣) البلاذري، فتوح: ص١٧٧.

(٤) البريد: أطلق هذا المصطلح في البداية على الرسل على دواب البريد، وقيل لدابة البريد بريد، وأطلق أيضاً على من ينقل الأخبار. ابن منظور، المصدر السابق: ٨٦/٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦٧/٤.

(٥) الأزدي، تاريخ: ص١٥٧.

(٦) المصدرنفسه،ص١٨٧؛ وينظر أبويوسف، المصدرالسابق:ص٣٠٧؛ ابن أعثم، المصدرالسابق: ٢٢٥/١.

تكمن خطورتهم، في أنهم كانوا أشبه بالملاح، الذي يقود السفينة، حيث يتبع الجيش إرشادات الأدلاء[1]. وهذا ما يفسر التأكيد على الأدلاء، في بنود الصلح المعقودة مع الأعداء السابقين[2]. ولأهمية البريد، والدليل، والرسول، فقد كان يسهم لهم من الغنائم، حالهم حال المقاتلين الآخرين[3]. وكذلك كان دور المترجمين خطيراً أثناء إجراء جولات التفاوض مع قادة العدو[4].لا سيما عندما يجهل المفاوض العربي المسلم تماماً، لغة الطرف الآخر.

ويلاحظ أن العصر الراشدي شهد تجنيد بعض موظفي الخراج، ضمن العيون، وبصورة مبكرة، منذ بدء عمليات التحرير، فموظفوا الخراج المنبثين في أنحاء الريف، وقراه في سبيل متابعة شؤون الزراعة، عبر مسح الأراضي، ومتابعة شؤون الري والحصاد وجمع الخراج، وهذه العمليات تستمر على مدار السنة، مكنت هؤلاء الموظفين من الاطلاع على أوضاع المنطقة ورصد كافة التطورات التي تظهر على السطح، سواء كانت سياسية، أو عسكرية، أو عقدية، أو إدارية، وإيصالها إلى الأشخاص المرتبطين بهم، وهذا ما يفسر لنا أن أسماء لامعة ذات كفاءة عسكرية وإدارية، كلفت الإشراف على الخراج، بعد تحرير السواد، والشام، ومصر، على الرغم من أن العمليات لم تكن قد انتهت بعد، والجبهات ملتهبة، فمن عمال الخراج الذين عينهم خالد، بعد تحرير السواد والذين كان واجبهم المنعة وقبض الجزية جرير بن عبدا لله البجلي[5]، على بانقيا وسما،، وبشير بن الخصاصية[6]، على النهرين، وسويد بن مقرن على نستر[7]، وأط بن أبي أط على روذمستان[8]، وعين عمر النعمان بن مقرن على خراج كسكر[9]، وهرثمة بن عرفجة البارقي[10]، على خراج

---

(١) الواقدي، فتوح: ١٤٢/٣؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٢٠٦، ٣٠١، ٣٢٣، ٤٨٤.

(٢) المصدر نفسه: ١٤١/٤.

(٣) سعيد بن منصور، المصدر السابق: ٢٨٧/٢؛ وينظر ابن سعد، المصدر السابق: ٣٦٠/٥.

(٤) الذهبي، سير: ٧٠/٣؛ وينظر الهيثمي، موارد الظمآن: ص٤٢٠.

(٥) جرير بن عبدا لله: صحابي من قبيلة بجيلة أسلم قبل وفاة الرسول ﷺ، كان له دور بارز في تحرير العراق. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢٣٦/١-٢٤٠؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٣٣٣/١-٣٣٤.

(٦) بشير بن الخصاصية: صحابي اختلف في نسبه، فقيل من بكر بن وائل سكن البصرة. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٧٣/١؛ وينظر ابن الأثير، أسد الغابة: ٢٢٩/١-٢٣٠.

(٧) نستر: اسم لموضع في السواد، من نواحي بغداد، فيه قرى ومزارع. ياقوت، معجم البلدان: ٢٨٤/٥.

(٨) الطبري، تاريخ: ٣٦٩/٣.

(٩) المصدر نفسه: ١١٤/٤؛ كسكر: هي منطقة ميسان الحالية، ومركزها واسط وهي من أغنى

الموصل[1]. وكان عمرو بن العاص على خراج مصر، في أول خلافة عثمان بن عفان ﷺ[2]. ومن الأعمال التي أنجزها العيون العاملون ضمن عمال الخراج في هذا العصر، متابعتهم لتحركات الخوارج في عهد الإمام علي ﷺ[3]، وتكليف أحد عمال الخراج في مصر بالتخلص من مالك الأشتر لمصلحة معاوية[4].

مناطق السواد. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٤٦١.

(١٠) هرثمة بن عرفجة: ينتمي إلى الأزد من بارق، حليف لبجيلة سادهم في الجاهلية. ابن الأثير، أسد الغابة: ١/٣٣٣.

(١) الطبري، تاريخ: ٤/٣٧. (٢) البلاذري، فتوح: ص٢٦٢. (٣) الطبري، تاريخ: ٥/١١٧.

(٤) المصدر نفسه: ٥/٩٥-٩٦.

خامساً: واجبات العيون:

أ. العمليات الخاصة:

١. عملية تحرير حلب:

في أثناء حصار قلعة حلب، ومن أجل التسريع بعملية تحرير القلعة الحصينة، والمدافع عنها بشكل جيد، نجد أن أبا عبيدة ﷺ أوعز إلى وحدة من العيون، مكونة من ثمانية وعشرين رجلاً، للعمل على النفوذ إلى داخل القلعة، ومحاولة فتح أحد أبوابها لإسقاطها، وقد نجحت الوحدة المذكورة، في استكشاف الأبراج ليلاً، للوصول إلى أقلها ارتفاعاً وحماية، وقد ارتدى قائد المجموعة جلد ماعز، وحمل معه كمية من الكعك المجفف وأخذ في الاقتراب من الأبراج، على أطرافه الأربعة بهدوء، وكلما لفتت انتباه حراس الأبراج، حركة المجموعة، يلجأ القائد إلى قضم الكعك، بقوة بين أسنانه للإيهام بأنه كلب يعالج عظماً. وعندما وصلوا إلى أحد الأبراج، الأقل ارتفاعاً وحماية، كما تبين لهم، قام سبعة من رجال الوحدة للصعود واحداً إثر الآخر، على مناكب بعضهم البعض، إلى أن أصبح السابع قريباً من حافة البرج النهائية، فقذف نفسه إلى الأعلى، حيث أصبح داخل البرج، وقام فوراً بالتخلص، من رجلين كانا يقومان بالحراسة، و لم يلق صعوبة تذكر مع الأول، لأنه كان مخموراً، بينما استطاع القضاء على الثاني بعد معركة قصيرة، ثم قام بحل عمامته ومدها لصعود رجال الوحدة، ثم اندفعوا إلى أحد الأبواب ففتحوه، ودخلت فوراً الوحدات من الخارج فتم تحرير المدينة. وكان أبو عبيدة خلال تنفيذ الوحدة لعملها، يراقب سير التنفيذ، وقد استشهد ثمانية من رجال الوحدة أثناء التنفيذ[١].

٢. عملية تحرير تستر:

يشير خليفة[٢] إلى أنه في أثناء حصار القوات العربية الإسلامية، لمدينة تستر الذي استمر حوالي السنة، دفع طول مدة الحصار، وانعدام الأمل في النصر أخاً[٣] لأحد الدهاقين

---

(١) الواقدي، فتوح الشام: ٣/٥٢-٥٣.

(٢) تاريخ: ١/١٤٦؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٤٦٨؛ الطبري، تاريخ: ٤/٨٥؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/٢٠-٢١.

(٣) ذكر ابن أعثم أن اسمه نسيبة بن دارنة، المصدر السابق: ٢/٢٠؛ وسماه الدينوري سينه. الأخبار الطوال: ص١٣١؛ وخليفة سينبة، تاريخ: ص١٤٥؛ ويقارن كل من بسام العسلي، المرجع

الفرس، الذين أعدمهم قائد مدينة تستر الهرمزان، إلى الاتصال بالمسلمين، واستعداده لكي يدلهم على منفذ سري يتسرب منه الماء إلى داخل المدينة[١]، لقاء الحفاظ على حياته مع أهله وماله ومسكنه. وقد أرسل أبو موسى الأشعري، معه مجزأة بن ثور السدوسي[٢]، حيث خاضا عبر مضيق ضيق أحياناً، ويتسع أخرى، إلى أن وصلا إلى داخل المدينة. وكانت التعليمات المعطاة لثور أن يحفظ الباب، وطريق السور، ومنزل الهرمزان، وقال ((لا تستبقني بأمر)) فالأهداف المركزية هي ثلاثة، الأول يتعلق بطبيعة الممر، والى أي أجزاء المدينة يؤدي، والثاني، طبيعة الأسوار ومراكزها الدفاعية، والثالث، قصر الهرمزان في المدينة. وفعلاً فقد وصل ثور مع الجاسوس الفارسي إلى داخل المدينة. ويشير الدينوري[٣] إلى أنه اصطحبه أولاً إلى منزله، وألبسه طيلساناً وغطى به رأسه، وطلب منه أن يتبعه كخادم له. ولم ينس خلال ذلك أن يصطحب معه قوسه، تحت ملابسه، على الأرجح فطاف به في المدينة طولاً وعرضاً، حتى أوصله إلى الحرس على أبواب المدينة، ثم قاده إلى قصر الهرمزان، والذي كان واقفاً على باب قصره، ثم أعاده إلى داره، ثم إلى السرب حيث عاد إلى مقر القوات العربية الإسلامية.

امتاز ثور خلال أدائه هذه المهمة بالانضباط الشديد، حيث لم ينجر إلى الأهداف السهلة المغرية، والتي تتعارض مع الأهداف الأصلية، فقد كان بإمكانه عندما رأى الهرمزان أن يقتله بسهم، إلا أنه أقلع عن هذه الفكرة، بعد أن تذكر التعليمات التي أعطيت له[٤].

٣. اختطاف الأسرى:

قبل الاشتباك الحاسم في القادسية، أمر سعد بن أبي وقاص، كلاً من طليحة بن

السابق: ص٣٤٦؛ بشار عواد معروف، تحرير الأحواز في صدر الإسلام، مجلة آفاق عربية (بغداد، وزارة الثقافة والإعلام، العددان ٣-٤، ت٢، ك١، ١٩٨٠): ص٢٠٠؛ عبدالجبار ناجي، من تاريخ البصرة السياسي (البصرة، دار الحكمة، ١٩٩٠): ص٢٣.

(١) أشار ابن أعثم إلى مخاضة عبر النهر وليس منفذ. المصدر السابق: ٢٠/٢.

(٢) لدى البلاذري بن عوف، ويورد اسم مجزأة في الوحدة الثانية التي نفذت الاقتحام. فتوح: ص٤٦٨؛ ولدى ابن أعثم عوف بن مجزأة وهو تصحيف كما يظهر واضحاً. المصدر السابق: ٢٠/٢.

(٣) الأخبار الطوال: ص١٣١.

(٤) خليفة، تاريخ: ١٤٦/١؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٤٦٨؛ الطبري، تاريخ: ٨٥/٤-٨٦؛ محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٧/١٩٨٧): ص١٩٩؛ ابن حجر، الإصابة: ٧٧٤/٥.

خويلد[1]، وعمرو بن معدي كرب، أن يصطحب كل منهما خمسة رجال، لغرض اصطياد أحد المقاتلين الفرس، لأغراض المعلومات، وبعد أن انطلقت الوحدتان، عاد عمرو ورجاله بعد أن تقدموا نحو ستة كيلومترات، ولمحوا مقدمة القوات الساسانية الزاحفة من النجف، حيث مقر القائد الساساني رستم، وكذلك رجال طليحة للأسباب ذاتها، برغم إصرار قائدهم على تنفيذ العملية إلى نهايتها، فقد انطلق بمفرده، مجتازاً بذكاء قوات القائد الساساني (الجالينوس)، المستقرة على الطفوف (السواحل)، حيث الأرض تغطيها المستنقعات، ووصل إلى مقر رستم في النجف، واستطاع التسلل ليلاً إلى داخل مقر القيادة، وقضى الليل هناك، وهو يستطلع المعسكر ويحفظ التفاصيل المهمة، التي تستغفلت نظره، وقبل أن يبزغ الفجر، شرع في تنفيذ الهدف فسيطر على أحد الأفراس[2]، وعندما طورد من قبل ثلاثة من الحراس الفرس، قضى على اثنين منهم، وأسر الثالث، وقدم به إلى مقر قيادة سعد، وعندما تم استنطاق الأسير عبر أحد المترجمين، أثنى الأسير على شجاعة طليحة، وأدلى باعترافات مهمة تضمنت أن عدد القوات الساسانية هو مائة وعشرين ألفاً، ولهم أتباع، وكادر خدمي، بقدرهم أي أن المجموع هو نحو مائتين وأربعين ألفاً[3]. وبرغم ما يظهر من مبالغة على هذا الرقم بعد إضافة الأتباع والخدم، إلا أن الرقم الأول هو الأكثر قبولاً. إن هذه العملية تعبر عن كفاءة كبيرة تمتع بها طليحة، في تغطية تقدمه وعدم لفته الأنظار إليه، كما أنه اختار الليل للدخول إلى مقر قيادة العدو، والذي يفترض أن تحميه حراسات مشددة، حيث قضى الليل يستطلع، وعمد إلى التنفيذ والانسحاب، في آن واحد قبل أن يبزغ الفجر، مستفيداً من الظلام في تشتيت أي عملية مطاردة محتملة.

٤. عملية التخلص من مالك الأشتر[4]:

بغض النظر عن المبررات التي تعلن عنها الأطراف السياسية المتصارعة، لتبرير قيامها

---

(١) مع الأسف لم يعرف طليحة الأسدي في تاريخنا، إلا كنبي كذاب فقط، بينما لم تركز الأضواء على سيرته بعد أن أسلم وتفانى في خدمة دينه حيث أثبت في حروب التحرير في العراق وفارس أنه أحد أبرع رجال الاستطلاع والعمليات الخاصة.

(٢) إن اختياره للفرس دون الحصان ليس مصادفة فالفرس أقل صهيلاً من الحصان وكانت تستخدم في الغارات والعمليات الليلية وكان خالد بن الوليد لا يقاتل إلا على أنثى. النويري، نهاية الأرب: ٣٦٥/٩-٣٦٦.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥١٢/٣-٥١٤.

(٤) وصفه ابن حجر بأنه رئيس قومه وشهد خطبة عمر ﷺ بالجابية. ذكره ابن حبان في الثقات من التابعين، وشهد اليرموك وذهبت عينه فيها. الإصابة: ٢٦٨/٦-٢٦٩.

بالتخلص من منافسيها، فإن هذه العملية سوف تؤخذ من جوانبها الفنية المتبعة في التنفيذ، كأحد الأعمال التي أنجزها العيون، ومن هذا المنطلق سوف يتم مناقشة العملية. وتجمع بعض الروايات التي وصفت موته[1]، بأنه جاء عن طريق سمه بالعسل، وفي تحديد هوية الجهة المنفذة، وهو معاوية بن أبي سفيان[2] في أحداث الفتنة المؤلمة، باستثناء قلة من المصادر أشارت إلى مقتله بمبادرة شخصية، لا علاقة لمعاوية بها[3].

إن مصر كانت ضمن الأقاليم، التي اتبعت السلطة الشرعية، المتمثلة في الإمام علي ﷺ. وكانت عيون معاوية، تبذل المستحيل في سبيل فصل مصر، عن سلطة الخليفة علي ﷺ، وضمها إلى الشام، من خلال الإبقاء على القوى الموالية لها في خربتا[4]، كتلة متماسكة، يمكن أن تؤدي ما يطلب منها في اللحظة المناسبة. ونجح معاوية في تعزيز رصيد أنصاره في مصر، من خلال عدم كفاءة عامل الخليفة علي ﷺ على مصر، محمد بن أبي بكر، المفتقر إلى التجربة والحكمة[5]. وجاء تعيين الأشتر لكفاءته ولقوة شخصيته وحزمه، ولذلك اعتبر هذا التعيين، بمثابة كارثة لأنصار معاوية، حيث أربكهم، وكان لا بد من التحرك سريعاً، للتخلص منه بأية وسيلة كانت. وهكذا كلف أحد مسؤولي الخراج، بالتخلص منه قبل دخوله مصر، وذلك عن طريق استقباله، في إحدى المحطات التي

---

(١) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٩٥/٥-٩٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ٤٠٩/٢-٤١٠؛ اليعقوبي، تاريخ: ١٩٤/٢؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٦٦/٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ٢٢٦/٥؛ ابن الأثير، الكامل: ٣٥٣/٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٧٤/٦-٧٦؛ القزويني، آثار العباد: ص٢٢١؛ ويورد ابن سعد وفاته من شربة عسل فقط من غير تعليق. المصدر السابق: ١٤٨/٦؛ وينظر الكندي، المصدر السابق: ص٢٥٣؛ الطبري، تاريخ: ٥٥٣/٤.

(٢) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٩٥/٥-٩٦؛ اليعقوبي، تاريخ: ١٩٤/٢؛ المسعودي، مروج الذهب: ٤٠٩/٢-٤١٠؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٦٦/٣؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ٢٢٦/٥؛ ابن الأثير، الكامل: ٣٥٣/٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٧٤/٦-٧٦؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق: ١٠٣/١-١٠٤؛ القزويني، آثار العباد: ص٢٢١.

(٣) ابن قتيبة، عيون الأخبار: م١، ج٢: ص٢٠١؛ وينظر الذهبي، تاريخ الإسلام عهد الخلفاء: ص٥٩٤. ويشير ابن كثير إلى أن رواية قتل معاوية له إن صحت فقد أباح معاوية دمه لاشتراكه في قتل عثمان بن عفان ﷺ. البداية والنهاية: ٣١٣/٨.

(٤) خربتا: مدينة تقع في الحوف الشرقي من مصر. ياقوت، معجم البلدان: ٣٥٥/١. وقد اتخذت حامية للقوات العربية الإسلامية في مصر.

(٥) الكندي، المصدر السابق: ص٢٧-٢٨؛ وينظر السيوطي، المصدر السابق: ٥٨٣/١-٥٨٤.

سيسلكها عند دخوله، وأهم محطتين لا بد أن يسلك إحداهما هي القلزم(1)، أو العريش(2). وقد قدمت لعامل الخراج، في إحدى هاتين المنطقتين، مغريات مادية، وهي إعفاؤه من الخراج، فسمه في العسل، بعد أن استقبله، وعرض عليه الضيافة، وعن مصير هذا الجاسوس، نجد أن هناك من أشار إلى مقتله على يد أحد أنصار الأشتر، وقيل: بل هرب مغادراً المكان(3)، وهو الأرجح.

ب. الحرب النفسية:

في عمليات التحرير، لم تسجل سوى محاولة واحدة، لا تعبر إطلاقاً عن الجهود المبذولة في هذا الصعيد. ففي أحداث تحرير العراق، أثناء الفترة التي سبقت معركة القادسية، كلف سعد بن أبي وقاص، طليحة بن خويلد، وعمرو بن معدي كرب، بمراقبة إحدى المخاضات، خوفاً من استغلالها من قبل الفرس، إلا أن طليحة لم يكتف بما كلف به، بل عبر باتجاه ضفة العدو، وكبَّر ثلاثاً لإرهابهم، ثم عبر إلى الضفة الأخرى، بعد أن نجح في الخلاص من أيدي الفرس، الذين طاردوه بإصرار. وقد نال إعجاب المسلمين الذين كانوا بحاجة إلى أي جهد مهما كان، يعمل على رفع المعنويات المتوترة، وهي حالة بشرية تنتاب المقاتلين قبل الاشتباك، وأدت عمليته في الوقت نفسه، لا سيما بعد المطاردة الفاشلة التي قام بها الفرس ضده، إلى تثبيط معنوياتهم، التي كانت تعاني أصلاً من الضعف والخور(4).

كما استخدم معاوية بدوره العيون، في الدعاية لشرعية التصدي للخلافة، من خلال اتهامها بالتواطؤ، في استشهد الخليفة عثمان ﷺ(5) ومما ساعد على نجاح دعاية معاوية، هو

---

(1) القلزم: تقع على خليج السويس الحالي، تبعد عن الفرما الواقعة على البحر المتوسط ٢٤٠ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٣٨٧/٤.

(2) العريش: مدينة هي أول عمل مصر من ناحية الشام على ساحل البحر المتوسط. ياقوت، معجم البلدان: ١١٣/٤.

(3) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ١٩٤/٢؛ الطبري، تاريخ: ٩٥/٥-٩٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ٤٠٩/٢-٤١٠؛ العسكري، الأوائل: ص١٩٨؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ٢٢٦/٥؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ١٣٦٦/٣؛ ابن الأثير، الكامل: ٣٥٣/٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٧٤/٦-٧٦.

(4) الطبري، تاريخ: ٥٥٧/٣-٥٥٩.

(5) عبدا لله بن مسلم بن قتيبة، الإمامة السياسة، تحقيق طه الزيني (القاهرة، مؤسسة الحلبي وشركاؤه للنشر والتوزيع، د.ت): ٨٨/١-٩٠.

وجود كثير ممن اشترك في التمرد، على الخليفة الشهيد، وفي قتله، ضمن صفوف قوات الإمام علي ﷺ، والذين لم يستطع التخلص منهم فوراً، نظراً للملابسات التي أحاطت بظروف بيعته، واضطراره إلى الاصطدام المبكر، مع معارضيه في الجمل، ثم في صفين.

كما لا ينسى دور عيون معاوية، في نشر الإشاعة القائلة، بأن علياً رجل حرب، وليس رجل سياسة[١]، كما عمد عيون معاوية، بعد انتهاء التحكيم مستغلين حالة البلبلة والفوضى التي عمت أنصار علي ﷺ، إلى نشر الشائعات في اليمن، وقد كانت خاضعة للخلافة الشرعية، بأن معاوية ((قد شيد أمره واتسق له أكثر الناس))، وكانت هذه الشائعات هي التي ساهمت فضلاً عن ضعف وانعدام كفاءة عاملي علي، في صنعاء، والجند عبيدالله بن عباس، وسعيد بن نمران، إلى سقوط اليمن بأيدي أنصار معاوية[٢]. وقد عبر معاوية عن ثقته بنتائج هذه العمليات بقوله: ((لقد حاربت علياً، بعد صفين، بغير جيش، ولا عتاد))[٣]. وهكذا تم كسب بعض القيادات الموالية، أو تثبيط همتها على الأقل، أو إثارة الشكوك حول ولائها، في حالة عدم تجاوبها، مع أساليب الترغيب والترهيب. وتعد العملية التي استهدفت عزل قيس بن سعد بن عبادة[٤]، عامل الإمام علي ﷺ على مصر، من العمليات التي جمعت بين أساليب الحرب النفسية والتضليل، وذلك بعد فشل أسلوب الاتصال المباشر لأغراض تغيير الولاء[٥]. ومما ساعد معاوية في نجاح خطته، أن أساليب قيس الذكية لاحتواء مناورات معاوية ومؤيديه، في مصر لم تلق تفهماً من قبل الخليفة، بسبب وجود معادين لقيس ضمن مستشاري الإمام علي ﷺ[٦]. ولقد لعب معاوية، مستفيداً من كل هذه الأوراق، التي قدمها له خصومه مجاناً، في حسم الجولة لصالحه. فقد أشاع في أهل الشام أن قيساً، من المؤيدين له، وأنه نتيجة لذلك سوف لن يرسل قوات للسيطرة عليها، وقدم أدلة على تأييد قيس له، من خلال علاقته الطيبة مع أنصاره المرابطين في خربتا. وأرسل رسائل بهذا المعنى، إلى أنصاره في العراق، تعمد أن تقع بأيدي جواسيس علي ﷺ، فبلغت علياً ﷺ فشك في ولاء قيس، لا سيما بعد أن اعتذر عن تنفيذ أوامره

(١) ابن مزاحم، المصدر السابق: ص٦٣. (٢) ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢/٤.

(٣) البلاذري، أنساب: ١٨٣/٢.

(٤) قيس بن سعد: هو ابن سعد بن عبادة الخزرجي، أحد كبار الصحابة وسيد الخزرج، وقد وصف قيس بأنه أحد الدهاة الخمسة في عصره وهم: معاوية والمغيرة بن شعبة وعبدالله بن بديل الخزاعي وعمرو بن العاص وقيس بن سعد. الطبري، تاريخ: ١٦٤/٥.

(٥) المصدر نفسه: ٥٥٠/٤-٥٥١. (٦) المصدر نفسه: ٤٥٩/٥.

بحسم الموقف، مع أهل خربتا عسكرياً، وقد أكـدت الأحـداث فيما بعـد صـواب سياسـة قيس، في التعامل مع المعارضة في خربتا[1].

وبذلك يمكن القول إن خطة معاوية، استندت إلى مراحـل يتبـع بعضهـا بعضـاً، حيـث امتـازت المرحلـة الأولى، بالاتصـال المباشـر، والتعبـير عـن الأهـداف بوضـوح، مـن خـلال الترغيب والترهيب، وعندمـا فشـل هـذا الأسـلوب، تم الانتقـال إلى المرحلـة الثانيـة، وهـي استخدام الإشاعة الساخنة للتأثير على الخصم، في اتخاذ قراراته، عبر ادعائه بأن قيساً يؤيده. ورغم أن الإمام علي لم يقبل هذا الطعم بسهولة، إلا أن الذي أكرهه عليه، شـدة الضغـوط التي مارسها محمد بن أبي بكر، وعبدالله بن جعفر بـن أبـي طـالب، ثـم انتقـل إلى المرحلـة الثالثة، عبر الادعاء بوصول كتاب من قيس إليه، حيث قام بقراءتـه علـى أنصـاره، بصـورة علنية، وفيه تأييد صريح له، وهو أسلوب مفضوح كان يهدف من ورائه إلى رفع معنويـات أنصاره من جهة، وكطعم لجواسيس وعيون علي، ينقلونه إلى مسؤوليهم في العراق، ثم قام في المرحلة الرابعة، بإرسال رسالة بهذا المعنى إلى أنصاره في العراق، لكي يكون الأمر أكـثر تأثيراً، على متخذي القرار في الكوفة، وهو ما حدث فعلاً[2].

ويشير الخطيب[3]، إلى أن قيساً ارتكب خطأ على الأرجح، في عدم تبليـغ علـي، بـأمر الرسائل المتبادلة، بينه وبين معاوية، وهي التي أساءت إليه عند حاشية علي، واتخذها معاوية للتشهير به بعد فشله في كسبه، وللرد على هذا نشير إلى أن العملية، كانت سرية برمتهـا، وكان ولاة الأمصار لا سيما الأقوياء منهم، يمارسون صلاحيات كبيرة في ولاياتهم، وعلـى هذا الأساس مارس قيس، اتصاله بمنافس الخليفة الشرعي الذي يمثله، وإن كان الأمـر فريـداً في أنه ليس له سابقة، من حيث أنه جاء في ظل ظروف غير طبيعيـة، تسـودها حالـة الفتنـة والحرب الأهلية.

وساهمت الحرب النفسية التي شنها معاوية، على أنصار علي، بشكل حاسم في إيصال

---

(١) الصنعاني، المصدر السابق: ٤٥٩/٥؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٩٠/٢-٣٩١؛ الطبري، تـاريخ: ٥٥٠/٥-٥٥٣؛ والمقدسي، البدء والتاريخ: ٢٢٦/٥؛ ابن أبي الحديد، المصـدر السـابق: ٦٢/٦-٦٣؛ أحمد بن علي المقريزي، المواعظ والاعتبـار بذكـر الخطـط والآثـار (القـاهرة، مكتبـة الثقافـة الدينية، د.ت): ٣٠٠/١؛ ابن تغري بردي، المصدر السابق: ٩٧/١-١٠١.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥٥٣/٥-٥٥٤؛ ويقارن محمود عباس العقاد، عبقرية الإمـام علـي (بـيروت، دار الفكر العربي، ١٩٦٧/١٣٨٦): ص١٢٩-١٣١.

(٣) عبدالكريـم الخطيـب، علـي بـن أبـي طــالب (القــاهرة، دار الفكــر العربــي، ١٩٦٧/١٣٨٦): ص٢١٢-٢١٣.

الحسن بن علي ﷺ، بعد بيعته خليفة للمسلمين في أعقاب استشهاد والده إلى اتخاذه قراره، في مبايعة معاوية، وإيقاف نزيف الدم بين الأشقاء، وتوحيد الأمة في عام الجماعة ٤١هـ/٦٦١م. فعندما اتخذ الاستعدادات اللازمة، في أعقاب مبايعته، للتوجه إلى الشام لحسم الموقف عسكرياً، وقام بإرسال مقدمته، التي تضم خبرة مؤيديه ومقاتليه، بقيادة قيس بن سعد، ونزل هو في المدائن قام مجهولون ببث إشاعة مفادها، أن قيساً قد قتل، ثم أعقب ذلك قيام عناصر الشغب بمهاجمة مقر قيادة الحسن ونهبه. وقام الجراح بن سنان الأسدي[1]، بمحاولة فاشلة لقتل الحسن، حيث جرحه جرحاً بليغاً[2].

لقد كشفت هذه العملية عن هشاشة إجراءات الأمن، واختراقه من قبل عيون معاوية، فضلاً عن الخوارج، وعناصر الشغب التي ليست لها هوية ثابتة. وفي الوقت نفسه، نجد أن عيون معاوية، حاولت عن طريق الإشاعة، تفتيت قوات قيس بن سعد، وإنهاكها معنوياً من خلال نشر الشائعات، عن حقيقة موقف الحسن، وأنه قد صالح معاوية، وتم في الوقت نفسه نشر شائعات، في مقر الحسن، عن صلح تم بين قيس ومعاوية[3]. ولقد أثبتت الأحداث أن شن حرب نفسية مركزة، على خصم تسود صفوفه حالة من التشرذم والانقسام، تؤتي أكلها بصورة كاملة، حيث أصبحت المبادرة وتوجيه الأحداث، تتم من قبل عيون معاوية، في ظل ضعف وانعدام الموجهين الشرعيين.

ج. التضليل:

في عمليات تحرير الشام، قدم القائد العربي المسلم عمرو بن العاص، صورة من صور التضليل، عندما أراد الانسحاب من الأردن، للالتحاق بالقوات العربية الإسلامية المرابطة في الجابية، حيث قام باتخاذ الإجراءات اللازمة، لتضليل جواسيس العدو البيزنطي الذين كانوا يراقبون تحركاته، والحيلولة دون معرفتهم للهدف الأصلي لحركته، فأصدر أمراً إلى أهل الذمة ضمن المنطقة الواقعة تحت سيطرته في الأردن، بالقبض على الأشخاص العائدين إلى مدينة إيلياء (القدس)، والمتواجدين في الأردن، خوفاً من تسرب أمر حركته مما قد يدفع

---

(١) إن الجراح من عناصر الشغب في ولاية سعد بن أبي وقاص على الكوفة عهد عمر ﷺ حيث تزعم حملة لعزله ثبت بطلان ادعاءاتها. الطبري، تاريخ: ١٢١/٤؛ ويجعله الدينوري من الخوارج. الأخبار الطوال: ٢١٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ: ٢١٥/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٥٩/٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٢١٤/٢.

البيزنطيين الموجودين في القدس إلى مطاردته، كما أمر قواته بالاستعداد للتوجه إلى القدس ومحاصرتها، وذلك لأخذ زمام المبادرة على الصعيد النفسي، والحيلولة دون حدوث الإرجاف في صفوف قواته، سواء من قبل ضعاف النفوس داخل قواته، أو من قبل العدو. فالإشاعات تنمو في وسط تلجأ فيه القيادة إلى الصمت، وعدم توضيح أمور مهمة تحتاج إلى أجوبة مقنعة. وفي الوقت نفسه قام عمرو، بالتراخي في تنفيذ أوامر اعتقال أهل القدس، متعمداً فهرب هؤلاء إلى مدينتهم، وتسلل بعض تجار الأردن إلى القدس، لإبلاغ أهلها بتقدم عمرو لمحاصرتهم. وأكمل عمرو عملية التضليل بإرسال كتاب مع أحد الأنباط، إلى القدس يتضمن أمراً باستسلام المدينة، ثم شرع بالتحرك شمالاً وليس غرباً نحو هدفه المرسوم وهو اليرموك[1].

لقد امتازت عملية عمرو، بأنها تتفق مع شخصيته العملية، التي تحسب لكل شيء حسابه، وهكذا استخدم جواسيس العدو طعماً، في شل القوات البيزنطية المرابطة، في القدس وحلفائها المحليين، وذلك من خلال أوامره بالقبض على الأشخاص العائدين إلى مدينة القدس، فضلاً عن إشاعته نبأ تقدم قواته المزمع إلى القدس، بين صفوف قواته، وكذلك في إرساله أمر استسلام المدينة.

وفي عمليات تحرير العراق، وفارس، أشارت المصادر المتوفرة إلى عملية واحدة في التضليل، في أثناء تحرير العراق، حيث أن قادة تغلب، والنمر، وإياد، الذين اعتنقوا الإسلام مع قواتهم أثناء حصار المسلمين لتكريت، عبروا عن ولائهم لإسلامهم ولأمتهم من خلال قيامهم بعملية تضليل ناجحة، لقيادة القوات البيزنطية الموجودة في الحصنين (الموصل)، والذين كانوا يجهلون تطورات الأحداث، وتحرير تكريت وإسلام هؤلاء، فقد سبقوا القوات العربية الإسلامية نحو الموصل، وادعوا عند وصولهم إليها بأن القائد البيزنطي الانطاق، قد انتصر في تكريت على المسلمين، وقد دفع هذا الادعاء القوات البيزنطية، إلى اتخاذ حالة من الاسترخاء، استغله هؤلاء في السيطرة على الأبواب، بطريقة لا تدعو إلى الريبة، فوجدت القوات العربية الإسلامية عند وصولها الأبواب مشرعة لهم، فدخلوها بقيادة ربعي بن الأفكل العنزي[2].

كما نفذ أبو موسى الأشعري، في أثناء حصار نهاوند، بناء على اقتراح من عمرو بن معدي كرب، خطة لتضليل العدو، الذي كان يرفض الخروج من خنادقه المحصنة لحسم الموقف، تقوم على تسريب إشاعة إلى العدو مفادها، أن عمر بن الخطاب قد توفي، ثم

(١) الأزدي، تاريخ: ص١٦٤-١٦٦.   (٢) الطبري، تاريخ: ٣٦/٤.

أصدر أمراً في الوقت نفسه، بعد أن بلعت قيادة العدو الطعم، بالانسحاب الموهوم المتفق عليه، مما جعل قيادة العدو، تأمر قواتها بالخروج من خنادقها المحصنة، لمطاردة المسلمين، وعندما أصبح العدو خارج خنادقه، عادت القوات العربية الإسلامية، للاشتباك مع العدو الذي صعق لهول الصدمة، حيث استمر القتال شرساً إلى أن اضطر العدو، إلى الانسحاب إلى داخل أسوار نهاوند[1].

وفي أحداث الفتنة قام معاوية، أثناء عملية تحشد الطرفين في صفين، قبل الاشتباك بعملية تضليل لتحسين مواقعه، من غير أن يخسر رجلاً واحداً من رجاله، حيث كان أهل العراق يحتلون موقعاً مهماً، عجزت قوات الشام عن زعزعتهم عنه، فأمر أحد عيونه بأن يرمي سهماً باتجاه قوات أهل العراق، في ذلك الموقع مكتوب عليه ((من عبدا لله الناصح، فإني أخبركم أن معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات، فيغرقكم فخذوا خذركم))، وعزز هذه الرسالة التضليلية، بإجراء ميداني عن طريق إرسال مائتي رجل ومعهم المساحي، والزنابيل يحفرون في المنطقة المقابلة لقوات أهل العراق، وهذا ما دفع القوات المرابطة في هذه المنطقة إلى إخلاء مواقعها، بعد أن صدقت بما ورد على السهم، وبما رأت بأم أعينها من أعمال الحفر، رغم تحذيرات الإمام علي وأصحابه لهم بأنها خديعة[2]. ومما يعزز هذه الرواية أن مصادرها عراقية، وأن تطور الأحداث في صفين، يكاد يكون قد سار على ما يشابه ما حدث.

كما لجأ معاوية إلى الأسلوب التضليلي، لكي يحمي نفسه من التعرض للقتل، سواء أثناء الاشتباكات الشاملة، وذلك عن طريق توفير بديل يشبهه، وهو مولاه حريث، والذي كان يلبس ملابسه، ولامه حربه، ويمتطي فرسه، ويقوم بتقليد حركاته، فإذا حمل قال الناس هذا معاوية[3].

د. إدارة التفاوض مع العدو:

عند حصار القوات العربية الإسلامية، بقيادة عبدا لله بن المعتم، للقوات البيزنطية وحلفاءها من نصارى العرب، من تغلب، والنمر، وإياد، في مدينة تكريت، بقيادة الانطاق، والذي استمر أربعين يوماً، لجأ القائد عبدا لله خلال ذلك إلى إقامة اتصال مع بعض قادة

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص١٣٦.

(٢) ابن مزاحم، المصدر السابق: ص١٩٠-١٩١؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٦/٣.

(٣) الدينوري، الأخبار الطوال: ص١٧٦.

العرب، المتحالفين مع البيزنطيين داخل المدينة، فكانوا يمدونه بأسرار القيادة البيزنطية، وبتطور الأمور، وعندما يئس البيزنطيون من النصر، تمردوا على قيادتهم وقرروا الانسحاب عبر النهر، حيث نقلوا حوائجهم إلى ضفة النهر، فقامت العيون العربية بنقل هذا التطور الخطير إلى ابن المعتم، ونقلوا إليه أيضاً استعداد القوات العربية في تكريت للتعاون، إلا أن ابن المعتم اشترط إسلامهم دليلاً على صدقهم، فوافقوا على اعتناق الإسلام، ونقلت العيون تعليمات القائد في كيفية اقتحام المدينة، والتي تقوم على سيطرة تغلب، وإياد، والنمر، على الأبواب التي تشرف على نهر دجلة، لمنع المنسحبين من تنفيذ خطة هربهم، وفي الوقت نفسه سيهاجم ابن المعتم بقواته من الخارج الأبواب، التي يشرفون عليها، واتفق على أن يقوم العرب في الداخل بالتكبير، أثناء الهجوم فيحسب البيزنطيين، أن المسلمين قد هاجموهم من ذلك الاتجاه، فيتجهون إلى الأبواب التي يشرف عليها ابن المعتم. وقد نجحت الخطة، وتم تحرير تكريت، بعد أن قضى على القوات البيزنطية قضاء مبرماً[1].

ويلاحظ هنا أن العيون، هي التي تفاوضت في شروط انضمام نصارى العرب، إلى إخوانهم سواء عبر إسلامهم، وكذلك عبر اشتراكهم في العمل العسكري، للقضاء على العدو وتحرير المدينة. ولم تشر المصادر، مع الأسف، إلى أسماء هؤلاء العيون، والى أساليبهم المتبعة في النفوذ، من المدينة المحاصرة، والاتصال بالقيادة العربية الإسلامية، والعودة ثانية إلى المدينة، ومما يدل على كفاءتهم عدم كشفهم من قبل العدو.

وعند حصار القوات العربية الإسلامية، لمدينة أصبهان، عمد القائد العربي المسلم عمر بن بديل الخزاعي، بعد أن فشل في إقناع الفادوسفان، قائد أصبهان بالاستسلام، إلى الاتصال من خلال جواسيسه، بالقيادات التي تلي الفادوسفان، حيث نجح في إقناعهم بالتعاون معه، وفتحوا أبواب مدينتهم. ويبدو أن الفادوسفان بعد أن أحس بطبيعة هذه الاتصالات، ووصولها إلى مراحلها النهائية غادر المدينة هارباً[2].

إن العيون وهي تنقل الرسائل المتضمنة لعروض الطرفين، يتوقع منها في الوقت نفسه أن تقوم بتقريب وجهات النظر، مع تزويد الطرف المسلم خلال ذلك، بما يعزز موقفه التفاوضي، عبر نقل تطورات الموقف داخل المدينة المحاصرة، من خلال استخدام وسائل الترغيب والترهيب في آن واحد. وهؤلاء العيون على الأرجح من الفرس، الذين اعتنقوا الإسلام، أو تعاونوا مع المسلمين مع احتفاظهم بعقيدتهم.

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤/٣٥-٣٦.

(٢) البلاذري، فتوح:٢/٣٨٤؛ وينظر الطبري، تاريخ:٤/١٤٠؛ ابن أعثم، المصدرالسابق:٢/٦٩-٧٠.

هـ. الاستطلاع:

قدمت العيون في هذا العصر صوراً من الاستطلاع، وكان أغلبها من الاستطلاع العميق. فمن عمليات الاستطلاع، ما حدث أثناء حصار المرتدين من بكر بن وائل، والفرس بقيادة الحطم بن ضيعة البكري، لعبد القيس والمسلمين في حصن جواثا، بقيادة العلاء بن الحضرمي، نجد أن المسلمين سمعوا ضوضاء شديدة في إحدى الليالي، في معسكر العدو، فأرسل العلاء أحد عيونه، وهو عبدا لله بن حذف الكلابي، والذي تدلى بحبل من الحصن، وسار إلى خندق العدو، حيث ألقي القبض عليه، فاستغاث بأحد قياديي المرتدين، من أخواله بني عجل، وهو أبجر بن بجير فأجاره، وادعى أن سبب مقدمه هو الجوع والضر، وأنه يريد العودة إلى قومه، ولذلك غادر جواثا، وقد قدم إليه أبجر الطعام برغم شكوكه في صحة ادعاءاته، واستطاع عبدا لله أثناء مكوثه في معسكر المرتدين أن يعلم أن سبب الضوضاء، هو قدوم تجار بخمر فباعوه للمرتدين، فثملوا فهم سكارى لا يعقلون، فقرر بعد حصوله على هذه الأخبار الخطيرة، مغادرة المعسكر بسرعة وبمساعدة أبجر بن بجير، الذي قدم له راحلة، وزيادة في الحيطة فقد بعد عن حصن جواثا في البداية، لعدم إثارة الشبهات، واحتمال تعرضه إلى إلقاء القبض عليه، أو قتله، ثم عاد وتسلق عن طريق الحبل صاعداً إلى الحصن، حيث أخبر العلاء بما حصل عليه من معلومات، فقرر العلاء الخروج إلى المشركين وهاجمهم، وقتل الحطم وكثير من المرتدين، وفر من بقي منهم(1).

إن نجاح عبدا لله بن حذف الحقيقي، كان في استغلاله عنصر القرابة، وإجادته تمثيل دور الجائع والراغب في النجاة بأي ثمن، والعودة إلى قومه، وبعد أن أمن نفسه، حاول الوصول إلى الهدف، الذي قدم من أجله وهو معرفة سبب الضوضاء، التي عمت معسكر العدو، وحالما عرف السبب، تبين له خطورة الموقف، وضرورة العودة بسرعة لنقل هذه الأخبار، التي ستنهي محنة المسلمين. وقد عمد العلاء إلى استثمار كون العدو يعاني من السكر الشديد في مهاجمته ودحره.

---

(1) الكلاعي، تاريخ الردة: ص١٣٩-١٤٠؛ وينظر روايات مختصرة لدى خليفة، تاريخ: ص١١٦؛ البلاذري، فتوح: ص١٠١-١٠٢؛ الطبري، تاريخ: ٣/٣٠٣-٣٠٤؛ ويقارن الطبري، تاريخ: ٣/٣٠٨-٣٠٩؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ١/٥١-٥٢؛ الأصبهاني، الأغاني: ١٥/٢٥٩-٢٦٠؛ حيث يشير هؤلاء إلى أن مسلمي عبد القيس كانوا محاصرين في جواثا والمرتدين يحاصرونهم بقيادة الحكم ومعه بكر بن وائل والفرس، وجاء العلاء بن الحضرمي لرفع الحصار وبعث من خندقه عبدا لله بن حذف فنقل له أخبار كون القوم سكارى.

وفي القادسية، وقبل حدوث الاشتباك قام سعد بن أبي وقاص، بإرسال قيس بن هبيرة الأسدي، ومعه عمرو بن معدي كرب، وطليحة بن خويلد، في وحدة استطلاع للحصول على آخر الأخبار المتعلقة، بتوزيع القوات الفارسية في الجبهة، وقد نجحت الوحدة في الحصول على المعلومات المتضمنة، أن القوات الفارسية، قد تبادلت المواقع فيما بينها، حيث نزل رستم في النجف، بدل ذي الحاجب، ونزل الأخير في مكان الجالينوس، ونزل الجالينوس في طيزناباد[١]، ونقلوا أيضاً قيام الخيالة الساسانية بالانفتاح[٢].

وقبل الاشتباك الحاسم في نهاوند، أرسل النعمان بن مقرن، قائد قوات أهل الكوفة[٣]، ثلاثة عيون لجلب المعلومات، عن العدو من مقره في الطرز[٤]، وهم عمرو بن معدي كرب، وعمرو بن سلمة العنزي، وطليحة بن خويلد الأسدي، وسرعان ما عاد عمرو بن سلمة معللاً عودته بأنه سار ١٠٥ كم دون جدوى، وأنه لم يعد يعرف الأرض التي يتحرك عليها. ثم عاد عمرو بن معدي كرب، بعد ساعات معللاً عودته، بأنه خاف من أن تقطع عليه القوات الساسانية طريق العودة، وأنه لم يعد يعرف مسالك الأرض التي يتحرك عليها. في حين ظل طليحة الأسدي موغلاً في عمق أراضي العدو، أكثر من ١٢٠ كم حتى ساءت ظنون المسلمين به[٥]. وقد استطاع أن يصل إلى قرب مدينة نهاوند، فعلم أخبار العدو، وجمع المعلومات عن القوات الساسانية، ثم رجع وأعلم القيادة أنه ليس بينها وبين نهاوند شيء يخشى منه، حيث لا قوات ولا موانع[٦].

---

(١) طيزناباد: موضع بين الكوفة والقادسية تبعد عن الأخيرة ٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٧٥/٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥١٤/٣-٥١٥.

(٣) كانت القوات المشتركة في حصار نهاوند، مكونة أيضاً من أهل البصرة، بقيادة أبو موسى الأشعري، والقائد العام لقوات البصرة والكوفة، أبو سبرة أبي رهم الفهري. الطبري، تاريخ: ٨٥/٤-٨٦.

(٤) لم أجد عنها شيئاً في المصادر الجغرافية.

(٥) لقد خاف المسلمون من ارتداده ثانية، وقد رد على هؤلاء عند عودته بغضب قائلاً، بعد أن سمع تكبيرهم وعرف السبب: ((لو لم يكن لي دين أعتمد عليه إلا أني عربي، لما كنت بالذي أختار هؤلاء الأعاجم على العرب، فكيف وقد هداني الله عز وجل إلى دين الإسلام وعرفني فضله)). ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٤/٢.

(٦) الطبري، تاريخ: ١٢٧/٤-١٢٨؛ وينظر اسماعيل بن القاسم القالي، ذيل الأمالي (بيروت، المكتب التجاري، د.ت): ص١٤٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٤/٢؛ الحميري، المصدر السابق: ص٥٨٠.

ومن الجدير بالانتباه هنا أن طليحة، ربما كان يعرف اللغة الفارسية، إذ لا يعقل أن يتحرك في عمق أراضي العدو، دون أن يجيد لغتهم، ولربما أيضاً سبق له أن اشترك في استطلاع المنطقة، ضمن وحدة لم تشر إليها المصادر، كما يبدو أنه أخذ للأمر أهبته من خلال اللباس، وبقية الأشياء المتعلقة بالشكل.

وهناك ما يشير إلى أن القوات العربية الإسلامية، قامت بإرسال أحد رجالها وهو صحار العبدي، إلى مكران في عملية استطلاع، في عمق أراضي العدو لغرض جمع المعلومات، عن جغرافية المنطقة وإمكانياتها البشرية، والعسكرية، وقد عبر تقريره المقتضب المقدم إلى الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ عن الوضع بقوله: ((أرض سهلها جبل، وماؤها وشل[1]، وتمرها دقل))[2]. أي أن الطبيعة التضاريسية المعقدة هي المسيطرة على السطح حيث تقل فيها الأراضي المنبسطة، كما أن ماءها يعاني من الشحة وإن مواردها الاقتصادية شحيحة. وهذا وصف سلبي على الصعيد العسكري. ومن الطبيعي أن يكون صحار العبدي، قد أعطى معلومات مفصلة، عن نتائج استطلاعه، إلا أنه لم يصل إلينا إلا مقولته المسجوعة هذه.

كما أشير إلى قيام حكيم بن جبلة العبدي، باستطلاع منطقة السند، عندما أمر الخليفة عثمان بن عفان ﷺ، واليه على البصرة عبدا لله بن عامر، بإرسال أحد رجاله إلى هذه المنطقة، وسماها ثغر الهند قبل القيام بأي عملية عسكرية، في هذه المنطقة. وأن يقدم تقريراً إلى الخليفة، عن النتائج التي توصل إليها، ولما عاد حكيم من مهمته، أوفده عبدا لله بن عامر إلى عثمان ﷺ فسأله عن طبيعة الأقاليم فقال: ((يا أمير المؤمنين قد عرفتها وتنحرتها. فقال: صفها لي، فقال: ماؤها وشل، وتمرها دقل، ولصها بطل، إن قل فيها الجيش ضاعوا، وإن كثروا جاعوا)). فأمر بعدم القيام بأية عملية في الإقليم[3]. ومع الأسف لا نعرف شيئاً مفصلاً، عن نتائج مهمة حكيم أو من أين انطلق؟ والى أين ذهب؟ وكيف حصل على معلوماته؟ وهل كان بمفرده أم معه فريق عمل؟ وهل كان بصفة تاجر مثلاً؟ حيث من المرجح أن يكون كذلك، لأنه أكثر أمناً وضماناً لنجاح العملية.

---

(١) الوشل: الماء القليل يتحلب من جبل أو صخرة يقطر منه قليلاً قليلاً لا يتصل قطره. ابن منظور، المصدر السابق: ١١/٧٢٥.

(٢) الدقل: أردأ أنواع التمر. ابن منظور، المصدر السابق: ١١/٢٤٦.

(٣) البلاذري، فتوح: ص٥٣٠؛ وينظر ابن قدامة، الخراج: ص٤١٣-٤١٤؛ ياقوت، معجم البلدان: ٥/١٨٠.

وقد يكون هناك تشابه في الوصف، بين مكران، والسند، من قبل كل من صحار، وحكيم، إلا أن الواضح، هو تشابه جغرافية كل من الإقليمين، من حيث الطبيعة الجرداء، والجفاف، وفقر إمكانيات الإقليم، وشراسة سكانه، ولا ينطبق الوصف على كل إقليم السند، وإنما على أجزائه الغربية فقط، حيث أن الإقليم معروف بكثرة أنهاره ومستنقعاته.

لقد حرص القادة العرب المسلمون، على استطلاع مناطق العمليات، قبل الشروع بالتحرك العسكري تجاهها، وهو أسلوب سليم من الناحية العسكرية، وكان العيون هم الأداة التي تقوم بذلك، وعندما استأذن عبدا لله بن أبي سرح، الخليفة عثمان بن عفان ﷺ بالتقدم نحو أفريقية، وصفها وصف من قد جمع معلومات كاملة عن أوضاعها العامة، فهي معروفة بكثرة أموالها وضعف رجالها[١].

و. مراقبة الجهاز الإداري:

عرف عن هذا العصر، أنه قدم إطاراً إسلامياً، لكيفية مراقبة الخليفة بصفته رئيس الدولة الأعلى، لعماله وقادته. وقد عبر عمر بن الخطاب ﷺ عن إحساسه بالمسؤولية الملقاة على عاتقه بقوله ((لو مات جمل ضياعاً على شط الفرات لخشيت أن ليسألني ا لله عنه))[٢]. وهذا ما دفعه إلى أن يتحسس أخبار الناس، والاطلاع على شؤونهم اليومية ومشاكلهم وعواطفهم، بصورة تفصيلية، من خلال جهده الشخصي أو من المقربين إليه[٣].

أما خارج المدينة، وفي الأمصار، فقد كان لديه عيون تراقب عماله وقادته وأوضاع أبناء الأمة[٤].

ومن هذا يمكن تفسير علاقة الولاة بعمر ومدى استمرارهم، أو إقالتهم، أو استقالتهم من مناصبهم. وكانت التقارير التي تصل عمر من عيونه، تتراوح ما بين أخبار عن سلوك شخصي، وأخرى عن أساليب إدارية، وأخرى عن ممارسات مالية، تتعلق بالتصرف بالمال العام، أو إساءة استخدامه، أو وضع الحدود بين المال الخاص والعام. فقد بلغته عيونه عن قصيدة قالها، عامله على ميسان النعمان بن عدي[٥]، يتغزل فيها بالخمر:

---

(١) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٣٢/٢. (١) ابن سعد، الطبقات: م٣، قسم١: ص٢٢٠.

(٣) المصدر نفسه: م٣، قسم١: ص٢٣٨-٢٣٩؛ وينظر ابن شبة، المصدر السابق: ٧٢٢/٢.

(٤) الجاحظ، التاج: ص١٦٨؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١١١/٥.

(٥) النعمان بن عدي: بنتمي إلى بني عدي، من قريش رهط عمر بن الخطاب، وهاجر مع أبوه إلى الحبشة، ومات أبوه هناك، وكان أول وآخر رجل من بني عدي، يستعمله عمر نزل بعد عزله ⇐

ألا هل أتى الحسناء أن خليلها بميسان يسقى في زجاج وحنتم
إذا شئت غنتني دهاقين ورقاصة تجثو على كل منسم
لعل أمير المؤمنين يسوؤه تنادمنا في الجوسق المتهدم

وقد عزله وقال: ((وا لله إنه ليسوؤني))[1].

كما وصلته أخبار عن اهتمام عامله في دمشق، يزيد بن أبي سفيان، بأطايب الطعام فبعث إليه محذراً ومنبهاً، وبلغه كذلك استخدام خالد بن الوليد، عامله على قنسرين، لصابون ممزوج بخمر قد غلي، فارسل إليه محذراً من مغبة استخدامه ثانية[2]، ووصلته أخبار عن إغداق خالد كذلك الهدايا على زواره، فأصر في التحقيق في مصدرها وعزله[3]. كما وصلته معلومات عن تصرفات غير مسؤولة لعياض بن غنم[4]، فاستدعاه وحاسبه بشدة[5]. وبلغه خبر زواج حذيفة بن اليمان، عامله على الخراج في الكوفة، من كتابية فأمره بطلاقها، لأنه سيد المسلمين[6].

وفيما يتعلق بالأساليب الإدارية، وصلته معلومات عن طريقة استقبال أبي موسى الأشعري لأهل الكوفة، فأرسل إليه مبيناً الطريقة المثلى لاستقبال مراجعيه، حسب الشرف والقرآن[7]، فإذا أخذوا مجالسهم فليأذن للعامة[8]. كما بلغه أن قوماً قدموا على أحد عماله، فأعطى العرب، وترك الموالي فكتب إليه ((أما بعد فبحسب المرء من الشر أن يحقر أخاه المسلم))[9]. كما بلغه عن أبي موسى الأشعري، طريقة خاطئة في توزيع السبي، واستخدام المكاييل فأنذره[10]. ووصلته أنباء عن أسلوب خاطئ يمارسه الوليد بن عقبة في

البصرة، ومات فيها. ابن الأثير، أسد الغابة: ٥/٣٣٥-٣٣٦.

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٤، قسم١: ص١٠٣-١٠٤؛ وينظر ابن الكلبي، المصدر السابق: ص١٠٧-١٠٨؛ ابن حزم، جمهرة: ص١٥٨؛ الجواليقي، العرب: ص١٤٥؛ ياقوت، معجم البلدان: ٥/٢٤٣؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ١٢/٢٣-٢٤.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: ٦/٦٥٩.

(٣) الطبري، تاريخ: ٤/٦٦؛ وينظر ابن الأثير، النهاية: ٢/١٣٠.

(٤) ابن عساكر، تهذيب: ٥/١١١. (٥) ابن شبة، المصدر السابق: ٣/٨١٧-٨١٨.

(٦) سعيد بن منصور، المصدر السابق: ٢/١٩٣-١٩٤؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣/٥٨٨.

(٧) يقصد بالشرف زعماء القبائل والقرآن هم القراء من الحفاظ والفقهاء.

(٨) وكيع، أخبار القضاة: ١/٢٨٦. (٩) أبو عبيد، الأموال: ص٣٢٥.

(١٠) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ١/٣٤.

تعامله مع بني تغلب عندما كان عاملاً على عرب الجزيرة[1]. كما بلغته عيونه، عن لجوء اثنين من قادته وهما فرات بن حيان، وعتيبة بن النبهاس إلى ممارسات غير إسلامية، مدفوعة بدوافع ثأرية في أثناء هجوم شنته القوات العربية الإسلامية، على متمردين من بني تغلب، حين لجأوا إلى تغريقهم في الفرات قائلين، تغريق بتحريق، ثأراً بيوم من أيام الجاهلية، أحرقت فيه تغلب، قوماً من بكر بن وائل، فاستدعاهما عمر وحقق معهما، فقالا إنهما قالاه على المثل وليس ثأراً[2].

وفيما يتعلق بضبط الممارسات المالية لعماله، فقد كان يلجأ إلى إحصاء أموال عماله عند تعيينهم[3]. وكان حاسماً في رفض الجمع بين العمل الإداري، والعمل التجاري، فعندما بلغه قيام أحد عماله وهو الحارث بن وهب بإدارة أعمال تجارية عزله[4]. كما أرسل إلى عمرو بن العاص، عامله على مصر متسائلاً عن مصدر أمواله التي ظهرت حديثاً، ولما لم يقتنع شاطره ماله[5]. وكذلك تصرف مع عامله على البحرين أبي هريرة[6] ومع سعد بن أبي وقاص، والنعمان بن عدي، ونافع بن عمرو الخزاعي، واليه على مكة، ويعلى بن منبه، واليه على اليمن[7]، وكذلك خالد بن الوليد[8]. كما كانت تصله معلومات مفصلة عن الاتصالات المالية، بين الولاة وأقاربهم أحياناً، والذين كانوا يستفيدون منهم مالياً، أو يتعاونون معهم في استثمار أموال الولاة، فقد قاسم أبو بكرة مولى رسول الله ﷺ، وأخو زياد بن أبي سفيان لأمه، وأخذ منه عشرة آلاف درهم، وعندما احتج أبو بكرة رد عليه ((أخوك على بيت المال، وعشور الابلة فهو يعطيك المال تتجر به))[9].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٥٦/٤. (٢) المصدر نفسه: ٤٧٦/٣.

(٣) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٢٢١؛ وينظر البلاذري، أنساب: الورقة ٤٨٨.

(٤) ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٣٥/١.

(٥) المصدر نفسه: ٣٥/١؛ ينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٤٣/١٢.

(٦) ابن عبد ربه، المصدر نفسه: ٣٤/١. (٧) اليعقوبي، تاريخ: ١٥٧/٢.

(٨) الطبري، تاريخ: ٤٣٧/٣.

(٩) ابن حجر، الإصابة: ٧٠٣/٦-٧٠٦؛ وقد أشار صاحب البرهان، إلى أن سبب مقاسمة عمر لعماله هو ((قاسمهم على الظن فيهم، ولو قد تبين خيانتهم أموال المسلمين، لما وسعه أن يأخذ بعض ذلك ويدع عليهم بعضه، ولكنه ظهر له ما يوجب التهمة ولم يقو في نفسه قوة اليقين فقاسمهم)).
إسحق بن إبراهيم الكاتب، البرهان في وجوه البيان، تحقيق أحمد مطلوب وخديجة الحديثي (بغداد، مطبعة العاني، ١٣٨٧/١٩٦٧): ص٩٢.

وشهدت خلافة الإمام علي ﷺ، استمراراً للنهج الذي سار عليه عمر الفاروق، حيث كان يراقب سيرة ولاته على الأمصار، من خلال عيونه، ويلجأ إلى التحذير والإنذار ثم المقاسمة، وإن لم تردعهم هذه الأساليب يلجأ إلى عزلهم، فها هو يبلغه تصرف واليه على البحرين، النعمان بن عجلان، بمال ولايته فأرسل إليه متسائلاً. وكتب إلى عامله على أردشيرخره ((فقد بلغني عنك أكبرت أن أصدقه، أنك تقسم مال المسلمين في قومك، ومن اعتراك من المسألة، والأحزاب وأهل الكذب من الشعراء، كما تقاسم الجوز، فوالذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، لأفتشن عن ذلك تفتيشاً شافياً))(١). وكتب إلى عامله على البصرة، عبدا لله بن عباس، متسائلاً عن أخبار وصلته عن تصرفه بمال بيت مال البصرة، ويطلب تفسيراً لذلك(٢). ولجأ إلى عزل عامله على اصطخر، المنذر بن الجارود، نتيجة انشغاله باللهو والصيد تاركاً شؤون ولايته(٣).

إن العيون المجهولة هي التي نقلت إلى عمر، وعلي رضي ا لله عنهما، تصرفات عمالهم سواء كانت هذه التصرفات إدارية، أو شخصية، أو مالية، وبذلك تمكنت الخلافة عن طريق هؤلاء العيون من تحديد الخلل، وأعطت الخلافة الفرصة لمعالجته، حسب اجتهادها.

---

(١) البلاذري، أنساب: الورقة ٥٨٧.

(٢) المصدر نفسه: ١٦٩/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٤١/٥؛ ابن عبد ربه: ٩٧/٥.

(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٢٠٣/٢-٢٠٤.

سادساً: تقويم عمليات العيون

سيتم التعامل في تقويم عمليات العيون والجواسيس، في هذا العصر، الذي شهد نشاطاً عسكرياً واسع النطاق، على المستويين الجغرافي، والزماني، من خلال العمليات الناجحة، والفاشلة، في عمليات الردة، وتحرير الشام، والعراق، وفارس، والقوقاز، ومصر، وأفريقية، والحبشة، وفي أحداث الفتنة، وفي مراقبة الجهاز الإداري.

أ. العمليات الناجحة.

١ . عمليات الردة:

يبدو من الوهلة الأولى، أن دور العيون والجواسيس، في القضاء على حركة طليحة الأسدي، كان محدوداً إذ لم تشر المصادر إلى إرسال خالد بن الوليد، لأي عيون بعد استشهاد عكاشة بن محصن، وثابت بن أقرم[١]. ولكن من سير العمليات، وسير معارك خالد من خلال سيرته العسكرية، يلاحظ أنه كان يعتمد تقارير عيونه، وجواسيسه، وهو أحد أسباب نجاحاته، علماً بأن طليحة لم يكن خصماً سهلاً، فقد كان قائداً كفوءاً وحذراً وشجاعاً ومع ذلك هزم.

وفيما يتعلق بعمليات اليمامة، نجد أن المصادر أشارت إلىعيون كانت تزود المسلمين بالأخبار[٢]، ولكن لم تشر في الوقت نفسه، إلى طبيعة هذه الأخبار وأهميتها، باستثناء دور الطلائع في تحديد مركز تحشد بني حنيفة في عقرباء[٣]. وفي عمليات البحرين لا سيما في الزارة، وجواثا، نجد أن المسلمين استفادوا بصورة حاسمة، من تعاون قطاع مهم من سكان البحرين، ينتمون إلى قبيلة عبد القيس، حيث أن هؤلاء وإن لم تشر المصادر إلى دورهم على صعيد المعلومات، فمن البديهي أن يتعاونوا مع القوات العربية الإسلامية، القادمة لنجدتهم، بقيادة العلاء بن الحضرمي. ففي الزارة، نجد أن تحريرها جاء من خلال معلومات، وصلت عن مصدر المياه الذي يزود المدينة، فقام العلاء بالسيطرة عليه[٤]. وفي

---

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٣، قسم١: ص٦٤-٦٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٥٤/٣.

(٢) ابن حجر، الإصابة: ١٠٨/٥؛ وينظر البكري، المصدر السابق: ١٠٦٣/٣.

(٣) الحميري، المصدر السابق: ص٤١٩؛ عقرباء: موقع في اليمامة في طريق النباج. ياقوت، معجم البلدان: ١٣٥/٤.

(٤) خليفة، تاريخ: ص١٢٥؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٠٤.

جواثا كانت هزيمة المرتدين، بعد وصول أنباء عن كون معسكر العدو، يعاني من السكر الشديد، فكان ذلك سبب مهاجمتهم ودحرهم[1]. وفي حضرموت، نجد أن دور العيون في نقل تفشي السكر أيضاً، في معسكر العدو، في أثناء محاصرة المسلمين في حصن النجير، كان سبباً في هزيمة العدو[2].

٢. عمليات تحرير الشام، وأرمينية:

يمكن اعتبار حملة أسامة بن زيد، الصفحة الأولى في عصر الراشدين، في عمليات تحرير الشام، بعد أن سبقتها في عصر الرسول ﷺ، حملات تمثلت في مؤتة، وذات إطلاح، وذات السلاسل، وتبوك، وقد لعبت العيون دوراً ناجحاً، في توجيه الحملة إلى هدفها بسلام، وفي مساعدة القائد في اتخاذ قرار الهجوم الناجح[3].

وبعد أن بدأ أبو بكر ﷺ؛ في توجيه الجيوش إلى الشام، بعد دحر حركة الردة، نجد أن إنجازات العيون تمثلت في الدلالة، والبريد، ونقل الأخبار، ومقاومة التجسس المضاد. وعند دراسة أولى العمليات بقيادة خالد بن سعيد بن العاص[4]، في زيزاء[5] نجد أن النصر المتحقق جاء عن طريق اتباع القائد لتوجيهات العيون، ومعرفته التفصيلية بخطط وتفكير الخصم[6]. ويمكن اعتبار أبي عبيدة ﷺ، أول من نظم عمليات العيون في الشام، لا سيما على صعيد التعاون مع أنباط الشام، فضلاً عن العيون العرب، حيث اخذت التقارير تصل بانتظام، عن طبيعة الإجراءات البيزنطية المتخذة، لوقف الزحف العربي الإسلامي، سواء عبر حشد القوات، أو على صعيد مراقبة تحركات هذه القوات[7]. كما اعتمد خالد بن

---

(١) خليفة، تاريخ: ص١١٦؛ وينظر الكلاعي، تاريخ: ص١٣٩-١٤٠.

(٢) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر الكلاعي، تاريخ: ص١٦٢-١٦٣.

(٣) الواقدي، المغازي: ١١٢٢/٢؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ١١٥/٤.

(٤) خالد بن سعيد: من بني أمية أسلم بعد أبي بكر الصديق فكان تسلسله الثالث أو الرابع وقيل الخامس، هاجر إلى الحبشة مرتين، ثم هاجر إلى المدينة مع جعفر بن أبي طالب استشهد في أجنادين سنة ١٣هـ/٦٣٤م. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٤٢٠/١-٤٢٤.

(٥) زيزاء: من قرى البلقاء في الشام. ياقوت، معجم البلدان: ١٦٣/٣-١٦٤.

(٦) الطبري، تاريخ: ٣٨٨/٣-٣٨٩.

(٧) الأزدي، تاريخ: ص٣٣، ٣٦، ٣٩، ٤٢؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ١٠١/١-١٠٢، ١٣٢-١٣٣.

الوليد على العيون، في توجيه قواته عبر بادية الشام، من العراق إلى الشام(١)، وفي كشف تحشدات العدو قبل وصوله إلى الجابية(٢).

وفي معركة أجنادين، نجد أن العيون قامت بأداء دورها، في متابعة حشد العدو البيزنطي، فاتخذ خالد، وأبو عبيدة، قرارهما الحاسم في تجميع القوات العربية الإسلامية، والتي كان يقودها فضلاً عن خالد، كل من شرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص(٣)، وكذلك الحال في معركة فحل(٤)، في الحصار الأول لدمشق(٥)، وفي القيام بأعمال تضليلية ناجحة ضد العدو، كما حدث عند انسحاب عمرو بن العاص من الأردن(٦). ويلاحظ أن القرار الصعب الذي اتخذه قادة الشام، في تجميع قواتهم المنتشرة، في أنحاء عديدة في منطقة اليرموك، والتي شهدت إحدى المعارك الحاسمة في التاريخ، كان استناداً إلى التقارير، التي أشارت إلى نية العدو، في الاستفادة من تفوقه العددي(٧)، وعمل العيون والجواسيس، بلا هوادة، قبل حلول ساعة الحسم، في متابعة قرارات العدو واستحضاراته، وهو ما دفع المسلمين إلى اتخاذ المبادرة إلى الاشتباك، لما فيها من مردود معنوي كبير على قواتهم، في تحقيق النصر.

وفي عمليات تحرير دمشق، بعد اليرموك، نجد أن القوات العربية الإسلامية، أقامت لها مراكز اتصال داخل دمشق، من خلال الأنباط، ومن خلال بعض القيادات الدينية مثل أسقف دمشق منصور، والذي تعاون مع خالد بشكل جيد، في نقل أخبار انشغال المدينة باحتفالات تقام فيها(٨). وفي عمليات تحرير وسط وشمال الشام، والمتمثلة في تحرير بعلبك، وحمص، نجد أن مساهمات العيون كانت منصبة، أيضاً على متابعة تحشدات العدو وأهدافها وهو ما ساهم كما حدث في بعلبك، في التصدي المبكر للعدو، قبل استكمال تحشده(٩). وكذلك الحال في حمص، حيث اتخذت القيادة قرارها بتحرير المدينة، استناداً إلى معطيات تقارير العيون(١٠)، وفي الشمال استمرت العيون في مراقبة التحشدات المعادية،

---

(١) اليعقوبي، تاريخ: ١٣٤/٢. (٢) الطبري، تاريخ: ٣٨٨/٣-٤١٠.

(٣) الأزدي، تاريخ: ص٨٧، ٩٢؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٣٥؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ١٤٣/١. (٤) البلاذري، فتوح: ص١٣٧. (٥) الأزدي، تاريخ: ص٩٤-٩٨.

(٦) المصدر نفسه: ص١٦٥-١٦٦. (٧) الطبري، تاريخ: ٣٩٢/٣-٣٩٣.

(٨) البلاذري، فتوح: ص١٤٤. (٩) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٥٧/١.

(١٠) المصدر نفسه: ٢١٥/١-٢١٦، ٢٢٣.

وطبيعة الإمدادات التي تصلها[1]، وقامت العيون بتنفيذ عملية خاصة في تحرير حلب[2].

ويلاحظ أن الجواسيس، لعبوا دوراً حاسماً في تحرير قيسارية، في فلسطين والتي كانت آخر المعاقل البيزنطية عام (١٨هـ/٦٣٩م) من خلال الإخبار عن سرب يقود إلى داخل المدينة[3]. وفي جبهة أرمينية، نجد أن العيون كشفوا تحشدات العدو، كما حدث في شمشاط، حيث تم اتخاذ قرار تعزيز القوات، وبه تحقق النصر[4]. كما قامت العيون والجواسيس بدورها في مقاومة التجسس المضاد، كما حدث في عربسوس[5].

٣. عمليات تحرير العراق وفارس:

وفي عمليات تحرير العراق، قامت العيون والجواسيس، بما قام به إخوانهم في الجبهات الأخرى، في رصد تحشدات الفرس وخططهم، لا سيما بعد أن قام خالد بن الوليد أثناء مكوثه في العراق، مراكز تجسسية من أنباط السواد خاصة، فضلاً عن الفرس من خلال الدهاقين[6]. وظهرت آثار العيون في عملياته الواسعة في معركة الحفير[7]، وفي المذار[8]، وفي معارك أليس[9]، وفي الحصيد، والخنافس[10].

كما رصدت العيون، تحركات الفرس بعد رحيل خالد إلى الشام[11]، والانشقاقات في صفوف الفرس، أثناء فترة الاضطراب السياسي[12]. وقامت العيون برصد تحشدات الفرس بقيادة مهران، قبل معركة البويب، وهو ما ساعد المثنى على إنجاز استحضاراته بصورة جيدة[13]. وكان آخر عمل عسكري يقوم به المثنى قبل استشهاده، متأثراً بجروحه في معركة الجسر، استناداً إلى تقارير عيونه، هو سحبه لقطعاته ومسالحه المنبثة في أنحاء السواد، إلى حافة السواد الغربية في خفان، بعد أن بلغته أنباء مؤامرة يحيكها الفرس لإعلان تمرد عام في المناطق المحررة، وعندئذ كان من الصعب عليه سحب هذه الوحدات[14].

---

(١) البلاذري، فتوح: ص١٧٦.
(٢) الواقدي، فتوح: ٥٢/٣-٥٦.
(٣) البلاذري، فتوح: ص١٦٧-١٦٨.
(٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٠٨/٢.
(٥) أبو عبيد، الأموال: ص٢٦٢-٢٦٣؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٨٥-١٨٦.
(٦) البلاذري، فتوح: ص٢٩٧.
(٧) الطبري، تاريخ: ٣٤٨/٣-٣٤٩.
(٨) المصدر نفسه: ٣٥١/٣.
(٩) المصدر نفسه: ٣٥٥/٣-٣٥٦.
(١٠) المصدر نفسه: ٣٧٩/٣-٣٨٠.
(١١) المصدر نفسه: ٤١٢/٣.
(١٢) المصدر نفسه: ٤٦٠/٣.
(١٣) المصدر نفسه: ٤٦١/٣.
(١٤) الطبري، تاريخ: ٤٤٨/٣-٤٤٩.

وفي معركة القادسية، أدى وصول تقارير من جبهة العراق، إلى عمر بن الخطاب عن استقرار الأوضاع السياسية في بلاد فارس، بعد تولي يزدجرد، ورستم، القيادة السياسية، والعسكرية، وتعاونهما في سبيل إعداد جيش كبير، لدحر القوات العربية الإسلامية[1]، فضلاً عن وصول تقارير في عدم الانسجام بين المثنى بن حارثة، وجرير بن عبدا لله البجلي، الذي أرسل لتعزيز جبهة العراق بعد معركة الجسر[2]. وكان السبب الرئيسي في تعيين سعد بن أبي وقاص ﷺ، قائداً عاماً لجبهة العراق، والذي أرسل على رأس قوات كبيرة، ويلاحظ إنجازات العيون والجواسيس، في القادسية تمثلت في عمليات الاستطلاع[3]، والمراقبة[4]، وخطف الأسرى[5]، والحرب النفسية[6]، وقد اعتمد سعد بن أبي وقاص على إنجازات العيون، في تحديد أولياته، وطبيعة قراراته، التي قادت إلى النصر المؤزر.

وفي معركة بابل التي تلت القادسية، سلطت العيون الأنظار على تجمع فلول الفرس في هذه المنطقة، مما جعل القيادة تتخذ قرار مهاجمتهم قبل إكمال تحشدهم ودحرتهم[7]. وفي معركة المدائن، أوصلت أخباراً خطيرة عن عزم يزدجرد، مغادرة المدينة خلال ثلاثة أيام، مما جعل سعداً، يتخذ قراراً خطيراً وهو عبور نهر دجلة، الذي كان يعاني من الفيضان الشديد على ظهور الخيل[8]، للحيلولة دون قيامه بتجريد المدينة من إمكانياتها الاقتصادية أولاً، وفي اصطحابه قواته المتبقية بصورة منتظمة ثانياً.

ومما يثير الإعجاب، أن نشاط العيون والجواسيس، كان بارعاً في عمق الأراضي التي لا تزال خاضعة للعدو، كما هو الحال في تكريت، والموصل، حيث أبلغت عن تحشدات بيزنطية، في تكريت، مما أدى إلى اتخاذ قرار بتحرير هذه المدينة المهمة، وكانت إنجازات العيون، في هذه العملية على محورين، الأول محاولة عزل القوات العربية المتحالفة، مع العدو البيزنطي، ومحاولة كسبها إلى جانب قوات التحرير، والثاني مراقبة تحركات القوات البيزنطية، وقد نجحت في كلا المحورين[9]. كما كان دورها واضحاً في تحرير الموصل[10]. وأدت العيون دوراً رائداً في كشف تحالف أهل هيت، على الفرات مع أهل حمص، في

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص١١٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٧٨/٣.
(٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٧٢/١-١٧٣.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥٥٧/٣-٥٥٩. (٤) المصدر نفسه: ٥١٤/٣-٥١٥.
(٥) المصدر نفسه: ٥١٢/٤-٥١٤؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص١١٩-١٢٠.
(٦) الطبري، تاريخ: ٥٥٧/٣-٥٥٩. (٧) المصدر نفسه: ٦٢٠/٣. (٨) المصدر نفسه: ١٠/٤.
(٩) المصدر نفسه: ٣٥/٤-٣٦. (١٠) المصدر نفسه: ٣٦/٤-٣٧.

الوقت الذي كانت فيه القوات العربية الإسلامية، تشدد الضغط من أجل تحرير حمص، وكان رد فعل القيادة على هذا التحرك الخطير، هو توجيه قوات لتحرير هيت وقد نجحت في ذلك[1]. كما كشفت العيون تحالف أهل الجزيرة، مع أهل حمص، مما جعل القيادة تتخذ قرار تحرير الجزيرة[2].

وفي معركة جلولاء أبلغت العيون، عن تحشدات في هذه المدينة، فكان قرار إرسال هاشم بن عتبة المرقال، لدحرهم جرياً على السياسة المتبعة، وهي عدم ترك العدو يلتقط أنفاسه[3]. وكانت العمليات التي تلت جلولاء تسير على نفس النهج[4]. وفي العمليات التي نفذت في فارس، نجد أن إنجازات العيون كانت كبيرة، ففي تحرير تستر، نفذت العيون عملية خاصة، أدت إلى تحرير المدينة[5]. وفي نهاوند، ظهر أثر العيون في الاستطلاع[6]، وفي التضليل[7]،وفي اكتشاف الحسك المزروع،حول خنادق العدو[8].وفي عمليات طخارستان، والجوزجان، والطالقان، والفارياب، قدمت العيون إنجازاً كبيراً للأحنف بن قيس، عن طريق إيصال معلومات موثقة، عن تحشدات قوات طخارستان، والجوزجان، والطالقان، والفارياب، للتصدي له، وهذا مما ساعده على وضع خطة سليمة للمعركة[9].

٤. عمليات تحرير مصر وأفريقية:

في هذه الجبهة نجح عمرو بن العاص، في إقامة مراكز للعيون والجواسيس، لا سيما من القبط تعمل على رفد الجبهة بالمعلومات، التي تحتاجها سواء فيما يتعلق بالأنشطة العسكرية، أو السياسية، التي يقوم بها العدو البيزنطي، وهكذا ظهر دورهم في حصار الاسكندرية[10]، وفي معركة عين شمس[11]. كذلك أدت العيون دورها بصورة جيدة، في

---

(١) الطبري، تاريخ: ٣٨/٤. (٢) المصدر نفسه: ٥١/٤.

(٣) خليفة، تاريخ: ص١٣٥-١٣٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٥/٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٧١/١. (٣) الطبري، تاريخ: ٣٧/٤-٣٨.

(٥) خليفة، تاريخ: ص١٥٤؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٤٦٨؛ الطبري، تاريخ: ٨٥/٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٠/٢-٢١.

(٦) الطبري، تاريخ: ٥٥٨/٣-٥٥٩. (٧) الدينوري، الأخبار الطوال: ص١٣٦.

(٨) الطبري، تاريخ: ١١٥/٤؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٥/٢-٤٦.

(٩) الطبري، تاريخ: ٣١١/٤-٣١٢. (١٠) ابن عبدالحكم، المصدر السابق: ص٨٠.

(١١) الشيال، المرجع السابق: ١٦/١.

حملة عبدا الله بن أبي سرح إلى أفريقية[1]، وفي إيصال أخبار التحشد البحري البيزنطي، في البحر المتوسط، قبل ذات الصواري[2]، وفي أثناء حملة معاوية على صقلية[3]، وفي كشف التجسس المضاد من عمل الجواسيس القبط مع البيزنطيين[4].

٥. عمليات العيون في الفتنة:

إن معطيات العيون في الفتنة، كانت متفاوتة بين طرفي الصراع، فقد قدمت عيون معاوية، إنجازات ناجحة، تمثلت في متابعة النشاط العسكري للإمام علي ﷺ، قبل صفين، وفي رفده أنصاره بالإمدادات في حالة تعرضهم للنكسات[5]. وفي مراقبة التحركات السياسية لقادة علي ﷺ، وقد ساعده ذلك في اتخاذ أحد أكثر قرارته في صفين، وهو رفع المصاحف[6]، أو في تنفيذ عمليات خاصة، كتلك التي نفذت بعد صفين، للتخلص من مالك بن الأشتر[7]، وفي شن حرب نفسية مضللة، للتخلص من قيس بن سعد والي مصر للإمام علي ﷺ[8]، كما كانت تصل معاوية، بانتظام آخر أخبار التطورات السياسية في العراق[9]. كما بلغته عيونه في اليمن، بضعف عمال علي ﷺ ووجود أنصار مستعدين لدعم أي قوات يرسلها[10].

أما على صعيد الخلافة الشرعية، فقد كانت إنجازاتها محدودة، تمثلت في رصد تحركات أهل الشام، بعد صفين في استهدافهم لهيت، والأنبار[11]، وفي إيصال أخبار حملة بسر بن أبي أرطأة، إلى الحجاز واليمن[12].

---

(١) المالكي، المصدر السابق: ص١١-١٢.

(٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٢٨/٢.

(٣) المصدر نفسه: ١٤٤/٢.

(٤) المالكي، المصدر السابق: ص١٧.

(٥) ابن مزاحم، المصدر السابق: ص١٢.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال: ص١٨٨-١٨٩؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢١٤/٢-٢١٥.

(٧) البلاذري، أنساب: ٣٩٩/٢؛ وينظر الدينوري، تاريخ: ١٩٤/٢؛ الطبري، تاريخ: ٩٥/٥-٩٦.

(٨) الصنعاني، المصدر السابق: ٤٥٩/٢؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٩٠/٢-٣٩١؛ الطبري، تاريخ: ٥٥٠/٥-٥٥٣.

(٩) البلاذري، أنساب: ٣٨٤/٢؛ وينظر ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ص٤٨٠-٤٨١.

(١٠) اليعقوبي، تاريخ: ١٩٧/٢.

(١١) ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٨٥/٢-٨٧.

(١٢) الطبري، تاريخ: ١٤٠/٥.

٦. عمليات مراقبة الجهاز الإداري:

عملت العيون والجواسيس، على إعطاء الخليفة المقيم في المدينة، وفي الكوفة فيما بعد صورة أقرب ما تكون إلى الواقع، عن تصرفات ولاة الأمصار. وفي الوقت الذي أشارت فيه المصادر، إلى أخطاء الجهاز الإداري فقط، فإنها لم تشر إلى الإنجازات التي حققها هؤلاء الولاة، وهي ليست قليلة، وكانت التقارير التي تصل الخليفة، عن عماله تتعلق بالسلوك الشخصي لهم[١]، وفي ممارساتهم المالية[٢]، وفي أساليبهم الإدارية[٣]. وقد أدت التقارير إلى تقويم الاعوجاج، وهكذا كانت العيون في هذا العصر عيون الأمة الساهرة على مصالحها العليا، ومن هنا قدمت العيون في هذا العصر، الإطار الشرعي الواضح المعالم للرقابة العامة.

ب. العمليات الفاشلة:

لم تشر المصادر بصورة مباشرة، إلى فشل عمليات بعينها، نفذتها العيون، في هذا العصر، وإنما يمكن الاستنتاج من وصف مبررات فشل بعض العمليات العسكرية، من دور للعيون في هذا الفشل، ففي عمليات الردة، فشلت العيون في كشف العملية التضليلية التي قام بها مجاعة بن مرارة الحنفي، في اليمامة، عندما دخل حصون قومه بحجة إقناعهم بالتسليم، بينما قام هو في الحقيقة بتسليح النساء، والأطفال، والشيوخ، ثم ادعائه أمام خالد بعد ذلك أن الحصون مملوءة بالرجال، مما ساعده في الحصول على شروط جيدة للاستسلام[٤]. وقد فوجئ المسلمون في معركة فحل بالأردن، بقيام العدو البيزنطي، بإغراق المنطقة بالمياه، لعرقلة تقدم المسلمين، مما آذى المسلمين كثيراً، ولولا صمود المسلمين وجلدهم لكانت نكسة كبيرة، وكان السبب في ذلك هو فشل العيون لا سيما من الأنباط، في نقل هذه الخطة[٥].

وفي الصراع ضد العدو الساساني، نجد أن عدم لجوء العلاء بن الحضرمي، أثناء عبوره إلى الساحل الشمالي للخليج العربي، إلى الاعتماد على تغطية العيون، سبباً في حصار

(١) ابن سعد، المصدر السابق: م٤، قسم١: ص١٠٣-١٠٤.

(٢) اليعقوبي، تاريخ: ١٥٧/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٥٧/٢؛ ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٣٤/١.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥٦/٤؛ وينظر ابن عبد ربه، المصدر السابق: ٣٤/١.

(٤) الطبري، تاريخ: ٥٣٦/٣؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٠/١.

(٥) الأزدي، تاريخ: ص١١٢.

القوات الساسانية، له على ساحل اصطخر[1]، وإغراق أسطوله، ولولا نجدة قوات من البصرة له بأمر من عمر ﷺ لكانت كارثة حقيقية[2].

وعلى صعيد جبهة هادئة في أقصى الجنوب هي الحبشة، نجد أن العيون فشلت في نقل أخبار حملتين بحريتين، قادها الأحباش ضد الساحل العربي، في الجزيرة العربية الأولى في عهد عمر ﷺ[3]، والثانية في عهد عثمان ﷺ[4]. وكانت حملة علقمة بن مجزز عام (٢٠هـ/٦٤٠م) في عهد عمر ﷺ فاشلة، لأن الأحباش لجأوا إلى تسميم الآبار، قبل وصول الحملة إلى مدينة ربعات العاصمة[5].

وعلى صعيد الفتنة، نجد أن أداء عيون الخلافة الشرعية في عهد خلافة علي ﷺ، لم يكن في المستوى المطلوب، يفسر ذلك النجاحات والاختراقات التي حققها معاوية، وعيونه على أكثر من صعيد. كما تكشف الأحداث عدم إيجاد نظام للحماية، يتعلق بشخص الخليفة في هذا العصر، كان يمكن أن يحول دون حدوث مآسي، تركت آثارها السلبية في تاريخ الأمة، تمثلت في استشهاد عمر ﷺ بخنجر فارسي مجرم، هو أبو لؤلؤة[6]. وكذلك في استشهاد عثمان ﷺ، في ظل تمرد من جماعات الفتنة والغوغاء[7]. وفي استشهاد علي ﷺ بأيدي عناصر أساءت إلى الإسلام، وأدخلت الأمة في صراعات دموية[8].

---

(١) إصطخر: إحدى أهم مدن إقليم فارس تبعد عن شيراز ٧٢ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٢١١/١.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤/٧٩-٨٢. (٣) المصدر نفسه: ٤/١١٤.

(٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢/١١٦.

(٥) البكري، المصدر السابق: ٢/٦٣٢-٦٣٣؛ وينظر الطبري الذي يشير إلى أن الفشل جاء عند غرق معظم سفن الحملة، تاريخ: ٤/١١٤؛ كوبيثانوف، المرجع السابق: ص٢٥٧-٢٥٨؛ سعاد ماهر، البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية (القاهرة، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، ١٩٦٧): ص٦٥.

(٦) الطبري، تاريخ: ٤/١٩٠-١٩١.

(٧) المصدر نفسه: ٤/٣٨٥-٣٩١.

(٨) المصدر نفسه: ٥/١٤٣-١٤٥.

الْفَصْلُ الرَّابِعُ

الْعُيُونُ وَالْجَوَاسِيسُ فِي الْعَصْرِ الأُمَوِيِّ

سيتم في هذا الفصل، كما جرى عليه العمل، في الفصلين السابقين، مع العيون والجواسيس، من خلال الجوانب التالية:

أولاً: مصادر المعلومات، التي كانت تحصل من خلالها، الدولة الإسلامية، على الأخبار.

ثانياً: مصادر المعلومات، التي كان الأعداء، يحصلون من خلالها على أخبار الدولة الإسلامية.

ثالثاً: صفات العيون، وأنواعها، وأساليب الأمن، والاستنطاق.

رابعاً: إدارة العيون.

خامساً: واجبات العيون:

أ. العمليات الخاصة:

١. خطف قائد بيزنطي، من القسطنطينية إلى دمشق.

٢. عملية خالد بن يزيد العبسي.

٣. عملية مروان بن محمد في قلعة خيزج.

٤. عملية سحيم بن المهاجر.

ب. إدارة التفاوض مع العدو.

ج. الحرب النفسية.

د. التضليل.

هـ. الاستطلاع العميق.

و. مراقبة الجهاز الإداري.

ز. مراقبة أداء القادة العسكريين في الجبهات.

ح. مراقبة الشخصيات المهمة.

ط. اختراق التنظيمات المعادية.

١. عملية معقل مولى عبيدالله بن زياد.

٢. عملية المملوك الخراساني ليوسف الثقفي.

٣. عملية أبو العوجاء عبدالكريم التميمي.

ي. ضبط توقيت نصب الكمائن.

سادساً: تقويم عمليات العيون.

أولاً: مصادر المعلومات، التي تحصل من خلالها الدولة الإسلامية على الأخبار:

إن أحد أهم العوامل، في أداء ممتاز للعيون، هو العمل على إيجاد، وتطوير قنوات متعددة للمعلومات، من أجل الوصول، إلى تقييم متوازن، للتحديات التي تواجهها، على المستويين الداخلي، والخارجي. لقد بقي كثير من القنوات، التي وردت في الفصلين السابقين، مصادر للمعلومات وأضيفت إليها مصادر جديدة، ولكن حدث بالتأكيد تطور نوعي، وكمي في الإدارة، وأساليب العمل يتناسب مع مقتضيات العصر، وإشكالاته، الذي شهد تحديات كبيرة، واستجابات مبدعة بصورة عامة، واتجاه نحو العمل المهني المنظم، ظهرت انعكاساته الإيجابية بصورة واضحة.

لقد كانت التحديات الداخلية، التي جابهتها العيون، والجواسيس، أكبر من التحديات الخارجية، بالرغم من أن الأخيرة، لم تكن هينة، نظراً لأن الأعداء، على حدود الدولة الإسلامية، ظلوا على نشاطهم العسكري العدواني، وكانوا يتنقلون من الدفاع،إلى الهجوم، حسب تطور الأوضاع الداخلية، فحالات وحدة الأمة، والجماعة، كانت تنعكس إيجابياً على الجبهات الخارجية. في حين كانت حالات التجزئة، والحروب الأهلية، تنعكس سلباً، حيث يتحول الأعداء من الدفاع إلى الهجوم، وينطبق هذا الأمر، على كل الجبهات، سواء مع الدولة البيزنطية، في ثغور الشام، والجزيرة، أو مع الخزر، والترك، في أرمينية، وأذربيجان، أو مع أتراك مع وراء النهر، وكذلك الحال مع الأسبان، والفرنجة في الأندلس.

إن خطورة التحديات الداخلية، تكمن في أن حركات المعارضة المسلحة، لجأت هي الأخرى إلى تكوين عيون خاصة بها، لرفد أعمالها، وتسديد خطاها، لمقاومة سياسات السلطة الأموية[1]. وكان على العيون، والجواسيس، أن تراقب حركات سياسية، لجأت للعمل سراً. فمنذ عام (٤٣هـ/٦٦٣م) كان للخوارج سراديب يجتمعون فيها، ويجعلون على بابها، رجلاً ينذرهم عند اللزوم[2]. وحسنت هذه الحركات، من وسائل حفظ خططها[3]، كما لجأت إلى وسائل ذكية، منها تغيير معالم الملاحقين من رجالها[4]، ووصل

---

(١) البلاذري، أنساب: ح٤، قسم٢: ص٩١؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦/١٢٠-١٢١، ١٢٧، ٢٣١، ٢٦١؛ ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٥/٨٧-٨٨.

(٢) المبرد، الكامل: ٣/٢٥٨؛ وينظر البلاذري، أنساب: ج ٤، قسم٢: ص٨٧-٨٨؛ الطبري، تاريخ: ٥/١٨٢-١٨٣؛ الأصبهاني، الأغاني: ٢٣/٢٢٤.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/٧.

(٤) مجهول، العيون، والحدائق في أخبار الحقائق(بغداد، مكتبة المثنى عن طبعة بريل، ١٨٦٩): ٣/١٥.

بها الأمر حيناً آخر، إلى خرق وحدات العيون، وزرع أنصارها فيه[1]. فضلاً عن التخفي عند الانتقال، من مكان إلى آخر، بصفة تجار[2]، في أو كونهم حجاجاً[3]، كما لجأ بعضهم إلى تغيير أسماء قياديها، زيادة في التمويه، وإعطائهم أسماء جديدة، غير معروفة[4]. ولا بد من الإشارة أخيراً، إلى أن زيادة عدد سكان المدن، وتنوع القبائل التي تسكنها وامتدادها العمراني[5]، قد ألقى أعباء، ليست بالهينة، على العيون، والجواسيس، في هذا العصر.

أ. عيون إسلامية:

ظلت العيون الإسلامية، تأتي في المقدمة، من حيث الأهمية، سواء كانت مصدراً من مصادر المعلومات، أو على صعيد الإدارة، وتنفيذ العمليات. ويقصد بالعيون الإسلامية، من كانوا من أصل عربي (صلباً)، أو ارتبطوا بقبائل عربية، وحملوا لقبها عن طريق رابطة الولاء[6]، ويلاحظ أن هذا العصر، بعكس ما هو معروف عنه خطأً، في مجالات كثيرة، عمل على استخدام الموالي، ومن جنسيات شتى، في أكثر مفاصل الدولة حساسية، ومنها الجانب الأمني.

ب. العرفاء:

يقصد بالعريف لغة، سيد القوم، ويلي رئيسهم من حيث المنزلة. واصطلاحاً هو ذلك

---

(١) مجهول، أخبار العباس: ص٢٣٣.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١٢٨/٤-١٣١؛ وينظر النويري، نهاية الأرب: ١٨٥/٦-١٨٧.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦١٦/٦-٦١٧؛ مجهول، نبذة من كتاب التاريخ، بعناية بطرس عزيار بنوييج (موسكو، أكاديمية العلوم السوفيتية، معهد الدراسات الشرقية، ١٩٦٠): الورقة ١٥٩.

(٤) الطبري، تاريخ: ١٠٩/٧؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ٢٩١/٣.

(٥) مثال ذلك أن مدينة البصرة، بلغ عدد سكانها، من المقاتلين، وعوائلهم، وعبيدهم، وجواريهم، ومواليهم في عهد عبيدالله بن زياد، حوالي نصف مليون. أبو عبيدة، نقائض جرير والفرزدق: ٧٢٢/٢؛ وينظر الجاحظ، البيان والتبين: ١٣٠/٢؛ البلاذري، فتوح: ص٤٢٩؛ الطبري، تاريخ: ٥٠٤/٥؛ العلي، تنظيمات البصرة: ص٤٥.

(٦) المولى في اللغة له معاني كثيرة، مولى الوالاة، وهو ذلك الشخص الغير عربي، والذي يسلم على يدي عربي، فيتولاه، مولى النعمة، هو المعتق الذي أنعم على عبده، فأعتقه. ابن منظور، المصدر السابق: ٤٠٨/١٥؛ وينظر عبدالعزيز الدوري، مقدمة في تأريخ صدر الإسلام (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٤٩): ص٤٣، ٧٧، ٨٢.

الشخص، الذي تتعرف عن طريقه السلطات، على أحوال القبيلة[1]، وكان منصب العرافة في عهد الرسول ﷺ، وسيلة من وسائل الضبط الاجتماعي، والاقتصادي، فقد كان المهاجرون الجدد، ينزلون على عريف قبيلتهم، وإن لم يكن لهم عريف، نزلوا على أهل الصفة[2].

وفي العصر الراشدي، كان دورهم الإشراف على جمع الصدقات، وفي قضايا التجنيد الإجباري[3]. وكذلك في توزيع العطاء[4]. ويبدو أن إضافة مسؤولية أمنية للعرفاء، في هذا العصر هي التي جعلت البعض يندد بهذا المنصب، فقد روى الصنعاني[5]، أن أبا هريرة رضي الله عنه قال لرجل: ((لا تكن شرطياً، ولا عريفاً)). وحاول ابن حجر[6] أن يشرح الأمر بقوله، إن الذم ليس عاماً، وذلك لأن أكثر العرفاء، عرف عنهم الاستطالة، وتجاوز الحدود والشدة. ونظراً لأهمية منصب العرافة، فقد أشير إلى وجود عريف العرفاء[7]، وعرفاء للحاضرة، وعرفاء للبادية، وأحياناً تجتمع لشخص واحد[8]. وكان الخلفاء الأمويون يعينون بأنفسهم أحياناً عرفاء القبائل[9]، بينما كان الولاة يعينون في مناطقهم العرفاء[10]، وتنحصر المسؤولية الأمنية، للعريف بأنها تتعلق بمعرفة الاتجاهات السياسية، لأفراد قبيلته، ومسألة كفالتهم أمام السلطات، وإذا ما هرب أحدهم قبل الإخبار عليه، يعاقب العريف بالحبس[11]. ويمكن اعتبار خطاب عبيدا لله بن زياد، عامل المصرين الكوفة، والبصرة عام (٦٠هـ/٦٧٩م) إلى عرفاء الكوفة، نموذجاً للمسؤولية الأمنية للعرفاء، في هذا العصر، لا سيما في أوقات اشتداد التوترات الداخلية، حيث جاء فيه ((اكتبوا إلى الغرباء، ومن فيكم من طلبة أمير المؤمنين ومن فيكم من الحرورية، وأهل الريب الذين رأيهم الخلاف، والشقاق، فمن كتب لنا فبريء، ومن لم يكتب لنا أحد، فيضمن لنا ما في عرافته، إلا يخالفنا منهم مخالف، ولا يبغي علينا منهم باغ، فمن لم يفعل برئت منه الذمة...))[12].

وهنا يظهر لنا العريف، وهو مسؤول عن أفراد عرافته، وعليه التحري عن اتجاهاتهم،

---

(١) ابن منظور، المصدر السابق: ٢٣٨/٩.
(٢) ابن الأثير، أسد الغابة: ٥٢٩/٣.
(٣) المصدر نفسه: ٣٨١/٢-٣٨٢.
(٤) الزبيري، نسب قريش: ص١٥٤.
(٥) المصنف: ٣٢٦/١١.
(٦) فتح الباري: ٢٩٢/١٦.
(٧) ابن حجر، تهذيب التهذيب: ٦٢/٥.
(٨) الأصبهاني، الأغاني: ٦٢/٣.
(٩) ابن حجر، الإصابة: ٣٥٨/٢.
(١٠) ابن سعد، المصدر السابق: ٢٩٣/٥.
(١١) البلاذري، أنساب: ٧/٤-٨؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٠٥/٦.
(١٢) الطبري، تايخ: ٣٥٩/٥؛ وينظر العلي، التنظيمات: ص١١٦.

وخططهم، وتبليغ الجهات المسؤولة، عن أي خطر، يظهر من أفراد عرافته، وذلك لأن منزلته الاجتماعية، والاقتصادية، ستتأثر بصورة مباشرة، سلباً وإيجاباً، بطبيعة تصرفات أفراد عرافته. ولعل من طريف الإشارة، إلى أن العريف، كان عليه أن يقدم أحياناً للقائد العسكري، تقريراً عن الشجعان، والجبناء في قبيلته[1]، وعلى الرغم من المسؤوليات الأمنية، التي وقعت على عاتق العرفاء، فقد ظلت تقع على عاتقهم، مهمة تقسيم العطاء، على أفراد قبائلهم[2].

جـ. التجار:

يعد التجار في هذا العصر، من القنوات التي ازدادت أهميتها، بفضل ازدياد مساحة الدولة، ومجاورتها لكثير من الشعوب، والدول، وبالتالي سيطرتها، على أهم الطرق التجارية، البرية، والبحرية في العالم، ما بين أراضي القلب، التي تمثلها الدولة الإسلامية، وما بين الجنوب، وجنوب شرق آسيا وأراضي الدولة البيزنطية، والمناطق الأوربية، فضلاً عن حرية العمل التي سمح بها النظام الدولي القائم آنذاك، للتجار، التي ظلت بموجبها الاتصالات التجارية قائمة بالرغم من العلاقات العدائية، التي كانت سائدة في معظم الأحيان.

ومن هذا المنطلق، نجد أن مسالح المسلمين التي كانت تقام على منافذ الحدود المشتركة، مع دار الحرب كانت تحاول أن تتأكد من أن التجار، الذين يمرون بها، لا يحملون معهم مواد تجارية، تضر دار الإسلام. أو أنهم يحملون رسائل سرية، فيها معلومات، تضر بأمن دار الإسلام، وسلامته[3]، ويلاحظ في الوقت نفسه، أن الدولة الإسلامية، كانت تعمل على حماية حقوق التجار، ودعمهم بصورة مستمرة، ليس من أجل المصالح التجارية فحسب، بل والمصالح السياسية، والعسكرية، والأمنية أيضاً[4].

إن مما ساعد التجار على العمل، عيوناً، وجواسيساً، في الدول، والمناطق التي يتاجرون فيها، هو صعوبة الفصل، أو التمييز بين من يمارس المهنة بشفافية، وبين أولئك الذين يعملون في التجسس، متخفين بثياب التجار، بل وأن بعض العمليات الخاصة، التي نفذت ضد العدو البيزنطي، في هذا العصر، نفذت من خلال عيون، تخفوا بثياب التجار[5]، كما

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤٧٤/٦.
(٢) المصدر نفسه: ٣٧٤/٦.
(٣) أبو يوسف، الخراج: ص٣٧٤-٣٧٥.
(٤) البلاذري، فتوح: ص٥٣٤.
(٥) النويري، المصدر السابق: ١٨٥/٦-١٨٧.

أن مما أوجب على الدولة أن تعتمد على هذه القناة، هو لجوء كثير من التنظيمات السياسية المعارضة، إلى العمل من خلال مهنة التجارة، فضلاً عن أهميتها، لأغراض التمويل الضرورية جداً[1]، وكان لا بد لجهاز العيون، والجواسيس، من متابعة هؤلاء، من خلال الأسلوب نفسه[2].

د. الرسل:

إن طبيعة مهمة الرسل، التي تسمح لهم، بالاتصال بقيادات الدولة المرسل إليها، وبحاشيتها المقربين، وما يرونه بأعينهم، خلال رحلة الذهاب والإياب من مشاهد، ومدن، ومنشآت كل ذلك، قد جعل منهم، قناة مهمة من قنوات الحصول على المعلومات، على صعيد التجسس الخارجي، لا سيما وأن طبيعة ذلك العصر، الذي كانت فيه العلاقات العدائية بين دول الجوار، هي القاعدة السائدة، والاستثناء هي العلاقات السلمية، وذلك بسبب اعتناقهم لعقائد دينية مختلفة، فضلاً عن المصالح السياسية، والاقتصادية المتباينة.

وإذا كانت الدولة البيزنطية، تمتلك خبرة تاريخية طويلة، في مجال استخدام الرسل لأغراض التجسس، فإن الدولة الإسلامية، عملت على تطوير إمكانياتها، في هذا المجال، من خلال تجربتها الخاصة، والتي بلغت أوجها فيما بعد، في العصر العباسي.

ولقد كانت الأهداف المعلنة للرسل في الغالب، هي لافتداء الأسرى[3]. أو لأغراض إدارة مفاوضات للوصول إلى هدنة[4]. أو لأغراض نشر الإسلام[5]، وقد شهد هذا العصر،

---

(١) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٥٨.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/٢٦٠-، ٤٠٦.

(٣) عبدالله بن عبدالرحمن بن الحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، تحقيق أحمد عبيد (القاهرة، مكتبة وهبة، ١٣٧٣): ص١٤٠؛ وينظر المبرد، المصدر السابق: ٢/١١٢؛ القالي، ذيل الأمالي: ص١٩؛ الأصبهاني، الأغاني: ٦/١١٧-١١٨، ٩/٢٦٥-٢٦٦؛ ولا بد من الإشارة إلى أن ابن سعد أشار إلى أنه تمت مفاداة كل أسير مسلم في عهد عمر بن عبدالعزيز بعشرة من البيزنطيين. المصدر السابق: ٥/٢٦٠-٢٦١؛ في حين يشير المقريزي، أنه لم يقع فداء بالمعنى المعروف في العصر الأموي وإنما كان يفادي للنفر بعد النفر في سواحل الشام، ومصر، والاسكندرية، وملطية، وبقية الثغور، الجزرية. المواعظ والاعتبار: ٢/١٩١.

(٤) اليعقوبي، البلدان: ص٢٨٣؛ وينظر ابن طباطبا، الفخري: ص٦٨-٦٩.

(٥) قدامة، الخراج: ص٤٢١.

إرسال سفارات كثيرة إلى القسطنطينية(١)، وإلى الصين(٢)، وإلى سجستان(٣).

ونظراً لخطورة منصب الرسل. فقد كانت الدولة الإسلامية، تختار رسلها بعناية شديدة، كما يفعل الآن عند اختيار السفراء، في السلك الدبلوماسي الخارجي، حيث يختار، ممن يتمكن من تمثيل بلاده، وحماية مصالحها بكفاءة، فالمقدرة الفكرية، والحكمة السياسية، والكياسة، واللباقة، وقوة الشخصية، وجمال الهيئة(٤)، فضلاً عن إجادته لغة الدول المرسل إليها، في معظم الأحيان(٥)، كما كان الرسول يزود بمعلومات، عن أوضاع الدولة المرسل إليها تساعده أثناء التفاوض(٦).

وعلى الرغم من أنه لم يصل إلينا مع الأسف، تقرير كامل، لأحد هؤلاء الرسل، عن طبيعة رحلته، إلا أن ما أورده المقدسي(٧)، عن سفارة تمت في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك عام (١٠٢هـ/٧٢٠م) مكونة من رجلين هما مجاهد بن يزيد، وخالد البريدي، يشير إلى أنهما وصفا طريقة حماية السكان المدنيين، من قبل البيزنطيين، أثناء دخول القوات الإسلامية، إلى داخل الأراضي البيزنطية، من خلال ملاجئ تقام تحت الأرض، تسمى المطامير. ويشير إلى التقاء إحدى السفارات، ربما بطريقة متعمدة من قبل السلطات البيزنطية، بأحد الأسرى العرب المرتدين عن الإسلام(٨).

ونظراً لإحساس البيزنطيين بالمهام التجسسية للرسل، التي تصل بلادهم، فقد كانوا لا يسمحون لهم بالإقامة الطويلة(٩)، والسبب كما هو واضح للحيلولة، دون اطلاعهم على أسرار بلادهم، على كافة الأصعدة السياسية، والعسكرية، والاقتصادية، ولم يكن الرسل بمستوى واحد من الكفاءة دائماً فقد أشير إلى فشل إحدى السفارات، في عهد الخليفة

---

(١) ابن عبدالحكم، سيرة عمر: ص١٤٠؛ وينظر المبرد، المصدر السابق: ١١٢/٢؛ المسعودي، مروج الذهب: ١١٧/٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥٠١/٦-٥٠٢؛ وينظر شعبان، المصدر السابق: ص١٦٩؛ السامر، المرجع السابق: ص٣٤٧-٣٤٩.

(٣) اليعقوبي، البلدان: ص٢٨٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣٨٩/٧-٣٩٠.

(٤) الطبري، تاريخ: ٥٠١/٦.

(٥) المبرد، المصدر السابق: ١١٢/٢؛ وينظر المسعودي، مروج الذهب: ٣٦٣/١.

(٦) ابن الأثير، الكامل: ١٧٨/٥. (٧) أحسن التقاسيم: ص١٥٣.

(٨) الأصبهاني، الأغاني: ١١٧/٦-١١٨.

(٩) المسعودي، مروج الذهب: ١١٧/٣؛ وينظر ابن خلكان، المصدر السابق: ١٣/٣.

معاوية، نظراً لتعرض الرسول لعملية رشوة، من قبل الجانب البيزنطي[1]، ولهذا السبب وغيره كان يطلب أحياناً، من أحد مرافقيه، مراقبته أثناء المفاوضات، كما حدث عندما أرسل الخليفة عمر بن عبدالعزيز، عبدا لله بن عبدالأعلى، بصحبة رجل من عنس، إلى القسطنطينية، حيث كلف العنسي، والذي كان يجيد اللغة اليونانية، بمراقبة أداء عبدا لله[2].

هـ. مصادر قوقازية:

إن هذه الجبهة، التي عرفت في تاريخنا بثغور أرمينية، وأذربيجان، تشمل المنطقة الجبلية الواقعة، ما بين بحر قزوين، والبحر الأسود، وطأتها أقدام المجاهدين العرب، بصورة مبكرة، منذ عهد الخليفة عمر بن الخطاب ﷺ، وقد شهدت في العصر الأموي، اندفاعاً باسلاً، حيث وصلت جحافل الفتح، إلى وادي الفوغا الأسفل، وإلى السواحل الشرقية للبحر الأسود، بقيادة مروان بن محمد الأموي، في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك[3]. وكانت المعاملة الحسنة التي تنسجم مع تعاليم الإسلام، والتي عومل بها، سكان هذه المنطقة، وقادتها، أحد أهم الأسباب، في تعاونهم، مع الدولة الإسلامية[4]، حيث لم يكن من الممكن، تحقيق ما أنجز، من غير تعاون عيون، وجواسيس من أهل المنطقة، مع السلطات الإسلامية، وكان هذا التعاون، يأتي أحياناً، في أعقاب معاملة كريمة، للقيادات التي كانت تقع في الأسر، وإعطائها فرصة للعمل، بصورة مشرفة وبكرامة، كما حدث مع ملك بلنجر، في عهد القائد الجراح الحكمي[5]. والذي عين عيوناً، وجواسيس من منطقته، للعمل في خدمة القوات الإسلامية[6]، وأشير في عهد الجراح أيضاً، إلى عيون محلية، تعاونت معه، أثناء التصدي لملك الكر[7]، المتحالف مع ملك الخرز[8]، وسجلت ولاية سعيد بن

---

(١) ابن طباطبا، المصدر السابق: ص٦٨-٦٩. (٢) المبرد، المصدر السابق: ٢/١١٢.

(٣) ينظر عن إنجازات مروان في هذه الجبهة. رعد محمود البرهاوي، أجناد الشام دورهم السياسي والعسكري في العصر الأموي، رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب، جامعة الموصل، ١٩٩٢): ص١٩٠-١٩٣. (٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ٣٤/٨.

(٥) الجراح الحكمي: من القادة الأكفاء، الذين برزوا في العصر الأموي، استشهد أثناء تصديه لأحد أكبر الهجمات الخزرية، والتي وصلوا فيها إلى نواحي الموصل عام ١١٢هـ/٧٣٠م. ابن الأثير، الكامل: ١٥٩/٥.

(٦) ابن أعثم، المصدر السابق: ٣٤/٨؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ١١٢/٥-١١٣.

(٧) الكر: مملكة تقع على نهر يحمل الاسم نفسه، ينبع من جبال القوقاز يجري بين أرمينية وأران، تقع

عمرو الحرشي[1] لثغور أرمينية، وأذربيجان، تعاوناً مع عيون من البيلقان[2] في العمليات التي شنها لدحر الخزر، بعد استشهاد الجراح عام (١١٢هـ/٧٣٠م)[3]، وكذلك الحال في عهد مسلمة بن عبدالملك[4]، وبلغ التعاون أوجه في ولاية مروان بن محمد[5].

وعلى الرغم من أنه لم ترد إلينا، في معظم الأحيان، سوى التزامات مادية (غذائية)، بالدرجة الأولى[6]، عن معاهدات الصلح التي عقدها مروان، مع ملوك القوقاز، إلا أنه أشير إلى التزامات أمنية، وعسكرية أيضاً، كما هو الحال مع ملك فيلانشاه[7]، والذي لم تفرض عليه التزامات مالية ((وذلك لحسن غنائه، وجميل بلائه، وإحماد أمره))[8]، ولا نجد تفسيراً لهذه الجملة، سوى الخدمات الأمنية، أكثر مما يتعلق الأمر، بتقديمه قطعات عسكرية لمروان. علماً بأن سكان هذه الوحدات السياسية الصغيرة، كما يظهر من سير الأحداث كانوا قليلين بصورة عامة، ولذلك أشير إلى معظم هؤلاء الملوك، من خلال قلاعهم الحصينة، ذات المواقع السوقية، كما أشير إلى ملك شروان[9]، والذي اشترط عليه، أن يتواجد في مقدمة قوات مروان، في أي عملية تشن ضد الخزر، وفي الساقة في حال العودة، كما كان على صاحب طبر سرانشاه[10]، أن يكون في الساقة، إذا بدأوا في أية حملة، وفي المقدمة في حال

عليه مدينة تفليس، يبعد عن برذعة نحو ١٢ كم، ويصب في نهر الرس، والذي بدوره يمر في بحر قزوين. ياقوت، معجم البلدان: ٤/٤٥١.

(٨) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٢٩-٣٠.

(١) سعيد الحرشي: أحد القادة العسكريين الأفذاذ، الذين ظهروا في العصر الأموي، اشترك في قمع تمرد ابن الأشعث، وقضى على حركة شوذب الخارجي، وتولى خراسان، ثم أرمينية وأذربيجان، وأبلى بلاء حسناً في التصدي للخزر والترك. الطبري، تاريخ: ٦/٣٦١-٣٦٢، ٥٧٧، ٦١٩، ٧/٧-٩، ١٢، ٧٠، ٧١.

(٢) البيلقان: من المدن المهمة الواقعة بين نهري الرس- والكر. ابن رسته، الأعلاق النفسية: ص٨٩.

(٣) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٤٧-٤٨.

(٤) المصدر نفسه: ٨/٦١-٦٢.　　(٥) خليفة، تاريخ: ص٣٤٨.

(٦) البلاذري، فتوح: ص٢٤٥-٢٤٦؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ٥/١٧٨-١٧٩، ٢٤٠.

(٧) فيلانشاه: مدينة تقع قرب الباب (دربند) وهي قريبة من شروان. ياقوت، معجم البلدان: ١/٥٣٣.　　(٨) البلاذري، فتوح: ص٢٤٦.

(٩) شروان: مدينة في القوقاز، تبعد عن الباب ٦٠٠ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٧/٣٩٩.

(١٠) طبر سرانشاه: وصفها ياقوت، بأنها تقع في نواحي أرمينية، وافتتحت لأول مرة على سلمان الباهلي. معجم البلدان: ٤/١٦.

العودة[1]، وكما هو معروف، فإن المقدمة والساقة، عند دخول القوات، في عمق أراضي العدو لا تختلفان كثيراً، في حاجتهما الملحة إلى العيون، والجواسيس التي تراقب تحركات العدو، خوفاً من التطويق، أو الوقوع في الكمائن.

و. مصادر تركية:

إن تجاوز الأراضي الفارسية، والوصول إلى مواطن الأتراك، في وسط آسيا، عبر جبهة واسعة، امتدت من شمال القوقاز، وإلى إقليم ما وراء النهر، قد حتم على القيادات الإسلامية، في هذه المناطق، إيجاد عيون محلية، تعمل بالتعاون مع العيون العربية، على رفد القوات الإسلامية، والجهاز الإداري، بما يحتاج إليه من معلومات، على الصعيدين العسكري، والأمني، سواء في الداخل أو الخارج[2]، وبما أن العمل مع العيون الأتراك، لم يكن مضموناً دائماً، حالهم حال أي جاسوس، قد لا تكون القواسم المشتركة كثيرة، مع من يعمل لمصلحتهم، فقد عرفت القيادة الإسلامية، كيف تكتشف الخلل، وتعالج أي مشكلة، في هذا الاتجاه[3].

والواقع أن معاهدات الصلح[4]، وربط القيادات المحلية، من ملوك، وقادة، ودهاقين، مصلحياً بالإدارة الإسلامية، من خلال الممثلين الشخصيين، لعامل خراسان، والذين كانوا يقيمون في مدن الصلح[5]، قد ساعد على توسيع آفاق التعاون الأمني، وإن شهدت هذه الجبهة تغيرات في الولاء، بين فترة وأخرى[6]، وعرف عن قتيبة بن مسلم الباهلي، نجاحه في إيجاد عيون له، داخل القيادات التركية[7].

ز. مصادر فارسية:

عند الحديث عن مدى المساهمة الفارسية، على صعيد الأمن، في هذا العصر، لا بد من الإشارة إلى أن هذه المساهمة، كانت تختلف بين منطقة وأخرى. ففي العراق ظهرت هذه

---

(١) البلاذري، فتوح: ص٢٤٥.

(٢) الطبري، تاريخ: ٣٨٦/٦، ٥٠٣، ٤٥٥، ٧/٧، ٦٠-٦١، ١٢٣؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٢١٨/٧.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٨/٧-٢١٩.

(٤) ابن أعثم، فتوح: ١٩١/٤.

(٥) الطبري، تاريخ: ٤٤٦/٦-٤٥٩.

(٦) المصدر نفسه: ٤٣٠/٦، ٤٤٥-٤٤٧.

(٧) المصدر نفسه: ٤٧٣/٦-٤٧٤.

المساهمة، أثناء التصدي لحركات الخوارج، من خلال الدهاقين في منطقة السواد، والذين كانت مصلحتهم، تقتضي التعاون مع السلطات القائمة(1)، وعلى سبيل المثال فهذه صورة من تقرير أرسله دهقان بابل مهروذ، ماذرواسب، إلى الحجاج بن يوسف الثقفي ((أما بعد فإني أخبر الأمير أجله الله، أن شبيباً قد أقبل حتى نزل قناطر حذيفة، ولا أدري أين يريد))(2). كما ظهر هذا التعاون، مع المهلب بن أبي صفرة، في بلاد فارس، أثناء مطاردته للخوارج، وهو ما دفع قطري بن الفجاءة، إلى معاقبة سكان مدينة أصطخر بعنف، لتعاونهم مع المهلب، على مستوى المعلومات، وحاول معاقبة سكان مدينة فسا(3) لنفس السبب، لولا قيام أحد الزعماء الفرس، وهو آزاد مرد بن الهربذ، بدفع فدية كبيرة له(4). كما ظهر أثر هذا التعاون، في طبرستان، من خلال التعاون الأمني، الذي قام به الأصبهذ مع القائد الأموي سفيان بن الأبرد الكلبي، الذي أرسله الحجاج بن يوسف، للقضاء النهائي على قطري(5).

ح. مصادر القبائل المغربية (البربر):

إن متابعة عمليات التحرير، في المغرب العربي، تشير بما لا يدع مجالاً للشك، إلى وجود عيون محلية، أخذت القوات الإسلامية، تعتمد على معلوماتها، في توجيه حركاتها العسكرية، لا سيما إذا عرفنا أن المنطقة معقدة تضاريسياً، ما بين جبال، وهضاب، وصحاري، ووديان، علماً بأنه لم تكن للعرب معرفة سابقة بهذه المنطقة، بأي شكل من الأشكال، فقد اعتمد عقبة بن نافع، أثناء حملاته، على الأدلاء، لا سيما من هذه القبائل(6). فضلاً عن المعلومات التي حصل عليها من يليان حاكم طنجة، عن أوضاع أفريقية، والأندلس(7). كما دعمت بعض هذه القبائل أبا المهاجر دينار، مولى مسلمة بن خالد، أثناء توليه قيادة الجبهة، بعد تنحية عقبة عام (٥٥هـ/٦٧٤م). وهو ما يفسر النجاحات التي

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢٤٠/٦. (٢) المصدر نفسه: ٢٥٨/٦.

(٣) فسا: إحدى مدن إقليم فارس، تبعد عن كازرون نحو ٤٨ كم. ياقوت، معجم البلدان: ٢٦١/٤.

(٤) المبرد، المصدر السابق: ٣٩٠/٣. (٥) اليعقوبي، تاريخ: ٢٧٦/٢.

(٦) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص١٩٥.

(٧) ابن عذاري، المصدر السابق: ٢٦/١؛ وينظر لقبال موسى، المغرب العربي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج (قسنطينة، مطبعة البعث، ١٩٦٩): ص٥٢.

حققها في المغرب الأوسط[1]. كما تلقى زهير البلوي، دعماً أمنياً من بعض القبائل بعد استشهاد عقبة[2].

ويلاحظ أن حسان بن النعمان الغساني، عمل بعد توليه أفريقية سنة (٧٤هـ/٦٩٤م) إلى تكوين عيون، وجواسيس محليين، لمراقبة تحركات البربر، الذين ظلوا على عدائهم، وتحالفوا مع العدو البيزنطي، الذي كان لا يزال موجوداً، في بعض المراكز الساحلية، ويلاحظ أن هذه العيون، هي التي نقلت إليه مدى العلاقة بين الكاهنة، وبين البيزنطيين، قبل الاصطدام الأول في وادي العذاري[3].

وكانت سياسة موسى بن نصير، الذي تولى أفريقية، بعد حسان الغساني، تسير على نفس الاتجاه، من اعتماده على عيون محلية، ترفده بالمعلومات، في محاولة إكمال تحرير المغرب، ونشر الإسلام بين سكانه، فقد نقلت إليه عيونه، أن الأوضاع الاقتصادية، لقبيلة صنهاجة، تسمح له بالقيام ضدها بعملية ناجحة، فيشن عليها حملة ناجحة[4].

ط. مصادر إسبانية وإفرنجية:

ولم تكن العيون بعيدة، عن عملية فتح الأندلس، التي خطط لها بعناية، ونفذت في وقتها المناسب، بعد أن أعد لكل شيء عدته، فقد كان طارق بن زياد، أمير الفتح حاكماً على طنجة، قبل قيادة الحملة[5]. وكان المسلمون يحصلون على معلومات، بصورة مستمرة عن أوضاع الأندلس، من خلال علاقتهم الجيدة، مع حاكم سبتة يليان[6]. وعندما دقت ساعة الصفر، وجه يليان مع طارق مجموعة من العيون، والأدلاء، الذين سهلوا عملياته،

---

(١) المالكي، رياض النفوس: ١/٢٠-٢١. (٢) الدباغ، معالم الإيمان: ١/٥٦.

(٣) المالكي، رياض النفوس: ص٣٢-٣٣؛ وادي العذاري: كان يسمى قبل المعركة وادي مسكيانه، فلما نكب فيه المسلمون، سمي وادي العذاري، ويقع على نهر نيني، بالقرب من مدينة باغاية، في الوقت الحاضر. ابن عذاري، المصدر السابق: ١/٣٦؛ وينظر طه، الفتح والاستقرار: ص١٣٤-١٣٥.

(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٢/٥٤.

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٥؛ وينظر أحمد بن يحيى الضبي، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس (مجريط، مطبعة روخس، ١٨٨٤): ص١٠-١٥.

(٦) إبراهيم بن القاسم القرواني (الرقيق)، تاريخ أفريقية والمغرب، تحقيق المنجي الكعبي (تونس، مطبعة الوسط، ١٩٦٧): ص٧٣-٧٤.

وكانت تصله عن طريقهم، أخبار تحركات القوط العسكرية، وأوضاعهم[1] كما لا ينسى دور أولاد غيطشة، والذين ينتمون إلى العائلة المالكة، التي سبقت مجيء لذريق، والذين دفعتهم كراهيتهم للذريق، إلى العمل عيوناً، في خدمة الجهد العسكري الإسلامي[2]، بل وساهموا في القيام بعمليات خاصة[3].

ويلاحظ أن معاهدات الصلح حوت أحياناً بنوداً، تنص على دور السكان المحليين، في القيام بأعمال تجسس، سواء في خدمة الجهد العسكري، أو في مقاومة التجسس المضاد، فقد جاء في صلح عبدالعزيز بن موسى، مع تدمير، الحاكم القوطي لمنطقة شرق الأندلس ((وأنه لا يدع حفظ العهد، ولا يكتمنا خبراً علمه...))[4]. وفي الساحة الافرنجية (الفرنسية)، نجد أن العمليات، التي استمرت أكثر من قرن ونصف، في جنوب فرنسا، وشمال إيطاليا، وسويسرا[5]، لم يكتب لها النجاح، لولا وجود دعم محلي، وكان أحد أسباب كارثة بلاط الشهداء عام (١١٤هـ/٧٣٢م). هو فقدان القوات الإسلامية، لحليف قوي، هو دوق أودو، والذي اشتهر بتعاونه مع عنبسة بن سحيم الكلبي[6].

ك. مصادر بيزنطية:

شكلت المراكز الحدودية التي تسمى الثغور، مثل أنطرسوس، وملطية، وشمشاط، والتي كانت تنطلق منها السرايا الصائفة والشاتية، قواعد للعيون، والجواسيس، العاملة سواء في مناطق الثغور، أو في عمق أراضي العدو البيزنطي، فجمع المعلومات عن المنطقة وأوضاعها،

---

(١) مجهول، أخبار مجموعة في فتح الأندلس، وذكر أمراءها رحمهم الله، والحروب الواقعة فيما بينهم (مجريط، مطبعة ربندنير، ١٨٦٧): ص٧، ١١؛ وينظر ابن عذاري، المصدر السابق: ٩/٢، ١٣؛ أحمد بن محمد المقري، فنح الطيب من عصن الأندلس الرطيب، تحقيق إحسان عباس (بيروت، دار صادر، ١٣٨٨/١٩٦٨): ٢٣٢/١-٢٣٣، ٢٦١.

(٢) المقري، المصدر السابق: ٢٥٨/١. (٣) ابن عذاري، المصدر السابق: ١٤/٢.

(٤) العذري، نصوص: ص٥؛ وينظر محمد عبدالله عنان، دولة الإسلام في الأندلس من الفتح إلى بداية عهد الناصر، العصر الأول، القسم الأول (القاهرة، مؤسسة الخانجي، ١٩٦٠): ص٥٥.

(٥) ينظر في هذا الصدد شكيب أرسلان، تاريخ غزوات العرب في فرنسا وإيطاليا وجزائر البحر المتوسط (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٦): ص٨٥-١٤٤.

(٦) عنبسة بن سحيم: تولى الأندلس بعد استشهاد السمح بن مالك الخولاني، حكم الأندلس أكثر أربع سنوات، توفي في أثناء إحدى حلاته على فرنسا عام ١٠٧هـ/٧٢٥م. ابن عذاري، المصدر السابق: ٢٧/٢.

والسكان وميولهم، وطبيعة الجهد العسكري البيزنطي، والأوضاع الاقتصادية، والمناخية، كل ذلك من صميم عمل العيون والجواسيس، التي كانت تنتمي إلى أجناس شتى، ما بين بيزنطيين، وأرمن، وجراجمة، فضلاً عن العيون الإسلامية. ونظراً لأهمية هذه الثغور، التي تشكل سداً أمام أي قوة عسكرية بيزنطية، باتجاه الشام، والجزيرة، فقد كانت مرتبطة بمحطات للبريد، تعمل على نقل أخبار أية حركة معادية، إلى مقر الخليفة[١]، واستخدم العيون من البيزنطيين، في تسهيل أداء عمليات خاصة أحياناً[٢]. ولم يقتصر نشاطات المتعاونين البيزنطيين، على ثغور الشام والجزيرة فقط، بل امتد إلى المغرب العربي، حيث كان للبيزنطيين، تواجد في المنطقة، فقد استغل المسلمون، الانشقاقات الداخلية، من أجل كسب أحد الأطراف، ودفعه للعمل لمصلحتهم، ومصالحه الشخصية في آن واحد، كما حدث مع حباحبة[٣] في عهد الخليفة معاوية والذي زار دمشق، من أجل طلب العون للعودة إلى الحكم، بعد أن أطيح به، من قبل أحد منافسيه[٤].

ولا بد من الإشارة أخيراً، إلى أن مغيثا الرومي، مولى الخليفة عبدالملك بن مروان، الذي عرف عنه دوره الكبير في فتح الأندلس[٥]، وفي محاولة قمع تمردات الخوارج الصفرية، في عهد كلثوم بن عياض القشيري[٦]، يعود إلى أصول بيزنطية من شمال أفريقية، ويؤيد هذا الرأي، اطلاعه الكبير على أوضاع المغرب العربي، والأندلس[٧]. وقد يثار تساؤل هنا. بأن مغيثاً كان قائداً عسكرياً وليس عيناً أو جاسوساً. والجواب على هذا التساؤل، يكمن في أن مغيثاً مارس أيضاً دوراً أمنياً لصالح الخلافة في دمشق، عبر قيامه بمراقبة أداء القادة، والولاة.

ل. مصادر سندية:

لعبت العيون المحلية، دوراً فاعلاً في هذه الجبهة البعيدة، والمعقدة تضاريسياً، وحضارياً، فقد أشار البلاذري[٨] إلى أن السمنية[٩] في السند لعبوا دوراً مهماً من خلال تقديمهم

---

(١) البلاذري، فتوح: ص٢٢٢. (٢) المبرد، المصدر السابق: ٢/١١٣-١١٤.

(٣) حباحبة: هو أجناديوس الحاكم البيزنطي في أفريقية. لقبال، المرجع السابق: ص٢٨.

(٤) ابن عذاري، المصدر السابق: ١/١٧.

(٥) مجهول، أخبار مجموعة: ص١٠-١٢؛ وينظر الضبي، بغية الملتمس: ص٤٦١.

(٦) مجهول، أخبار مجموعة: ص٣١. (٧) طه، الفتح والاستقرار: ص١٧١. (٨) فتوح: ص٥٣٦.

(٩) السمنية: قال عنهم ابن النديم إنهم من العقائد الدينية الشائعة في بلاد ما وراء النهر قبل الإسلام

معلومات مهمة، فضلاً عن خدمات على صعيد المفاوضات. كما أشير إلى أن داهر ملك السند، لقي مصرعه على يد اثنين من المتعاونين، مع القوات الإسلامية، وصفا بأنهما مصوران من مدينة بروص[1]. واشترط على أهل ساوندي[2] في معاهدة الصلح المعقودة معهم، أن يكونوا أدلاء للمسلمين[3]. ويشير البلوشي[4]، إلى أن المسلمين استفادوا من طبقة الجودري، وهم من الدراوردية، السكان المحرومون من جميع الحقوق الإنسانية، والمستغلون من الطبقات الأخرى، البراهمة، وهم رجال الدين، وجهتري، وهم طبقة الحكام، والقواد، وويش، وهم التجار والصناع والمزارعون، فقد أسلم كثير منهم، وقدمو معلومات، وعملوا أدلاء في الطرق الوعرة، والجبال، ومنافذ الأنهار.

م. الجراجمة:

تكمن أهمية الجراجمة، على المستوى المعلوماتي، من خلال خبرتهم في العمل، مع القوات البيزنطية، من جهة، ولوجود أقارب لهم من جنسهم، داخل الحدود البيزنطية، من جهة أخرى. وبرغم أن المصادر لا تشير إلى أمور ذات بال، في مجال المعلومات، إلا أن البلاذري[5] يشير بشكل واضح، إلى أن الدولة الإسلامية، حاولت الاستفادة منهم قدر المستطاع، على الرغم من أنهم كانوا دائمي التقلب، ويلجأون إلى تغيير ولائهم، نتيجة الضغوط العقدية والمادية.

ن. اليهود:

ظل اليهود من خلال المعاملة الجيدة، التي عاملهم بها المسلمون، يعملون طيلة عهد معاوية عيوناً وجواسيس، وإن لم ترد أية تفاصيل، عن طبيعة المهام التي قاموا بها، ولا

ونبيها بوداسب، ويشير المسعودي، إلى أن صلاتهم نحو الشرق. الفهرست: ص٤٣٥. التنبيه والأشراف: ص١٣٨.

(١) بروص: لم أعثر على ترجمة لها في المصادر الجغرافية المتاحة.

(٢) ساوندي: لم أعثر على ترجمة لها في المصادر الجغرافية المتاحة.

(٣) البلاذري، فتوح: ص٥٣٧.

(٤) إبراهيم البلوشي، ميناء ديبل عند الفتح الإسلامي، مجلة دراسات (عمان، الجامعة الأردنية، م٢٣، العدد شباط، ١٩٩٦): ص١٢٣.

(٥) فتوح: ص١٩١.

يعرف السبب الذي دفعهم إلى التوقف عن هـذا العمـل، في عهـد ابنـه يزيـد، الأمـر الـذي استوجب إعادة فرض الجزية عليهم، والتي أعفوا منها في العصر الراشـدي، لعملهـم عيونـاً، وجواسيس، لصالح الدولة الإسلامية[1]. ومع ذلك فقد سمح الانتشـار الواسـع لهـم، بإعـادة هذا التعاون من جديد، كما حدث عند بدء عمليات فتح الأندلس، حيـث كـانوا في حالـة عداء، مع النظام القوطي، في الأندلس، الذي أضر كثيراً بمصـالحهم الاقتصاديـة[2]، فقدمـوا خدمات تجسسية، للقوات الإسلامية[3].

س. معلومات من مصادر متنوعة:

إن إيمان المجتمع وقربه زمنياً، من عصر الرسالة، قد جعل مسؤولية الأمن، والحفاظ على وحدة الجماعة، هدف معظم أبناء الأمة، ولذلك كانوا يسارعون إلى تقديم مـا لديهـم مـن معلومات، إلى المسؤولين، بغض النظر، عن درجة القرابـة الـتي تربطهـم بـالمتهمين، فعندمـا وصل إلى أسماع الأحنف بن قيس، قيام عمه جزء بن معاوية التميمي، باختلاس مائـة ألـف درهم، أثناء توليه الإشراف على منطقة سقي الفرات، سارع إلى إبـلاغ عبيـدا لله بـن زيـاد عامل البصرة الذي قام باسترجاعها منه[4]، وكانت للمصادر المتطوعة دور حاسم في تغيـير مسار بعض المعارك، في هذا العصر[5].

---

(١) فتوح: ص١٨٧.

(٢) مجهول، أخبار مجموعة: ص١٢؛ وينظر ابـن عـذارى، المصـدر السـابق: ١٢/٢؛ إبراهيـم بيضـون، الدولة العربية في إسبانيا من الفتح حتى سقوط الخلافـة ٩٢-٤٢٢هـ/ ٧١١-١٠٣١م (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٧): ص٧٣.

(٣) البلاذري، أنساب: ٨١/٤.

(٤) ينظر مثلاً، البلاذري، فتوح: ص٥٣٨، ٥٠٨؛ اليعقوبي، تـاريخ: ٢١٧/٢؛ الرقيـق، المصـدر السابق: ص٧٣-٧٤.

(٥) خليفة، تاريخ: ص٣٠٧؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ٢١٧/٢؛ الرقيق، تاريخ: ص٧٣-٧٤.

ثانياً: مصادر العدو في الحصول على معلومات من الدولة الإسلامية:

أ. الدولة البيزنطية:

عملت هذه الدولة، على إيجاد قنوات، تزودها بالمعلومات عن الدولة الإسلامية، التي طردتها من أهم الأقاليم، التي كانت تسيطر عليها، في الشام، والجزيرة، وأرمينية، ومصر، والمغرب، وساعدها على ذلك، تقدمها الحضاري، وامتلاكها معلومات كثيرة، عن طبيعة هذه الأقاليم، وسكانها فضلاً عن وجود متعاطفين معها، من بعض السكان، من خلال العقيدة الدينية المشتركة، فعلى الصعيد الحضاري، وصف البيزنطيون بأنهم، من أحذق الأمم في فن التصوير، الذي وظفوه في تصوير جواسيس العدو، سواء كان شيخاً، أو شاباً، جميلاً كان أو قبيحاً، ضاحكاً أو باكياً، أو مبتسماً[1]. وكانت أهداف تجسسهم، تشمل ميادين عديدة، أهمها مراقبة الحدود المشتركة، وكل ما يتعلق بالنشاط العسكري الإسلامي.

وكانت أهم مصادرهم هي:

١. العبيد والجواري، من أصل بيزنطي:

إن ازدياد هؤلاء في المجتمع الإسلامي، عن طريق البيع والشراء أو عن طريق الحروب، وما يتبعها من سبي[2]، قد أدى تسربهم إلى قمة الهرم، سواء في قصر الخليفة، وعائلته، وحاشيته، والقادة، والزعماء، وإلى قاعدة المجتمع، لا سيما وأنهم كانوا يصلون في عمر الشباب، في معظم الأحيان، بحيث يصبح من السهل، على الدولة البيزنطية، أن تسرب عن هذا الطريق، من تحاول زرعه في أماكن معينة، إذا ما سنحت الفرصة في ذلك، وإن كانت المصادر، لا تعيننا في هذا المجال. إلا أنه لا يمكن نفيه ببساطة. فقد أشار المبرد[3]، إلى أن حوار الشعبي مع الخليفة عبدالملك بن مروان، بعد عودته من القسطنطينية، قد نقل بكامله إلى الملك البيزنطي. كما نقل المسعودي[4]، قوله بعد وفاة الخليفة عمر بن عبدالعزيز: ((لقد كانت تأتيني أخباره، باطناً، وظاهراً...)).

---

(١) أحمد بن محمد الهمداني (ابن الفقيه)، مختصر كتاب البلدان (ليدن، بريل، ١٣٠٢): ص١٣٦.

(٢) إن الاستعباد والسبي، كان نظاماً عالمياً، بحكم قانون الحرب بين كل الأطراف، ولم يكن الأمر خاصاً بالدولة الإسلامية فحسب.

(٣) الكامل: ١١٣/٢. (٤) مروج الذهب: ١٨٥/٣.

٢. رجال الدين النصارى:

إن الصلات العقدية المشتركة، تهيء أجواء ملائمة للتعاون، لا سيما وأن علاقات بعض الكنائس الشرقية مع القسطنطينية ظلت مستمرة، حيث نجد أن كبار رجال الكهنوت في الشام، كانوا على اتصال بالبيزنطيين(١)، ويمكن تفسير لجوء الدولة الإسلامية، في هذا العصر، إلى التطبيق الصارم، لعقود الصلح المبرمة، مع أهل الذمة، لا سيما المتعلقة بالحريات الشخصية، في ضوء تعاطف، وتعاون قسم من أهل الذمة، وخاصة زعاماتهم الدينية، مع العدو البيزنطي، مما أوجب اتخاذ سياسة حازمة إزاءهم، لا سيما في أعقاب اشتداد حدة الصراع بين الدولتين، في أعقاب تراجع حملة القسطنطينية الرابعة(٢).

٣. التجار:

عمل البيزنطيون، على الاستفادة من هذه القناة المهمة، لا سيما وأن العلاقات التجارية، لم تكن مرتبطة بإقامة علاقات سليمة مستمرة، بين الدولة الإسلامية، والدولة البيزنطية(٣)، علماً بأن البيزنطيين، كانوا بحاجة إلى بعض البضائع المنتجة في دار الإسلام، أو في أطرافه(٤)، ونتيجة لذلك فقد كانت الدولة الإسلامية، تقوم بمراقبة التجار الأجانب، والعمل في الوقت نفسه على صيانة حقوقهم، من أية محاولة للعدوان عليها(٥).

٤. الخزر:

شكل المسلمون، عدواً مشتركاً، للخزر والبيزنطيين، وهذا ما يبرر التحالف بينهما، لا سيما بعد أن تزوج جستنيان الثاني أخت ملك الخزر(٦)، وتبعه قسطنطين إبن ليون

---

(١) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص٩٨؛ وينظر مجهول، العيون والحدائق: ٣/٥؛ الجهشياري، المصدر السابق: ص٤٨-٤٩.

(٢) اشتدت الهجمات البيزنطية، على سواحل الشام، كما حدث في عهد عمر بن عبدالعزيز، عندما هاجموا مدينة اللاذقية ودمروها. البلاذري، فتوح: ١٥٧.

(٣) الطبري، تاريخ: ٦/٤٣٦؛ وينظر مجهول، العيون والحدائق: ٣/٥.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ٤/١٢٨.

(٥) أبو عبيد القاسم بن سلام، غريب الحديث (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٣٩٦، عن طبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد الدكن، ١٣٨٤): ٢/١٠٦.

(٦) محمد سعيد عمران، معالم تاريخ الامبراطورية البيزنطية (بيروت، الدار النهضة العربية، ١٩٨١): ص٨٥.

الاسوري، بالزواج من أميرة خزرية[1]، وكان بإمكان الطرفين، استناداً إلى وحدة المصالح، تبادل المعلومات وتنسيق العمليات، في القوقاز، وثغور الشام، والجزيرة[2] على الرغم من أن المصادر العربية، لم تشر إلى وقائع محددة، في هذا المجال.

٥. الرسل:

يشير رنسمان[3]، إلى أن البيزنطيين، كانوا يتخذون من المفاوضات، وسيلة لكسب الوقت، وللتجسس على العدو. وشهد هذا العصر سفارات بيزنطية، زارت دمشق، حيث أشير إلى سفارة في عهد الخليفة معاوية[4]، وأخرى في عهد الوليد بن عبدالملك، عندما أحسوا بحجم الاستعدادات، التي يقوم بها لحصار القسطنطينية، فقاموا بإرسال دانيال بطريق سينوب رسولاً سنة (٩٥هـ/٧١٣م). للتفاوض على عقد هدنة، ولاستطلاع أخبار المسلمين للحملة المرتقبة. وقد أكد دانيال بعد عودته، ضرورة الاستعداد للحملة المقبلة[5]. كما أشير إلى سفارة أخرى في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز[6].

٦. سكان المناطق الحدودية في الثغور:

استغل البيزنطيون، العقيدة الدينية المشتركة، مع هؤلاء، فعملوا على توظيف قسم منهم، في جمع المعلومات، والمراقبة، والإنذار. وهذا ما يفسر رحيل أهل سوسنة إلى عمق الأراضي البيزنطية عام (٩٢هـ/٧١٠م)، بعد انكشاف أمرهم[7]. والواقع أن البيزنطيين، وظفوا مسألة العقيدة، حتى مع البحارة النصارى العاملين كفنيين في وحدات الأسطول الإسلامي، في حملة القسطنطينية الرابعة، في عهد الخليفة سليمان بن عبدالملك، مما كان أحد أسباب الكارثة[8].

---

(١) السيد الباز العريني، الدولة البيزنطية (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٨٢): ص١٩٠.

(٢) الطبري، تاريخ: ٥٥٣/٦. (٣) الحضارة البيزنطية: ص١٦٨.

(٤) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات، تحقيق سامي مكي العاني (بغداد، مطبعة العاني، ١٩٧٢): ص٣٠١.

(٥) فتحي عثمان، المرجع السابق: ٨٤/٢؛ وينظر العدوي، الأمويون والبيزنطيون: ص٢١٤-٢١٥؛ خليل شاكر حسين، خلافة سليمان بن عبدالملك ٦٩-٩٩هـ، نظرة تاريخية نقدية (مجلة التربية والعلم، العدد الخامس، ت ١٩٨٧/١٤٠١): ص١١٤.

(٦) ياقوت، معجم البلدان: ٤٦٨/٢.

(٧) الطبري، تاريخ: ٤٦٨/٦؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ٥٢٨/٤-٥٥٦.

(٨) محمد بن عبدالله عنان، مواقف حاسمة في التاريخ الإسلامي (القاهرة، مؤسسة الخانجي،

٧. العرب المتنصرة:

إن لجوء قسم من القبائل العربية المتنصرة، إلى الأراضي البيزنطيـة، في أعقـاب عمليـات التحرير، قد جعل منهم قوة قتالية، ظل صداها يتردد في أحداث العمليات، إلى نهاية القـرن الأول، حيث قـاتلوا إلى جـانب البيزنطيين[1]، ومـن الطبيعـي أن يسـتغل هـؤلاء، في جمـع المعلومات، والاتصال، بسبب سحنتهم العربية، وإجادتهم للغة، وعلاقات القربى التي ظلت مع أقسام من قبائلهم.

٨. الجراجمة:

ظل هؤلاء إحدى القنوات، التي استخدمها البيزنطيون، للضغط العسكري، على الدولة الإسلامية، وللحصول على المعلومات، لا سيما في عهد الخليفة عبدالملك بن مـروان[2]، إلى أن أتم ابنه مسلمة بـن عبدالملـك، عمليـة القضـاء عليهـم، وترحيلهـم مـا بـين مـدن الشـام والأراضي البيزنطية[3].

ب. الأتراك:

إن الشعوب الناطقة بالتركية، والتي شكل ملوكها، وخاناتها، كيانات مختلفـة، مـا بـين دول حضارية، كتلك الـتي تعـامل معهـا المسـلمون، ومـا وراء النهـر، مثـل ملـوك بخـارى، والصغد، وسمرقند، وفرغانة... ودول رعوية في السـهوب الكـبرى[4]. عملـت علـى إقامـة جواسيس مـن بـني جنسـهم، ينقلـون إليهـم أنبـاء التحركـات العسـكرية العربيـة، الـتي يحتاجونها[5]. كما عرف عنهم نجاحهم في إقناع الجواسيس، الذيـن ينتمـون إليهـم قوميـاً،

١٣٨٢/١٩٦٢): ص٤٢؛ وينظر عمر كمال توفيق، تاريخ الدولة البيزنطيـة (الاسكندرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧): ص١٠٦؛ العريني، المرجع السابق: ص١١٨.

(١) الطبري، تاريخ: ٤٢٩/٦، ٤٣٦؛ وينظر ياقوت، معجم البلدان: ٤٣/٢-٤٤.

(٢) البلاذري، فتوح: ص١٩٠؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ٣٠٤/٤؛ ميخائيل السرياني، تاريخ: ٣٥١/٢.

(٣) البلاذري، فتوح: ص١٨٦.

(٤) شرف الزمان طاهر المروزي، أبواب في الصين والترك والهند، تحقيق مينورسكي (لندن، ١٩٤٢): ص١٧-٢٦.

(٥) الطبري، تاريخ: ٧١/٧-٧٧.

والذين يعملون لصالح القوات الإسلامية، للعمل لصالحهم أحياناً[1]. فضلاً عن استخدامهم الرسل، لأغراض التجسس[2].

كما مارسوا عبر الجواسيس، نشر الإشاعات المخربة، ضمن أسلوب الحرب النفسية[3]. ويمكن القول إنهم جندوا جواسيسهم من جنسهم، أي من السكان الناطقين بالتركية، والذين ظل بعضهم على الوثنية، أو أولئك الذين قدمت لهم إغراءات مادية، فضلاً عن استفادتهم أحياناً، من الخلافات العربية، العربية، ولجوء بعض القادة، مع أنصارهم إليهم، كما حدث مع الحارث بن سريج التميمي[4].

(١) المصدر نفسه: ٦/٤٣٠؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢١٨-٢١٩؛ ابن نباتة، سرح العيون: ص١٢٥-١٢٦.

(٢) ابن حبيب، المحبر: ص٢٢٢. (٣) الطبري، تاريخ: ٧/١١٤.

(٤) الحارث بن سريج: من الشخصيات التي برزت في خراسان، وقد دعا إلى العمل بالكتاب والسنة عام ١١٦هـ/٧٣٤م في ولاية عاصم الهلالي، على خراسان، وقد صراعات مع ولاة خراسان، التجأ في كثير منها إلى التحالف مع الترك المشركين إلى أن قتل عام ١٢٨هـ٧٤٥. خليفة، تاريخ: ص٣٤٦-٣٤٧، ٣٨٣-٣٨٤؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٧/٩٤-٩٨، ٣٤١-٣٤٢؛ شعبان، المرجع السابق: ص١٥٨-١٥٩.

ثالثاً: صفات العيون، وأنواعها، وأساليب الأمن، والاستنطاق:

أ. صفات العيون:

نظراً لارتفاع مستوى التحديات، وطبيعة الصراع، الذي ساد هذا العصر، خارجياً، وداخلياً، يلاحظ أن صفات العيون، قد تأثرت بذلك إيجابياً، من أجل إنجاز ما هو منوط بها من أهداف، ومن أهم هذه الصفات:

١. عرف عن العيون ميلهم إلى الصمت، عند تكليفهم بأداء مهمات معينة، وعدم كشف هويتهم بأي حال من الأحوال[١].

٢. تمالك الأعصاب في الأوقات الحرجة، وأمام أكثر المواقف إثارة، وقد ظهر مثال ذلك واضحاً، عندما تمالك أحد العيون أعصابه، وهو يرى زوجة قائده الشهيد، الجراح الحكمي، تتعرض وهي في الأسر، للمراودة عن نفسها، من قبل أحد قادة الخزر، وهي تستغيث دون جدوى، وقام بجلب المعلومات المطلوبة، لمعركة الثأر التي قادها، سعيد الحرشي[٢].

٣. امتازت العيون المكلفون، بواجبات ضبط الأوضاع الداخلية، ومراقبة الجهاز الإداري، بأنهم يختارون في الغالب، من بين من امتازوا بالخير، والفضل في كل مصر[٣].

٤. القابلية على المراوغة، في حالة الوقوع في الأسر، ومحاولة الوصول إلى الهدف، عبر استخدام أقصى طاقات العقل البشري، مع تقبل الشهادة، في سبيل ا لله، برحابة صدر[٤].

٥. امتاز بعض العيون أحياناً، بتاريخهم المعادي للسلطات الأموية، في فترة ما من حياتهم، ثم تم كسبهم بعد ذلك، للعمل ضد بعض الجماعات المعارضة، لكي يخفى أمرهم بصورة أكبر[٥].

٦. إجادتهم للغة السائدة، في المنطقة التي يعملون بها[٦]، علماً بأن التوسع الكبير، في مساحة الدولة الإسلامية، قد أوجب أحياناً حتى على القادة الميدانيين، في كل منطقة،

---

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٠٨/٢. (٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٨/٨-٥٠.

(٣) ابن قتيبة، المصدر السابق: ١٠٨/٢.

(٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ٤٧/٨-٤٨؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢٧٦/٣.

(٥) المبرد، المصدر السابق: ١٤٧/٢. (٦) ابن أعثم، المصدر السابق: ٥٠/٨-٥١.

إجادة لغة العدو فيها. فقد عرف عن قتيبة بن مسلم، بأنه كان يجيد الباذغيسية، إحدى اللهجات التركية[١].

٧. امتاز العيون العرب، بإجادة التشبه بالعدو، حتى في الملبس، والتصرف بحيث لا يجلب انتباه العدو[٢].

٨. عرف عن العيون المكلفة بالتفاوض، القدرة على الإقناع، واختيار العبارات التي تحتمل التأويل، والتفسيرات المختلفة، وذلك لعدم إلزام الطرف العربي المسلم. بما قد يؤذيه مستقبلاً في الوقت، الذي يعتقد فيه الخصم، أنه حصل على ما يريد[٣].

٩. كان العيون من الأشخاص غير المعروفين على نطاق واسع، في معظمهم، فالشخص المعروف قد يكون سبباً، في إثارة الريبة، والشك[٤].

١٠. تمثيل الأدوار المطلوبة، بكل كفاءة مثل الاندساس، ضمن قوافل المنهزمين من السكان واللاجئين إلى المدن، هرباً من تقدم القوات، حيث الظروف أكثر أمناً لدخول مدن العدو مع أسلحتهم[٥]، أو أحياناً يكون التمثيل من خلال إجادة أدوار الصالحين[٦] أو الفقراء الذين يستجدون[٧].

١١. ممارسة مهن شعبية، من أجل أن يكونوا، في تماس مع الناس، أو من أجل أن يطلعوا على اتجاهاتهم، وميولهم، أو من أجل التعبير عن سياسة معينة، في مساعدة السلطات المسؤولة[٨].

١٢. أن يكونوا على اطلاع تام على تضاريس المنطقة، التي يعملون بها، وكذلك الحال بالنسبة للمناخ[٩].

ب. أنواع العيون:

شهد هذا العصر، أيضاً عيوناً معروفة، وعيوناً ظلت مجهولة، وعيوناً عربية، وعيوناً من الموالي، والأعاجم، وعيوناً مسلمة، وأخرى غير مسلمة، نصارى، ومجوس، ومشركين، فضلاً عن ظهور عيون، تعمل في خدمة الأسطول الإسلامي، حيث أن الانتصارات

---

(١) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٢٨/٧.
(٢) المصدر نفسه: ٨/٥٠-٥١.
(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٢٨٦/٢.
(٤) النرخشي، تاريخ بخارى: ص٦٦.
(٥) ابن عذاري، المصدر السابق: ١٤/٢.
(٦) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٨-٢٣٩.
(٧) الرقيق، تاريخ أفريقية: ص٥٩.
(٨) البلاذري، أنساب: ٩٤/٤.
(٩) الطبري، تاريخ: ١١٧/٧.

الكبيرة، للأسطول الإسلامي، في هذا العصر، سواء عبر محاصرة المدن الكبرى، مثل القسطنطينية، أو من خلال تحرير معظم جزر البحر المتوسط. لم تكن لتحقق من غير استطلاع، ورصد ومعلومات مؤكدة عن إمكانيات العدو، والمخاطر المحتملة، التي يمكن أن تتعرض لها الحملات البحرية، فقد أشير إلى أنه كان هناك سفينة مخصصة، من قطع الأسطول، في هذا العصر، تسمى الجاسوس. وكانت تبنى في مصر، منذ عام (٩١هـ/ ٧٠٩م)، حيث تستخدم للنقل السريع، والأخبار. كما ورد في أوراق البردي المصرية[1].

وفيما يلي قائمة بأسماء العيون المعروفة:

الجدول رقم (٥)

ت	اسم العين	القبيلة	العقيدة	نوع العملية	العدد	التقويم
١.	شمر بن جعونة	كلاب	مسلم	نقل أخبار إلى المغيرة بن شعبة، عن الخوارج في الكوفة[2].	١	ناجحة
٢.	ابن أثال...	نبط	نصراني	عملية خاصة (التخلص من عبدالرحمن بن خالد)[3].	١	ناجحة
٣.	أيوب بن حمران	مولى	مسلم	نقل أخبار من الشام[4].	١	ناجحة
٤.	معقل بن مولى بن زياد	مولى	مسلم	اختراق التنظيم العلوي في الكوفة[5].	١	ناجحة

(١) فيلهلم هونيرباخ، البحرية العربية وتطورها في البحر المتوسط في عهد معاوية (تطوان، دار الطباعة المغربية، ١٩٥٤): ص١٦، وينظر أنيس صائغ، الأسطول الحربي الأموي (بيروت، بلا ناشر، ١٩٥٦): ص٥٢-٥٣؛ علي محمود فهمي، التنظيم البحري الإسلامي، في شرق المتوسط في القرن السابع الميلادي إلى القرن العاشر الميلادي، ترجمة قاسم عبده قاسم (بيروت، دار الوحدة): ص١٦٨-١٦٩.

(٢) الطبري، تاريخ: ١٨١/٥.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٧/٥-٢١٨؛ وينظر الجهشياري، المصدر السابق: ص٢٧؛ ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٨٣٠/٢؛ الأصبهاني، الأغاني: ١٩٨/١٦؛ ابن عساكر، تهذيب: ٨٣/٥.

(٤) الطبري، تاريخ: ٥٠٦/٥.

(٥) البلاذري، أنساب: ٨٠/٢؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٣٩؛ الطبري، تاريخ: ٣٤٨/٥-٣٦٢.

٥.	عبدالله بن مسلم	حضرموت	مسلم	نقل أخبار إلى يزيد بن معاوية، عن التنظيم العلوي في الكوفة.	١	ناجحة
٦.	عمر بن سعد بن أبي وقاص	قريش	مسلم	نقل أخبار إلى يزيد بن معاوية عن التنظيم العلوي في الكوفة.	١	ناجحة
٧.	عمارة بن عقبة	قريش	مسلم	نقل أخبار إلى يزيد بن معاوية عن التنظيم العلوي في الكوفة[١]. نقل أخبار إلى زياد بن أبيه عن التنظيم العلوي في الكوفة[٢].	٢	ناجحة ناجحة
٨.	السائب بن فروخ	مولى	مسلم	نقل أخبار لصالح عبدالملك بن مروان عن ابن الزبير في الحجاز[٣].	١	ناجحة
٩.	ماذراسب	فارس	مسلم	نقل أخبار إلى الحجاج، أثناء تمرد ابن الأشعث[٤].	١	ناجحة
١٠.	سعد...	مولى	مسلم	نقل أخبار من الطائف إلى عبدالملك بن مروان عن ابن الزبير[٥].	١	ناجحة
١١.	الغضبان بن القبعثري	شيبان	مسلم	نقل أخبار عن ابن الأشعب لصالح الحجاج[٦].	١	ناجحة
١٢.	لأي بن شقيق	سدوس	مسلم	نقل أخبار عن ابن الأشعث لصالح الحجاج[٧].	١	ناجحة
١٣.	إسماعيل بن الأريط	عجل	مسلم	كشف سعيد بن جبير، والقبض عليه لصالح الحجاج.	١	ناجحة
١٤.	الملتمس بن الأحوص	مجهول	مسلم	كشف سعيد بن جبير، والقبض عليه لصالح الحجاج[٨].	١	ناجحة
١٥.	سنان بن مكمل	غنى	مسلم	إدارة التفاوض مع عبدالله بن خازم، لصالح الخليفة عبدالملك بن مروان[٩].	١	غير ناجحة
١٦.	أشرس بن جبير	مولى	مسلم	نقل أخبار عن مصعب بن الزبير، لمصلحة الخليفة عبدالملك[١٠].	١	غير ناجحة

(١) الطبري، تاريخ: ٣٥٦/٥. (٢) المصدر نفسه: ٢٣٦/٥.

(٣) الأصبهاني، الأغاني: ٣٠٤/١٦-٣٠٥. (٤) الطبري، تاريخ: ٢٥٨/٦.

(٥) الطبري، تفسير: ١٠/٤.

(٦) المسعودي، مروج الذهب: ١٤٧/٣؛ وينظر محمد بن أحمد الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف (بغداد، مطبعة أوفسيت منير، عن المكتبة التجارية الكبرى، د.ت): ٤٨/١-٤٩.

(٧) خليفة، تاريخ: ص٢٨١. (٨) الطبري، تاريخ: ١٥٨/٧-١٥٩. (٩) المصدر نفسه: ١٧٦/٦.

(١٠) ابن حبيب، المحبر: ص٣٤١.

١٧.	الوليد بن سريع	مولى	مسلم	نقل أخبار عن مصعب بن الزبير، لمصلحة الخليفة عبدالملك.	١	غير ناجحة
١٨.	مغيث الرومي	مولى	مسلم	مراقبة القادة وأداءهم في المغرب والأندلس[١].	١	ناجحة
١٩.	يليان	بيزنطي	نصراني	أخبار في عملية تحرير الأندلس[٢].	١	ناجحة
٢٠.	سليم بن عبدالله الناصح	مولى	مسلم	إدارة التفاوض مع نيزك لصالح قتيبة[٣].	١	ناجحة
٢١.	النيلان	تركي	مشرك	معلومات ودلالة لقتيبة[٤].	١	ناجحة
٢٢.	كارنقبد	تركي	مشرك	دلالة لسورة بن أبجر[٥].	١	ناجحة
٢٣.	ضرار بن سنان	ضبة	مسلم	نقل أخبار إلى قتيبة عن وكيع التميمي[٦].	١	ناجحة
٢٤.	تنذر	تركي	مشرك	نقل أخبار إلى قتيبة عن الترك[٧]. إدارة مفاوضات مع طرخون ملك الصغد لمصلحة قتيبة[٨].	٢	ناجحة
٢٥.	حيان النبطي	مولى	مسلم	إدارة تفاوض في طبرستان لمصلحة يزيد بن المهلب[٩].	١	ناجحة
٢٦.	مزاحم...	مولى	مسلم	مراقبة أحد المرشحين لتولي أحد المناصب[١٠].	١	ناجحة
٢٧.	إسماعيل بن أبي حكم	مجهول	مسلم	سفارة إلى القسطنطينية لفداء الأسرى[١١].	١	ناجحة

---

(١) المصدر نفسه: ص٣٤٢؛ ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٥-٢٠٦، ٢٠٧-٢١٠؛ وينظر مجهول: أخبار مجموعة: ص١٩.

(٢) المصدر نفسه: ص٥، ٧، ١٠؛ وينظر المقري، نفح الطيب: ١/٢٣٢-٢٣٣.

(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٢٨٦؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦/٤٥٥-٤٥٨.

(٤) المصدر نفسه: ٧/٧. (٥) المصدر نفسه: ٧/٧٦.

(٦) ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢٦٩.

(٧) الطبري، تاريخ: ٦/٤٣٠؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢١٨-٢١٩.

(٨) الطبري، تاريخ: ٦/٤٤٥.

(٩) المصدر نفسه: ٧/٣٣٦-٣٣٨؛ النرشخي، تاريخ بخارى: ص٧١-٧٢.

(١٠) المبرد، الكامل: ٢/٥٢؛ وينظر وكيع، أخبار القضاة: ٢/٢٧؛ مجهول، العيون والحدائق: ٣/٦٠؛ ابن حجر، تهذيب: ١/٥٠٠-٥٠١.

(١١) القالي، ذيل الأمالي: ص١٩.

٢٨.	خالد بن أبي الصلت	مجهول	مسلم	نقل أخبار للخليفة عمر بن عبدالعزيز عن واسط(١).	١	ناجحة
٢٩.	فناق الرومي	مولى	مسلم	سفارة إلى القسطنطينية في عهد الخليفة معاوية(٢).	١	ناجحة
٣٠.	مجاهد بن يزيد	مجهول	مسلم	سفارة إلى القسطنطينية في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك.	١	ناجحة
٣١.	خالد البريدي	مجهول	مسلم	سفارة إلى القسطنطينية في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك(٣).	١	ناجحة
٣٢.	شبابة...	مولى	مسلم	نقل أخبار عن الترك لصالح أشرس السلمي عامل خراسان(٤).	١	ناجحة
٣٣.	إبراهيم بن عاصم	عقيل	مسلم	نقل أخبار لسعيد الحرشي عامل أرمينية وأذربيجان عن الخزر(٥).	١	ناجحة
٣٤.	بردك البيلقاني	فارسي	مسلم	نقل أخبار لسعيد الحرشي عن الخزر(٦).	١	ناجحة
٣٥.	مردان شاه	فارسي	مسلم	استطلاع قريب ضد الخزر(٧).	١	ناجحة
٣٦.	ثبيت البهراني	بهراء	مسلم	استطلاع قريب ضد الخزر(٨).	١	ناجحة
٣٧.	سليمان بن سراقة	بارق	مسلم	نقل أخبار عن حركة زيد بن علي، في الكوفة لصالح يوسف الثقفي(٩).	١	ناجحة
٣٨.	حكيم بن شريك	مجهول	مسلم	نقل أخبار عن حركة زيد بن علي، في الكوفة لصالح يوسف الثقفي(١٠).	١	ناجحة
٣٩.	حريث بن أبي الجهم	كلب	مسلم	نقل أخبار عن حركة زيد بن علي، في الكوفة لصالح يوسف الثقفي(١١).	١	ناجحة

---

(١) أسلم بن سهل الرزاز (بحشل)، تاريخ واسط، تحقيق كوركيس عواد (بغداد، مطبعة المعارف، ١٩٦٧): ص١٦١.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٣٦٣/١.

(٣) المقدسي، أحسن التقاسيم: ص١٥٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٧/٦٠-٦١.

(٥) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٥٠-٥١.

(٦) المصدر نفسه: ٤٧/٨.

(٧) المصدر نفسه: ٣٩/٨.

(٨) خليفة، تاريخ: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٩) الطبري، تاريخ: ٧/١٨٠-١٨١، وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/١١٤-١١٦؛ علي بن الحسين الأصبهاني، مقاتل الطالبيين (النجف الأشرف، المطبعة الحيدرية، ١٣٥٣): ص٩٨-٩٩.

(١٠) الطبري، تاريخ: ٧/٨٩.

(١١) الأصبهاني، مقاتل الطالبيين: ص١١٢.

٤٠.	حسان بن حيان	مولى	مسلم	مراقبة خالد القسري عامل العراق والمشرق لمصلحة هشام بن عبدالملك[1].	١	ناجحة
٤١.	شميل بن عبدالرحمن	مازن	مسلم	نقل أخبار لمسلم بن سعيد عامل خراسان عن الترك[2].	١	ناجحة
٤٢.	الأشهب بن عبيد	تميم	مسلم	نقل أخبار للجنيد المري في معركة الشعب[3]. نقل أخبار للجنيد المري عن الترك[4].	٢	ناجحة
٤٣.	سالم بن جناح	مجهول	مسلم	نقل أخبار لأسد القسري عن الترك[5].	١	ناجحة
٤٤.	سعيد الصغير	مولى	مسلم	نقل رسالة تحذير إلى أحد القادة من الترك[6].	١	ناجحة
٤٥.	عمرو بن بحير السعدي	تميم	مسلم	نقل أخبار عن التنظيم العباسي إلى سعيد بن عبدالعزيز عامل خراسان[7].	١	ناجحة
٤٦.	عثمان بن داود	خولان	مسلم	إدارة مفاوضات لصالح يزيد بن الوليد[8].	١	ناجحة
٤٧.	محمد بن سعيد الأردني	مجهول	مسلم	نقل أخبار لمروان بن محمد عن جند الأردن[9].	١	ناجحة
٤٨.	قريط بن حجاج (أبو العوجاء)	تميم	مسلم	اختراق قيادة التنظيم العباسي لمصلحة مروان[10].	١	ناجحة
٤٩.	محمد بن راشد	خزاعة	مسلم	إدارة تفاوض لصالح يزيد بن الوليد مع جندي الأردن وفلسطين.	١	ناجحة
٥٠.	حذيفة بن سعيد	مجهول	مسلم	إدارة تفاوض لصالح يزيد بن الوليد مع جندي الأردن وفلسطين[11].	١	ناجحة

يتبين لنا من هذا الجدول، أن عدد العيون، التي عرفت أسماؤها، كان خمسين، وهو عدد متواضع بالنسبة لما كان عليه حال، وحدات العيون، في هذا العصر، والتي شهدت تطورات كبيرة على صعيد الإدارة، وميادين وأساليب العمل، فضلاً عن طول الفترة، التي

(١) اليعقوبي، تاريخ: ٢٢٣/٢. (٢) الطبري، تاريخ: ٣٣/٧. (٣) المصدر نفسه: ٨٢/٧-٨٣.
(٤) المصدر نفسه: ٧٢/٧. (٥) المصدر نفسه: ١٢٢/٧. (٦) المصدر نفسه: ١١٧/٧.
(٧) المصدر نفسه: ٦١٦/٦-٦١٧. (٨) المصدر نفسه: ٢٦٧/٧.
(٩) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ١٠٣-١٠٤.
(١٠) المصدر نفسه: الورقة ٣٥.
(١١) الطبري، تاريخ: ٢٦٧/٧.

استغرقتها وهي إحدى وتسعون سنة، وأن قلة عدد العيون، التي عرفت، يشير بصورة إيجابية إلى غلبة الطابع المهني عليها، والذي يقوم على السرية المطلقة، والتعتيم على أسماء منتسبيه، وإدارتهم، وهو ما ظهر بشكل لا لبس فيه، من خلال ثنايا هذا الفصل، لا سيما إدارته، وكان ظهور هذه الأسماء بصورة علنية، مرتبطاً بظروف معينة، أكثر مما يتعلق الأمر، برغبة هؤلاء، في الإشارة إلى أنفسهم.

وعلى الصعيد القومي، يلاحظ أن عدد العيون العرب، والموالي، بلغ ثلاثة وثلاثين منهم أربعة عشرة من الموالي، والباقين يعودون إلى قبائل عربية، وكان أبرزها قبيلة تميم، والتي قدمت ثلاثة عيون، ويليها قريش، وقدمت عينين، والباقي لكل منها عين واحد، وهي شيبان، وغنى، وضبة، وبهراء، وطلب، وكلاب، وسدوس، وعقيل، وبارق، ومازن، وخولان، وخزاعة، إضافة لتسعة عيون لم تشر المصادر إلى كونهم عرباً صلباً، أو موالي. كما بلغ عدد غير العرب ثمانية، كان منهم ثلاثة من الفرس، وثلاثة يعودون إلى الترك، وواحد لكل من البيزنطيين، والنبط.

أما على صعيد العقيدة الدينية، فقد كان هناك اثنان من المجوس، واثنان من النصارى، واثنان من المشركين، وعلى صعيد عدد العمليات التي نفذها كل عين، فيلاحظ أن هناك عيون أشير إليهم بصفتهم منفذون لعمليات عديدة، إلا أن المصادر لم تشر إليها مثل سعد مولى معاوية والأشرس بن جبير، والوليد بن سريع، وخالد بن أبي الصلت، وتنذر، ومغيث الرومي، في حين أشير إلى أربعة عيون، نفذ كل منهم، عمليتين، وهم عمارة بن أبي معيط، وحيان النبطي، والأشهب بن عبيد الحنظلي، وقريط بن حجاج التميمي. ونفذ الباقي عملية واحدة، لكل منهم على الأغلب.

وفيما يلي جدول بالمعلومات التي وصلت عن طريق عيون مجهولة

الجدول رقم (٥)

ت	الهدف	تفاصيل العملية
١.	ثغور الشام	وصول معلومات إلى الخليفة عبدالملك بن مروان، عن مهاجمة البيزنطيين، لمدينة المصيصة، مع تمرد ناتل بن قيس الجذامي، في جند فلسطين[١].
٢.	ثغور الشام	تقارير تصل الخليفة عبدالملك، عن تحشدات يقوم بها البيزنطيون في ثغور الشام[٢].

(١) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٢٦٩.

(٢) ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/١٦٧.

٣.	ثغور الشام	معلومات تصل الخليفة عمر بن عبدالعزيز، عن تردي أوضاع حملة القسطنطينية[١].
٤.	ثغور الشام	تقارير تصل مسلمة بن عبدالملك، أثناء انسحابه من القسطنطينية، في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، عن خطة وضعها الامبراطور البيزنطي، ليو الآسوري لمفاجأة القوات الإسلامية المنسحبة، أثناء مرورها بالطوانة[٢].
٥.	ثغور الشام	تقارير تصل الخليفة الوليد بن يزيد، عن تعاون سكان قبرس مع البيزنطيين[٣].
٦.	ثغور خراسان	وصول أخبار إلى قتيبة بن مسلم الباهلي، عام ٩٣هـ عن تحالف سكان الصغد، والشاش، وفرغانة ضده[٤].
٧.	ثغور خراسان	تقارير تصل قتيبة بن مسلم، عن هجوم مفاجئ سيشنه الصغد عام ٩٣هـ[٥].
٨.	ثغور خراسان	وصول معلومات إلى يزيد بن المهلب عامل خراسان، عن مغادرة ملك الترك قلعة باذغيس[٦].
٩.	ثغور خراسان	معلومات وصلت إلى الجنيد المري عامل خراسان، عند تقدمه لإنقاذ مدينة سمرقند من هجوم للترك، عن قيام خاقان الترك، بتدمير الآبار والطرق في طريق، كس، ونسف[٧].
١٠.	ثغور خراسان	تقارير وصلت أسد القسري عامل خراسان، عن قيام الغور بوضع كنوزهم في كهف سري لا يوصل إليه[٨].
١١.	ثغور أرمينية وأذربيجان	وصول معلومات إلى الجراح الحكمي عامل ثغور أرمينية وأذربيجان، عن تعاون ملك الكر مع ملك الخزر[٩].
١٢.	ثغور أرمينية وأذربيجان	تقارير تصل إلى الجراح الحكمي عن تحالف ملك بلنجر الخزري مع سكان الجبال.[١٠].
١٣.	ثغور أرمينية وأذربيجان	معلومات تصل سعيد بن عمر الحرشي، عامل أرمينية وأذربيجان، عن محاصرة نارسيتك ابن خاقان الخزر، لمدينة ورثان[١١].
١٤.	ثغور أرمينية وأذربيجان	وصول معلومات إلى سعيد الحرشي، عن حركة يقوم بها الخزر، في نقل غنائم وسبايا إسلامية، بالقرب منه[١٢].

(١) ميخائيل السرياني، المصدر السابق: ٢/٣٨٠-٣٨١.

(٢) فتحي عثمان، المرجع السابق: ٢/٩٦. (٣) البلاذري، فتوح: ص١٨٣.

(٤) الطبري، تاريخ: ٦/٤٧٣؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢٤٠.

(٥) الطبري، تاريخ: ٦/٤٧٣-٤٧٤. (٦) المصدر نفسه: ٦/٣٨٦.

(٧) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/١٠٠-١٠١. (٧) الطبري، تاريخ: ٧/٤١.

(٩) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٢٩-٣٠.

(١٠) المصدر نفسه: ٨/٣٤؛ وينظر ابن الأثير، الكامل: ٥/١١٢-١١٣.

(١١) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٤٧.

(١٢) خليفة، تاريخ: ص٣٤٣.

١٥.	ثغور أرمينية وأذربيجان	تقارير تصل سعيد الحرشي إلى أهل ورثان المحاصرة، من قبل الخزر، يخبرهم فيها بتقدمه إلى نجدتهم[١].
١٦.	ثغور أرمينية وأذربيجان	وصول معلومات إلى الحرشي، عن نزول قوات الخزر على نهر الميمذ[٢].
١٧.	ثغور أرمينية وأذربيجان	وصول تقارير إلى الحرشي، عن تواجد نارسيك، في برزند[٣].
١٨.	ثغور أرمينية وأذربيجان	أخبار وصلت الحرشي، عن تحشد نارسيك على نهر موقان[٤].
١٩.	ثغور أرمينية وأذربيجان	وصول أخبار إلى مسلمة بن عبدالملك عامل أرمينية وأذربيجان، عن توجيه خاقان الخزر، قواته إليه، فكانت معركة نهر الصقالبة[٥].
٢٠.	ثغور المغرب والأندلس	وصول معلومات إلى زهير بن قيس البلوي، عامل المغرب، عن نزول قوات بيزنطية، في مدينة برقة، أثناء عودته من حملة كان يقوم بها في أنحاء المغرب[٦].
٢١.	ثغور المغرب والأندلس	وصول معلومات إلى حسان بن النعمان الكلبي عامل المغرب، عن تحشدات بيزنطية، بالتعاون مع بعض القبائل المغربية[٧].
٢٢.	ثغور المغرب والأندلس	وصول معلومات إلى موسى بن نصير عامل المغرب، تفيد بأن قبيلة صنهاجة في ظروف لا تسمح لها بالحركة[٨].
٢٣.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات تصل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، عن سوء معاملة أبو المهاجر دينار عامل أفريقية لسلفه عقبة بن نافع[٩].
٢٤.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات تصل يزيد بن معاوية، عن سوء أداء عامله على الكوفة، النعمان بن بشير مما أدى إلى اضطراب الأوضاع فيها[١٠].
٢٥.	مراقبة الجهاز الإداري	وصول معلومات إلى الخليفة عبدالملك بن مروان، عن قبول أحد عماله لهدية[١١].
٢٦.	مراقبة الجهاز الإداري	تقارير تصل إلى الخليفة عبدالملك بن مروان، عن إسراف في الدماء، والأموال، يقوم بها الحجاج بن يوسف عامل العراق، بعد معركة دير الجماجم[١٢].

(١) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٤٧-٤٨.

(٢) المصدر نفسه: ٨/٥٢؛ نهر الميمذ: لم أعثر على ما يشير إلى موقعه في المصادر الجغرافية المتاحة.

(٣) المصدر نفسه: ٨/٥٣-٥٤.

(٤) المصدر نفسه: ٨/٥٥-٥٦؛ موقان: إقليم في أذربيجان، يمتاز بالزراعة. ياقوت،معجم البلدان: ٥/٢٢٦.

(٥) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٧٢-٧٣؛ نهر الصقالبة: لم أعثر إلى ما يشير إلى موقعه في المصادر الجغرافية المتاحة.

(٦) المالكي، رياض النفوس: ١/٣٠-٣١؛ وينظر الدباغ، معالم الإيمان: ١/٥٩.

(٧) ابن عذاري، المصدر السابق: ١/٣٥. (٨) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٢/٥٤.

(٩) الدباغ، معالم الإيمان: ١/٤٦-٤٧؛ وينظر المالكي، رياض النفوس: ١/٢١.

(١٠) البلاذري، أنساب: ٤/٨٢. (١١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/١١٨.

(١٢) المصدر نفسه: ٣/١٣٣-١٣٥.

٢٧.	مراقبة الجهاز الإداري	وصول معلومات إلى الخليفة عمر بن عبدالعزيز، عن تردي الأوضاع الأمنية، والإدارية لفارس(١).
٢٨.	مراقبة الجهاز الإداري	تقارير تصل الخليفة عمر بن عبدالعزيز، عن أن واليه على خراسان الجراح الحكمي، يتبع العصبية القبلية(٢).
٢٩.	مراقبة الجهاز الإداري	وصول معلومات إلى الخليفة هشام بن عبدالملك، عن إسراف يقوم به عامله على العراق خالد القسري(٣).
٣٠.	مراقبة الجهاز الإداري	وصول معلومات إلى الخليفة هشام بن عبدالملك، عن تصرفات شخصية غير مقبولة، يقوم بها خالد القسري، في العراق(٤).
٣١.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات تصل الخليفة هشام بن عبدالملك، عن اتباع أسد القسري، للعصبية القبلية في خراسان(٥).
٣٢.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات تصل الخليفة هشام بن عبدالملك، عن اضطراب الأوضاع الأمنية، والإدارية في خراسان(٦).
٣٣.	مراقبة الجهاز الإداري	معلومات وصلت الخليفة يزيد بن الوليد، عن هروب يوسف بن عمر الثقفي، عامل العراق إلى البلقاء(٧).
٣٤.	مراقبة القادة العسكريين	معلومات تصل الخليفة عبدالملك بن مروان، عن فشل قائده المرسل للسيطرة على البصرة، خالد بن عبدالله الأموي، أثناء حكم مصعب بن الزبير للعراق(٨).
٣٥.	مراقبة القادة العسكريين	وصول معلومات إلى الحجاج بن يوسف، عن حقيقة مزاعم قتيبة بن مسلم في انتصار حققه وكيع زعيم بني تميم في خراسان ونسبه قتيبة إلى أخيه عبدالرحمن(٩).
٣٦.	مراقبة القادة العسكريين	تقارير وصلت الخليفة يزيد بن عبدالملك، عن توتر العلاقة بين قائديه المرسلين لقمع تمرد يزيد بن المهلب في العراق، مسلمة بن عبدالملك، والعباس بن الوليد(١٠).
٣٧.	مراقبة القادة العسكريين	وصول معلومات للخليفة هشام بن عبدالملك، عن سوء معاملة مسلمة بن عبدالملك عامله على أرمينية وأذربيجان، لسلفه سعيد بن عمرو الحرشي(١١).
٣٨.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل مروان بن الحكم والي المدينة، لمعاوية عن زوار من العراق يجتمعون بالحسين بن علي(١٢).

(١) ابن عساكر، تهذيب: ٤٧/٥.
(٢) البلاذري، فتوح: ص٥٢٤.
(٣) اليعقوبي، تاريخ: ٣٢٢/٢.
(٤) الطبري، تاريخ: ١٤٣/٧-١٤٦.
(٥) المصدر نفسه: ٤٩/٧.
(٦) اليعقوبي، تاريخ: ٣٢٦/٢-٣٢٧.
(٧) البلاذري، أنساب: الورقة ٢١٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٢٧٤/٧.
(٨) ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٦٠/٦-٢٦٧.
(٩) الطبري، تاريخ: ٤٤٤/٦.
(١٠) البلاذري، أنساب: الورقة ٢٣٢.
(١١) ابن أعثم، المصدر السابق: ٥٩/٥-٦٠.
(١٢) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٤.

٣٩.	مراقبةالشخصيات المهمة	معلومات تصل إلى يزيد بن معاوية، عن تحرك الحسين بن علي إلى العراق(١).
٤٠.	مراقبةالشخصيات المهمة	تقارير تصل مروان بن الحكم، عن مبايعة حسان بن بحدل الكلبي، لعمرو بن سعيد الأشدق بولاية العهد من بعده(٢).
٤١.	مراقبة الشخصيات المهمة	أخبار تصل إلى الخليفة عبدالملك، عن توتر العلاقات بين عبدا لله بن الزبير، ومحمد بن علي بن أبي طالب (ابن الحنفية)(٣).
٤٢.	مراقبة الشخصيات المهمة	أخبار تصل إلى الخليفة عبدالملك، عن توتر العلاقات بين عبدا لله بن الزبير، وعبدا لله بن عباس(٤).
٤٣.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل الخليفة الوليد بن عبدالملك، عن تشفي ولي العهد سليمان، بأزمة مرت به(٥).
٤٤.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل الخليفة الوليد، عن تحريض يقوم به خبيب بن عبدا لله بن الزبير للرأي العام في المدينة، احتجاجاً على ضم حجرات أزواج الرسول ﷺ إلى المسجد النبوي الشريف(٦).
٤٥.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات بلغت الخليفة يزيد بن عبدالملك، عن أقوال أطلقها هشام بن عبدالملك ترمي إلى الحط من شأنه(٧).
٤٦.	مراقبة الشخصيات المهمة	تقارير تصل الخليفة هشام بن عبدالملك، عن تهديدات يطلقها خالد القسري ضده(٨).
٤٧.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل الخليفة هشام بن عبدالملك، عن تصريحات يطلقها زيد بن علي يشم منها أحقيته بالخلافة(٩).
٤٨.	مراقبة الشخصيات المهمة	وصول معلومات إلى الخليفة هشام بن عبدالملك، عن تحركات مريبة يقوم بها زيد بن علي في الكوفة(١٠).
٤٩.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات وصلت إلى يوسف الثقفي، عامل العراق للخليفة هشام، عن استعدادات يقوم بها زيد لإعلان الثورة(١١).
٥٠.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل أسد القسري، عامل خراسان للخليفة هشام، كشفت قادة التنظيم العباسي في خراسان(١٢).

---

(١) المسعودي، مروج: ٣/٥٧-٥٨.
(٢) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٢٥٧.
(٣) ابن أعثم، المصدر السابق: ٦/٢٤٠.
(٤) المصدر نفسه: ٦/٢٤١.
(٥) المسعودي، مروج: ٣/١٦٤-١٦٥.
(٦) مجهول، العيون والحدائق: ٣/٤.
(٧) المسعودي، مروج الذهب: ٣/٢٠٢.
(٨) الطبري، تاريخ: ٧/٢٥٦-٢٥٧.
(٩) المسعودي، مروج: ٣/٢٠٦.
(١٠) الطبري، تاريخ: ٧/١٨٦؛ وينظر مجهول، العيون والحدائق: ٣/٩٥.
(١١) الطبري، تاريخ: ٧/١٨١.
(١٢) المصدر نفسه: ٧/٢٥؛ وينظر الأزدي، تاريخ الموصل: ص٢٦.

٥١.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات جديدة تصل أسد القسري، كشفت خلايا جديدة، للتنظيم العباسي في خراسان[١].
٥٢.	مراقبة الشخصيات المهمة	تقارير تصل يوسف الثقفي عامل العراق، عن تواجد يحيى بن زيد في خراسان[٢].
٥٣.	مراقبة الشخصيات المهمة	معلومات تصل إلى قائدي مروان بن محمد، عمرو بن الوضاح، وأبا الورد بن زفر الكلابي، والمكلفين بمطاردة ثابت بن نعيم الجذامي، عن مكان اختفائه[٣].
٥٤.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل المغيرة بن شعبة، عامل الخليفة معاوية بن أبي سفيان، على الكوفة، عن استعدادات يقوم بها الخوارج للثورة[٤].
٥٥.	مراقبة حركات المعارضة	تقارير تصل قائد أجناد الشام المتجهة إلى العراق عبيدالله بن زياد عن قوات يزيد بن أنس المتجهة إلى الجزيرة وعددها[٥].
٥٦.	مراقبة حركات المعارضة	تقارير تصل عبيدالله بن زياد قائد أجناد الشام، عن تقدم قوات إبراهيم بن الأشتر باتجاه الجزيرة[٦].
٥٧.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل إلى محمد بن مروان بن الحكم، قائد أجناد الشام، عن تردي معنويات قوات مصعب بن الزبير، في مسكن[٧].
٥٨.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل إلى الحجاج بن يوسف، عن محاولة يقوم بها عبدالرحمن بن الأشعث لسد فوهة أحد الأنهار التي يستخدمها الحجاج بن يوسف[٨].
٥٩.	مراقبة حركات المعارضة	تقارير تصل إلى المهلب بن أبي صفرة، عامل الخليفة عبدالملك في خراسان عن إعداد الخوارج، كميناً أثناء قتاله لهم في أرجان[٩].
٦٠.	مراقبة حركات المعارضة	تقارير تصل إلى قرة بن شريك، عامل الخليفة الوليد بن عبدالملك، على مصر، عن استعدادات يقوم بها الخوارج لقتله في الاسكندرية[١٠].
٦١.	مراقبة حركات المعارضة	وصول معلومات إلى عمر بن هبيرة، عامل العراق، عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك، عن ازدياد نشاط الدعاة العباسيين، في خراسان[١١].
٦٢.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل إلى عاصم الهلالي، عامل الخليفة هشام على خراسان، عن اتصال أهل مرو بالحارث بن سريج، للعمل ضده[١٢].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٧/٤٣؛ وينظر اليعقوبي، تاريخ: ٢/٣١٩.

(٢) الطبري، تاريخ: ٧/٢٢٨-٢٢٩.

(٣) خليفة، تاريخ: ص٣٧٤.

(٤) الطبري، تاريخ: ٥/١٨٤.

(٥) المصدر نفسه: ٦/٤٠؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٦/٧٩-٨٠.

(٦) ابن أعثم، المصدر السابق: ٦/١٧٣-١٨١.

(٧) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٥٣٠.

(٨) البكري، معجم ما استعجم: ٢/٥٩٣.

(٩) المبرد، الكامل: ٣/٣٣٠-٣٣١.

(١٠) الكندي، الولاة: ص٦٤.

(١١) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٣١٢.

(١٢) الطبري، تاريخ: ٧/٩٦.

٦٣.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل إلى عامل خراج دمشق، عن المسبب الحقيقي للحرائق التي اجتاحت دمشق[1].
٦٤.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل أسد القسري، عامل خراسان في عهد الخليفة هشام، كشفت كبار رجال التنظيم العباسي[2].
٦٥.	مراقبة حركات المعارضة	معلومات تصل يزيد بن عمر بن هبيرة عامل العراق، للخليفة مروان الثاني، عن تحرك قحطبة بن شبيب الطائي، قائد القوات العباسية في المدائن[3].
٦٦.	مراقبة حركات المعارضة	تقارير تصل يزيد بن عمر بن هبيرة، عن توجه قحطبة إلى أوانا[4].

يتبين لنا من هذا الجدول، أن عدد العمليات المنفذة، هو ست وستون عملية، وهو رقم لا يعبر عن الرقم الحقيقي للعمليات، التي نفذت في هذا العصر، والذي كان أكبر من ذلك بكثير، ويلاحظ عند تحليل أرقام الجدول، أن عدد العمليات المنفذة، على ثغور دار الإسلام، ضد دار الحرب، على مختلف الجبهات، في هذا العصر، كان اثنان وعشرين عملية، أي ثلث رقم العمليات الكلي تقريباً، منها تسع عمليات في ثغور أرمينية وأذربيجان، ويليها خمس عمليات في ثغور الشام، ثم خمس عمليات في ثغور خراسان، وثلاث عمليات في ثغور الأندلس والمغرب. ويمكن إرجاع مصادر هذه المعلومات بالدرجة الأولى، إلى العيون المحلية، من القنوات غير العربية، والتي كانت تتعاون مع القوات الإسلامية.

في حين يلاحظ، أن العمليات ذات البعد الداخلي، بلغ أربعاً وأربعين عملية، كان منها ست وعشرون عملية، في مراقبة الشخصيات المهمة، وثلاث وعشرون، في مراقبة حركات المعارضة، وإحدى عشرة عملية، في مراقبة الجهاز الإداري، وأربع عمليات في مراقبة القادة العسكريين.

جـ. تطور أساليب الأمن:

لقد تطور مفهوم الأمن، في هذا العصر وشهد ظهور أساليب مبتكرة في العمل وأخذت، بما يتلاءم ودولة عالمية، حكمت شعوباً ذات أصول قومية، ولغوية، وعقدية، مختلفة في قارات ثلاث... وواجهت تحديات عديدة، نجحت في اجتياز معظمها، بتفوق

(١) المصدر نفسه: ٢٦٧/٧-٢٦٨.
(٢) الطبري، تاريخ: ١٠٩/٧؛ وينظر الأزدي، تاريخ الموصل: ص٣٨.
(٣) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٩٦.
(٤) ابن أعثم، المصدر السابق: ١٧٥/٨-١٧٦.

أمام أعداء لم يكن كثير منهم بأقل منها في حجم إمكانياته وخلفياته الحضارية. إن مسألة تحقيق الأمن بشكل ناجح، وفعال يتطلب عدم التغاضي عن أبسط المعلومات، التي يتم الحصول عليها، حيث يجب الأخذ بنظر الاعتبار أسوأ الاحتمالات، وليس أحسنها. إن المشكلة كالحلقة المغلقة التي قد يؤدي أي شرخ، في محورها، إلى إلحاق الأذى الفادح بها، وفي ضوء هذه الحقيقة كان هناك التزام بمبدأ السرية في التعامل مع المعلومات والحفاظ على الأسرار التي هي من أهم قواعد العمل، لوحدات العيون[١]. فعلى صعيد مقاومة التجسس المضاد، وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات، نجد أن القيادة لجأت إلى ترحيل بعض السكان المتعاطفين مع البيزنطيين، والمتعاونين معهم على مستوى الأخبار، في منطقة الثغور الشامية، كما هو الحال مع سكان سوسنة، والذين طردوا إلى داخل الأراضي البيزنطية[٢]. واضطرت الدولة في عهد الخليفة الوليد بن يزيد، إلى إعطاء سكان قبرص، الخيار بالرحيل إلى الشام، أو الأراضي البيزنطية، للسبب نفسه[٣]. ومن المنطلق ذاته يلاحظ أن القيادة الإسلامية، كانت تلجأ عند استقبال الوفود البيزنطية إلى إيجاد مرافقين لهم، من الذين يجيدون اللغة اليونانية، من غير أن يحس أعضاء الوفد بذلك[٤] وذلك لردع أي محاولة للتجسس المضاد، من جهة ولمعرفة النوايا الحقيقية للوفد من جهة أخرى. مما قد يساعد في عملية إدارة المفاوضات، وحرصت القيادة العسكرية أثناء تقدم القوات في عمق أراضي العدو، على إقامة مراكز للمراقبة والرصد، على قمم الجبال، وفي الأودية، وإقامة المسالح، على الطرقات، وإيجاد قواعد للبريد بين كل قاعدة وقاعدة[٥]، لمقاومة التجسس، والتسلل، ولنقل الأخبار بسرعة إلى قيادة العمليات.

ويمكن تفسير أحد أسباب عملية تعريب الدواوين، من اليونانية إلى العربية، في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان[٦]، بأنها كانت لأغراض أمنية لمقاومة التجسس المضاد، وتقليل فرص العدو في إيجاد مصادر للمعلومات، عن إمكانيات الدولة الاقتصادية، والسياسية، والعسكرية، والاجتماعية. وكان الخليفة عمر بن عبدالعزيز، بحسه الثاقب على إدراك تام لخطورة التجسس المضاد، حينما أوعز إلى أحد قادته بضرورة أن تكون عيونه من العرب،

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢٣٦/٥. (٢) المصدر نفسه: ٤٦٨/٦. (٣) المصدر نفسه: ٢٢٧/٧.

(٤) ابن عساكر، تهذيب: ٢١١/١.

(٥) الطبري، تاريخ: ٢٣٩/٦.

(٦) البلاذري، فتوح: ص٢٢٩-٢٣٠؛ وينظر خليفة، تاريخ: ص٢٢٩؛ الجهشاري، المصدر السابق: ص٣٨-٤٠.

وممن يطمئن إلى أمانتهم، من السكان المحليين[1]. حيث أن لكل مرحلة سياقاتها الخاصة بها، فما هو مطلوب في مرحلة ما، قد يكون مؤذياً في مرحلة أخرى، لا سيما بعد اشتداد حدة الصراع مع العدو البيزنطي، وتحول البيزنطيين من الدفاع إلى الهجوم[2]. وعلى صعيد أمن الخطط، نجد أن القادة في هذا العصر كانوا يلجأون إلى كل وسائل الخداع، للحيلولة دون وصول أسرار الخطط إلى العدو. فقد عرف عن مالك بن عبدا لله الخثعمي[3]، صاحب الصوائف في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، أنه كان إذا أراد الحركة داخل الأراضي البيزنطية، يلقي خطاباً في قواته يشير فيه بأنه سيسلك الدرب الفلاني، فتنطلق جواسيس العدو مخبرة إياهم بذلك، إلا أنه عندما يصدر أمر الحركة الفعلية، يعلن خطة جديدة تقوم على اختيار درب آخر، حتى سماه البيزنطيون الثعلب[4].

إن تركيبة سكان الثغور، الذين معظمهم من غير العرب، وغير المسلمين، فضلاً عن وعورة المنطقة، وكثافة أدغالها وغاباتها، ومناخها المتطرف، لا سيما في فصل الشتاء البارد والمثلج، هي التي دفعت مالك إلى اتخاذ هذه السياسات، خوفاً من الوقوع في كمائن الأعداء. وهكذا كان نجاح العدو البيزنطي في جبهة الثغور الشامية، والجزرية، يعتمد على طبيعة القيادةالعسكرية الإسلامية ، وإمكاناتها ونشاط عيونها، وكفاءة الوحدات المقاتلة، فضعف هذه العوامل هو الذي مكن البيزنطيين، في بعض الأحيان من متابعة تحركات السرايا منذ دخولها الأراضي التابعة لهم، وحتى انسحابها، وفي أيِّ الوديان تعسكر في طريقها[5]. وعرف أيضاً عن قتيبة بن مسلم الباهلي، بأنه كان لا يفصح عن هدفه، بل ينوه بهدف آخر، من أجل الحفاظ على أمن الخطط، وكان أحياناً لا يبوح بخطته لهيئة قيادته حتى اللحظة الأخيرة[6].

وعلى الصعيد ذاته، نجد أن المسؤولين لجأوا إلى وسائل مبتكرة للتمويه، للحيلولة دون وقوع المعلومات بيد الأعداء، فكانت التقارير ترسل في رغيف من الخبز، أو في سروج

---

(١) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز، ص٧٣؛ وينظر ابن الأزرق، المصدر السابق:٢/٢٧-٢٨.

(٢) اللاذري، فتوح: ص١٥٧.

(٣) مالك الخثعمي: أحد قادة الصوائف، اشتهر في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان في ثغور الشام، والجزيرة. ينظر عن حياته: خيلفة، تاريخ: ص٢٥٣؛ الطبري، تاريخ: ٥/٢٢٧، ٢٩٩، ٣٠٩، ٣٢٢.

(٤) النويري، نهاية الأرب: ٦/١٧٦.

(٥) محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام، وفيات المشاهير والأعلام، حوادث ١٠١-١٢٠، تحقيق عمر عبدالسلام، (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤١٠/١٩٩٠): ص٤٠٨.

(٦) الطبري، تاريخ: ٦/٤٧٢؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢٣٦-٢٣٨.

الخيل، بعد حفرها وإيداع الرسائل في داخلها، بشكل لا يلفت الانتباه وبطرق فنية[1]. وامتازت عملية فتح الأندلس بتطبيق ذكي لأمن الخطط، فمن أجل عدم لفت انتباه جواسيس العدو القوطي، إلى العملية تم الاتفاق مع يوليان حاكم سبتة، على أن تتم عمليات العبور بسفنه[2]، وتم اختيار مدينة سبتة لأنها لم تكن من الناحية الفعلية خاضعة للسيطرة العربية[3]. إن أمن الخطط ومنع تسربها مطلوب كذلك في العمل الإداري الداخلي، كما هو ضروري وحساس في العمل العسكري، ويلاحظ هنا أن بعض الخلفاء الأمويين، بشدة حرصهم على عدم تسرب أي شيء من أسرار العمل الإداري، كانوا يقومون أحياناً بأنفسهم بكتابة الرسائل السرية، على أصغر مساحة ممكنة من الجلد ((كأنها أذن فأرة)) ودرجها بطي كتاب آخر اعتيادي، كتبه صاحب الرسائل، كما حدث عند تولية الخليفة هشام بن عبدالملك، ليوسف الثقفي، على العراق، وعزل خالد القسري[4]. ويفسر تصرف هشام، بأن الأمر يتطلب الكتمان الشديد، وذلك لخطورة القرار المتعلق بعزل والي استغرق حكمه للعراق والمشرق حوالي خمس عشرة سنة. أما فيما يتعلق بأمن القادة وحمايتهم، من محاولات الغدر نجد أن الخليفة عبدالملك بن مروان، كان يملك حساسية إزاء هذا الخطر[5]. لا سيما وأن الأمة قد شهدت فقدانها لثلاثة من خلفائها الراشدين، وهم عمر، وعثمان، وعلي ﷺ[6]. فضلاً عن محاولتين غير موفقتين، استهدفتا معاوية، وعمرو بن العاص[7]. وهذا ما يفسر إنشاء المقاصير من قبل معاوية، وزياد بن أبيه[8]. وفي جبهات القتال، عرف عن المهلب بن أبي صفرة، نجاحه في تأمين شخصه، مع عدو متمرس مستميت وهو الخوارج، بفضل عيونه اليقظين[9]، فضلاً عن قوة البصيرة التي كان يتمتع بها، والتي أنقذته في إحدى المرات، من كمين مهلك نصبه له الخوارج[10]. ومن أجل التأكد من سلامة التنفيذ في وحدات العيون، نجد أنه كان يلجأ أحياناً إلى مراقبة العين المكلف بمهمة

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٠-٢٠١؛ وينظر الرقيق، المصدر السابق: ص٥٨-٦٠؛ الدباغ، معالم الإيمان: ١/٦٣-٦٤.

(٢) ابن عذاري، المصدر السابق: ٢/٦؛ ويقارن السيد عبدالعزيز سالم، أحمد مختار العبادي، البحرية الإسلامية (بيروت، دار النهضة العربية، ١٩٦٩): ص٣٦-٣٧.

(٣) الفتح والاستقرار: ص١٦٣.

(٤) الجهشياري، المصدر السابق: ص٦٢-٦٣.

(٥) الأصبهاني، الأغاني: ٩/١٧٠.

(٦) الطبري، تاريخ: ٤/١٩٠-١٩٤، ٥/١٤٤-١٤٧.

(٧) المصدر نفسه: ٥/١٤٩.

(٨) البلاذري، فتوح: ص٤٢٧.

(٩) القالي، الأمالي: ١/٢٦٤.

(١٠) المبرد، الكامل: ٣/٣٣١.

من قبل عين آخر[1]. في حين نجدأن قتيبة بن مسلم، لجأ إلى أسلوب آخر أقل كلفة، وذلك عبر شق لوح منقوش وإعطائه للشخص المكلف بالمهمة، ويطلب منه في نهاية العملية، أن يضع الشق الخاص به في مكان ما، وقد يكون تحت شجرة، أو مخاضة، أو في خربة، في حين يرسل الشق الثاني مع عين آخر لكي يأتي بالنصف الأول على السياق نفسه[2]. ووصلت قواعد الأمن، في العمل أقصى درجاتها في توخي الحذر، وفي التعامل مع الخصوم السابقين، الذين انضموا حديثاً للعمل كأصدقاء، فعندما قدم عين حسان الغساني، لدى الكاهنة خالد العبسي، مع ابني الكاهنة، إلى معسكر حسان قبل الهجوم الشامل على قوات الكاهنة، لجأ حسان إلى إجراء احتياطي، حيث أدخلا المعسكر مع توصية بمراقبتهما، نظراً لحداثة إسلامهما، وخوفاً من أي تصرف غادر قد يصدر عنهما، لا سيما أن أمهما كانت تقود قوات العدو[3]. كما يلاحظ أن توفير الأمن أثناء التنفيذ للعيون، مع ضمان الوصول إلى الأهداف كانا متلازمان، فقد كان أحد عيون المهلب بن أبي صفرة، يلجأ إلى المبيت في كل ليلة في ناووس قديم، قريب من معسكر الخوارج لمراقبة العدو، ومتابعة تحركاتهم[4]، حيث يوفر له الناووس مع ظلام الليل حماية كافية، ويستطيع في الوقت نفسه، تنفيذ الواجب المكلف به بكفاءة. إن إحساس العيون والجواسيس، بالأمان أثناء تنفيذ العمل يزيد من قابليتهم واندفاعهم، فالخوف حالة إنسانية لا يمكن إنكارها، والمطلوب هو تقليلها إلى أقصى حد ممكن، وليس إزالتها، وإن الطرق على وتر الشجاعة فقط في العمل هو وسيلة غير مأمونة دائماً.

د. الاستنطاق:

لم تصلنا عن هذا العصر مع الأسف صور كاملة لأساليب الاستنطاق، وإنما نتائج الاستنطاق، ولا أعتقد أنها تختلف كثيراً عما ورد في عصري الرسالة، والراشدين، ونظراً للتوترات الداخلية العنيفة، التي سادت هذا العصر بفضل التيارات السياسية المتصارعة، في طروحاتها مع ما تؤمن به وتطبقه السلطات الأموية، وبعد أن اختفت لغة الحوار، وحلت محلها المجابهة، نجد أن السلطات الأموية، دفاعاً عن وجودها وإيماناً بما تعتقد أنها تمثل

---

(١) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٣٥؛ وينظر علي بن حجة الحموي، ثمرات الأوراق (بيروت، دار الكتب العلمية، د.ت): ص٣٤٢-٣٤٣.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/٥٠٤.　　　(٣) الدباغ، معالم الإيمان: ١/٦٦-٦٧.

(٤) المبرد، المصدر السابق: ٣/٣٥٠-٣٥١.

الطرف الحق وهو ما اصطلح على تسميته بالجماعة، لجأت أحياناً إلى وسائل قد تكون عنيفة في الحصول على المعلومات، من خصومها بعد أن يقعوا بأيدي السلطات المسؤولة[1].

وعرف عن زياد بن أبي سفيان، ومروان بن محمد، لجوؤهما أثناء التحقيق مع المتهمين إلى مواجهة المتهم مع الشخص الذي نقل الأخبار عنه[2]. وهي حالة ضرورية وإيجابية لكشف الزيف، وإحقاق الحق وعدم الاكتفاء بالاتهامات المكالة جزافاً.

كما أشير أحياناً إلى تولي الخليفة بنفسه أمر التحقيق، كما حدث للخليفة مروان الثاني، مع عبدالله بن الحسن بن الحسن عليه السلام. ويظهر من ثنايا النص أن مروان نظراً لتمرسه في القيادة العسكرية، كان يلجأ إلى الترغيب، والترهيب، في سبيل كشف رأس التنظيم العباسي إبراهيم الإمام[3].

وفي حادثة أخرى، لجأ إلى الإغراءات المالية السخية، ونجح في إعادة تجنيد الجاسوس المعادي، من صف الأعداء إلى صفه[4]. كما يلاحظ أن بعض المتهمين نجح في تضليل المحققين، من خلال توريط أبرياء محسوبين على السلطات الأموية، للإنتقام منهم حيث وردت الإشارة إلى حالة واحدة على الأقل، قامت فيها السلطات الأموية بعزل من حامت حوله الشبهات، بعد أن لم يثبت لديها ما اتهم به بشكل حاسم[5].

---

(١) مجهول، أخبار العباس: ص٢٧٠؛ وينظر الأزدي، تاريخ الموصل: ص١٠٧.

(٢) القالي، الأمالي: ٤٦/٢؛ وينظر المسعودي، مروج الذهب: ٢٤٤/٣؛ الطبري، تاريخ: ٣٦١/٥؛ محمد بن حبان البستي، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق محمد محي الدين ومحمد عبدالرزاق حمزة ومحمد حامد الفقي (بيروت، دار الكتب العلمية، ١٩٧٥): ص١٧٧-٢٧٨.

(٣) مجهول، أخبار العباس: ص٣٨٩.

(٤) المسعودي، مروج الذهب: ٢٤٣/٣.

(٥) ابن تغري بردي، المصدر السابق: ٢٧٧/١-٢٧٨.

ثالثاً: إدارة العيون:

مارس الخليفة الأموي، دوره في إدارة العيون، بصورة مباشرة، وفعالة في معظم الأحيان، فكانت أوامره إلى عماله وقادته تستند إلى تقارير العيون في معظم الأحيان. وفي الوقت الذي كان فيه الخليفة يتولى الإشراف بصورة مباشرة، على الإدارة الأمنية الداخلية، فقد ترك بصورة عامة مع استثناءات قليلة[1] الإشراف على التجسس الخارجي، لعماله، وقادته العسكريين في الأمصار، والجبهات. والذين كانوا يزودونه في الوقت نفسه بخلاصة الموقف بصورة مستمرة، ليكون على اطلاع تام على الأمر.

إن عدم معرفة أسماء العاملين في إدارة العيون، سواء كانوا في التجسس الداخلي، أو الخارجي، هو الذي ينسجم مع طبيعة العمل الأمني، وهو ما يفسر أيضاً شحة المعلومات المتعلقة بطبيعة وسائل الإدارة، وعدد العاملين، والتسلسل القيادي، والامتيازات المادية[2]. وكانت تقارير الأجهزة الأمنية، تصل إلى دمشق، من مصادر شتى، ومن أمصار الدولة الممتدة من حافات البيرنية، في شمال الأندلس، حتى ما وراء النهر في وسط آسيا، ومن الطبيعي أن تختلف هذه التقارير في أهميتها وأولياتها، ما بين مستعجل جداً، ومستعجل، وقابل للتريث، وبعضها لمجرد الاطلاع، أو للحصول على الموافقة الاعتيادية. إن عملية تنسيق هذه التقارير حسب ما ورد في الكلام السابق، يتطلب كادراً متخصصاً وموثوقاً به بدرجة كبيرة، وعليه تقديم خلاصات لبعضها، واقتراحات متعددة، لكي يختار الخليفة المناسب منها ضمن هيئة مستشاريه الأمنيين، والتي تشمل الكاتب، وصاحب ديوان الرسائل، والخاراج، والخاتم، وآخرين ممن لم تكن لهم صفة رسمية ثابتة، فالكاتب في العهد الأموي كان يمارس أحياناً ما يشبه صلاحيات الوزير العباسي[3].كما كان ينافسه صاحب ديوان الرسائل، والخاتم، في أحيان أخرى[4]. فضلاً عن كاتب الخراج[5]. علماً بأن الأمر

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٤/١٢٦-١٦٣١.

(٢) لم يرد شيء ثابت عن رواتب العيون والجواسيس في هذا العصر حيث أشير إلى أن أحدهم كان ممن فرض له في العطاء ألفين، في عهد عبدالملك بن مروان. ابن حبيب، المحبر: ص٣٤١.

(٣) خليفة، تاريخ: ص٢٢٨؛ ٣١٢، ٤٠٨؛ وينظر البلاذري، أنساب: الورقة ٦٨، ١١٠، ١٧٢؛ الطبري، تاريخ: ٦/١٨٠-١٨٢.

(٤) خليفة، تاريخ: ص٣٦٢، ٣٦٧؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦/١٨١.

(٥) خليفة، تاريخ: ص٢٢٨، ٢٢٩، ٣٥٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦/١٨٠.

كان يحتاج أحياناً إلى الاستعانة بخبراء متخصصين، في شؤون أمن الإقليم أو المصر[1].

ويعد إنشاء ديوان البريد في عهد الخليفة معاوية، أول مؤسسة أخذ العيون والجواسيس يعملون في إطارها مستفيدين من مميزاتها الإدارية، والتنظيمية، وطبيعة التسهيلات، التي تقدمها لا سيما على صعيد النقل السريع المأمون. ويقصد بالبريد لغة، المسافة بين كل منزلتين، ويقصد بها أيضاً الرسل على دواب البريد[2]. أما اصطلاحاً فيقصد به وضع خيل سريعة في عدة محطات، فإذا وصل صاحب الخبر المسرع إلى مكان منها، وقد تعب فرسه، تركه وركب غيره من خيول المحطة، وكذلك يفعل بالمكان الذي يليه، حتى يصل الهدف[3].

ويبدو أن زيادة صلاحية ديوان البريد، من مجرد وسيلة للنقل بالنسبة للخبر، ولرجال الدولة، إلى مؤسسة تخصص أيضاً. بجمع الأخبار وتنسيقها، ثم نقلها، جاءت في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان. وكان الدافع لهذا التطوير على الأرجح هو التحديات الهائلة التي جابهها طيلة حكمه، سواء على الصعيد الداخلي، أم الخارجي، ولذلك كانت وصيته لصاحب حرسه ابن الزعيزعة مولاه ((والبريد متى جاء من ليل أو نهار فلا يحجب...))[4].

تشير معظم الدلائل، على أن الإشراف على البريد، في عهد عبدالملك كان من مسؤولية قبيصة بن ذؤيب الخزاعي[5]. الذي وصف بأنه كان على الخاتم والبريد، حيث كان يقرأ التقارير السرية التي تصل، ثم يقوم بتنسيقها، ثم يدخلها عليه، حتى يقوم بتقديم موجز لما فيها، وكان يقوم بالإجابة عليها، نيابة عن عبدالملك، بعد أن يأخذ منه الخطوط العريضة[6]. ونظراً للمسؤولية الكبيرة، التي كانت ملقاة على عاتق قبيصة، فقد كان يحق له

---

(١) اليعقوبي، تاريخ: ٢/٢٣٦-٢٣٧؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٣٩-٣٤٠.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق: ٣/٨٦.

(٣) ابن طباطبا، المصدر السابق: ص١٠٦؛ وينظر جرجي زيدان، تاريخ التمدن الإسلامي (بيروت، دار مكتبة الحياة، ١٩٦٧): ١/٢٣٠؛ صالح المغيربي، النظم والمؤسسات الإسلامية، حوليات الجامعة التونسية، كلية الآداب والعلوم الإسلامية (تونس، العدد ٣٤، ١٩٩٣): ص٢١٢؛ ويقارن: إبراهيم محمد الفحام، الشرطة في نظام الإدارة والحضارة عربي أصيل، مجلة العربي (الكويت، العدد ١٩٧، سنة ١٣٩٥/١٩٧٥): ص١٢٤؛ سعداوي، المرجع السابق: ص١٣٧.

(٤) العسكري، الأوائل: ص١٦٢.

(٥) الطبري، تاريخ: ٦/٤١٢؛ وينظر ابن حجر، تهذيب: ٨/٣٤٦.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق: ٥/١٣١؛ وينظر ابن تغري بردي، المصدر السابق: ١/١٧٣.

الدخول على عبدالملك، في أية ساعة من ليل أو نهار(١).

وكان في كل مصر، من الأمصار، صاحب بريد(٢)، ويسمى المشرف على بريد المدن (صاحب السكة)(٣)، ونظراً للتداخل بين البريد والسكة، فقد أشير أحياناً إلى صاحب هذا المنصب، بأنه كان على سكك العراق، كما هو الحال مع بشر بن نافع، مولى سالم الليثي، في عهد يوسف الثقفي(٤).

ويلاحظ أن الطبري(٥) أشار إلى رجلين، في عهد عامل العراق، يوسف الثقفي، وهما الحجاج بن عبدالله البصري، ومنصور بن نصير، بأنهما كانا على الخبر ما بين الشام والعراق، ويفهم من هذا النص أنهما كانا عينين ينقلان الأخبار مباشرة، ما بين دمشق وواسط، في العراق.

ولخطورة منصب المشرفين، والعاملين على البريد(٦)، على كافة المسؤوليات السياسية، والأمنية والاقتصادية والاجتماعية، فقد روعي توفير شروط، أهمها الكفاءة والثقة والتجربة، فقد كان قبيصة فقيهاً ومحدثاً ثقة، فضلاً عن كفاءته المهنية(٧). واستناداً إلى عامل الثقة، فقد شهد هذا العصر، استخداماً كبيراً للموالي، وهم المسلمون، من غير العرب، سواء كانوا موالي للقبائل العربية(٨) أو للأسرة الأموية(٩)، فضلاً عن رغبتهم في العمل الذي

---

(١) الطبري، تاريخ: ٤١٢/٦.

(٢) أدولف جروهمان، أوراق البردي المصرية بدار الكتب المصرية (القاهرة، مطبعة دار الكتب، ١٩٣٤): ٢٨/٨.

(٣) الطبري، تاريخ: ٢٨٠/٧؛ السكة: موضع يسكنه رجال البريد المرتبون في بيت أو قبة أو رباط. ابن منظور، المصدر السابق: ٨٦/٣. (٤) الطبري، تاريخ: ٢٧٧/٧. (٥) تاريخ: ٢٧١/٧.

(٦) إن صاحب الخبر ظهر أول مرة في عصر المأمون، لتعزيز صاحب البريد، بعد أن عجز عن ضبط الأوضاع، كما يبدو، في مدينة كبيرة كبغداد، في حين ظل صاحب البريد مشرفاً على أمن الدولة. أحمد بن طاهر الكاتب (ابن طيفور)، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية (بغداد، مكتبة المثنى، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٦٨): ص٣٦-٣٧، ٦٤، ويقارن محمد كرد علي، مميزات بني أمية، المجمع العلمي في دمشق (دمشق، م١٦، ج٩): ص٤١٦.

(٧) ابن سعد، المصدر السابق: ١٣١/٥؛ وينظر أبو يوسف، المصدر السابق: ص١٨٥-١٨٦؛ ابن حجر، الإصابة: ٥١٨/٥.

(٨) ابن حبيب، المحبر: ص٣٤١-٣٤٢؛ وينظر الأصبهاني، الأغاني: ٣٠٤/١٦-٣٠٥.

(٩) معمر بن مثنى، النقائض: ٧٢١/٢-٧٢٢؛ وينظر ابن أعثم، الفتوح: ٦٩/٥-٧٥؛ ابن عساكر، تهذيب: ٢٠٦/٣-٢٠٧.

يحقق طموحهم، على المستويين المادي والمعنوي، كما أنهم أكثر طاعة، وأقل تأثراً بالحساسيات القبلية.

واجبات ديوان البريد:

فضلاً عن مهمة جمع الأخبار ونقلها فقد كان يقوم بواجبات أخرى مهمة وهي:

١. نقل الولاة المعينين أو المنقولين إلىمناطقهم الجديدة،وبصورة سرية في معظم الأحيان[١].
٢. نقل القطعات المهمة والصغيرة من الجند إلى الجبهات في أوقات الأزمات[٢].
٣. نقل طلبات الخليفة من المواد أو الأشخاص[٣].

الأجهزة الأخرى:

أ. عامل الخراج والعيون:

كانت مسؤولية الإشراف على العيون والجواسيس، غير منحصرة في هيكل إداري واحد، على الأرجح، وإذا كان صاحب البريد، قد أخذ على عاتقه المسؤولية الكبرى، في هذا المجال، من خلال التسهيلات والإمكانيات التي وضعت تحت تصرفه، فإنه لم يكن الوحيد، حيث نجد أن الصورة تتداخل أحياناً، وكان الخليفة يحاول الاستفادة من الجميع، ولا يعتمد على خيار واحد، فهل كان عامل الخراج، وهو الذي، في معظم الأحيان، كان مستقلاً عن عامل الحرب والصلاة[٤]، لديه عيونه الخاصة به، الذين كانت مهمتهم مزدوجة ما بين الإشراف على الخراج، وجبايته، وحساباته، والتي تجعل له سلطة كبيرة جداً، تصل إلى أقصى أنحاء الريف، لا سيما من خلال الدهاقين[٥] أو من خلال عمال القرى، الذين كانوا بدورهم مسؤولين عن أي حادث مهم يقع في قراهم[٦]. وما ورد لدينا في هذا المجال يشير إلى أن الأخبار كانت ترسل إلى عامل مصر، وهذا التداخل يدل على أن عامل الخراج، كان يتعاون مع عامل الحرب والصلاة، حيث يقوم بتبليغه ما يتجمع لديه من معلومات، ويرسل نسخة منه إلى الخليفة. لقد قدم هذا العصر، العديد من الأمثلة القاطعة،

---

(١) الدينوري، المصدر السابق: ص٢٢٣؛ وينظر ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٣٨؛ الطبري، تاريخ: ٦/٣٢١، ٦١٥.
(٢) الطبري، تاريخ: ٦/٢٩٤، ٣٣٩.
(٣) الأصبهاني، الأغاني: ٢/٢١٠.
(٤) الطبري، تاريخ: ٦/٥٢٤.
(٥) المصدر نفسه: ٦/٢٤٠، ٢٥٨.
(٦) المصدر نفسه: ٧/١٣٠.

على الدول الأمني لعمال الخراج، فقد قام الخليفة معاوية، بتعيين مولاه عبدالله بن دراج، على خراج العراق[١]، وليس السبب اقتصادي فحسب، بل وأمني أيضاً، لا سيما وأن الخليفة معاوية كان عليه أن يعرف تطورات الأوضاع في العراق، الإقليم الخطير وغير المستقر وقاعدة الشرق كله، ليس عن طريق عامل الحرب والصلاة فحسب، بل وعن طرق أخرى من أهمها عامل الخراج، وعرف عن ابن هرمز عامل الخراج في المدينة المنورة، في عهد الخليفة يزيد بن عبدالملك، بأنه كان له دور أمني يشمل أيضاً مراقبة الوالي[٢]. كما سجل للحسن بن شيخ، عامل الخراج في مدينة مرو، بأنه هو الذي كشف التنظيم العباسي في خراسان عام ١٠٩هـ،٧٢٧م بقيادة زياد أبي محمد مولى همذان، وعند التحقيق معه من قبل أسد القسري اكتشف أسد، أنه سبق أن رأى زياد في حانوت بدمشق، فبرر زياد الرؤية بأنه تاجر، واقتنع أسد أخيراً ببراءته فأطلق سراحه مقابل مغادرته خراسان. إلا أن عيون الحسن بن شيخ ألقت القبض عليه ثانية فأعدم مع مساعديه الثمانية[٣]. وكان عامل الخراج في العراق، في عهد خالد القسري مولاه طارق، يشرف على الأجهزة الأمنية، وله صلاحية اتخاذ الإجراءات المناسبة. لمعالجة الحالات الطارئة، قبل الرجوع إلى خالد القسري[٤]. وسجل لعامل خراج دمشق، في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك، بأنه كشف ما عجز عنه عامل دمشق كلثوم بن عياض القشيري، وذلك عندما كشف عام (١٢٦هـ/٧٤٣م) الأسباب الخفية، للحرائق التي أخذت تجتاح دمشق، والتي اتهم بها عامل دمشق خطأً، موالي وأنصار خالد القسري، وكان هذا سبباً في إلقاء القبض على أسرته وأنصاره، في حين كان السبب الحقيقي لها هو أحد لصوص الكوفة، أبو العمرس وعصابته. وكان الهدف من الحرائق، لإشغال الناس ريثما يقوموا بنهب جانب آخر من السوق[٥]. وعندما نجح الخليفة يزيد بن الوليد، في الوصول إلى الخلافة عام (١٢٩هـ/٧٤٦م) قام بتعيين المشرف على عيونه في جند الأردن، محمد بن سعيد الأردني عاملاً على الخراج، في ذلك الجند[٦]. إن هذه النصوص الآنفة الذكر قد تكون غير حاسمة، إلا أنها محاولة أولية في

(١) البلاذري، فتوح: ص٣٥٨.

(٢) ابن سعد، المصدر السابق: ٣٤٨/٨؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٣/٧.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥٠/٧.

(٤) البلاذري، أنساب: الورقة ١٦٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٤٧/٧.

(٥) البلاذري، أنساب: الورقة ١٧٢-١٧٣؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٤٥؛ الطبري، تاريخ: ٢٥٥/٧-٢٥٦.

(٦) المصدر نفسه: ٢٦٧/٧-٢٦٨.

إثارة الاهتمام على هذا الصعيد، فهل كان عامل الخراج في كل جند يشرف على الأمن الداخلي، أو يساهم فيه بشكل فاعل إلى جانب غيره من الأجهزة؟

ب. صاحب الشرطة والعيون:

كان لصاحب الشرطة المرتبط إدارياً بعامل المصر، أو الجند، عيونه الخاصة التي تعينه في مسؤولياته الكبيرة، على صعيد حفظ الأمن، أو مراقبة الحركات السياسية المعارضة[١]، وظهر منصب جديد في أواخر العصر الأموي، وأشير إليه في عهد والي العراق خالد القسري (١٠٥-١٢٠هـ/ ٧٢٣-٧٣٧م) وهو الأحداث والشرطة، ويقصد بالحدث والأحداث الحالات الطارئة، أي أن صاحب الأحداث مهمته مراقبة الحركات السياسية المعارضة والتي تسمى في منظور السلطات الأموية (أهل الأهواء)[٢]، وكان على صاحب الأحداث مراقبة تصرفات الحركات، والشخصيات المعارضة في طروحاتها الفكرية للسلطات الأموية[٣]. وظهر منصب آخر في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك، هو صاحب العصاة وكان يتولاه أحد الخوارج السابقين، وهو ابن عقفان، ومهمته تشخيص أصحاب الأفكار المعارضة والقبض عليهم[٤].

جـ. عيون مرتبطين بالخليفة مباشرة:

من الطبيعي أن تتمتع العيون التي تعمل بإشراف الخليفة، بإمكانيات وصلاحيات كبيرة[٥]، وإن كانت المعلومات التي وصلت عنهم شحيحة بدرجة كبيرة، إلا أن دورها ظهر في أحداث كبيرة وردت في سياقات الفصل، مثال ذلك عيون الخليفة عبدالملك في العراق أثناء سيطرة ابن الزبير[٦]، وكذلك عيون الخليفة هشام في العراق في عهد خالد القسري[٧]، وعيون الخليفة مروان الثاني لكشف التنظيم العباسي[٨].

يتبين مما ورد أعلاه أن هناك أربعة أقسام، كان العيون يعملون في إطارها وبصورة

---

(١) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٤٥؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٨١/٥، ٤٨٦/٦.

(٢) ابن منظور، المصدر السابق: ١٣٠/٢-١٣١.

(٣) مجهول، العيون والحدائق: ٨٧/٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل: ١١٨/٥.

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٧؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٢١؛ ابن رستة، الأعلاق النفيسة: ص٦٧-٦٨؛ مجهول، العيون والحدائق: ٩٥/٣.

(٦) ابن حبيب، المحبر: ص٣٤١.

(٧) اليعقوبي، تاريخ: ٢٢٣/٢.

(٨) مجهول، نبذة: الورقة ١٠٣-١٠٤.

مستقلة، وتتعاون فيما بينها وهي ديوان البريد، والخراج، وصاحب الشرطة، وعيون الخليفة المرتبطة به. ويبدو أنها كانت تستفيد في آن واحد من إمكانيات ديوان صاحب البريد، على صعيد النقل السريع المأمون. إن في تعدد الأجهزة الأمنية فوائد مهمة، منها إن اعتماد الدولة على جهاز واحد يجعلها في وضع تكون فيه المعلومات التي تحصل عليها كماً ونوعاً تعتمد على تصورات، وأفكار جهاز منفرد. وفي حالة إصابة أي حلقة من حلقاته بأي خلل فإنه يؤدي إلى إصابة مجموع عناصر الروية والتمييز والاختيار لدى المركز القراري، هي الأخرى بالعطب، كما أن التعددية تؤدي إلى تزويد المركز بتحليلات وتقويمات متعددة(١).

لقد عملت إدارة العيون والجواسيس، في هذا العصر على توفير ثلاثة عناصر ضرورية للوصول إلى النجاح، الأول هو ضمان تدفق مأمون للمعلومات، ونقلها بسرعة. والثاني القابلية على التمييز بين المعلومات المهمة، والأقل أهمية، وبين المعلومات المضللة والحقيقية. وهنا لا بد للإدارة ورجالها من أن يمتلكوا بصيرة. تجعلهم يشعرون بالخطر. والثالث إبعاد المصالح والميول القبلية، قدر الإمكان، وحتى الأفكار السياسية الضيقة الأفق، لأن دخول هذه المصالح والميول، والأفكار، يعمل على حرف العمل الأمني، عن مساره الصحيح إلى أمور أخرى، لا علاقة لها بأهداف الدولة العليا، وسياستها الطويلة الأمد.

كما كانت الإدارة تلجأ إلى إجراء التنقلات، بين بعض وحدات العيون، لا سيما التي تعمل في الميدان الداخلي، بين فترة وأخرى، ومن مصر إلى آخر، بعد انتهاء المهمات المكلفين بها وبصورة بعيدة عن الإثارة(٢). والهدف من هذا الإجراء، كما هو واضح لمنع العيون وقيادتها المحلية، من إقامة صلات اجتماعية، قد تنعكس سلباً على أدائهم، وإخلاصهم وإن كان هناك جانب إيجابي، من بقائهم في مكان ما لفترة من الزمن، وهو اكتسابهم خبرة تراكمية عن المصر أو المدينة أو المنطقة.

طرق إيصال الأخبار:

١. استخدمت البغال، في عمليات النقل بصورة رئيسية (دواب البريد) وهي من البغال

---

(١) علي عباس مراد، الأجهزة الاستخبارية، دراسة في الطبيعة والمهمات، مجلة الأمن القومي، (بغداد، كلية الأمن القومي، العدد الثالث، ١٩٨٥): ص١٩٩؛ ولا بد من الإشارة إلى أن تعدد الأجهزة قد لا يكون دائماً حالة إيجابية يحقق الأهداف المرجوة. إذا كانت هذه الأجهزة تعمل بلا انسجام، وبعزلة عن بعضها البعض، فضلاً عن سيادة روح المنافسة المهنية الضيقة الأفق، وهنا يأتي دور الإدارة في إعادة الصياغة والتقويم، ثم الوصول إلى ما هو مطلوب فعلاً وإيصاله إلى ذوي العلاقة.

(٢) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١٠٨/٢.

مقطوعة الذنب، وهي علامة مميزة لبغال البريد[1]، كما كانت تستخدم الخيول أيضاً[2].

٢. كان نقل الخبر يتم أحياناً عبر اصطحاب العين، لعشرة رجال، يرسل عند كل مرحلة، واحداً منهم رسولاً إلى المقر، ينقل إليه آخر الأخبار[3].

٣. استخدمت النيران ليلاً والدخان نهاراً، لإيصال الأخبار، فقد اتخذ الحجاج بن يوسف الثقفي المناظر، بين واسط وقزوين، وكان إذا دخن أهل قزوين دخنت المناظر، إذا كان نهاراً وإن كان ليلاً أشعلوا نيراناً متصلة[4].

٤. أما عن إمكانية استخدام الحمام في نقل الأخبار، في هذا العصر فلم يرد سوى نص متأخر أورده الذهبي[5]،نقلاً عن الإمام الشافعي، وهو أن الحمام نقل إلى الخليفة هشام بن عبدالملك في مقره في الرصافة[6]، خبر تعرض أحد الثغور لهجوم معاد أحدث خسائر. وعلى الرغم من أن هذا النص متأخر، ومنفرد، إلا أنه يتمتع بأهمية استثنائية، نظراً لإسناده إلى مصدر ثقة وهو الإمام الشافعي. وهو متقدم من الناحية الزمنية، كما أن هناك نصوصاً أخرى، تشير إلى مدى اهتمام المجتمع، حكاماً ورعية على السواء، بتربية الحمام وبتطييرها. فقد عرف عن الخليفة الوليد بن عبدالملك، ولعه بتطيير الحمام، وكان له موظف خاص مشرف عليها[7]. ويشير الطبري[8] إلى ولع أهل المدينة، بتطيير الحمام منذ عهد عثمان[9]، وكلها أدلة تدعم بعضها بعضاً، في احتمال استخدام الحمام، في نقل الأخبار، وقد حاولت الباحثة خولة عيسى[10] أن تثبت ذلك عن طريق نص لم توفق في

---

(١) عمرو بن بحر الجاحظ، رسائل الجاحظ، كتاب البغال، تحقيق عبدالسلام محمد هارون (القاهرة، مكتبة الخانجي، ١٣٨٤/١٩٦٤): ٢/٢٧٢؛ وينظر الأنصاري، تفريج الكروب: ص١٤.

(٢) مجهول، العيون والحدائق: ٣/٨٢. (٣) الطبري، تاريخ: ٧/٨٢-٨٣.

(٤) ياقوت، معجم البلدان: ٥/٣٥٠.

(٥) محمد بن أحمد الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، حوادث عام ١٢١-١٤٠هـ، تحقيق عمر عبدالسلام تدمري (بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٨/١٩٨٨): ص٢٨٤.

(٦) الرصافة: موضع يقع غرب الرقة، بحوالي ٢٤ كم، على طرف البادية، كان مصيفاً للخليفة هشام بن عبدالملك. ياقوت، معجم البلدان: ٣/٤٧.

(٧) ابن حجر، تهذيب: ١٠/٤٩١-٤٩٢. (٨) تاريخ: ٤/٣٩٨.

(٩) وقد ذكر ابن القيم أن الظاهرة، تعود إلى عهد عمر ﷺ، وتطورت في عهد عثمان ﷺ، وكان عمر يأمر بذبح الحمام الطيارة، ويترك المقصصات، وكان عثمان يأمر بذبحها أيضاً. الطرق الحكمية: ص٢٨٢.

(١٠) خولة عيسى محمد صالح، نشأة البريد وتطوره في الدولة الإسلامية حتى عام ٣٣٤هـ (رسالة ماجستير غير منشورة مقدمة إلى كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٤٠٥/١٩٨٥): ص١٢٥-١٢٦.

اختياره، حين أشارت إلى قول الحجاج الثقفي، عندما نزل دير قرة، في أحداث تمرد ابن الأشعث، ونزول الأخير في دير الجماجم ((أما كان عبدالرحمن يزجر الطير حين رآني نزلت دير قرة ونزل دير الجماجم)) بأن هذا يعني استخدام الطرفين للحمام لنقل الأخبار، فالأمر يتعلق بالتفاؤل والتشاؤم.

خامساً: واجبات العيون

أ. العمليات الخاصة:

١. خطف قائد بيزنطي من القسطنطينية إلى دمشق:

من الأخبار الطريفة التي أوردها المسعودي[١] عن بعض النشاطات التجسسية التي مورست ضد البيزنطيين، ورغم ما قد يثار حولها من شكوك فلها دلالتها، تلك العملية، التي خطط لها وأشرف على تنفيذها، وتابع مراحلها الخليفة معاوية بن أبي سفيان، بالتعاون مع أحد قادة البحر في ميناء صور، والذي لم تشر المصادر إلى اسمه، وهي من العمليات الجسورة، التي كان الغرض منها مزدوجاً، فمن جهة إشعار القيادة البيزنطية، بكفاءة العيون الإسلامية، ومن جهة ثانية ردع هذه القيادة عن أي سياسة مستقبلية، لإيذاء الأسرى المسلمين، والتي كان هذا القائد من أبرز مطبقيها والداعين إليها. وقد اختار معاوية لتنفيذ العملية أحد قادة البحر ممن كان مشهوراً بعملياته البحرية الكثيرة، وكان يجيد اللغة اليونانية، حيث تم لقاء بينهما اتفقا في النهاية على الخطة التي تتضمن أن يتحول هذا القائد إلى شخصية تاجر، فقدم له مالاً عظيماً اشترى به بضائع مما اشتهرت به دار الإسلام، وتم بناء سفينة بمواصفات خاصة تحقق له السرعة المطلوبة[٢]، اتجه بها إلى جزيرة قبرص حيث ادعى أمام قائد الجزيرة، بأنه تاجر قدم بهدية خاصة إلى الملك البيزنطي، تتضمن جارية خاصة، مع هدايا ثمينة لحاشيته، وأنه يريد الإذن بذلك، وقد اتصل القائد بالقسطنطينية، حيث حصل على الإذن المطلوب، فأبحر إلى القسطنطينية وقدم هداياه إلى الملك وحاشيته، وقام بعمليات بيع وشراء وتعمد تجاهل القائد البيزنطي المستهدف، حسب الخطة المتفق عليها. ثم عاد إلى الشام ومعه قائمة بطلبات مقدمة من الملك البيزنطي وبطارقته، تتعلق ببضائع تنتج في دار الإسلام، حيث التقى معاوية سراً وقدم له تقريراً عن أحداث زيارته الأولى، وتم تلبية جميع الطلبات المقدمة من الجانب البيزنطي وتلك التي قد يرغبون في شرائها، واتفق على تنفيذ المرحلة الثانية من الخطة، وهي التقرب من البطريق المستهدف، وذلك لأنه سيتصل به معاتباً إياه على تجاهله، وهنا على القائد الصوري أن يهديه بسخاء ويجعله المشرف على إدارة أعماله التجارية في القسطنطينية، فضلاً عن متابعة طلباته عند

---

(١) مروج الذهب: ٤/١٢٦-١٣١؛ وينظر النويري، نهاية الأرب: ٦/١٥٨-١٨٧.

(٢) أشار النويري إلى أن السفينة لها مجاذيف سرية في داخلها. المصدر نفسه: ٦/١٥٨.

العودة، وفعلاً فقد احتج القائد المستهدف عند العودة الثانية على عدم الاتصال به دون زملائه، فاعتذر القائد الصوري بعدم معرفته الشخصية به فضلاً عن أن دخوله للأراضي البيزنطية، هو بصورة سرية عن أعين المسلمين، خوفاً من الأسرى، والجواسيس المسلمين أن ينقلوا خبره إلى الدولة الإسلامية، فيقتل عند عودته، وأعلمه أنه سيجعله المشرف على إدارة أعماله في القسطنطينية، وأنه سيلبي كل طلباته وأهدى له هدية نادرة. وقد تكررت زاياراته للقسطنطينية والأراضي البيزنطية منذ ذلك الحين، منتظراً الفرصة المناسبة لعدة سنين و لم تتح له الفرصة خلال ذلك، إلى أن طلب القائد المستهدف في إحدى المرات بساطاً ذي مواصفات خاصة، مع مخاده ووسائده، وبألوان شتى، وبأي ثمن كان. وكان القائد الصوري قد عمد خلال هذه السنوات من العلاقة الحميمة مع القائد البيزنطي، إلى أن يعمل على أن ترسو سفينته، بالقرب من مقر إقامة القائد البيزنطي، والذي يقع على ساحل البسفور، على بعد عدة كيلومترات من القسطنطينية، ووجد القائد الصوري في طلب القائد البيزنطي، الفرصة المناسبة للتنفيذ، حيث اتفق عند العودة مع معاوية، في آخر زيارة له على اللمسات الأخيرة للخطة، وتوفير الدعم اللازم لها، فأحضر البساط وعاد إلى المياه البيزنطية، وعندما قرب من القسطنطينية، ومن مقر القائد البيزنطي، سأل أصحاب السفن المبحرة في المضيق عن القائد، فأخبر أنه في مقره، فعمل على فرش البساط الهدية مع توابعه في صحن السفينة، وأنذر الرجال في داخل السفينة، وفي طبقاتها السفلى خاصة، والذين سوف يستخدمون المجاذيف السرية، حيث كان يستخدم القلاع خلال ذلك لتسير السفينة، المنطلقة بسرعة شديدة، حيث وصل إلى المقر. وكان القائد يحتسي الخمر مع النساء وقد أخذت منه مأخذها، وعندما شاهد السفينة غنى طرباً، وقد رست السفينة عند ضفة المقر، وشاهد القائد البساط كأنه حديقة غناء، فنزل لرؤيته مع حاشيته حيث صعدوا السفينة، وعندما استقروا في البساط أعطى القائد الإشارة المتفق عليها مع البحارة، فأنزلت المجاذيف السرية وتم إلقاء القبض عليه، وتكتيفه مع حاشيته، و لم يدخل الليل إلا والسفينة قد غادرت الخليج ومعها الصيد الثمين، حيث استغرقت رحلة العودة سبعة أيام، رست في نهايتها في ساحل صور، وحمل إلى دمشق حيث تمت مقابلة بينه وبين الخليفة معاوية، أشعر من خلالها بإمكانيات الدولة الإسلامية، لمعاقبته في الوقت المناسب، ثم أغدقت عليه هدايا ثمينة، فضلاً عن البساط الذي طلبه مع رسالة شفوية إلى الملك البيزنطي، تتضمن أن الدولة الإسلامية، قادرة من معاقبة من يسيء إليها ولو كان في القسطنطينية، ثم أعاده القائد الصوري إلى خليج القسطنطينية، مع حاشيته. وعمد البيزنطيون بعد هذه العملية، إلى وضع سلاسل حديدية على البسفور، لمنع السفن من الدخول والخروج، إلا بإذن خاص، وكان

رد فعل الملك البيزنطي على العملية، والرسالة التي حملت إليه مزيج من الاحترام، المشوب بالخوف، من الخليفة معاوية، وإمكانياته، ودهائه.

٢. عملية خالد بن يزيد العبسي:

بعد العملية غير الموفقة التي شنها حسان الغساني والي أفريقية، ضد الكاهنة في وادي العذاري، والتي أسر من جرائها ثمانون رجلاً من بينهم، أحد الفرسان العرب الشجعان، خالد بن يزيد العبسي[١]. نجد أن الكاهنة حاولت الاستفادة من خالد، فآختته مع ولديها قويدر، ويامين وجعلته ضمن هيئة مستشاريها، ولا يعرف الأسباب الحقيقية التي جعلت الكاهنة تختاره دون زملائه الأسرى الآخرين، فهل الأمر يتعلق بالفراسة استناداً إلى الكهانة، التي كانت حاذقة فيها؟ كما أن المصادر العربية، لم تقدم أية تفاصيل عن خالد تتعلق بتاريخه، والمهام التي كان مكلف بها قبل وقوعه في الأسر.

وكان حسان الغساني، قد انسحب بعد المعركة الخاسرة إلى الموقع المسمى قصور حسان[٢]، وبقي فيه خمس سنوات، وبعد وصول الإمدادات إليه، قام بإجراء أول اتصال مع خالد، فأرسل إليه جاسوساً، بزي سائل، حيث التقاه على انفراد[٣]. ونقل إليه رسالة تتضمن ضرورة موافقته على الاتصال، والعمل مع القيادة الإسلامية في أفريقية، ونقل أسرار الكاهنة وخططها التي تستهدف الوجود الإسلامي في أفريقية، وقد وافق خالد بصدر رحب وإيمان لا يتزعزع على ما طلب منه، وكتب على ظهر كتاب حسان أول تقرير له يتضمن، أن البربر الذين يعملون في طاعة الكاهنة ((متفرقون ولا نظام لهم ولا رأي عندهم فاطو المراحل وجد في السير))[٤] وفي رواية أخرى أكثر وضوحاً ((ان البربر يعقدون عساكرهم بالنهار، ويتفرقون بالليل وليس لهم حزم في الرأي، وإنما ابتلينا بأمر قدره ا لله، وأكرم بنه من أراد منا درجة الشهادة فإذا نظرت في كتابي هذا فاطو المراحل وجد السير فإن الأمر إليك ولست أسلمك))[٥] ويلاحظ من النصين أنهما ينبهان حسان على طبيعة نظام التعبئة الذي يطبقه البربر، فضلاً عن انعدام الضبط، وأن الوقت مناسب للهجوم من جديد لمحو آثار الهزيمة، والثأر للشهداء الذين سقطوا في وادي العذاري، وختم تقريره بأن يثق به بصورة مطلقة.

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٠؛ وينظر ابن عذارى، البيان المغرب: ٣٧/١.

(٢) قصور حسان: هذه القصور بناها حسان، بعد انسحابه إلى موقعها بعد معركة وادي العذاري.

(٣) الرقيق، المصدر السابق: ص٥٩.　　(٤) ابن عذاري، المصدر السابق: ٣٧/١.

(٥) الدباغ، المصدر السابق: ٦٤/١؛ وينظر الحميري، الروض المعطار: ص٦٥.

إن ورود نص الكتاب لا يدل على احتراقه، كما أورد ابن عبدالحكم[1]، معللاً ذلك بطريقة إخفائه في قرص من العجين، الذي شوي على شكل رغيف خبز، فلم يستطع حسان قراءته عند إزالة الخبز. وقد أشير إلى عودة أخرى للجاسوس، إلى خالد العبسي حيث اتصل به ثانية، وهنا كحالة إنسانية عبر الجاسوس الوسيط، عن مخاوفه من انكشافه، وبالتالي سوف يقتل على يد الكاهنة من غير أن يستطيع خدمة أمته، مطالباً بصورة غير مباشرة بتحسين وترصين وسائل الاتصال والنقل، وقد عالج حسان هذه المخاوف المشروعة، فاتفق مع الجاسوس الوسيط على طريقة مأمونة للاتصال والنقل لا تشكل خطراً على خالد، فعاد ثانية إلى مقر الكاهنة، حيث حمل الرسالة التي كتبها خالد، والمتضمنة المعلومات المطلوبة، وأودعت في قربوس سرج الجاسوس، عبر إيجاد شق فيه يخفي الرسالة، وأعيدت خياطته وأزيلت الآثار بالشمع، ولم تشر المصادر إلى ما تضمنته الرسالة إلا أنها تضمنت كما يبدو موعد الهجوم المقابل وخطته، وفعلاً فقد تحقق النصر وقتلت الكاهنة[2].

وقد علق محمود شيت خطاب[3]، على إنجاز خالد العبسي، بأن تدابير الكتمان التي اتخذها بلغت حد الإتقان، ولن يستطيع ضابط استخبارات محترف، في الوقت الحاضر، أن يتخذ تدابير أكثر حذراً.

٣. عملية مروان بن محمد في قلعة خيزج[4]:

يشير ابن أعثم[5] إلى أن مروان بن محمد، عندما كان عامل أرمينية وأذربيجان في القوقاز، قام بحصار قلعة خيزج، وهي مقر ملك السرير، حيث استمر الحصار لمدة سنة دون جدوى نظراً لحصانة القلعة. وهذا ما دفع مروان إلى التفكير في وضع خطة للدخول إلى القلعة بصفة مفاوض، لمعرفة نقاط ضعفها، ويبدو أنه قرر أن يكون هو المخطط والمنفذ

---

(١) فتوح مصر: ص٢٠١؛ وينظر ابن عذاري، المصدر السابق: ٣٧/١؛ المالكي، المصدر السابق: ص٣٤.

(٢) الرقيق، المصدر السابق: ص٥٩-٦١؛ وينظر المالكي، رياض النفوس: ص٣٣-٣٤؛ الدباغ، معالم الإيمان: ٦٤/١.

(٣) قادة فتح المغرب العربي (بيروت، دار الفتح للطباعة والنشر ١٣٨٦/١٩٦٦): ١٨٨/١.

(٤) قلعة خيزج: لم تحدد المصادر الجغرافية مكانها، وهي تقع في مملكة السرير، في جبال القوقاز ما بين بلاد اللاز، وباب الأبواب. ياقوت، معجم البلدان: ٢١٨/٣-٢١٩.

(٥) فتوح: ٧٧/٨-٧٨.

للعملية في آن واحد، حيث سمح له بالدخول كرسول، يحمل رسالة من مروان إلى ملك السرير، وقد تضمنت هذه الرسالة ((أما بعد فإني قد حلفت أني لا أنصرف أو تسالمني آخر الدهر فإن رأيت أيها الملك أن تأذن لي حتى أدخلها وأنظر إليها فعلت ذلك منعماً إن شاء الله تعالى...)). وقد سمح ملك السرير لمروان (الرسول) بالتجول في أنحاء القلعة، متعمداً لكي يقنع بعد عودته مروان بعدم فتحها نظراً لحصانتها، إلا أن مروان (الرسول) ثبت أثناء تجواله كقائد متمرس، نقاط الضعف فيها ومن أين تؤتى، وعندما عاد كتب رسالة إلى ملك السرير، كشف له فيها أنه هو الرسول، وضمن كتابه نقاط ضعف القلعة، وأنه سوف يدخلها حرباً إن شاء الله، وهذا ما دفع الملك، إلى عرض الصلح، وإجابة مروان إلى ذلك.

وقد يثار تساؤل مشروع، عن مدى عقلانية تعريض مروان حياته إلى خطر حقيقي، وهو القائد الميداني الواقعي، مع احتمال معرفة ملك السرير أو أحد رجاله لشخصيته؟ ويمكن الإجابة على ذلك أنه على على الرغم من أن نص ابن أعثم، هو خلاصة قصيرة لما حدث، ولا يغطي الجوانب العملية من كافة جوانبها، إلا أنه من المحتمل جداً، أن يلجأ مروان إلى تغيير في هيئته، ولربما في سحنته، أيضاً مما يخفي شخصيته الحقيقية فلا يعرف.

٤. عملية سحيم بن المهاجر:

كان البيزنطيون يستغلون دائماً النزاعات الداخلية، التي تستعر في الجبهة الداخلية، من أجل تسجيل نقاط في ميدان الصراع المفتوح، مع الدولة الإسلامية، وهذا ما حدث بعد وفاة يزيد بن معاوية، وظهور خلافة منافسة للأمويين بقيادة عبدا لله بن الزبير، فضلاً عن التصدع المؤقت في البيت الأموي، فأرسلوا في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، أحد قادتهم لكي يهاجم الشام، بالتعاون مع الجراجمة والمتمردين من الفلاحين، والأباق من العبيد، مما اضطر عبدالملك مؤقتاً، إلى الموافقة على الصلح مع الدولة البيزنطية، بعد أن سيطر هؤلاء على أنطاكية، والجبل الأسود، وسنير، وجبل الثلج، والجولان[1]. ولكنه بعد أن أخذت الجبهة الداخلية، بالاستقرار النسبي كلف أحد رجاله المقربين من الموالي سحيم

---

(١) ابن عساكر، تهذيب: ٦٧/٦؛ ويشير حسين عطوان أن جبل سنير هو جبل القلمون من جبال لبنان الشرقية. الجغرافية التاريخية لبلاد الشام في العصر الأموي (بيروت، دار الجيل، ١٤٠٧/١٩٨٧): ص٤٤؛ ولم تشر المصادر إلى الجبل الأسود. بينما أشار العسلي إلى أن جبل الثلج هو جبل الشيخ. فن الحرب: ص٢١١.

بن المهاجر[1]، بتصفية القائد البيزنطي، والقضاء على أنصاره، حيث مثل سحيم دور المعارض لعبدالملك، وأعلن عند وصوله مقر القائد البيزنطي، عن رغبته في الانضمام إليه، وإن لديه من الأسرار، ما يمكنه من إلحاق الأذى الشديد بعبدالملك، والدولة الإسلامية، واستطاع بلباقته وذكائه أن يكسب ثقة القائد، وكان خلال هذه الفترة، يديم الاتصال بعبدالملك، من خلال الجواسيس، الذين استطاع أن يزرعهم في مكان تواجده، إلى أن أتيحت الفرصة الملائمة، لتنفيذ خطة التخلص من القائد البيزنطي، ومن معه حيث تم الاتفاق مع عبدالملك، على إعداد قوات، في مكان قريب قامت بمهاجمة المقر، فقتل القائد ومن معه من البيزنطيين، وأعلن العفو عمن تبعه، فانضموا بسرعة إلى سحيم[2]. وبذلك أزيح كابوس كان يئن تحت وطأته عبدالملك، حيث العدو لا يبعد كثيراً عن دمشق، وبأقل كلفة على صعيد الرجال والمال.

ب. إدارة التفاوض مع العدو:

شهد استخدام العيون والجواسيس، في المهام الدبلوماسية، تطوراً كبيراً من خلال اتساع المساحة التي أخذ يشغلها، لا سيما في محاولة إقامة قنوات الحوار الأولية، تمهيداً لاستخدام الرسل في مرحلة لاحقة، أو حتى استمرار الرسل بمهمة التفاوض إلى نهايتها، سواء كان هذا الأمر مع دار الحرب، أو مع الخصوم في دار الإسلام، وهو الأكثر اتساعاً في هذا العصر، فعلى الصعيد الداخلي وفي ليلة معركة الخازر الشهيرة، بين أجناد الشام وقوات المختار الثقفي بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر سنة (٦٧هـ/٦٨٦م) نجد أن العيون التابعة لعمير بن الحباب السلمي، أحد قادة أجناد الشام، مهدت للقائه بإبراهيم سراً، من وراء ظهر عبيدا لله بن زياد قائد أجناد الشام[3]، وكانت نتيجة هذا اللقاء، كارثة على أجناد الشام، إذ حكم على نتيجة المعركة، قبل أن تقع لمصلحة ابن الأشتر. وعرف عن الخليفة عبدالملك بن مروان، مبادرات رائدة على صعيد الاستفادة من العيون، في مجال المفاوضات

---

(١) سحيم بن المهاجر: من سكان مدينة طرابلس، ولي أمرتها لعبدالملك بن مروان، ابن عساكر، تهذيب: ٦/٦٧.

(٢) البلاذري، فتوح: ص١٨٩-١٩٠؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٥/٣٠٠؛ ابن الأثير، الكامل: ٤/٣٠٤؛ فتحي عثمان، الحدود: ٢/٦٨؛ عبدالأمير دكسن، الخلافة الأموية: ص٦٥-٨٦.

(٣) البلاذري، أنساب: ٥/٢٤٨-٢٤٩؛ وينظر المبرد، المصدر السابق: ٣/٢٦٨-٢٦٩؛ الطبري، تاريخ: ٦/٨٦-٨٧.

مع الخصوم، فقد اتصلت عيونه مع محمد بن علي ﷺ (ابن الحنفية) عندما بلغت العلاقات بين محمد، وابن الزبير، نقطة اللاعودة داعياً إياه إلى القدوم إلى الشام[1]. ويشير ابن الأثير[2] إلى أن عبدالملك، عرض عليه دخول أراضيه بشروط سخية، أهمها أنه غير ملزم بالبيعة له حتى تجتمع الأمة على رجل واحد، وإن كان عبدالملك، قد تراجع عن هذا التعهد المختص بالبيعة، عندما وصل ابن الحنفية إلى الشام، وسيلة من وسائل الضغط عليه. كما اتصل عبدالملك بالأحنف بن قيس، لما حدثت الجفوة بينه وبين مصعب بن الزبير، حيث نقلت عيون عبدالملك في العراق رسائل بين الطرفين حصل خلالها عبدالملك، على ضوء أخضر من الأحنف متمثلاً في عدم وجود رغبة بين أهل العراق، للوقوف بوجه عبدالملك دفاعاً عن مصعب[3]، ويبدو أن تسرب أنباء هذه الاتصالات السرية، هي التي دفعت الأحنف المشهور بالحكمة والدهاء، إلى التنديد العلني بمبادرة عبدالملك للاتصال به، كدخان يغطي به هذه الاتصالات[4]. كما لا ينسى الدور الذي لعبته عيون عبدالملك، في التفاوض مع معظم قادة مصعب بن الزبير في العراق، من خلال طرح الإغراءات السخية والاستجابة لكل طلباتهم[5]، وعندما قدم إلى مسكن، نجد أنه كان قد حسم نتيجة المعركة التي لم يكن أحد من أهل المصرين الكوفة والبصرة، مستعداً لبذل قطرة دم واحدة من أجل مصعب وآل الزبير. ونجح عبدالملك كذلك عن طريق عيونه وجواسيسه، في الإطاحة بعامل خراسان لعبدا لله بن الزبير، عبدا لله بن خازم السلمي، من خلال الاتصال بأحد منافسيه، وهو بكير بن وشاح، بعد أن فشل في إقناع ابن خازم بمبايعته، بعد مقتل مصعب في مسكن[6]. إن توفر الكتمان وكفاءة الأداء لدى العيون المستخدمة، هي التي قادت هذه العملية كغيرها إلى النجاح.

وفي حصار نهاوند عام (١٣١هـ/٧٤٨م) نجد أن عيون قحطبة بن شبيب الطائي، هي التي اتصلت بالنضر بن حميد اللخمي، قائد جند فلسطين والمشرف على أسوار المدينة،

---

(١) ابن سعد، الطبقات: ٧٨/٥.   (٢) الكامل: ٢٥٢/٤.

(٣) عمرو بن بحر الجاحظ، البرصان والعرجان والعميان والحولان، تحقيق محمد مرسي الخولي (القاهرة، بيروت، دار الاعتصام للطباعة والنشر/ ١٣٩٢/١٩٧٢): ص٢٠٦.

(٤) البلاذري، أنساب: الورقة ٨٧٦.

(٥) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣١١؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٥٦/٥.

(٦) خليفة، تاريخ: ص٢٩٤-٢٩٥؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص٥١٢؛ اليعقوبي، بلدان: ص٢٩٩؛ والطبري، تاريخ: ١٧٦/٦؛ المسعودي، مروج الذهب: ١٠٥/٣-١٠٦.

حيث نجح يزيد بن حاتم المهلبي، بأمر من قحطبة في مفاوضة النضر، حتى تم الاتفاق على مغادرة أجناد الشام للمدينة بسلام[1]. وبذلك أديرت عملية شاقة انتهت بنجاح تام، واعتبرت لمصلحة الطرفين، وإن كان المستفيد الأكبر هو جيش الثورة العباسية.

وعلى الصعيد الخارجي، نجد أن قتيبة بن مسلم الباهلي، اعتمد على أحد جواسيسه الذين كانوا قد نالوا ثقة الترك، وهو سليم بن عبدا لله الناصح، في إدارة تفاوض ناجح مع نيزك، أحد ملوك الترك، والذي أعلن تمرده في منطقة طخارستان، وتحالف مع بقية ملوك الترك لقتال قتيبة، حيث اعتمد على مقدرته العالية في الإقناع، واستخدم العبارات العامة المطمئنة، بدل إلزام نفسه بأشياء محددة، وقد أثمرت في استسلام نيزك، بدون قيد أو شرط لينال جزاءه العادل على خيانته[2].

وعندما تحالف مالك الصغد طرخون، مع ملوك الترك، مثل خنك خداه، ووردان شاه، وكور مغنانون، وشكلوا خطراً جدياً فيما وراء النهر، قام قتيبة بتكليف أحد رجاله الدهاة، وهو حيان النبطي، بمهمة نسف هذا التحالف، وقد أرسل حيان أحد عيونه إلى ملك الصغد، واتفق معه على موعد اجتماع، رتب على عجل، يجمع بينهما، وفعلاً عقد اللقاء أثناء احتدام المعركة بين قتيبة والترك، حيث نقل حيان بصفته ناصح أمين، وليس رجلاً يعمل لحساب قتيبة، رسالة خاطئة مضللة تحذر ملك الصغد، من استيلاء ملك الترك على بلاده، وأن الصلح مع قتيبة يبقي له ملكه، وعمل حيان في الوقت نفسه، على إيجاد مخرج لملك الصغد للتخلص من حلفائه، بشكل ودي عبر تحذيرهم من قوات قادمة من الحجاج بن يوسف الثقفي، سوف تقوم بتطويقهم فهربوا، وبذلك أنقذ قتيبة من تحدٍّ غير مضمون النتائج[3].

وقام حيان النبطي بمهمة مشابهة، أثناء ولاية يزيد بن المهلب عل خراسان، عندما قام بعمليته إلى منطقة طبرستان، والتي عانت من صعوبات كثيرة، حيث اتصل باصبهذ طبرستان، وأقنعه بأنه يعمل من أجله أيضاً، بعد أن خوفه من قوة المسلمين، ومن وصول إمدادات جديدة من الشام قريباً، فوافق على الصلح. ويلاحظ أن حيان لكي يظهر نفسه أنه يفاوض لمصلحة اصبهذ، أعلمه أن الموقف العسكري السيئ ليزيد، سوف يساعده على

---

(١) مجهول، أخبار العباس: ص٣٥٢-٣٥٣؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٠٨/٧.

(٢) اليعقوبي، تاريخ: ٢٨٦/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٤٥٥/٦-٤٥٨؛ ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٢٦/٧-٢٢٨.

(٣) الطبري، تاريخ: ٥٤٠/٦-٥٤١؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٩١/٧-٢٩٣.

الموافقة على الصلح، وأنه سيقنعه بذلك[1]. إن ظهور المفاوض بصفة العميل المزدوج، وإقناع الخصم بذلك من أصعب الأدوار، ولكن النتائج الإيجابية المترتبة عليه كبيرة.

ج. الحرب النفسية:

يرتبط تأثير الحرب النفسية، بمدى فعالية الخطط الموضوعة من جهة، وبجدوى الوسائل المتبعة، في تنفيذ هذه الخطط من جهة أخرى. وتكمن عظمة العمل عندما تكون الوسائل المتاحة محدودة، إذا ما قيست بطبيعة الخطة المعدة للتنفيذ. ومن هذا المنطلق نجد أنه على الرغم من محدودية الوسائل التي كانت متبعة في ذلك العصر، إذا قيست بما هو متاح من وسائل أمام مخططي الحرب النفسية في الوقت الحاضر، فإن الإنجازات كانت كبيرة.

فعلى الصعيد الداخلي نجد، أن الصراع مع التيارات السياسية المعارضة، لم تستخدم فيه الوسائل العسكرية، والفكرية، فحسب وإنما أضيفت إليها الحرب النفسية أيضاً، وكانت السلطة الأموية ترد على دعوى اغتصابها للخلافة، بمحاولة اتهامهم بشق وحدة الأمة، وإيجاد جو من الفتنة الدائمة، وبإشعارهم بأن ما يقومون به من أعمال لا شرعية في الخفاء يصل إلى أسماعها[2]، كما كانت السلطة، تلجأ عندما يشتد الصراع العسكري، مع بعض القوى، إلى قيام عيونها بتسريب أنباء استعداد السلطة الأموية، للعفو عمن يضع السلاح ويترك جانب المعارضة، وهو ما كان يفت في عضد عناصر المعارضة. ((فمن ليست له تلك البصيرة، ممن قد هده القتال، يجيء فيؤمن))[3]. وكانت حركات المعارضة من جانبها تقوم بنشر الشائعات، ضمن الحرب النفسية المتبادلة، كما حدث عندما أشيع نبأ وفاة الحجاج بن يوسف، وكان رد الحجاج الفوري، هو إلقاء خطبة منددة بهذه الشائعة، مع التأكيد في الوقت نفسه، علىأن الموت هو سبيل كل حي[4]. ويعود إطلاق هذه الشائعة على الأرجح إلى احتجاب الحجاج عن الظهور العلني، أو تتويجاً لظروف معينة، شدد فيها الخناق على معارضيه، فلجأوا إلى إطلاق هذه الشائعة الخطيرة.

وضمن الحرب النفسية، كانت تسبق تقدم القوات الأموية، نحو خصومها دعايات ساخنة عن حجم القوات وتسليحها وكفاءة قيادتها، كما حدث عند تقدم أجناد الشام نحو مسكن، للالتقاء بيزيد بن المهلب، وهو ما دفع يزيد إلى محاولة الرد على هذه الدعاية

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/٤٨٥-٤٨٦.
(٢) المصدر نفسه: ٦/٤٨٥-٤٨٦.
(٣) المصدر نفسه: ٦/٢٧٧.
(٤) المسعودي، مروج الذهب: ٣/١٤٢-١٤٣.

بقوله ((إني أسمع قول الرعاع جاء مسلمة وجاء العباس وجاء أهل الشام...))[1] ولقد كان لهذه الدعاية مع أسباب أخرى، تأثير كبير على معنويات الجماعات المختلفة الأهواء، التي دعمت بشكل عفوي حركة تمرد يزيد. كما لجأت السلطات الأموية في خراسان، عندما أخذ يشتد عود التنظيم العباسي، وظهر إلى العلن، حركة سياسية عسكرية، الى اتهامهم بالخروج على الإسلام وبعبادة السنانير والرؤوس[2]، وبأنهم لا يصلون، وباستحلالهم الحرام، وبأنهم مجوس[3].

ورداً على هذه الحرب النفسية، قام أبو مسلم بالمحافظة على حياة أحد قادة نصر بن سيار، الذي وقع في أسره في معركة آلين عام (١٢٩هـ/٧٤٦م) بالرغم من إصابته بجروح بليغة، حيث عولج وأحسنت معاملته وسمح له بالعودة إلى نصر، لكي يكون شاهد عيان على إسلام القوم، وأنهم يؤدون الصلاة مما يضرب في الصميم ادعاءات السلطة[4].

وعلى الصعيد الخارجي، على جبهة الأعداء، نجد أن عبدا لله بن خازم أحد قادة العرب في خراسان، وعاملها لابن الزبير، لجأ إلى الحرب النفسية، ضد رسل ملك الترك الذين أرسلهم إليه يهددونه بالحرب، أو بدفع الجزية، حيث أعطاهم صورة واقعية، نفذها أمامهم مع حاشيته، عن رجال لا يضرهم الحر الشديد ولا البرد الشديد... فرجعوا مرعوبين وتراجعوا عن تهديداتهم[5]. ويشير ابن عبدالحكم[6]، إلى أنه بعد أول نصر حققه طارق بعد عبوره الأندلس، أمر بتقطيع جثث قتلى العدو، وطبخهم في قدور، وتعمد إطلاع الأسرى بعد هذا العمل، ثم أمر بإطلاق سراحهم ((فأخبر المنطلقون بذلك كل من لقوه فملأ ا لله قلوبهم رعباً)).

وعمدت القيادة الإسلامية، في هذا العصر، في الوقت نفسه إلى إحباط التأثيرات السلبية للحرب النفسية، التي كان العدو يحاول شنها على المسلمين، بطرق مختلفة كما حدث عندما حاول أحد جواسيس قتيبة بن مسلم، في جبهة ما وراء النهر، وهو تنذر والذي نجح

---

(١) البلاذري، أنساب: الورقة ٣١٣؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢٤٢/١.

(٢) مجهول، أخبار العباس: ص٢٩٠-٢٩٢؛ وينظر مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٦٥.

(٣) الطبري، تاريخ: ٣٥٨/٧-٣٥٩.

(٤) المصدر نفسه: ٣٥٨/٧-٣٥٩.

(٥) ابن حبيب، المحبر: ص٢٢١-٢٢٢؛ وينظر الطبري والذي جعل الحادثة في عهد ابنه موسى، تاريخ: ٤٠٠/٦-٤٠١.

(٦) المصدر السابق: ص٢٠٦؛ أبو بكر محمد بن عمر، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق عبدا لله أنيس الطباع (بيروت، دار النشر للجامعيين، ١٩٥٨): ص٣٤-٣٥.

الترك في النهاية في كسبه إلى جانبهم، على نشر إشاعة كاذبة عن موت الحجاج وقدوم والٍ جديد إلى خراسان، لكسر معنويات المسلمين أثناء اشتداد القتال ضد أعدائهم، فما كانَ من قتيبة الذي اشتم رائحة الغدر، إلا أن قتل تنذر، وانتهت الإشاعة مع صاحبها وعمل على فضح خيانته، أمام قواته التي طالما خدمها تنذر في عمليات سابقة[1].

د. التضليل:

إن استخدام العيون والجواسيس، في تضليل العدو، كان يأخذ سياقات مختلفة، حسب الخصم وحجم الإمكانيات المتاحة، وإن أعمال التضليل حالها حال الحرب النفسية، تندرج تحت فن الخداع، الذي تضمنه حديث المصطفى ﷺ [الحرب خدعة] وقع بلغ في هذا العصر درجة عالية من الإتقان، فعلى الصعيد الداخلي نجد أن عمليات المهلب، ضد الخوارج شهدت تطبيقات ناجحة عديدة لمبدأ التضليل، فعندما استخدم الخوارج النصال المسمومة من خلال حداد من الأزارقة اسمه أبزي، نجح المهلب في التخلص منه، وذلك بأن أرسل أحد جواسيسه إلى معسكر الخوارج، حيث ألقى كتاباً فيه ألف درهم كان فيه ((أما بعد فإن نصالك قد وصلت إلي، وقد وجهت إليك بألف درهم فاقبضها، وزدنا من النصال)). فنقل الكتاب والهدايا إلى قطري بن الفجاءة، فأمر بقتل أبزي ظناً منه أنه خائن، وكان هذا سبباً في حدوث انشقاق بين صفوف قادة الخوارج، حيث تمرد عليه عبدربه الصغير، لهذا السبب[2]. ويلاحظ أيضاً أن بعض معارك السلطات الأموية، مع قوات الثورة العباسية شهدت فشلاً ذريعاً، في اكتشاف خطط العدو التضليلية، وهو ما انعكس سلباً على الأحداث، وقاد إلى النتائج المعروفة، فقد مارس قحطبة مثلاً عملية تضليل عند محاولته التقدم نحو الكوفة عندما كان ابن هبيرة معسكراً في جلولاء، حيث أشاع أنه سوف يخندق مقابل ابن هبيرة، وأرسل قوات فعلية للاصطدام، مع مسالح ابن هبيرة، مما زاد في اقتناع ابن هبيرة، بالمعلومات التي وصلت إليه من عيونه، وزاد الأمر تأكيداً، وصول قحطبة وإعلانه أنه يدعو إلى الكتاب والسنة، والى الرضا من آل البيت، وكان خلال ذلك، قد جمع كل المعلومات المطلوبة، عن مخاضات الأنهار المهمة، التي ستعبر عليها قواته، من خلال عيون

---

(١) ابن أعثم، الفتوح: ٧/٢١٨-٢١٩؛ وينظر النرشجي، المصدر السابق: ص٦٢.

(٢) المبرد، الكامل: ٣/٣٨٢؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٤/١٩٧؛ ابن نباتة، سرح العيون: ص٣٤.

أرسلهم من تامرا[1]، وانتظر هبوط الليل ليقوم بحركة تستهدف ظاهراً المدائن، حيث عبر تامرا ونقلت عيون ابن هبيرة التطور الجديد، وكان طعماً قاتلاً حيث غادر معسكره الحصين في جلولاء، والذي فيه أكداس تموينات وأسلحته متجهاً نحو الدسكرة[2]، وهنا عاد قحطبة بسرعة ليجلس في خنادق ابن هبيرة، في جلولاء، مستولياً على كل الأطعمة والأسلحة والأعلاف، التي كان بأشد الحاجة إليها[3].

وعلى الصعيد الخارجي، نجد أن الخليفة معاوية، نفذ عملية تضليل ناجحة، ضد إحدى القيادات البيزنطية، التي عرف عنها تطرفها، في عدائها الشديد للدولة الإسلامية، فقد تم إرسال هدايا ثمينة إليه عبر العيون، وكررت العملية، ثم كتب إليه كتاباً، كأنه جواب على كتاب سبق وأن أرسله البطريق، يتضمن ثقته بمعاوية، وأنه سوف يعمل في خدمته، وضد الدولة البيزنطية، وتعمد الجاسوس أن يقع الكتاب، في أيدي الجهات البيزنطية المسؤولة، وكانت به نهاية القائد البيزنطي الذي أصدر عليه الحكم بالإعدام بتهمة الخيانة[4]. كما نجح الخليفة الوليد بن عبدالملك، في أن يكسب إلى جانبه أحد الزعماء الأرمن، الذي كان يعمل لمصلحة الدولة البيزنطية، واستخدمه كورقة تضليل ضد العدو البيزنطي، أثناء تنفيذ العمليات في الطوانة[5] عام (٨٦ هـ/٧٠٥م) فقد اتفق معه أن يكتب إلى الملك البيزنطي، بأن المعلومات المتوفرة لديه تشير إلى أن الخزر، وغيرهم من ملوك الجبال في القوقاز قد اتفقوا على مهاجمة الأراضي البيزنطية[6]، وكان الهدف واضحاً من هذه الرسالة، وهو تخفيف الضغط على مسلمة بن عبدالملك، وذلك عبر سحب بعض القطعات، من هذه المدينة لمواجهة الخطر الجديد، وتعد هذه العملية التي اعتمدت على تضليل العدو، عبر حليف مضمون وغير مكشوف، ضمن أعلى درجات العمل الجاسوسي، الذي خدم مصلحة الدولة الإسلامية.

---

(١) تامرا: نهر تقع عليه منطقة تحمل اسمه، ينبع من جبال شهرزور ويصب في دجلة شرقي بغداد. ياقوت، معجم البلدان: ٧/١.

(٢) الدسكرة: قرية من طريق خراسان قريبة من شهربان. ياقوت، معجم البلدان: ٤٥٥/٢.

(٣) مجهول، أخبار العباس: ص٣٦٦؛ وينظر مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٩٦.

(٤) المبرد، الكامل: ١١٣/٢-١١٤.

(٥) الطوانة: من ثغور المصيصة وهي من أعظم حصون كبادوكيا في الأراضي البيزنطية وهي مفتاح الطريق الهام بين الشام والبسفور. ياقوت، معجم البلدان: ٤٥/٤-٤٦؛ فيليب حتي، تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، ترجمة كمال اليازجي (بيروت، دار الثقافة، ١٩٥٩): ٧٠/٢.

(٦) ابن الأثير، الكامل: ٥٣١/٤.

وفي أثناء صراع قتيبة، فيما وراء النهر مع القيادات التركية، من أهل سمرقند، والشاش، نفذ عملية تضليل بارعة، حيث أشاع بأنه سيقوم بتزويج ابنه في يوم محدد، وطلب أن تتخذ الإجراءات اللازمة لذلك، وقام بإرساله عيونه من الترك، إلى سمرقند، والشاش، يبلغونهم بالخبر، وطلبوا منهم أن ينتهزوا الفرصة، لمهاجمة قتيبة أثناء الاحتفال بيوم الزواج، وكانت المسافة بين قوات الطرفين هي ٦٠ كم، وفعلاً قام قتيبة بإعداد مظاهر الفرح وانتظر حلول الظلام، لكي يقود بنفسه وحدة من ألف فارس، كمنت في روابي على الطريق، الذي ستسلكه القوة المعادية، وعندما جاء العدو تمت مهاجمته بغتة فحلت في صفوفه الهزيمة، ثم اتجه بقواته نحو المعسكر الرئيسي للعدو، والذي ظن أن المقبلين هم قواته، التي أتمت مهمتها في تدمير قوات قتيبة، فلم يأخذوا أهبتهم فتمت إبادة معظمهم، لا سيما وأن الوقت كان ليلاً[١].

كما نفذت عملية تضليل ناجحة أثناء الشروع بعملية فتح الأندلس، وذلك بعبور طارق مع قواته بسفن تابعة ليوليان، ومن ميناء سبتة[٢]. وسجلت أثناء عمليات الجراح الحكمي، في ثغور أرمينية وأذربيجان، ضد الخزر عملية تضليل أخرى ناجحة، عندما قام الجراح بعبور نهر الكر، للتصدي للخزر الذين دحروا سلفه السابق ثبيت البهراني، وبما أن القيادة الإسلامية، عرف منها التأكيد على أمن الخطط، فقد قام الجراح بعملية تسريب متعمدة لخطة مفتعلة للتصدي للعدو، إلى أحد الحلفاء المحليين، والذي كشف تعاونه مع العدو، وقام الحليف الخائن، بدوره بإرسال ما وصله من معلومات إلى ملك الخزر، ولجأ الجراح بعد أن بلع العدو الطعم المسموم إلى إصدار أمر بالتعكسر وجمع الميرة، فعاد الحليف الخائن وأرسل رسالة جديدة تضمنت التغيرات الأخيرة، وتوقف الجراح عن الحركة، ثم اتخذ الجراح الخطوة الثالثة الحاسمة عندما دخل الليل، وذلك عبر إصدار أوامره بالتحرك السريع، متجهاً نحو مدينة الباب، في عملية تعرض واسعة غير مباشرة، دفعت العدو الذي سمع بها في اللحظات الأخيرة إلى الانسحاب خوفاً من التطويق، ودخلت القوات الإسلامية المدينة من غير قتال[٣]. وهكذا ثبت أن اكتشاف الجاسوس المعادي، وتركه يعمل تحت مراقبة شديدة وذكية، وتزويده بالمعلومات المضللة، هو أفضل ألف مرة من القبض عليه، أو من تجنيد جاسوس آخر.

---

(١) الاسكافي، لطف التدبير: ص٤٦.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٥-٢٠٦.

(٣) ابن الأثير، الكامل: ١١١/٥.

هـ. الاستطلاع العميق:

مثل العيون والجواسيس، في هذا العصر، أوائل الجغرافيين المسلمين، الذين مسحوا المناطق المرشحة للعمليات العسكرية، تضاريسياً، ومناخياً، وسكانياً، وسياسياً، واقتصادياً، ويشير ابراهيم شوكت[1]، إلى أن المعلومات التي كانت تجمع عن طريق العيون، اعتبرت من أسرار الدولة، التي يجب التكتم عليها، ومما يؤيد هذا الطرح أن ما وصلنا من نتائج عمليات الاستطلاع العميق، كان لا يتجاوز كلمات محدودة، مسجوعة، مما يدل على أن تقاريرهم التفصيلية حفظت بعناية من أجل استخدامها، والاستفادة منها في الوقت المحدد، خاصة للأغراض العسكرية.

ويبدو أن الخليفة معاوية بن أبي سفيان، عندما أرسل خمسة وعشرين رجلاً، إلى شمال القوقاز والذي سبق وأن اقتربت منه القوات الإسلامية، في عهد عثمان ﷺ كان يهدف إلى استطلاع أوضاع هذه الجبهة بصورة أفضل، من كافة النواحي بالرغم من أن الهدف المعلن، كان لمعرفة سد يأجوج ومأجوج، وقام بتأمين نجاح الرحلة من خلال إرساله كتاباً، مع هدايا إلى ملك الحزر، الذي تقع المنطقة تحت سيطرته، يطلب منه أن يساعدهم إلى الوصول إلى هدفهم[2]. كما قام زياد بن أبي سفيان، أيضاً في عهد معاوية بإرسال فريق لاستطلاع جبل الأشل[3]، قبل إرسال حملة بقيادة الحكم بن عمرو الغفاري[4]، إلى المنطقة نفسها، ويبدو أن الاستطلاع لم يكن في المستوى المطلوب، نظراً لفشل الحملة[5]. ومما يلفت الانتباه أن يزيد بن المهلب، كتب إلى الحجاج بن يوسف عام (٨٥هـ/٧٠٤) عندما أمره بقيادة الحملة إلى خوارزم[6]، إن هذه المنطقة ((قليل السلب، شديدة الكلب))[7] إن

---

(١) الجغرافية العربية حتى نهاية القرن العاشر الميلادي، ترجمة صالح فليح الهيتي وخلدون داود صبري (بغداد، جامعة بغداد ١٩٩٠): ص٤٤.

(٢) الحميري، الروض المعطار: ص٣١٠.

(٣) جبل الأشل: لم تشر المصادر الجغرافية المتاحة إلى مكانه.

(٤) الحكم بن عمرو الغفاري: من أصحاب رسول الله ﷺ، سكن البصرة، عينه زياد على البصرة، ثم عزله عنها وولاه في حملة إلى بعض أعمال خراسان، وتوفي فيها عام (٥٠هـ/٦٧٠م)، ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٣٥٦/١-٣٥٨.

(٥) الطبري، تاريخ: ٢٥٠/٥-٢٥١.

(٦) خوارزم: يقع هذا الإقليم غرب إقليم الصغد، وعرف في العصر الحديث بخيوه، ويشتمل على دلتا نهر جيحون. لسترنج، المصدر السابق: ص٤٧٦.

(٧) الطبري، تاريخ: ٣٩٦/٦.

هذه العبارات المسجوعة، الموجزة الخالية من أية تفاصيل، إنما تحاول أن تلخص الموقف. حسب الطريقة العربية في التعبير آنذاك، بأقل كلمات ممكنة، فهي منطقة قليلة الإمكانيات الاقتصادية، وهي في الوقت نفسه تحتاج إلى استعدادات عسكرية كبيرة. كما يشير ابن الفقيه[1]، إلى رواية مهمة تشير إلى أن رجال الاستطلاع، كانوا يلجأون إلى وضع خرائط مصورة للمنطقة، تبين الجبال، والسهول، والمنخفضات، والبحيرات، كما حدث للحجاج عندما أمر باستطلاع منطقة الديلم، قبل إرسال حملة إليها في مفاوضاته مع زعماء الديلم، واستخدم المعلومات التي حصل عليها.

وفيما يتعلق بالاستطلاع القريب، نجد أن ثبيت البهراني، قام باستطلاع لمعسكر الخزر، أثناء شن العمليات التعرضية الواسعة، ضدهم بقيادة سعيد بن عمرو الحرشي عام (١١٢هـ/٧٣٠م) في أعقاب استشهاد الجراح ووصول الخزر إلى قرب مدينة الموصل، وكانت مهمة البهراني اختراق معسكر العدو، ودراسة أوضاعه قبل شن الهجوم، وقد جلب معه معلومات خطيرة، تفيد بأن المعسكر يغط معظمه في نوم عميق، حيث تمت مهاجمة العدو، ودحره وتحرير السبايا والغنائم[2].

و. مراقبة الجهاز الإداري:

سار خلفاء هذا العصر، على سيرة الخلفاء الراشدين، في مراقبة العمال مسترشدين بمعطيات القرآن الكريم، الذين يؤكد على أن المنصب هو مسؤولية، يثمر تشريفاً في الدنيا والآخرة، في حالة انتهاجه العدل، وخزياً وعاراً في حالة الركون إلى الظلم، والعدوان واتباع الهوى، استناداً إلى قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلاَ تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللهِ﴾[3] واستناداً إلى قوله ﷺ: [ما من عبد استرعاه الله رعية، فلم يحطها بنصيحة، إلا لم يجد ريح الجنة][4]. فقد عرف عن الخليفة عبدالملك بن مروان، بأنه كان شديد اليقظة، كثير الحذر والتعهد لعماله، حتى ولو كان ذلك العامل أخاه كما حدث مع بشر بن مروان، عندما ولاه العراق بعد مقتل مصعب بن الزبير، حيث ترك معه روح بن زنباع الجذامي[5]، لمراقبته وتقويم أعماله،

---

(١) مختصر كتاب البلدان: ص٢٨٣؛ وهناك رواية أخرى عن الخرائط، عندما أمر الحجاج قتيبة أن يصور له مدينة بخارى، بعد أن عانى مشاكل عديدة في اقتحامها. الطبري، تاريخ: ٤٤٠/٦.

(٢) خليفة، تاريخ: ص٣٤٢-٣٤٣. (٣) سورة ص~، الآية: ٢٦. (٤) البخاري، صحيح: ٢٥٣/٤.

(٥) روح بن زنباع: إحدى الشخصيات المهمة المعاصرة، لمروان بن الحكم، وعبدالملك بن مروان، ←

وأرسال التقارير بذلك إلى دمشق[1]. وقد نقلت له عيونه، أن أحد عماله قبل هدية، فأمر باستدعائه، وحقق معه، فاعترف بقبوله الهدية، وحاول تبرير فعلته دون جدوى، ولكنه عزل[2]. وعندما بلغه عن طريق عيونه أن الحجاج، قد أسرف في معاقبته المناوئين له، بعد دير الجماجم، وفي مكافأة الموالين له، أرسل إليه مهدداً محذراً[3]. كما عرف عن واليه الحجاج مراقبته لعماله، وحتى في تصرفاتهم الشخصية، عندما بلغه عن مالك بن أسماء الفزاري، شعراً فيه فحش استدعاه وحقق في الأمر، وعندما ثبت الأمر عليه عزله[4].

ومارس الخليفة سليمان بن عبدالملك، هذا النهج أثناء خلافته، وكان لا يتوانى في عزل، من يعرف عنه التقصير، كما حدث مع خالد القسري عامله على مكة، عندما أساء السيرة مع أهلها[5]. وارتفعت وتيرة المراقبة لدى الخليفة عمر بن عبدالعزيز، نتيجة لحسه الإيماني المرهف، حيث حرص على أن تكون له عيونه، في المدن لمراقبة سير أداء عماله وموافاته بالأخبار عنهم[6]، فعندما وصلته أخبار من عيونه، عن أن موظفي الخراج، في إقليم فارس يمارسون الظلم إزاء الفلاحين، من خلال تسعير منتجاتهم الزراعية، بطريقة غير عادلة فضلاً عن انعدام الأمن في الإقليم، أرسل لجنة تحقيقية وطلب من واليه عدي بن أرطأة عامل العراق، التعاون التام مع اللجنة[7]. كما أرسل إلى عامله على خراسان الجراح الحكمي، منذداً لاستخدامه العصبية القبلية[8] والتي أثارت حالة من التوتر بين التجمعات القبلية (أرباع خراسان) كما ندد باستخدام أحد عماله لأهل الذمة، في المناصب الحساسة[9]، لما في ذلك من تأثير سلبي على سير وتنفيذ السياسات العامة للدولة، لا سيما والعلاقات متوترة مع العدو البيزنطي. وعرف عن الخليفة هشام بن عبدالملك، أنه كان يراقب تحركات أكبر ولاته وهو خالد بن عبدا لله القسري، الذي كان يتولى حكم العراق

وكان من المقربين من عبدالملك،توفي سنة(٨٤هـ/٧٠٣م). ابن كثير، البداية والنهاية:٩/٥٤-٥٥.

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٣/١١٠-١١٢.

(٢) الجاحظ، البيان والتبيين: ٤/٨٩؛ وينظر المسعودي، مروج الذهب: ٣/١١٨.

(٣) المصدر نفسه: ٣/١٣٣-١٣٥.

(٤) الذهبي، تاريخ الإسلام: أحداث ١٠١-١٢٠هـ: ٢٣٢-٢٣٣.

(٥) الطبري، تاريخ: ٦/٥٢٢؛ وينظر شاكر، المرجع السابق: ص٩٥.

(٦) بحشل، المصدر السابق: ص١٤١. (٧) ابن عساكر، تهذيب: ٥/٤٧.

(٨) البلاذري، فتوح: ص٥٢٤.

(٩) الطرطوشي، المصدر السابق: ص٢٥٥؛ وينظر ابن الأزرق، المصدر السابق: ٢/٢٧-٢٨.

والمشرق، وفي رسالة مصارحة شديدة اللهجة، أشار فيها إلى نمو ثروته الشخصية، استناداً إلىوسائل غير مشروعة، وإلى اتباع أخيه أسد القسري، عامل خراسان للعصبية القبلية فيها، فضلاً عن استخدامه المفرط لأهل الذمة، على حساب نظرائهم من المسلمين، فضلاً عن محاولاته الدؤوبة، في إحاطة شخصه بهالة من التعظيم والتبجيل، مما يجعله نداً للخليفة، وحصوله على هدايا النوروز والمهرجان[1]. إن ما ورد في هذه الرسالة يشير إلى أن هشاماً، كان يحتفظ بملف خاص يتضمن مخالفات خالد، وأخطائه الإدارية، طيلة خمسة عشر عاماً من توليه الحكم، وإن كان الأمر غامضاً في عدم تنبيه هشام له، على هذه المخالفات في وقتها.

ز. مراقبة أداء القادة العسكريين:

إن مراقبة أداء القادة في جبهات القتال، هو شيء لم تغفل عنه الخلافة الأموية، وهو استمرار لتقليد مارسه الخلفاء الراشدين، نظراً لأن أي تهاون إزاء أخطاء القادة، قد يؤدي إلى عواقب وخيمة، فقد عمل الخليفة الوليد بن عبدالملك، على مراقبة أداء قادته أثناء عمليات فتح الأندلس، من خلال مولاه مغيث الرومي، وهو الذي نقل إليه توتر العلاقات بين موسى بن نصير، وطارق بن زياد، وحذر موسى من مغبة اتخاذ أي إجراء عنيف إزاء طارق، بالتعاون مع علي بن رباح اللخمي[2]، كما أنه هو الذي أرسل إلى الخليفة الوليد، يخبره بخطط موسى في التقدم في عمق الأندلس شمالاً، فطلب منه القدوم مع طارق إلى دمشق وعندما تأخر في الوصول أرسل مبعوثاً آخر، هو أبو نصر ليمنع موسى من الاستمرار في العمليات ويجبره على العودة[3].

كما لجأ الخليفة عمر بن عبدالعزيز، قبل اتخاذه قراره الأخير بسحب حملة مسلمة بن عبدالملك من القسطنطينية، إلى إرسال مبعوث عنه لتقدير الموقف، وظروف الحملة، وذلك لعدم اقتناع الخليفة الجديد بتقارير مسلمة التطمينية، وكان تقويم مبعوث عمر، هو ضرورة

---

(١) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٢٩٠-٢٩٥؛ وينظر المبرد، المصدر السابق: ١٢١/٤-١٢٥؛ البلاذري، أنساب: ص١٦٨-١٦٩؛ الدينوري، الأخبار الطوال: ص٣٤٦؛ الطبري، تاريخ: ٤٩/٧.

(٢) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٧-٢٠٨.

(٣) المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١-٢٣٤؛ وينظر د. دروزي، تاريخ مسلمي إسبانيا، ترجمة حسن حبشي (القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣/١٣٨٢): ١٥٠/١؛ طه، الفتح والاستقرار: ص١٨٤.

سحب الحملة[1]. إن هذا المبعوث لم يقم بإجراء تحقيق علني، وإنما قام الرجال المختصون التابعون له بجمع المعلومات اللازمة المتعلقة، بجدوى استمرار الحملة من كافة الجوانب.

ويلاحظ أن العيون، هي التي نقلت إلى الخليفة يزيد بن عبدالملك، أنباء توتر العلاقة بين قائدي حملته إلى العراق، لقمع حركة يزيد بن المهلب، مسلمة بن عبدالملك، والعباس بن الوليد، فأرسل بناء على ذلك عثمان بن حيان المري، الذي أصلح بينهما[2]. كما أن عيون الخليفة هشام، في ثغور أرمينية وأذربيجان هي التي نقلت إليه سوء معاملة مسلمة بن عبدالملك، للقائد سعيد الحرشي، الذي خلفه مسلمة في القيادة، والذي سبق وأن حقق نصراً مؤزراً، ودحر العدو الخزري، فأرسل إليه رسالة شديدة اللهجة تضمنت ((أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من خطأتك في سعيد بن عمرو الحرشي وشتمك إياه، واستخفافك بحقه، وضربك لواءه على رأسه، وسحبك له برجله إلى السجن...))[3]. إنها صورة دقيقة لما قام به مسلمة، نقلت من غير رتوش إلى الخليفة، عن تصرف طائش قام به أخو الخليفة.

ح. مراقبة الشخصيات المهمة في الدولة:

إن الشخصيات التي يحتمل أن تشكل في يوم من الأيام، تهديداً للخلافة الأموية، كان يلجأ إلى مراقبتها بصورة غير استفزازية، وغير منظورة، وبعيداً عن الإثارة، ولا بد من الاعتراف، بأن مسألة المراقبة تفاوت الالتزام بها، وما بين خليفة، وخليفة، فضلاً عن تفاوت طبيعة من روقب من هذه الشخصيات، حسب الأفكار السياسية التي تحملها. فهناك قسم من الشخصيات يمكن تصنيفه ضمن المنافسين للعائلة الأموية، على منصب الخلافة، مثل بني هاشم، لا سيما العلويين منهم، حيث أن هناك ما يدل على مراقبة، كانت تجري على الحسين بن علي ﷺ، في عهد الخليفة معاوية، أثناء إقامة الحسين في المدينة[4]. كما أشير إلى حالة مشابهة لعلي بن الحسين ﷺ في عهد الخليفة يزيد بن معاوية، ولذلك أوصى قائده مسلم بن عقبة المري، بحسن معاملته له، ولعدم وجود علاقة له بأهل المدينة أثناء ثورتهم[5]. كما كانت تجري مراقبة لتحركات زيد بن علي عليه السلام، في عهد الخليفة

(١) ميخائيل السرياني، المصدر السابق: ٢/٣٨٠-٣٨١.
(٢) البلاذري، أنساب: الورقة ٢٣٢. (٣) ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٥٩-٦٠.
(٤) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ١/١٥٠؛ وينظر مجهول، أخبار العباس: ص٤٢.
(٥) ابن عساكر، تهذيب: ٧/٦٠.

هشام(١)، ومن خلال هذه الأسماء الثلاثة التي تمت مراقبتها، يتضح أن الذي يدفع السلطات الخلافة إلى هذه المراقبة، هو النشاط السياسي الذي كانت تمارسه، والذي يهدد حتماً الخلافة. في حين لا يوجد ما يدل على مراقبة شخصيات أخرى، من العائلة الهاشمية، لم يكن لديها مثل هذا النشاط، على الرغم من تأييدها وتعاونها مع السلطات الأموية.

كما كان هناك قسماً ثانياً من هذه الشخصيات، ينتمي إلى العائلة الأموية، إلا أن علاقته بالخليفة ليست على ما يرام، بل يسودها التوتر بسبب ولاية العهد، كما كان عليه الأمر بين الخليفة الوليد بن عبدالملك، وولي عهده سليمان، وما بين الخليفة يزيد بن عبدالملك، وولي عهده هشام(٢)، أو لاعتناقهم أفكار سياسية، لا تنسجم مع طروحات بني أمية وأجناد الشام في الخلافة، مثل عمر بن عبدالعزيز(٣)، أو لاعتبارهم منافسين محتملين للخليفة، مثل خالد بن يزيد بن معاوية، في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان(٤). ويمكن وصف القسم الثالث من هذه الشخصيات، بأنه كان من المقربين من الخلفاء السابقين، إلا أن علاقته متوترة مع الخليفة الحالي، أو تتسم بالبرود، بسبب خلافات كانت بينها وبين الخليفة قبل وصوله إلى الخلافة، مثل تلك التي كانت بين رجاء بن حيوة الكندي، وهشام بن عبدالملك(٥).

أما القسم الرابع، فقد وضعت تحت المراقبة، لأنه رشح لتولي منصب مهم من أجل معرفة كفاءته ونزاهته، كما حدث لبلال بن أبي بردة الأشعري، في عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز، حيث أثبتت نتيجة مراقبته عدم أهليته لتولي المنصب(٦). في حين نجد قسماً خامساً روقب لأنه غير مستقر سياسياً ولديه طموح كبير، كما حدث للخليفة معاوية، مع عبيدا لله بن الحر الجعفي(٧). وهناك قسماً سادساً، روقب لأنه يؤمن بأفكار سياسية معادية

---

(١) الجاحظ، البيان والتبيين: ٣٢٥/١؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٤؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢٠٣/٣؛ الطبري، تاريخ: ١٦٥/٧.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ١٦٤/٣-١٦٥، ٢٠٢.

(٣) البسوي، المصدر السابق: ٣٠٦/١.

(٤) البسوي السابق: ٥٧١/١.

(٥) الذهبي، تاريخ الإسلام، أحداث ١٠١-١٢٠: ص٢٦٢-٢٦٣؛ وينظر إحسان عباس، فصل من تاريخ العقيدة، مجلة الأبحاث، الجامعة الأمريكية (بيروت، أيلول ١٩٥٦): ٣٢٩/٣-٣٣٠.

(٦) ابن سعد، المصدر السابق: ٢٩٢/٥؛ وينظر المبرد، الكامل: ٥٢/٢؛ مجهول، العيون والحدائق: ٦٠/٣؛ ابن عساكر، تهذيب: ٣٢٢/٣؛ ابن حجر، تهذيب: ٥٠٠/١-٥٠١.

(٧) عبيدا لله بن الحر: شخصية قلقة، غريبة الأطوار، شجاعة جسورة، كانت تمثل أفكاراً مزيجة من ←

للخلافة الأموية، كالخوارج، إلا أن ركونه إلى الهدوء، كان يتطلب استمرار مراقبته خوفاً من تحوله من التقية إلى الثورة، كما هو الحال مع الأباضية. في حين نجد أن هناك قسماً سابعاً، روقبوا لأنهم يحملون أفكاراً، على الصعيد العقدي، لا تقرها الخلافة كالقدرية مثلاً، كما حدث لغيلان الدمشقي وصاحبه في أرمينية، في عهد الخليفة هشام بن عبدالملك[1].

ط. اختراق التنظيمات المعادية:

١. عملية معقل مولى عبيدا لله بن زياد:

يشير أبو مخنف[2] إلى أن وصول مسلم بن عقيل بن أبي طالب، إلى الكوفة مبعوثاً شخصياً من قبل الإمام الحسين عليه السلام، ولإجراء الاتصالات اللازمة تمهيداً لوصول الحسين، لم يكن سرياً بصورة عامة، فعيون وأنصار بني أمية في الكوفة، كانوا مطلعين على الموضوع، ولذلك حالما تولى عبيدا لله بن زياد ولاية الكوفة، كان الشغل الشاغل له كشف مسلم، وإلقاء القبض عليه، وقد كلف بإنجاز هذه المهمة الخطيرة أحد عيونه من مواليه وهو معقل[3]، حيث أعطاه ثلاثة آلاف درهم، لكي يستخدمها طعماً في الوصول إلى هدفه، من خلال تقديم نفسه إلى مساعدي مسلم، والمقربين إليه، بأنه من المحبين لآل البيت، وقد سارع معقل إلى الذهاب إلى المسجد الأعظم في الكوفة، واستطاع أن يرصد أحد من كان يبايع للحسين، وهو مسلم بن عوسجة الأسدي، وقد جلس إليه مدعياً بأنه رجل من أهل الشام، مولى لذي الكلاع[4]، وأنه قدم بثلاثة آلاف درهم يقدمها لمن يبايع له من أهل البيت. وكان رد فعل مسلم بن عوسجة على هذا الطرح المباشر والصريح، مزيجاً من الفرح المشوب بالخوف، من كونه أحد عيون سلطات الكوفة، وهو ما سيؤدي إلى انكشاف أمره، إلا أنه في النهاية بايعه، وأخذ عليه العهود والمواثيق على الكتمان، وطلب إليه أن يلقاه في منزله، حتى تتاح له الفرصة للقاء رسول آل البيت، إلى أن اصطحبه يوماً

الولاء القبلي، ورفض السلطة المركزية والظلم. الطبري، تاريخ: ٥/٢٧١، ٤٠٧، ٤٦٩، ٥٢٧، ٦/١٠٥-١٠٦، ١١٦، ١٢٧-١٣٥.

(١) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٢/٣٥؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/٨٢-٨٣.

(٢) ينظر روايته لدى الطبري، تاريخ: ٥/٣٦٢-٣٦٥؛ وينظر الأصبهاني، مقاتل الطالبيين: ص٧٠-٧١.

(٣) لم يرد في المصادر سوى اسمه الأول فقط.

(٤) ذي الكلاع: اسمه أيفع بن ناكور من زعماء حمير أسلم وقدم المدينة لزيارة الرسول ﷺ فسمع في الطريق أنه توفي فرجع واشترك في فتح الشام وقد قتل في صفين مع معاوية. ابن عبدالبر، الاستيعاب: ٢/٤٧١-٤٧٥.

إلى مسلم بن عقيلٍ وبايعه وقبض ماله، والذي بدوره سلم المال إلى أبي ثمامة الصائدي، الذي كان مسؤولاً عن صندوق الدعوة، حيث كان يمول منه عمليات شراء السلاح ويدعم الأنصار. ويشير البلاذري(١) إلى أن معقل بلغ من ثقة مسلم بن عقيل، أنه كان لا يحجب عنه، ويقضي النهار بطوله في مجلسه، وعرف كل أسرار التنظيم في الكوفة وخططه المستقبلية. وكان يعود ليلاً إلى مولاه عبيدا لله بن زياد، فيقدم إليه تقريراً يتضمن آخر التطورات المستجدة، إلى أن تم معرفة كل شيء مع اقتراب الحسين عليه السلام من الكوفة، فتم حينئذ إلقاء القبض على مسلم بن عقيل وأعضاء التنظيم العلوي.

٢. عملية المملوك الخراساني ليوسف بن عمر الثقفي:

كلف يوسف بن عمر الثقفي، أحد عيونه من مماليكه، وكان خراسانياً ألكن (يعاني من صعوبة النطق) أن يحاول معرفة مكان اختفاء زيد بن علي عليه السلام، في الكوفة، وأعطاه خمسة آلاف درهم، لكي يتوصل عن طريقها إلى هدفه، وأمره بأن يدعي بأنه خراساني يحب آل البيت، وأن معه مالاً لهم، فلم يزل يسأل ويستقصي من أنصار زيد، حتى دلوه على مكانه. وبعد أن عرف مكانه السري سارع إلى إبلاغ يوسف بذلك، فوجه إليه قواته للقبض عليه، وهذا مما عجل في إعلان زيد للثورة، قبل موعدها وكان سبباً في فشلها(٢).

٣. عملية أبي العوجاء، عبدالكريم التميمي:

شهدت أحداث الثورة العباسية، اختراقاً مهماً قام به عيون الخلافة الأموية، للتنظيم العباسي، من خلال زرعها لأحد رجالها والذي يسمى قريط بن حجاج(٣)، والذي عرف بين رجال الدعوة باسمه الحركي (عبدالكريم أبو العوجاء) ويلاحظ أن المؤرخين أشاروا إلى خلفيته قبل انتمائه المزعوم إلى التنظيم، بأنه من أهل البصرة، وقد غادرها بعد أن قتل رجلاً من قومه، إلى خراسان، حيث غير اسمه وتكنى بأبي العوجاء. إن ضرورات الأمن هي التي

---

(١) فتوح: ص٢٣٥-٢٣٦.

(٢) الطبري، تاريخ: ١٨٨/٧؛ إن عيون يوسف الثقفي اندست حتى بين أنصاره الذين قرروا القتال معه، حيث عملوا على إثارة الفرقة بينهم، من خلال طرح الأسئلة التي تفرقهم ولا تجمعهم، مثال ذلك سؤاله عن موقفه من خلافة الراشدين أبو بكر وعمر رضي ا لله عنهما، وهو ما ساهم في تقليص عدد مناصريه إلى أدنى حد بعد أن أعلن توليهما، والبراءة من أعدائهما. ابن عساكر، تهذيب: ٢٥/٦.

(٣) ورد اسمه لدى صاحب أخبار العباس، باسم قريط بن حجاج: ص٣٨٩.

جعلت أبي العوجاء، يمثل هذا الدور لكي يندس في التنظيم، ويبدو أنه وصل مع مرور الزمن إلى درجة عليا في سلمه القيادي، وهذا ما يفسر لنا تكليفه من قبل أبي مسلم الخراساني، المسؤول السياسي والعسكري للتنظيم في خراسان، مع رجل آخر اسمه أبو حميد، بالذهاب لمقابلة إبراهيم الإمام، وعندما وصلا إلى تدمر، تمارض أبو العوجاء، واحتفظ بالكتاب، الذي يفترض بهما إيصاله إلى إبراهيم الإمام، في حين أصر زميله أبو حميد، على إكمال الرحلة إلى الحميمة بمفرده، بينما اتجه أبو العوجاء إلى حران، مقر قيادة الخليفة مروان بن محمد، حيث قابل سعيد بن عمرو السلمي أحد مساعدي الخليفة، الذي أوصله إليه، فقدم له كتاب أبي مسلم، وقد كافأ مروان جاسوسه بسخاء وأمره بإكمال دوره إلى النهاية، حيث عليه أن يذهب إلى إبراهيم الإمام، ويسلمه الكتاب وعليه أن يتصل مباشرة بمروان، ويبلغه بالتطورات أولاً بأول. ومن الطريف الإشارة، إلى أن أبا العوجاء ظل حراً طليقاً، لم يكتشف أمره حتى بعد انتهاء الحكم الأموي عام (١٣٢هـ/٧٥٠م) ومقتل مروان الثاني، ثم تم كشفه أثناء ولاية أبي جعفر المنصور على الجزيرة الفراتية، لأخيه العباس فتم إعدامه(١).

إن هذه العملية، ليست مستغربة علىمروان، الذي نجح في اختراق كثير من التنظيمات المعارضة، أثناء ولايته لثغور أرمينية، وأذربيجان، لا سيما من الخوارج(٢)، وهي تكشف عن عملية خطط لها بعناية، ونفذت بصبر طويل لا يختلف كثيراً عن أرقى عمليات الخرق التي نفذت في العصور الحديثة.

ي. ضبط توقيت نصب الكمائن:

لعبت العيون والجواسيس، العاملة بين صفوف العدو، دوراً حاسماً في توقيت نصب الكمائن، من خلال إرسال المواعيد الدقيقة، عن تحركات العدو، والطرق التي سيسلكها في الوصول إلى القوات الإسلامية، لا سيما عندما كانت عمليات العدو، توضع خططها في إطار من السرية الشديدة. ويلاحظ أن قتيبة بن مسلم الباهلي، كان بارعاً في حسم بعض معاركه ضد الترك، من خلال الكمائن التي يكون الغرض منها مفاجأة العدو، حيث تباد خيرة قطعاته، بينما يتم القضاء على ما تبقى منها بسهولة أكبر، من خلال بقية القوات العاملة تحت قيادته المباشرة. كما حدث عام (٩٣هـ/٧١١م) عند حصاره للصغد، عندما

---

(١) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ١٠٣-١٠٥.
(٢) الطبري، تاريخ: ٢٨٣/٧.

نجحت عيونه في جلب خطة مشتركة وضعها الصغد، وحلفاؤهم، في الشاش، وأخشاذ، فرغانة، وخاقان الترك، لمفاجأة قتيبة في عملية سريعة، بقيادة ابن الخاقان، حيث قام بعد استلامه هذه المعلومات الثمينة، بإرسال عيونه وجواسيسه لجلب توقيتات وصول العدو ليلاً، بعد أن حصل على هذه المعلومات، قام بإرسال نخبة من قواته، بقيادة أخيه صالح بن مسلم، حيث نصب كمين على يمين الطريق، ويساره، وقاد ما تبقى من قواته على ناصية الطريق، وقد دحر العدو بعد أن تكبد خسائر فادحة[1].

---

(١) الطبري، تاريخ: ٦/٤٧٦-٤٧٧.

سادساً: تقويم عمليات العيون

سيتم التعامل في تقويم عمليات العيون والجواسيس، في هذا العصر، من خلال العمليات الناجحة، والفاشلة، في كل من الجبهات الخارجية، في ثغور الشام، والجزيرة، وفي أرمينية، وأذربيجان، وطبرستان، وخراسان، وما وراء النهر، وفي السند، وسجستان، وفي المغرب، والأندلس، فضلاً عن دورها في الجبهة الداخلية، على صعيد التصدي للحركات المعارضة العسكرية، والسياسية، وفي مراقبة الجهاز الإداري، والقيادات العسكرية، والشخصيات المهمة.

أ. العمليات الناجحة:

١. في ثغور الشام والجزيرة:

تعد الجبهة البيزنطية من أهم الجبهات، التي كان على الدولة العربية الإسلامية، أن تستعد فيها لمواجهة الحركات المعادية، لدولة ذات ثقل حضاري، وتأريخي، وإمكانيات كبيرة من خلال كونها إمبراطورية تحكم أقاليم واسعة، وكان دور العيون والجواسيس، في هذه الجبهة متنوع الجوانب، فضلاً عن نقل الأخبار عن تحركات العدو[١]، ومقاومة التجسس المضاد، الذي برع فيه البيزنطيون، وذلك من خلال تجفيف الينابيع التي تزود العدو بالمعلومات، عبر سياسة لا هوادة فيها وصلت إلى حد ترحيل السكان من المناطق الحدودية، ممن ثبت تعاونهم مع العدو[٢]. كما نفذت في هذه الجبهة عمليات خاصة كبيرة، مثل تلك التي استهدفت خطف أحد القادة البيزنطيين، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان، والتي امتازت بكفاءة كبيرة في التخطيط والتنفيذ، ابتداء بالخليفة المخطط، مرورا بالقائد البحري المنفذ، وبالكادر التجسسي الذي اشترك معه في الأداء، وأثبتت العملية بعد نجاحها بُعد النظر الذي اتسم به معاوية، وفي تعامله الأخلاقي العالي مع القائد الأسير، فالهدف البعيد المدى من العملية لم يكن الانتقام، وإنما إشعار القيادة البيزنطية بمقدرة الدولة العربية الإسلامية، وإمكانياتها التجسسية الكبيرة[٣].

وعبرت عملية سحيم بن المهاجر، في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان، والتي كان

(١) اليعقوبي، تاريخ: ٢٦٩/٢؛ وينظر البلاذري، فتوح: ص١٨٣؛ ابن أعثم، الفتوح: ١٦٧/٧.

(٢) الطبري، تاريخ: ٤٦٨/٦، ٢٢٧/٧.

(٣) المسعودي، مروج الذهب: ١٢٦/٤-١٣١؛ وينظر النويري، نهاية الأرب: ١٨٥/٦-١٨٧.

الغرض منها التخلص من الجيب الخطر، الذي أقامه البيزنطيون قرب دمشق في جبال لبنان، عن مقدرة عالية، في التخطيط والتنفيذ على السواء[1]. كما سجلت العيون نجاحاً آخر من خلال تضليل قيادة العدو، عبر كسب أحد حلفائه. وتحويله إلى قناة، يصل عن طريقها الطعم المسموم، كما حدث في عمليات الطوانة، في عهد الخليفة الوليد بن عبدالملك[2]. وأخيراً لا يمكن إغفال الإنجازات التي نفذها العيون في مجال السفارات، والتي تعمل ما بوسعها لجمع المعلومات، أثناء تواجدها في أراضي العدو، بما يفيد أمن الدولة العربية الإسلامية[3].

٢. ثغور أرمينية وأذربيجان:

شهدت هذه الجبهة إنجازات كثيرة، ساهم فيها بشكل رئيسي العيون المحليون[4]، إلى جانب العيون العربية الإسلامية، وكانت هذه الإنجازات تشمل الاستطلاع العميق، والذي بدأ منذ عهد معاوية بن أبي سفيان[5]، فضلاً عن عمليات الاستطلاع القريب[6]، كما نفذت عمليات تضليل ناجحة، من خلال تسريب معلومات خاطئة إلى أحد جواسيس العدو، الذي كشف أمره، من أجل استخدامه بصورة غير مباشرة، كناقل طعم إلى العدو[7]، فضلاً عن تنفيذ عمليات خاصة، نفذها بعض القادة الميدانيين بأنفسهم، عبرت فضلاً عن دقة التخطيط والتنفيذ، عن استعداد القيادة العسكرية في هذا العصر لقبول الشهادة، في أية لحظة من أجل دحر العدو وتحقيق النصر[8].

٣. في ثغور طبرستان:

إن هذا الإقليم الجبلي الواقع جنوب بحر قزوين (الخزر)، من الأقاليم التي لم يستقر فيها الوجود العربي الإسلامي، في هذا العصر نظراً لقساوة المنطقة من ناحية التضاريس،

---

(١) البلاذري، فتوح: ص١٨٩-١٩٠؛ وينظر البلاذري، أنساب: ٣٠٠/٥؛ ابن الأثير، الكامل: ٣٠٤/٤؛ عثمان، الحدود: ٦٨/٢؛ دكسن، المرجع السابق: ص٢٠٠-٢٠١.

(٢) ابن الأثير، الكامل: ٥٣١/٤.

(٣) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص١٤٠؛ وينظر المقدسي، البدء والتاريخ: ص١٥٣.

(٤) البلاذري، فتوح: ص٢٤٦؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٢٩/٨-٣٠.

(٥) الحميري، الروض المعطار: ص٣١٠.

(٦) خليفة، تاريخ: ص٣٤٢-٣٤٣.

(٧) ابن الأثير، الكامل: ١١١/٥.

(٨) ابن أعثم، المصدر السابق: ٧٧/٨-٧٨.

والمناخ، ونظراً لسياسة الدولة القائمة على عدم ترك أية جيوب معادية معزولة، يمكن أن تشكل في يوم من الأيام ألغاماً موقوتة، فقد عملت السلطات على إيجاد متعاونين محليين، من قيادات الإقليم، ومن السكان للعمل مع السلطات العربية الإسلامية[1]، كما حاولت العيون رسم خرائط مصورة، لتضاريس الإقليم في عهد الحجاج بن يوسف[2]، فضلاً عن دورها في إدارة التفاوض مع قيادات الإقليم[3].

٤. في ثغور خراسان وما وراء النهر:

نجحت القيادة العربية الإسلامية، في هذا الإقليم الكبير في إيجاد كوادر تجسسية كفوءة، لا سيما من السكان المحليين، وقد انحصرت إنجازات العيون والجواسيس، في مجال الأخبار المبكر، عن التحالفات المعادية، مما يسهل عملية التصدي لها، فضلاً عن نقل تحركات العدو، وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها[4]، فضلاً عن إدارة مفاوضات كفوءة، مع قيادات العدو في الأوقات الحرجة، من أجل تحقيق الأهداف بأقل خسائر ممكنة، كما حدث في عهد قتيبة بن مسلم، مع ملك الترك ومع ملك الصغد[5].

٥. في ثغور السند:

إن هذه الجبهة حالها حال الجبهات الأخرى، توقف فيها حجم النجاحات المتحققة، على صعيد التعاون الذي نجحت فيه القيادة، في تحقيقه مع السكان المحليين وقياداتهم[6]، كما ألزمت معاهدات الصلح بعض المدن، بتقديم أدلاء للقوات العربية الإسلامية[7].

٦. في ثغور المغرب والأندلس:

على الرغم من أن المصادر، لا تقدم إلا ومضات صغيرة، عن دور العيون في إكمال

---

(١) الطبري، تاريخ: ٢٧٦/٢.
(٢) ابن الفقيه، المصدر السابق: ص٢٨٣.
(٣) الطبري، تاريخ: ٥/٥٤٠-٥٤١؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧/٢٩١-٢٩٣؛ ٤٧٦-٤٧٧.
(٤) الطبري، تاريخ: ٣٨٦/٦، ٤٧٣-٤٧٤، ٤١/٧، ٦٠-٦١، ٧٢-٧٤، ١١٧، ١٢٢؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٨/١٠٠-١٠١.
(٥) اليعقوبي، تاريخ: ٢٨٦/٢، وينظر الطبري، تاريخ: ٦/٥٤٠-٥٤١.
(٦) البلاذري، فتوح: ص٥٢٦؛ وينظر البلوشي، المرجع السابق: ص١٢٣.
(٧) البلاذري، فتوح: ص٥٣٧.

تحرير المغرب، إلا أن دورهم واضح في عمليات عقبة بن نافع[١]، وأبو المهاجر بن دينار[٢]، وزهير البلوي[٣]، وحسان بن النعمان الغساني[٤]، وموسى بن نصير[٥]، وكانت مهامهم متنوعة على صعيد جلب الأخبار، عن خطط العدو وأهدافه. كما كان دور العيون والجواسيس حاسماً، في وضع خطة فتح الأندلس، من خلال توفير قيادات من بين صفوف العدو، أعلنت استعدادها للعمل مع القوات العربية الإسلامية، مثل حاكم سبتة، وأولاد غيطشة، والذين قدموا الأخبار والأدلاء، فضلاً عن دورهم في شن حرب نفسية على العدو من أجل تثبيط معنوياته[٦]، كما نجحت في الاستفادة من خدمات اليهود، على صعيد التجسس، مدفوعين كما يظهر برغبتهم، في الانتقام من النظام القوطي، الذي اضطهدهم[٧]، كما قامت العيون والجواسيس، بإبلاغ الخلافة بخطط موسى بن نصير، لتجاوز الخطة الأصلية، والاستمرار في التقدم، في عمق الأراضي الأندلسية شمالاً، بما يخالف توجهات الخلافة[٨].

العمليات الناجحة على الصعيد الداخلي:

١. مراقبة الحركات المعارضة:

عملت العيون على تخصيص جزء ليس بالهين من طاقتها، في التصدي لهذه الحركات وقد حققت نجاحات في معظم الأحيان، تمثلت في الحصول على خطط بعض الحركات، لإعلان التمرد، وبالتالي وفرت للسلطات المسؤولة الوقت اللازم، والإمكانيات لوأد هذه الأخطار[٩]، فضلاً عن كشف أماكن تواجد المطلوبين لأسباب سياسية[١٠]، وفي إدارة التفاوض مع الخصوم، في سبيل تحويل ولائهم إلى صفوف الخلافة، وفي حالة الفشل، العمل على إيجاد منافسين لهم، يعملون على الإطاحة بهم[١١]، فضلاً عن إيجاد قواعد للعمل، في

---

(١) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص١٩٥؛ وينظر ابن عذاري، المصدر السابق: ٢٦/١.

(٢) المالكي، رياض النفوس: ٢١/١. (٣) الدباغ، معالم الإيمان: ٥٦/١.

(٤) الرقيق، المصدر السابق: ص٧٣-٧٤؛ وينظر مجهول، أخبار مجموعة: ص٧؛ ابن عذاري، المصدر السابق: ١٤/٣؛ المقري؛ المصدر السابق: ٣٥٨/١.

(٥) ابن قتيبة، الإمامة والسياسة: ٥٤/٢. (٦) الرقيق، المصدر السابق: ص٧٣-٧٤.

(٧) مجهول، أخبار مجموعة: ص١٢. (٨) طه، الفتح والاستقرار: ص١٨٤.

(٩) الطبري، تاريخ: ١٨١/٦-١٨٢. (١٠) المسعودي، مروج الذهب: ١٥٨/٧-١٥٩.

(١١) الطبري، تاريخ: ١٧٦/٦.

الوقت المناسب، في المناطق الواقعة تحت سيطرة المعارضة[١].

كما حققت العيون نجاحات باهرة، في اختراق التنظيمات المعارضة، لكشف قياداتها والعمل على وأد نشاطها، قبل إعلان الثورة المسلحة، كما حدث عند كشف تنظيم مسلم بن عقيل[٢]. وفي كشف تنظيم زيد بن علي في الكوفة[٣]، وتعاملت العيون والجواسيس مع التنظيم العباسي بنجاح أكثر من مرة، والذي مارس وسائل مبتكرة في الاختفاء، والعمل السري التنظيمي، فضلاً عن قبول رجال يختارون بعناية ويمتازون بالصلابة[٤].

كما أدت العيون دورها في أثناء الصدامات المسلحة، مع حركات المعارضة، من خلال الحرب النفسية، والتضليل، ونقل الأخبار، كما حدث في معركة التوابين[٥]، وسلطة ابن الزبير في العراق والحجاز[٦]، وفي التصدي لحركات الخوارج، لا سيما أثناء قيادة المهلب بن أبي صفرة لقوات الخلافة ضدهم[٧]، وكذلك في تمرد ابن الأشعث[٨]، ويزيد بن المهلب[٩].

٢. مراقبة الجهاز الإداري:

تحت العيون والجواسيس، بصورة عامة في مراقبة الجهاز الإداري للدولة، وكانت التقارير التي تصل إلى دار الخلافة، أو مقر المصر، تتعلق بالنزاهة المالية[١٠]، أو بتطرف العامل في الثواب والعقاب[١١]، أو بسلوك شخصي غير مقبول[١٢]، أو بسياسات مالية،

---

(١) ابن حبيب، المحبر: ص٣٤١-٣٤٢. (٢) الطبري، تاريخ: ٣٦٢/٥-٣٦٥.

(٣) المصدر نفسه: ١٨٨/٧؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ٢٥/٦.

(٤) اليعقوبي، تاريخ: ٣١٢/٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٦١٦/٦-٦١٧، ١٠٩/٧؛ مجهول، أخبار العباس: ص٢٧٠.

(٥) الطبري، تاريخ: ٤٠/٦؛ وينظر ابن أعثم، المصدر السابق: ٧٩/٦-٨٠، ١٧٣-١٨١.

(٦) الزبير بن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٥٣٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٥٦/٦؛ الأصبهاني، الأغاني: ٣٠٤/١٦-٣٠٥.

(٧) الطبري، تاريخ: ٤٤٤/٦؛ وينظر المبرد، الكامل: ٣٨٣/٣؛ مجهول، نبذة: الورقة ٣٥.

(٨) خليفة، تاريخ: ص٢٨١.

(٩) البلاذري، أنساب: الورقة ٣١٣؛ وينظر ابن أبي الحديد، المصدر السابق: ٢٤٢/١.

(١٠) الجاحظ، البيان: ٨٩/٤؛ وينظر ابن عساكر، تهذيب: ٤٧/٥.

(١١) المسعودي، مروج الذهب: ١٣٣/٣-١٣٥.

(١٢) الذهبي، تاريخ الإسلام، أحداث ١٠١-١٢٠: ص٢٣٢-٢٣٣.

الهدف منها تكوين ثروة شخصية، على حساب المال العـام(١)، ويلاحـظ أن هـذه التقـارير كانت تتبعها إجراءات رادعة، ما بين العزل تارة أو التحذير(٢)، والتنديد تارة أخرى(٣).

٣. مراقبة القادة العسكريين:

إن الغرض من هذه المراقبة، لم يكن انعدام الثقة بهؤلاء، وإنما تتعلق بأداء هؤلاء القـادة، ومدى التزامهم بالأهداف التي كلفتهـم الدولـة بتحقيقهـا، والعمـل في نفـس الوقـت علـى معالجة المشاكل قبل استفحالها، عبر توفير الحلول المناسبة لها، وكان واجب العيون يبدأ مـن النقطة التي يتجاوز فيها هؤلاء القادة الخطوط الحمراء(٤)، أو عند ظهور خلافات بـين قـادة الجبهة(٥).

٤. مراقبة الشخصيات المهمة في الدولة:

مـن أجـل الـتزام الدقـة، فـإن مراقبـة الشـخصيات المهمـة في هـذا العصـر، لا تعـني أن السلطات الأموية كانت تمارس مراقبـة لا هـوادة فيهـا، تحصـي أنفـاس هـؤلاء وتصرفـاتهم الشخصية، والعامة، وإنما يتعلق الأمر بمراقبة الأنشطة السياسية المريبة، في معظم الأحيان(٦)، أو مدى الكفاءة في تولي المناصب(٧)، وكان المبرر لهذه المراقبة هو كثرة الفـتن والتمـردات، والحروب الأهلية، فأصبح الهاجس الأمني، والرغبة في تجنـب المزيـد مـن إراقـة الدمـاء، هـو هدف معظم الخلفاء في هذا العصر، وكانت هـذه الشـخصيات مزيجاً مختلـف الاتجاهـات، والأفكار، والولاءات، وكان قسماً منها ينتمي إلى قلب الأسرة الأموية.

ب. العمليات الفاشلة:

إن العيون والجواسيس العاملين في خدمة الدولة العربيـة الإسلامية، لم يذوقـوا حـلاوة الانتصارات فقط، وهي كثيرة، وإنما غصوا أحياناً بمرارة الخروقات، التي قام بها الأعـداء في دار الحرب، أو الخصوم في دار الإسـلام، والـتي عجـزوا عـن كشـفها وإفشـالها، في الوقـت

---

(١) ابن بكار، الأخبار الموفقيات: ص٢٩٠-٢٩٥. (٢) الجاحظ، البيان: ٨٩/٤.

(٣) البلاذري، فتوح: ص٥٢٤؛ وينظر المسعودي، مروج الذهب: ١٣٣/٣-١٣٥.

(٤) المقري، نفح الطيب: ٢٣٣/١-٢٣٤.

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح: ص٢٠٧-٢٠٨؛ وينظر البلاذري، أنساب: ص٢٣٢.

(٦) الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٢٤. (٧) ابن سعد، طبقات: ٢٩٢/٥.

المناسب. وهذه حالة طبيعية، إذ لا يمكن الوصول إلى حالة، ينعدم فيها الفشل بصورة تامة، مهما كان الأداء جيداً من خلال التخطيط والتنفيذ، بل الهدف هو تقليل الأخطاء إلى أقل حد ممكن، والتي تأتي إما من سوء الأداء، على الرغم من جودة التخطيط، أو من فشل التخطيط والتنفيذ معاً، أو من خلال المفاجأة التكتيكية للعدو، والتي لم ولن تعالج إلى الوقت الحاضر، برغم التقدم التقني الكبير، أو من تفاوت الإمكانيات بين الطرفين عندما تكون إمكانيات العدو المتاحة، أكبر أو أدائه أفضل.

سوف يتم تسليط الضوء، على نمطين من الإخفاقات في هذا العصر، الأول من خلال أداء العيون مباشرة، والثاني ساهم فيه العيون إلى جانب عوامل أخرى، فعلى صعيد القسم الأول المرتبط بأعداء دار الحرب، نجد أن الرسول الذي أرسله معاوية بن أبي سفيان، للتفاوض مع الدولة البيزنطية، والذي يفترض به أن يكون محصناً، ضد مناورات وإغراءات العدو، فشل في أداء مهمته، من خلال استغلال العدو لنقطة ضعفه، والتي كما يبدو كان قد حصل عليها من خلال عيونه في الشام، وهي رغبته في جمع الأموال حيث تمت رشوته، وتساهل في صياغة بنود المعاهدة، التي حققت أهداف الدولة البيزنطية، بالدرجة الأولى، ولم يلتزم بالمبادئ الأساسية، التي أعطيت له في دمشق(١).

وشهد عهد عبدالملك بن مروان، نجاح البيزنطيين في تسريب أحد قوادهم، مع مجموعة من القوات إلى الأراضي العربية الإسلامية، بحجة أنه طالب للجوء إلى كنف الدولة العربية الإسلامية، وقد استجيب لرغبته في الاستقرار مع قواته، في مدينة طرابلس ، لقاء أن يؤدي الخراج، حيث بقي أكثر من سنتين، إلى أن أتيحت له الفرصة لتنفيذ الخطة، التي قدم من أجلها وهي السيطرة المؤقتة على هذه المدينة الساحلية المهمة، والتي تشكل إحدى قواعد الأسطول، ومركز لبناء السفن الحربية، حيث استغل عودة معظم المرابطين فيها إلى داخل أجناد الشام، فقام بالهجوم على عامل المدينة، والقوات القليلة العاملة تحت تصرفه، حيث استشهد العامل، وأسرت القوات مستغلاً التفوق العددي، ثم قام بالإبحار إلى الأراضي البيزنطية، إلا أنه سرعان ما وقع في الأسر، على يد الأسطول العربي الإسلامي، أثناء تصديه لأسطول بيزنطي كان يقوده القائد المذكور، يستهدف السواحل العربية الإسلامية، حيث أعدم جزاء على غدره(٢).

---

(١) ابن طباطبا، المصدر السابق: ص٦٨-٦٩.

(٢) البلاذري، فتوح: ص١٥١؛ ويقارن إيليا برشنايا، تاريخ إيااليا برشنايا، تحقيق يوسف حبي (بغداد، مجمع اللغة السريانية، ١٩٧٥): ص١٣٦-١٣٧؛ ميخائيل السرياني، تاريخ: ٣٤٢/٢.

كما نفذت البيزنطيون عملية خاصة ناجحة، في عهد الوليد بن عبدالملك، تستهدف تدمير منارة الاسكندرية[1] الشهيرة، وذلك عندما أرسلوا أحد جواسيسهم، وكان من القادة المعروفين بالدهاء بصفة لاجئ يطلب الأمان، إلى إحدى نقاط الثغور، وادعى أن سبب قدومه هو محاولة الملك البيزنطي قتله، ثم أسلم على يد الوليد، واستطاع أن يكسب ثقته عن طريق دلالته على بعض الكنوز الأثرية الموجودة في أجناد الشام، من خلال خرائط وكتب كانت بحوزته[2]. إن منارة الاسكندرية، التي جاء هذا الجاسوس، لتدميرها بأيدي عربية إسلامية، شكلت كما يبدو مصدر إزعاج، للنشاط العسكري البيزنطي، في البحر المتوسط. على الرغم من أن المصادر، لم تشر إلى أي هجوم بحري شنه البيزنطيون على الاسكندرية، بعد إعادة تحريرها مرة ثانية عام ٢٥هـ/٦٤٥م، على يد عمرو بن العاص، فإن الأسطول البيزنطي ضرب مناطق أخرى في سواحل مصر، مثل البرنس[3]، وتنيس[4]، فهل كانت محاولة تدميرها تمهيداً لعملية كبيرة؟ وهل كانت المنارة مصدر إنذار مبكر فلعبت دوراً في منع البيزنطيين من هذا الهجوم؟ وبعد أن اكتسب ثقة الوليد، أقعنه بوجود كنوز مدفونة تحت المنارة، فأمره بهدمها، فعلاً تم هدم نصفها العلوي وأزليت المرآة، وضج أهل الاسكندرية خلال ذلك من هذا العمل، وأعلنوا أن الأمر عبارة عن مكيدة بيزنطية، وخاف

---

(١) أورد المؤرخون العرب والأجانب معلومات مفصلة عن هذه المنارة التي كانت إحدى عجائب الدنيا التي بلغ ارتفاعها نحو ٢٥٠ متراً، وفي أعلاها مرآة وعليها حراس فإذا رصدوا سفناً معادية أطلقوا أصواتاً خاصة، ونشروا أعلاماً للتحذير. المسعودي، مروج الذهب: ٤١٦/١-٤١٧؛ الثعالبي، ثمار القلوب: ص٥٢٣؛ محمود جار الله الزمخشري، ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، تحقيق سليم النعيمي (بغداد، مطبعة العاني): ص٣٢٧؛ المقريزي، المواعظ والاعتبار: ٢٥٦/١؛ ويشير المسعودي إلى أن قريباً من نصفها وأكثر من الثلث مربع الشكل مبني من الحجارة والباقي مثمن الشكل مبني بالآجر والجص. التنبيه والأشراف: ص٤٢-٤٣؛ في حين ذكر الحميري أن المرآة الواقعة في أعلى المنارة كانت تستفيد من أشعة الشمس في عكسها على السفن فتحترق. الروض المعطار: ص٥٤-٥٥. وينظر للمزيد عن هذه المنارة وعجائبها، بتلر، فتح العرب لمصر: ص٣٣٨-٣٤٥.

(٢) المسعودي، مروج الذهب: ٤١٧/١-٤١٨؛ وينظر القزويني، آثار العباد: ص١٤٥-١٤٦.

(٣) البرنس: بلدة على النيل، قرب البحر من جهة الاسكندرية. ياقوت، معجم البلدان: ٤٠٢/١.

(٤) الكندي، المصدر السابق: ص٥١، ٥٣، ٥٥، ٦٤، ٧٤؛ وينظر ابن تغري بردي، المصدر السابق: ١٤٤/١، ٢٤٤؛ تنيس: جزيرة قريبة من البر ما بين فرما ودمياط. ياقوت، معجم البلدان: ٥١/٢.

الجاسوس من افتضاح أمره فهرب ليلاً في سفينة بيزنطية أرسلت لإنقاذه(١). إن فشل العيون والجواسيس في كشف هوية هذا الجاسوس، ونجاحه في هدم نصف المنارة، هو خرق خطير حققه الجواسيس البيزنطيون، في فترة كان فيها الصراع البري والبحري على أشده بين الطرفين.

كما شهدت ثغور ما وراء النهر، إخفاقات أحياناً، كان من أبرزها استشهاد سورة بن الحر عامل سمرقند، مع عشرة آلاف رجل، عندما نجح جواسيس الترك، في نقل أخبار خطته للالتحاق بعامل خراسان الجنيد المري(٢). وفي ثغور المغرب، نجد أن هذه الجبهة شهدت صراعاً مريراً ودامياً، استمر نحو سبعين سنة قبل أن يستتب الوضع العام لصالح الدولة العربية الإسلامية، فقد استشهد زهير البلوي، في برقة على يد قوة بيزنطية نزلت الساحل واحتلت المدينة، بعد أن رصدت خروجه منها، ولم يستطع زهير أن يحصل على أخبار نزول العدو، لكي يستعد بشكل جيد لمواجهتهم، وإنما فوجئ بهم عند عودته(٣).

وفي الأندلس كان استشهاد عبدالرحمن الغافقي، في بلاط الشهداء عام (١١٤هـ/٧٣٢م) وخسارة القوات العربية الإسلامية، للمعركة وانسحابها نموذجاً آخر على إخفاقات الجواسيس في تأمين المعلومات المطلوبة، عن عدد قوات كارتل مارتل، وحلفائه، التي وصلت نهر اللوار، دون أن يشعر الغافقي بمقدمها، فلما أراد عبور النهر لملاقاتها في الضفة اليمنى فاجأه كارل بجموعه الجرارة، مما دفعه إلى العودة إلى الضفة اليسرى، ثم اصطدم الطرفان في معركة طاحنة ثم كانت النتيجة المعروفة...(٤).

وعلى صعيد الخصوم في دار الإسلام، نجد أن العيون والجواسيس، فشلت بعد وفاة الخليفة معاوية بن أبي سفيان، وتولي ابنه يزيد في الحيلولة دون انتقال الحسين بن علي، وعبدا لله بن الزبير، من المدينة إلى مكة(٥). كما فشلت ليلة معركة الخازر (٦٧هـ/٦٨٦م) بن أجناد الشام وقوات إبراهيم بن الأشتر، في كشف اختفاء أحد قادة الأجناد، وهو عمير بن الحباب مع أحد رفاقه، والتقائه سراً بإبراهيم، واتفاقهما ضد عبيدا لله بن زياد، مما كان

---

(١) المسعودي، مروج الذهب: ٤١٨/١؛ وينظر الثعالبي، ثمار القلوب: ص٥٢٣؛ الحميري، الروض المعطار: ص٥٤-٥٥؛ القزويني، المصدر السابق: ص١٤٥-١٤٦.

(٢) الطبري، تاريخ: ٧٦/٧.

(٣) الرقيق، المصدر السابق: ص٥٢-٥٣؛ وينظر ابن عذاري، المصدر السابق: ٣٣/١؛ المالكي، رياض النفوس، ص٣٠-٣١؛ ابن الأثير، الكامل: ١٠٩/٤.

(٤) عنان، مواقف حاسمة: ص٥٨-٦٠.   (٥) الطبري، تاريخ: ٣٤٠/٥-٣٤١.

أحد أهم أسباب هزيمة الأجناد[1]، كما فشلت عيون الخليفة عبدالملك بن مروان، في كشف تسلل عمرو بن سعيد الأشدق، وأنصاره إلى دمشق، أثناء توجهه لقتال مصعب بن الزبير، في العراق حيث سيطر على دمشق، وكاد الأمر ينتهي بحرب أهلية بين الأجناد، لولا نجاح عبدالملك في حسم الموقف فيما بعد لصالحه[2]. كما أن أداء عيون الحجاج بن يوسف الثقفي كان ضعيفاً، أثناء تصديه لشبيب الخارجي[3]. كما فشلت العيون في المغرب العربي، أثناء ولاية عبدا لله بن الحباب، في كشف تنظيمات الخوارج الصفرية، وقياداتها قبل استفحال أمرها وتحشيدها قوات كبيرة، أدت إلى كارثتين كبيرتين، في عهد ابن الحباب[4]، وكلثوم بن عياض القشيري[5].

وعلى الرغم من النجاحات الأولى للعيون والجواسيس، في خراسان في كشف التنظيم العباسي أكثر من مرة، إلا أن سوء الإدارة، واستفحال الصراعات القبلية، انعكس في النهاية بصورة سلبية على أداء العيون، الذين شلت حركتهم المناورات الذكية لقيادات التنظيم العباسي، والذي عمل بلا كلل على إحباط أي مسعى يقوم به نصر بن سيار، والي خراسان، من أجل توحيد القوى العربية في خراسان، من أجل الوقوف بوجه أبي مسلم الخراساني، من خلال الاستخدام الذكي لانعدام الثقة بين الأطراف العربية، من مضرية، ويمانية، وخوارج[6].

كما فشلت العيون والجواسيس، في الحجاز، والشام، والعراق، في كشف الدعاة العباسيين المتخفين في زي تجار تارة، وبزي حجاج تارة أخرى، من الانتقال بسهولة ما بين قطر وآخر، والاتصال بالقائد الأعلى في الحميمة، وفي مكة ودعمه بالأموال نقداً وعيناً[7]. وجاء الخلل الكبير في عمل العيون والجواسيس، عندما نجح قادة التنظيم العباسي، لا سيما بعد

---

(١) المبرد، الكامل: ص٢٦٨-٢٦٩؛ وينظر الدينوري، الأخبار الطوال: ص٢٩٣-٢٩٤؛ الطبري، تاريخ: ٨٦/٦.

(٢) البلاذري، أنساب: ١٣٨/٤-١٣٩؛ وينظر الطبري، تاريخ: ١٤٠/٦.

(٣) المصدر نفسه: ٢١٨/٦، ٢٢٣، ٢٣٢.

(٤) خليفة، تاريخ: ص٣٥٣-٣٥٥؛ وينظر الرقيق، المصدر السابق: ص١٠٧-١١٠.

(٥) ابن عبدالحكم، فتوح: ص٢١٩-٢٢٠؛ مجهول، أخبار مجموعة: ص٣٢-٣٣؛ ابن الأثير، الكامل: ١٩٣/٥.

(٦) خليفة، تاريخ: ص٣٩٠؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٣٦٤/٧؛ مجهول، أخبار العباس: ص٢٩٨-٢٩٩.

(٧) الأزدي، تاريخ الموصل: ص٥٣؛ وينظر الإمامة والسياسة: ١١٣/٢-١١٤.

أن طوروا نجاحاتهم العسكرية، بالتقدم نحو العراق، في الحصول بطريقة أو بأخرى، على خطط يزيد بن عمر بن هبيرة، عامل العراق للتصدي الحاسم للقوات العباسية، في خراسان عبر إرسال ثلاثة مجموعات من الجيوش، الأولى بقيادة عامر بن ضبارة، والثانية بقيادة نباتة بن حنظلة، والثالثة بقيادة ابن هبيرة شخصياً، مما أدى إلىفشل هذا الجهد العسكري(١). كما فشلت العيون والجواسيس، في معرفة الحركة التضليلية، التي قام بها قحطبة الطائي قائد جيوش الثورة، عندما تجاوز معسكر ابن هبيرة في جلولاء، وعبر نهر تامرا، دافعاً ابن هبيرة إلى اللحاق به، إلا أن قحطبة سبقه إلى العودة إلى معسكره في الجلولاء، والذي كان مملوءاً بالأسلحة والتموينات(٢). من هذا يتبين لنا صدق المقولة التي رددها كثير من المؤرخين، عن سبب سقوط الأمويين((ما زال ملكهم قائماً حتىعميت عليهم الأخبار))(٣).

أما العمليات التي ساهمت العيون في فشلها، فضلاً عن عوامل أخرى، فيمكن اعتبار حملة القسطنطينية الرابعة، بقيادة مسلمة بن عبدالملك عام (٩٦هـ/؟؟؟؟م) نموذجاً لذلك إذ أن مسؤولية العيون، تتحدد عدم تحذير القيادة في إمكانية خيانة ليو الأيسوري(٤)، فضلاً عن فشل العيون، في معركة خيانة البحارة الذميين، الذين كانوا يعملون في الأسطول العربي الإسلامي، والذين أفشوا خطة المعركة البحرية إلى البيزنطيين، مما أدى إلى أن يحققوا نصراً بحرياً حاسماً في البسفور(٥). وفي ثغور الشام، والجزيرة، نجد أ الصوائف، والشواتي، لم تكن دائماً ناجحة، فقد شهدت أحياناً استشهاداً لقادتها، وفشل بعض هذه الحملات أحياناً(٦).

كما شهدت ثغور سجستان، وطبرستان، والسند، إخفاقات أحياناً، وكان قتيبة على حق عندما وصف سجستان بأنه ثغر مشؤوم(٧)، فقد شهدت هذه الثغور حملات أبيدت

---

(١) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٨٥.

(٢) مجهول، نبذة من كتاب التاريخ: الورقة ٩٦؛ وينظر مجهول، أخبار العباس: ص٣٦٥-٣٦٦.

(٣) الجاحظ، رسائل الجاحظ، كتاب البغال: ٢٦٦/٢؛ وينظر الاسكافي، المصدر السابق: ص١٢.

(٤) ابن عبدالحكم، سيرة عمر بن عبدالعزيز: ص٣٢؛ وينظر الطبري، تاريخ: ٥٣١/٦؛ المقدسي، البدء والتاريخ: ٤٤/٦.

(٥) فهمي، التنظيم البحري: ص١٦٣؛ وينظر مونتجمري، الحرب عبر التاريخ: ص١٩٣.

(٦) ينظر الطبري، تاريخ: ٨٨/٧؛ المسعودي، مروج الذهب: ٢٤/٣؛ ابن عساكر، تهذيب: ٢٥٠/٣.

(٧) البلاذري، فتوح: ص٤٩٣.

وأخرى انسحبت مهزومة، ولا يمكن إغفال نقص المعلومات في كونه أحد أسباب الفشل، كما حدث لعبدا لله بن أمية الأموي، في عهد الخليفة عبدالملك، وكذلك مع عبدا لله بن أبي بكرة(١). ولا بد من الإشارة إلى أن فشل ابن الأشعث، في التقدم السريع في هذا الإقليم، عندما أرسل لفتحه، هو الذي أدى إلى توتر علاقته مع الحجاج، ومن ثم إلى إعلان الجند وقائدهم التمرد المعروف(٢). وشهدت طبرستان حملة بقيادة مصقلة بن هبيرة الشيباني، أبيدت عن بكرة أبيها، في عهد الخليفة معاوية بن أبي سفيان(٣). وكان أحد الأسباب المهمة كما يبدو من سير العملية هو رداءة الاستطلاع، والاندفاع في عمق أراضي العدو، من غير وجود منصات دعم بأسلوب السرايا. وهذا ما دفع المسلمين إلى أن يكونوا حذرين في التعامل مع هذا الإقليم فيما بعد(٤).

كما شهد السند حملة فاشلة، بقيادة عبدا لله بن سوار العبدي، في عهد معاوية بن أبي سفيان(٥)، ويلاحظ أن مصادرنا تسكت في معظم الأحيان، عن أسباب هذه الإخفاقات. وفي ثغور أرمينية وأذربيجان، نجد أن استشهاد الجراح الحكمي عام (١١٢هـ/٧٣٠م) كان من أبرز الكوارث التي حلت في هذه الجبهة، والتي أدت إلى أن تصل قوات الخزر، إلى قرب مدينة الموصل. ويظهر أن أحد الأسباب المهمة، هو فشل الجراح في اكتشاف حركة الالتفاف الواسعة، التي قام بها الخزر، حيث دخلوا أرمينية، وحاصروا أردبيل في الوقت الذي كان فيه الجراح في مراغة حيث استشهد أثناء محاولته صدهم(٦).

وفي المغرب العربي نجد أن استشهاد عقبة بن نافع(٧)، وفشل حسان بن النعمان، في وادي العذاري(٨)، لعبت فيهما العيون والجواسيس، دوراً مهماً سواء من العدو عبر التغطية المعلوماتية الجيدة، أو عبر تقصير العيون العربية الإسلامية، في كشف خطط العدو.

---

(١) البلاذري، فتوح: ص٤٩١-٤٩٢؛ وينظر خليفة، تاريخ: ص٢٧٧؛ الطبري، تاريخ: ٦/٣٢٣-٣٢٤.

(٢) الطبري، تاريخ: ٦/٣٣٤-٣٣٥.

(٣) البلاذري، فتوح:ص٤١١؛ وينظرالطبري، تاريخ:٦/٥٣٥-٥٣٦؛ ابن الفقيه، المصدر السابق:ص٣٠٧.

(٤) البلاذري، فتوح: ص٤١٢؛ وينظر ياقوت، معجم البلدان: ٤/١٥.

(٥) البلاذري، فتوح: ص٥٣٩.

(٦) خليفة، تاريخ: ص٣٤٢؛ وينظر الأزدي، تاريخ الموصل: ص٣٢.

(٧) المالكي، رياض النفوس: ١/٢٥؛ وينظر ابن عذاري، المصدر السابق: ١/٢٨-٢٩.

(٨) ابن عبدالحكم، فتوح مصر: ص٢٠٠؛ وينظر الدباغ، معالم الإيمان: ١/٦٣؛ المالكي، رياض النفوس: ١/٣٣.

الْخَاتِمَةُ وَالاِسْتِنْتَاجَاتُ

١. إن أهمية العيون، والجواسيس هي التي جعلت من تواجدهما، في الحضارات القديمة، وفي الجاهلية عند عرب ما قبل الإسلام، أمراً حتمياً، وعلى أساس هذه الحقيقة، فقد استخدما بفعالية، في الدولة العربية الإسلامية، منذ عهد الرسول ﷺ، ضمن الضوابط الشرعية القائمة، على الكتاب والسنة، والتجربة التاريخية للأمة، حيث عمل الفقهاء، على تقديم إطارات شرعية، وواقعية، ومرنة، قابلة للتطور، كما هو الحال، في استخدام غير المسلم، وفي عقوبات التجسس المعادي، بالنسبة للمسلم، والذمي، والمستأمن، والحربي. وفي ضوء هذه الأهمية، فقد تضمنت آيات من القرآن الكريم، وأحاديث نبوية شريفة، فضلاً عن وصايا، ورسائل الخلفاء، والقادة، إشارات وخطوطاً عريضة، لطبيعة العمل التجسسي، وضوابطه.

٢. لقد أكد عصر الرسول ﷺ. بما لا يدع مجالاً للشك، أن عملية بناء الدولة، يجب أن يساهم فيها كل ما هو متاح، ضمن الضوابط، وعلى هذا الأساس، فقد اعتمد الرسول ﷺ، على قنوات متعددة، في مده بالأخبار، فقد كان له عيون في مكة والمدينة، وفي ديار القبائل العربية، لا سيما الحجازية منها، فضلاً عن تواجدهم، في التجمعات السكانية اليهودية، وقد اعتمد على هذه القنوات، في وضع خططه، على المستويين البعيد، والقريب. وفي التعامل مع القوى المعادية، وفي إفشال خططها، وفي الوصول إلى النصر.

ولم تعرف لحد الآن، كيف تم بناء هذه الشبكات، ولا المعايير المتخذة، في تزكية العناصر العاملة، لا سيما غير المسلمة منها. فضلاً عن طرق الاتصال الضرورية جداً. ولم يعط لحد الآن مسألة توظيف غير المسلم، في وحدات العيون في هذا العصر، الأهمية التي تستحقها، فقد كان منهم مشركون، وعلى الأرجح يهود، ونصارى أيضاً. وإن كان الكثير من المشركين، قد التحق بركب الإسلام في النهاية. وقد أصبحت الواجبات المتنوعة، التي نفذها عيون الرسول ﷺ، الإطار، والأساس الشرعي، لواجبات العيون في الدولة العربية الإسلامية، في العصور اللاحقة. كما يلاحظ أن هذا العصر على الرغم مما بذل فيه من جهود جبارة، لم يخل من إخفاقات، سجلت على عيون الرسول ﷺ، وهي نبراس دائم، يؤكد أن مسألة تحقيق الأمن المطلق، حالة لا يمكن الوصول إليها، كما ولم تعط أية واجبات للعيون في هذا العصر، على مستوى الداخل الإسلامي، إذ أن الرسول ﷺ، اعتمد على التربية الإيمانية، في رفع مستوى الحس الأمني، لأبناء المجتمع، بحيث تحول

معظم أبناء المجتمع، إلى عيون ساهرة، على أمن مجتمعها.

٣. إن اختلاف التحديات التي شهدها العصر الراشدي، قد أوجب على العيون، الجواسيس وإدارتها أن تتأقلم مع الوضع الجديد، حيث اتسعت المساحة الجغرافية، وضمت الدولة العربية الإسلامية شعوباً، وأمماً، ذات عقائد ولغات، وعادات شتى. فضلاً عن التعقيدات، التي طرأت على النسيج الاجتماعي، بعد استقرار العرب المسلمين، في الأمصار، وبروز التجمعات السكانية الكبرى، مثل البصرة، والكوفة، والفسطاط... واختلاطهم مع سكان البلاد المحررة، والمفتوحة وتحسن الأوضاع الاقتصادية، بشكل جذري مع بروز قوى وشخصيات طموحة، وأخرى ترفض أي قيود إدارية، أو سلطة مركزية، كل ذلك وضع العيون والجواسيس، وإدارتها الوليدة، أمام امتحانات صعبة، نجحت في اجتياز بعضها، وأخفقت مع البعض الآخر، فإذا كانت النجاحات المتحققة، على صعيد دار الحرب، كثيرة، وحاسمة، بصورة عامة، مع استثناءات قليلة، لا سيما إذا كان الصراع، مع دولتين كبيرتين، ذات تقاليد عريقة، في مهام العمل التجسسي، كالساسانيين، والبيزنطيين، وتعود هذه النجاحات بالدرجة الأساس، إلى العقلية المنفتحة، والواقعية، التي تمتعت بها الخلافة الراشدة، وقياداتها الميدانية في الأمصار، وفي الثغور، والتي نجحت في إعادة توظيف، مجموعات مهمة من موظفي الأعداء السابقين، سواء ممن كانوا في العمل الإداري، أو العسكري، ضمن وحدات العيون، والجواسيس العربية الإسلامية، وارتفعت في أداء العيون، والجواسيس العرب، من خلال الخبرات الميدانية المتراكمة، التي اكتسبتها ، من خلال عمليات التحرير والفتح.

إن الإخفاقات التي تسجل، على عيون، وجواسيس هذا العصر، كانت بالدرجة الأولى، في الداخل فبالرغم من أن عمر الفاروق ﷺ، والإمام علي ﷺ استخدماها بصورة فعالة، في مراقبة الجهاز الإداري، إلا أن طبيعة أوضاع هذا العصر، والتفاعلات والمتغيرات السريعة، لم تساعد على إيجاد واجبات أخرى، بدأت الحاجة إليها، تزداد بشكل مطرد. لا سيما في الأمصار الجديدة، فأخطاء الإدارة، وصعوبة إيصال الأخبار، والتأكد من صحتها، وعدم إيجاد أشخاص أكفاء للتعامل مع المهام السرية، فالإدارة رغم أن ملامحها، بدأت بالظهور منذ عهد الرسول ﷺ، والذي كانت العيون مرتبطة به شخصياً بصورة عامة، وبالرغم من التطورات الجذرية التي حصلت، على هذا الصعيد في عهد الخليفة عمر ﷺ، إلا أن إيلاء مسألة ضبط الأوضاع الداخلية، في المستقرات السكانية، في الأمصار الجديدة خاصة، فضلاً عن العاصمة، لم تعط الأهمية التي تستحقها، بعد عهد الخليفة عمر ﷺ، وبذلك يمكن القول أنه لم يرافق نمو وحدات التجسس الخارجي العسكري،

نمو مواز له على الصعيد الداخلي، ضمن الضوابط الشرعية، وهكذا استشهد ثلاثة من الخلفاء الراشدين الأربعة، في ظروف مختلفة، من غير توفير حماية ولو بمستواها الأدنى، واندلعت فتنة مدمرة، أدخلت الأمة في شقاقات، لا نهاية لها، وأخذت مجموعات التخريب الحاقدة على الإسلام، والعروبة، أو على قريش، تمارس دورها المدمر، من غير رقابة أو تدخل من قبل الإدارات، التي واجهت الأمر بعفوية.

٤. إن طبيعة الظروف التي صاحبت انتقال الخلافة، إلى الأسرة الأموية، وحصرها فيها طيلة إحدى وتسعين سنة، وطبيعة مكونات الخلافة الجديدة، وأولياتها، وأهدافها، مع الكفاءة والواقعية، وبعد النظر، الذي امتاز به معظم خلفائها، كل ذلك جعلها تولي، العيون والجواسيس، أهمية استثنائية، حيث عملت على إعادة التوازن النسبي، بين الواجبات الملقاة على عاتق العيون، والجواسيس، على المستويين الخارجي، والداخلي، استناداً إلى الحقيقة القائلة، بأن الأمن الداخلي، مرتبط بالأمن الخارجي، وأن أي خلل في الداخل، ينعكس سلباً على صعيد الصراع مع الخارج، وهذا ما يفسر لنا تنوع قنوات المعلومات، وظهور تطور حاسم على صعيد إدارة هذه المؤسسة، منذ عهد الخليفة معاوية، ثم في عهد الخليفة عبدالملك بن مروان.

إن دور العيون والجواسيس، على صعيد الصراع مع دار الحرب، ما بين وسط آسيا شرقاً، وفرنسا غرباً، كان إيجابياً، حيث ساهموا بصورة فعالة، في تحقيق النصر، في سنوات العنفوان هذه. في حين كان الإنجاز الداخلي، رغم أهميته القصوى، أدنى من ذلك على الرغم مما قدم على صعيد مراقبة الجهاز الإداري، وكشف التنظيمات المعارضةومراقبة القادة العسكريين، والشخصيات المهمة. وعند طرح السؤال التالي، هل يتحمل العيون والجواسيس دوراً في إنهاء الخلافة الأموية؟ فالجواب هو نعم، وإن كان تحديد هذه المسؤولية، هو عملية صعبة، نظراً لتشابك العوامل. وتعقيدها. فعملية إيصال الأخبار بسرعة، وبدقة وموضوعية، ما بين خراسان، والشام، حيث أخذ البركان يرسل أصواته المدمرة منها، أصابها خلل خطير، وذلك لأن المحطة المركزية، التي كانت تستلم أخبار خراسان بصورة عامة، وهي واسط عاصمة العراق، لم تعد تمارس عملها بصورة صحيحة، لأسباب سياسية، وشخصية، وهي إحدى النقاط القاتلة، على صعيد العمل الأمني، عندما تدخل الآراء، والمواقف السياسية، والمصالح القبلية الضيقة، في العمل المهني البحت، حيث تكون نتيجة هذا التدخل، تحويل العمل الجماعي الدؤوب، والذي استغرق إنجازه فترات طويلة، بجرة قلم غبية، إلى هباء.

وعندما يتم التساؤل، عن دور الإدارة العليا للعيون والجواسيس، والمتمثلة في الخليفة،

وصاحب البريد، والكاتب، وصاحب الخاتم، والرسائل، فيما حدث؟ تبدو الإجابة معروفة، وهي أن انشغال الخليفة مروان الثاني، بالتمردات الأخطر من وجهة نظره والأقرب جغرافياً، مثل تمردات أجناد الشام، وخوارج العراق والجزيرة، هي التي جعلته يولي اهتماماً أقل، في متابعة التطورات الأمنية، في خراسان، على الرغم من أن عيونه المرتبطة به شخصياً، حققت إنجازاً باهراً، في كشف رأس التنظيم العباسي، وهو إبراهيم الإمام، إلا أن هذا الإنجاز جاء متأخراً.

٥. لا بد من الإشارة أخيراً، أن مسألة (التنظيم السري داخل مكة)، والقنوات غير العربية في مصادر المعلومات، في العصرين الراشدي، والأموي، لا تزال تحتمل المزيد من الدراسة، والإيضاح، لا سيما بالنسبة للقنوات، من خلال المصادر المحلية، والتي كتبت كثير منها بلغات غير عربية، كالأرمينية، والهندية، واللاتينية، والفارسية، ولغات أخرى. والتي تناولت مسألة حروب التحرير والفتح، والعلاقات بين الدولة العربية الإسلامية، وهذه الشعوب. كما أن مسألة الإدارة، لا تزال بدورها بحاجة إلى إزالة كثير من الغموض، الذي يحيط بأساليب العمل، وطبيعة التسلسل الهرمي، والعلاقات بين العيون والجواسيس، والأجهزة الأخرى في الدولة.

الملحق (١)

رسالة عبدالحميد الكاتب إلى ولي عهد الخليفة مروان الثاني

((... ثم أذك عيونك على عدوك، متطلعاً لعلم أحوالهم، التي يتقلبون فيها، ومنازلهم التي هم بها، ومطامعهم التي قدموا أعناقهم نحوها، وأيّ الأمور أدعى لهم إلى الصلح، وأقودها لرضاهم إلى العافية، وأسهلها لاستنزال طاعتهم، ومن أي الوجوه مأتاهم: أمن قبل الشدة والمنافرة، والمكيدة والمباعدة والإرهاب، والإيعاد، أو الترغيب والأطماع؟ مثبتاً في أمرك، متخيراً في رويتك، مستمكناً من رأيك، مستشيراً لذوي النصيحة، الذين قد حنكتهم السن، وخبطتهم التجربة، ونجذتهم الحروب، متشزناً[1] في حربك، آخذاً بالحزم في سوء الظن، معداً للحذر، محترساً من الغرة، كأنك في مسيرك كله، ونزولك أجمع مواقف لعدوك رأي العين، تنتظر حملاتهم... احفظ من عيونك، وجواسيسك ما يأتونك به من أخبار عدوك، وإياك ومعاقبة أحد منهم على خبر، إن أتاك به اتهمته فيه، أو سؤت به ظناً وأتاك غيره بخلافه، أو أن تكذبه فيه فترده عليه، ولعله أن يكون قد محضك النصيحة، وصدقك الخبر، وكذبك الأول، أو خرج جاسوسك الأول، متقدماً قبل وصول هذا من عند عدوك، وقد أبرموا لك أمراً، وحاولوا لك مكيدة، وأرادوا منك غرة، فازدلفوا إليك في الأهبة ثم انتفض بهم رأيهم، واختلف عنه جماعتهم، فأرادوا رأياً، وأحدثوا مكيدة، وأظهروا قوة، وضربوا موعداً وأموا مسلكاً لمدد أتاهم، أو قوة حدثت لهم. أو بصيرة في ضلالة شغلتهم، فالأحوال بهم متنقلة في الساعات، وطوارق الحادثات، ولكن ألبسهم[2] جميعاً على الانتصاح، وارضخ لهم بالمطامع. فإنك لن تستعبدهم بمثلها، وعدهم جزالة متأوب، في غير ما استنامة منك إلى ترفيقهم أمر عدوك والاغترار إلى ما يأتونك به، دون أن تعمل رويتك في الأخذ بالحزم، والاستكثار من العدة، واجعلهم أوثق من يقدر عليه، وآمن من يسكن إلى ناحيته، ليكون ما يبرم عدوك، في كل يوم وليلة عندك إن استطعت ذلك، فينتقض عليهم برأيك وتدبيرك ما أبرموا، وتأتيهم من حيث أمنوا، وتأخذ لهم أهبة ما عليه أقدموا،

---

(١) متشزناً: أن يولي الأعداء شدته وبأسه. ابن منظور، المصدر السابق: ٢٣٦/١٣.

(٢) ألبسهم: خالطهم، واعرف باطنهم. ابن منظور، المصدر السابق: ٢٠٣/٦-٢٠٤.

وتستعد لهم بمثل ما حذروا، واعلم أن جواسيسك، وعيونك ربما صدقوك، وربما غشوك، وربما كانوا لك وعليك، فنصحوك وغشوا عدوك، وغشوك ونصحوا عدوك، وكثيراً ما يصدقونك، ويصدقونه، فلا تبدرن منك فرطة عقوبة، إلى أحد منهم، ولا تعجل بسوء الظن إلى من اتهمته على ذلك، واستنزل نصائحهم، بالمباحة، والمنالة، وأبسط من آمالهم فيك، من غير أن يرى أحد منهم، أنك أخذتمن قوله، أخذ العامل به، والمتبع له، أو عملت على رأيه، عمل الصادر عنه، أو رددته عليه رد المكذب به، المتهم له المستخف بما آتاه منه فيفسد بذلك نصيحته، ويستدعي غشه، وتجتر عداوته، واحذر من أن يعرف جواسيسك في عسكرك، أن يشار إليهم بالأصابع، وليكن منزلهم على كاتب رسائلك، وأمين سرك، ويكون هو الموجه لهم، والمدخل عليه من أردت مشافهته منهم، واعلم أن لعدوك في عسكرك عيوناً راصدة، وجواسيس كامنة، وأنه لن يقع رأيه في مكيدتك بمثل ما تكايده به، وسيحتال بك، كاحتيالك له، ويعد لك، كإعدادك فيما تزاول منه، ويحاولك كمحاولتك إياه، فيما تقارعه عنه، فاحذر أن يشهر رجال من جواسيسك في عسكرك، فيبلغ ذلك عدوك، ويعرف موضعه، فيعرف له المراصد، ويحتال له بالمكايد، فإن ظفر به فأظهر به عقوبته، كسر ذلك ثقاة عيونك وخذلهم عن تطلب الأخبار من معادنها واستقصائها من عيونها، واستعذاب اجتنبائها من ينابيعها، حتى يصيروا إلى أخذها، ممن عرض من غير الثقة ولا المعاينة لفظاً لها بالأخبار الكاذبة، والأحاديث المرجفة، واحذر أن يعرف بعض عيونك بعضاً، فإنك لا تأمن تواطأهم عليك، ومما لأتهم عدوك، واجتماعهم على غشك، وتطابقهم على كذبك، وأصفاقهم على خيانتك، وأن يورط بعضهم بعضاً عند عدوك، فأحكم أمرهم فإنهم رأس مكيدتك، وقوام تدبيرك، وعليهم مدار مربك، وهو أول ظفرك فاعمل على حسب ذلك، حيث رجاؤك به نيل أملك من عدوك، وقوتك على قتاله، واحتيالك لإصابة غراته، وانتهاز فرصه إن شاء الله...))[1].

(١) القلقشندي، صبح الأعشى: ١٠/٢١٢-٢١٥، وينظر أحمد مفتاح، مفتاح الأفكار في النثر المختار (القاهرة، مطبعة جريدة الإسلام، ١٣١٤هـ): ص٣٤٥-٣٤٨.

الملحق (٢)

تم الرجوع إلى فالتر هنتس، فيما يتعلق بالفرسخ والذي يساوي ٦ كم، والميل والذي يساوي ٢ كم، والبريد والذي يساوي ٢٤ كم. المكاييل والأوزان الإسلامية، وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة كامل العسلي (عمان، مطبعة القوات المسلحة الأردنية، ١٩٧٠): ص٩٤، ٨٢؛ في حين تم الرجوع إلى ابن منظور، فيما يتعلق بالسكة، حيث أشار إلى أنها فرسخان، أي ١٢ كم. جمال الدين محمد بن مكرم، لسان العرب (بيروت، دار صادر، دار بيروت، ١٩٥٦/١٣٧٧): ٨٦/٣؛ أما المرحلة فقد أشار ابن رستة إلى أنها عشرة فراسخ، أي ٦٠ كم. أحمد بن عمر بن رستة، الأعلاق النفيسة (ليدن، مطبعة بريل، ١٨٩١): ص٢٧٤؛ وينظر محمد بن أحمد البشاري المقدسي، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم (ليدن، مطبعة بريل، ١٩٠٦): ص١٠٦؛ أما مسيرة اليوم، والليلة، فإن ابن أعثم، أشار إلى أن كل ثلاثة أيام تساوي أربعة ليال. أحمد بن أعثم الكوفي، الفتوح، تحقيق محمد عظيم الدين (حيدر آباد الدكن، دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٩): ٢٣١/١؛ ويشير الواقدي، إلى أن مسيرة يوم تساوي عشرة فراسخ، أي أنها تساوي ٦٠ كم. والليلة ٤٥ كم. محمد بن عمر، فتوح الشام، تحقيق وليم ناسوليس (كلكة، مطبعة مليتري رافن سوسيتي، ١٢٧١): ١٠/٢.

الموضوع	الصفحة

الفصل الثالث

الفصل الرابع


رفع
عبد الرحمن النجدي
أسكنه الله الفردوس
www.moswarat.com

العيون والجواسيس في الدولة الإسلامية

منذ عهد الرسول (ﷺ) إلى نهاية العصر الأموي

Beirut: Tel/fax: 009611 272225
009613 334648 / 312124
Amman 00962 79 5698699





دار الكتاب الثقافي
الأردن - إربد - شارع الجامعة
هاتف: ٠٠٩٦٢٢٧٢٦١٦١٦+
فاكس: ٠٠٩٦٢٢٧٢٥٠٣٤٧+